

كتاب تثبيت الفؤاد

بذكر كلام مجالس القطب الإمام عبد الله بن علوي بن محمد الحداد
نفع الله به آمين

مما جمعه الشيخ أحمد بن عبد الكريم الحساوي الشجار
تحرير

سيدنا الإمام الحبيب أحمد بن الحسن بن عبد الله الحداد

الجزء الأول

لمقام الإمام الحراد

تـرـيـم
الحـاوي

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
ت: ١٥٩٤٤
وفاة المولى فاشكره

کتاب

بذكر كلام مجالس القطب الإمام عبد الله بن علوي بن محمد الحداد
نعم الله به أمين

مما جمعه الشيخ أحمد بن عبد الكريم الحساوي الشجار

تَحْلُو فِر

سيدنا الإمام الحبيب أحمد بن الحسن بن عبد الله إلحاد

الجزء الأول

طبع بستغافورة
فستاك ناشيونال فريسية ليميتد

الطبعة الأولى
ربيع الأول ١٤٢٠هـ - يونيو ١٩٩٩م

حقوق الطبع محفوظة للناس

لمقام الإمام الخدرو

—

الحاوي

ت : ۹۵۹۱۱۱

الماء، فتكوي

الحسيني

هذا كتاب تقيت الفوائد بذكر كلام

مجالس سيدنا القطب المستنير

عبد القادر غياثي بن محمد

الحداد بقعا الدار

بداون

٢٢١

نقله محسن

دخل في حيز

الحمد لله

من ايامه

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

طالع هذه الكتاب القيمة

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله

صورة من النسخة الأصل للحبيب

أحمد بن حسن الحداد (المخطوطة)

[illegible]

صورة من أول صفحة من النسخة الأصل

للحبيب عيدروس بن عمر الحبشي

سيدنا يقبلها ويبدله بغيره ليصافحه ولا يغير الأعيان
الرجل وكان محقق له عنه نظر تام وسنة عناية
واعتناء سيدنا فيهنه حالاً وتديه وبقي على الاستعداد
وايها وقال لرجل من السادة يخلف عن صلاة
العصر مع الجماعة خلفه وذلك يوم السبت
عاشع من شهر رمضان ما الذي خلفك عن الصلاة
والفراة قال جاءني فلان وفلان من السادة اجتمع
بهم في المسجد ثم ساروا الى الدار فقبلوا بي فقال
له رضي الله عنه حتى ميا سطر كيف كانا محشورين
وهذه الامور لا حرج عليكم اذا طلبتوها على الوجه
المباح الذي لا يتعدى الى محظور وقد وصينا
اصحابنا بان يتوسلوا فيها ولا يبالغوا فيها
ولا يترفعوا ولا يتكبروا على غيرهم بل يستحسن
لهم فيها التي سئلوا ان في طبع اهل هذه الجهة اذا
راوا الانسان يتواضع لهم وحققوا عليه وظنوا بهم
اقبل منه وانه ما يبلغي جلاله واذا رفع نفسه
عزوا له حقيقة عليته وبقا يا بني في هذه الامور رفقوا من
تواضع لهم وظنوا الله قد نازلهم دون ما يستحقون الخا

صورة من النسخة الاصل للحبيب أحمد

بن عبد الرحمن الحداد (الجزء الثاني)

◦ هذه الأبيات كان سلفنا يقرأونها كلما أرادوا القراءة
في كتب الإمام الحداد:

* * * * *

إله الورى سهّل على كل من قرا	تصانيف حداد العُلا ما تعسّرا
وأصلح له كلّ الشؤون وجدّ له	بعافية كُبرى وأحسن له القِرى
وجدّد له في كلّ حين كرامةً	وفضلاً وأنعشه إذا ما تعسّرا
وهب يا وليّ الخير أنساً وراحةً	ورزقاً حلالاً واسعاً وميسّراً

* * * * *

◦ الأبيات الثلاثة الأولى
في ديوان الحبيب أحمد بن عمر بن سميّط
والبيت الرابع
منسوب للحبيب طاهر بن عمر الحداد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ }^(١)، الحمد لله على أياديه المتواترة ، ونعمه الباطنة والظاهرة ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ذي المعجزات الباهرة ، والأخلاق العظيمة الظاهرة ، وعلى آله وصحبه أنصارهم والمهاجرة .

وبعد : فهذا أتمودج يسير ، مغترف من بحر تيار كبير من العلم العزيز الغزير ، من كلام الإمام القطب الشهير ، العارف بالله والعدل عليه ، حجة الإسلام وبركة المسلمين ، غوث البلاد والعباد، أبي الحسنين^(٢) ، وإمام العارفين ، الشيخ عبدالله بن علوي بن محمد الخداداد باعلوي رضي الله عنه ونفع به ، مما جمعه ودونته فقره وتلميذه الشيخ أحمد بن عبدالكريم الحساوي الشجار^(٣) ، بارك الله له في ذلك ، وبلغه ما أمله هنالك ، إنه جواد كريم ، وقد أحببت أن أنقل كلام سيدنا الحبيب برمته ، مع تصرف يسير في تقديم بعض المقالات، أو تأخيرها إلى مقالة أخرى ، وإذا كان في شيء من المكرر زيادة لفظة أو فائدة أثبتته وحذفت المكرر العمري عن الزيادة، وأذكر كلام سيدنا الحبيب نفع الله به برمته إلا شيئاً يسيراً من كلام

(١) سورة يونس الآيات (٦٢ - ٦٤) .

(٢) إشارة إلى ولديه الحسن والحسين .

(٣) ترجمته توسع في : "هجرة الزمان" للسيد محمد بن زين بن محيل : ٢٩٤ .

الحساوي المذكور ، مع تلخيصه إذا كان له تعلق بكلام سيدنا الحبيب نفع الله به ،
كما سنراه إن شاء الله تعالى ، قال الحساوي المشار إليه لطف الله به ، آمين :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه وسلم ، قال العبد الفقير إلى كرم الله الغني الكبير أحمد بن عبد الكريم
الحساوي الشجار ، سامحه الله وعفا عنه :

هذه كلمات كلية نافعة ، وحكم جُمليّة جامعة ، وجواهر نفيسة غالية ، ولآل
أنيسة عالية ، وهي قرية العهد من موطنها ، طرية غضة من معدننا ، أخرجتها من بحر
الحكمة الزخار أمواجه للتلاطمة آناء الليل والنهار ، حتى أَلْقَتْهَا^(١) بأمر الله على
ساحله ، فالتقطها من ظفر بها وكتبها من فاز بها بأنامله ، وهي لعزها قليلة الورد ،
عزيرة الوجود ، سريعة الشroud ، وكل كلمة منها توازن الدر عند الأحرار ، وإن لم
تكن لها قيمة عند الجهال الأغمار ، إذ ما كل أحد يعرف قدر اللؤلؤ ، لكن أهله ،
ومن عرف عزيز قيمته غاص له في البحار ، حتى استخرجه من تلك القعار ، ولكن
هذه^(٢) للآدمي قدرة على التوصل إليها ، حتى يبلغها ويشرف عليها ، وأما^(٣) الجواهر
النفيسة العزيرة ، فلا وصول إليها إلا إذا هبت رياح الأقدار ، فحركت بحور قلوب
أكابر الأولياء الأحرار ، أخرجتها منها فألقَتْها على ساحل ألسنتهم فاحتفظها^(٤) من
وجدتها ، وضمن عليها من ظفر بها ، وذاقها وعرف قيمتها من عرفها ، وقد جاء في
الخير : عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه : أنه قال : استأذنت رسول

(١) في (خ) : أَلْقَتْها .

(٢) في (خ) : أَلْقَتْها . وإذا تأملت ما بعدها لجد معنى عبارة الأم واضحة .

(٣) في (خ) : هذه .

(٤) في (خ) : فاحتفظها .

اللَّهُ ﷻ أن أقيد ما سمعته منه ، فأذن لي ، فجاء عنه أنه قال : حفظت عن رسول الله ﷺ ألف مثل ، وحزروا أحاديثه التي رواها أربعة آلاف حديث^(١) ، وقال أبو هريرة رضي الله عنه : كان عبدالله بن عمرو يكتب ولا أكتب ، وكذلك قيد أصحاب المشايخ المتقدمين ما سمعوا من مشايخهم ، كأصحاب الشيخ عبدالقادر الجيلاني رضي الله عنه ، قيدوا ما سمعوا منه مما تكلم به على الكرسي وغير ذلك ، فقيد وجمع في كتاب ، سمي "جلاء الخاطر في كلام محيي الدين عبدالقادر" ، وكذلك قيد عبدالله بن بدر الحبشي ما قيد به^(٢) كلام الشيخ ابن عربي ، مما تكلم به في مجالسه وأوقاته ، وما خاطب به غيره ، وما فصله من علم أو شرح لكلام من تقدمه أو تحدث به مع أصحابه ، أو شيء مما فيه فائدة ، فإذا كان الأمر كذلك ، ففي أولئك قدوة وأسوة حسنة ، لمن حذا حذوهم واقتدى بهم ، وكانوا له حجة ، فإني قد جمعت نبذاً مما قيدته من كلام سيدنا وقُدوتنا ، ومن عليه بعد الله ورسوله عملتنا ، السيد الشيخ الإمام القدوة للخاص والعام ، قطب الأقطاب ، ونخبة الأولياء الأحباب ، سيدي الحبيب عبدالله بن علوي الحداد علوي ، رضي الله عنه ونفعنا بركاته وأسرارته في الدنيا والآخرة ، مما تكلم به في مجالسه أو شرحه وفصله في بيان مسألة ، أو على حديث أو أي معنى مما سمعناه منه ، فإنه لسان حال الوقت ، وقطب العصر وإمام الدهر ، وقدوة هذا الآن ، ومقدم هذا الزمان ، كما أجمع على ذلك أهل الظاهر وأهل الباطن ، وأهل الشريعة وأهل الحقيقة ، وأنه المجدد للدين في وقتنا ، وحامل سر الحق فيه ، وحامل اللوائين ، لواء الشريعة ولواء الحقيقة ، المشتمل عليهما مقام القطبية ، وأنه لا يحمله عنه بعده من كل الوجه إلا المهدي ، كما قال

(١) انظر تقييد العلم للمعجب البغدادي : ٧٤ .

(٢) في (ع) : (ما قيد من) كلام الشيخ ابن عربي .

رضي الله عنه مرارا : عندنا أمانة لا يحملها إلا للمهدي ، وستقف على تحقيق ذلك في هذا النقل عن كبار المحققين ، من أهل الظاهر وأهل الباطن ، وأهل النقل وأهل العقل ، من المكاشفات المحققة لذلك ، والمرائي الصادقة ، والعلامات الدالة القاطعة به .

ذكر شيء مما نوهوا به من وصفه .

قال السيد الكامل العارف بالله محمد بن عبد الرحمن مدحج باعلوي^(١) رضي الله عنه ، وكان من أكابر العارفين ، وأهل الحقيقة واليقين : كلام السيد عبدالله الحداد دواء لأهل القلوب المنورة لأنه طري من عند ربه ، وقال أيضا : نحن ما أذن لنا في هذا الزمان ، والسيد عبدالله أذن له ، وقال : لا تغتر في هذا الزمان بأحد ، ولو رأيته يفعل ما يفعل [أي من الطاعات والكرامات] ، فإن أهل الزمان إن لم ينتموا إلى السيد عبدالله الحداد بالقلب ، وإلا ما جاءوا بشيء ، لأن الله وجهه أمورا لا تكيف ، لا تجلس إلا عنده ، فإن الفائدة في مجالسته ، وقال أيضا : إن أهل الزمان لا يتأسفون على السيد عبدالله إلا بعد موته خصوصا العلماء ، فإنه حجة عليهم ، وقال سيدنا عبدالله نفع الله به : إن فلانا - وذكره - قال : ما في ترم إلا الفقيه المقدم في التربة ، والسيد عبدالله الحداد في الأحياء ، ثم قال سيدنا : نعم ذاك قبر وهذا باب ، يعني نفسه الشريفة ، ولكن ما يعرفون الباب حتى يصير قبرا ، فيعرفون أنه ذلك الباب الذي كانت تنفتح عليهم منه الأمور .

وقال السيد العارف أحمد بن عمر الهندوان نفع الله به : ما بقي اليوم شيخ مرشد إلا السيد عبدالله الحداد ، قال : وظهر لي أنه مملي الكون ، وقال السيد

(١) ذكره صاحب بحجة الزمان : ٣٠ ، ضمن شيخ الحبيب عبدالله .

العارف أبوبكر بن سعيد الجفري : ما رأيت للسيد عبدالله الحداد مثيلاً ، لأنه نفَسٌ رحمانى ، وقد اجتمعت بأزيد من أربعين ولياً ، ما رأيت أحداً يُساميه، وقال أيضاً : بحالسة السيد عبدالله علم من غير تعلم ، وفي مجالسته الخير كله .

وقال السيد العارف علي بن عمر بن حسين بن الشيخ علي : السيد عبدالله ظهر في الكمال ، لأن أمر التصوف قد خفي ، ما ظهر اليوم إلا بركته .
وقال السيد العارف بالله علي بن عبدالله العيدروس : السيد عبدالله سلطان آل أبي علوي ، وقال عبدالعزيز شراويل : ومن أننى عليه - يعني سيدنا الحبيب عبدالله نفع الله به - شيخه السيد العارف بالله عمر بن عبدالرحمن العطاس نفع الله به ، فإنه قال لجماعة ذكره له : السيد عبدالله ثوبٌ طوي ، تُشير في هذا الزمان ، لأنه من أهل القرن السابع^(١) ، إنما أخره الله سعادةً لأهل وقته ، قال : فلما سمعت ذلك أخبرت به سيدي عبدالله ، فقال لي : يا عبدالعزيز أنا بحمد الله ما أنا من أهل هذا الزمان ، قد جعلني الله بينهم ، وأنا وحدي منفرد عنهم بقلي ، كما قال في بعض قصائده نفع الله به وبركاته في الدارين :

ولني مقيم في مواطن غربة على كثرة الألف في جانبٍ وحدي
قريب بعيد كائن غير كائن وحيد فريد في طريقي وفي قصدي

أقول : وقد رأيت بخط خادمه الحب المبارك عمر باحميد^(٢) يقول : سمعته مرة يقول : ما أنا من أهل هذا الزمان ، بل أنا من أهل القرن الثاني ، ولولا الأدب مع أهل القرن الأول ، لقلت أنا منهم ، لأن ما فيهم إلا الصحابة رضي الله عنهم ، فانظروا في حالي وحال أهل الزمان ، إن كنت أشبههم أو يشبهوني ، وقال

(١) في (ج) : لو الرابع .

(٢) هو عمر بن أحمد باحميد السيوطي ترجم له في مجلة الزمان : ٢٦٥ .

عبدالعظيم: وقد قال لي يوماً: أُسِّسَ أمري وبني على الأكابر، منهم الشيخ عبدالقادر والفقير المقدم محمد بن علي علوي، وعبدالرحمن بن محمد السقاف، وعبدالله بن أبي بكر العيدروس رضي الله عنهم، فهؤلاء الأربعة هم قوام أمري، فهؤلاء سادة أهل التصوف وأئمتهم، ودخلت عليه يوماً وجلست معه، فتحدث في الفضل، ثم قال: أما أنا بمحمد الله قد خرجت من نفسي والتجأت إلى ربي، ولا يطرقي خاطر في الرزق، ولولا خوف الشهرة لَشَلَّيت من تحت هذه القطيفة^(١) ما يكفي أهل تريم. انتهى.

أقول: وقد رأيت بخط سيدي السيد الشريف الجليل الحبيب أحمد بن زين الحبشي^(٢) رحمه الله ونفعه، وعرضته عليه وأقره: قال الفقيه محمد بن أبي بكر باجير: كنت خارجاً مع سيدنا الحبيب عبدالله الحداد ليلة بعد المغرب من اثريسة، فقال لي: يا فقيه إن حبيبك - يعني نفسه - قد له ثلاثة أيام منذ دخل مقام القطيفة. انتهى.

أقول: بين قول سيدنا هذا وبين وفاته مدة طويلة، أظن نحو ستين سنة، وقل أن يبقى في هذا المقام من بلغه إلا القليل من الزمان، فإن أكثرهم بقاء فيه من يبقى فيه خمس سنين، وإنما أكثرهم ما يبقى فيه إلا أياماً قريبة، وقد أشهره الله بها^(٣) عند أهل الظاهر وأهل الباطن، وعند أهل الخصوص وأهل العموم، وقد طار نسبتها إليه في الجهات، وانتشر صيتها له في الآفاق، وبلغ خبرها المشارق والمغارب، وقد قال لي السيد الفاضل المتبحر في العلوم محمد بن أبي القاسم المعروف بأبي الطيب

(١) القطيفة: البساط.

(٢) من أكبر تلامذة الحبيب عبدالله بن علوي الحداد وأشهرهم، انشرف سنة ١١٤٥.

(٣) في (ج): أي القطيفة.

للمغربي بمدينة الأحساء قال : أنا من مولدي للمدينة المنورة ، وأبواي من أهل المغرب ، فلما كبرت وبلغت الحلم، سرت إلى المغرب لزيارة أخوال لي - أو قال : أعمام لي - هناك ، فرأيت في المغرب رجلا مشهورا بالولاية شهرة عظيمة ، وتأني إليه القوافل من أماكن متعددة وجهات بعيدة للزيارة ، ويفد الناس إليه بالهدايا ، وله سمع عظيم وصيت شهير ، فمضيت لزيارته ، فحين وقع بصري عليه ، ورأيت حاله ، اعتقدته كثيرا ، وخطر بقلي أن هذا هو القطب اليوم - أي في هذا الوقت - فبحررد خطور ذلك في خاطري ، التفت إلي وقال : يا ولدي ما أنا بالقطب اليوم ، وإنما القطب اليوم السيد عبدالله الحداد باليمن ، فمن حينئذ اعتقدت في السيد عبدالله كثيرا. انتهى .

وقد وقفت لسيدنا على رؤيا^(١) رآها هو ذالة على ذلك أيضا ، رآها فيما سبق من الزمان ، وأخبر بها بعض خواصه ، فكتبها ووقفت عليها في خطه ، ونقلتها منه حرفا بحرف ، وصورة ذلك قال: قال سيدي القطب الرباني ، السيد الأكبر والغوث الأشهر ، عبدالله بن علوي الحداد علوي الحسيني نفع الله به ، قال : رأيت كأنني في مسجد يشبه مسجد قيدون^(٢) في رواقه النجدي ، وكأن فيه خلقا كثيرا ، قال : وفيهم من أصحابه جماعة ، من جملةهم السيد حسن بن علوي الجفري^(٣) ، قال : وكان واحدا أتى إليه وقال له : أنت صاحب الوقت ، أنت الغوث ، قال : قلت : لا ما هو أنا، قال : أنت ، حتى أكثر عليه وهو يقول له : لا ما هو أنا ، ثم بعد خرج هذا الشخص إلى حوش^(٤) للمسجد ، وقال بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله ،

(١) لي (ع) : على رؤيا لسيدنا .

(٢) قيدون : بلد من بلدان حضرموت تقع من جهة دوعن .

(٣) ترجم له في مجلة الزمان : ١٨٢ .

(٤) الحوش : الفناء المحيط بالمسجد ونحوه .

وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأشهد أن سيدنا عبدالله بن علوي الحداد القطب قال :
ثم بعد أتى إلي ، وشق على صدري ، ولم أحس لذلك ألماً وأخرج قلبي وجعل يغسله ،
ويخرج منه أشياء لم أرها ، وكأنه يريد أن يجعل فيه شيئاً بعد أن يفرغه ، قال فذكرت
عند ذلك قصة شق قلب المصطفى ﷺ ، وإيداع العلم والحكمة فيه ، قال : والرؤيا
جزء من النبوة^(١) ، وهي تسر ولا تفر ، كما قال الإمام مالك رضي الله عنه
انتهى ، قال الراوي : انتهى من لفظه .

أقول : وقد قرأت أنا هذه الرؤيا بهذا اللفظ على سيدنا ، وسمعتها ونأملها وهو
ساكت لم يتكلم بحرف ، والسكوت إقرار وتقدير ، وأظن أن هذه الرؤيا قريب
من ذكره لباجير ماذكر ، وهي مقدمة لذلك المقام العظيم ، كما تقدم الوحي للنبي
ﷺ في الرؤيا قبل وحي الملك ، إشارة إلى قوة متابعتة للنبي ﷺ حتى رأى في نفسه
شبهها مما اختص به النبي ﷺ من شق صدره ، وإيداع العلم والحكمة فيه . ومن دقيق
متابعته وغزير علمه وشدة اقتفائه واقتدائه بخده رسول الله ﷺ ، أي كثيراً ما أسمع
إذا سلم من الركعتين الأولتين من الأربع قبل العصر ، يقول : السلام على ملائكة الله
والمقربين ، وعلى أنبياء الله والمرسلين ، وعلى عباد الله الصالحين ، فأردت أن
أسأله عن أصل ذلك ، فما حسمت على سؤاله ، فمر علينا في الدرس بعد العصر ، في
قراءة السيد الجليل عمر بن حامد في سنن أبي داود بإسناده إلى سيدنا علي كرم الله
وجهه ، قال : كان النبي ﷺ يصلي قبل العصر أربعاً يفصل بينهما^(٢) بالتسليم على
الملائكة والمقربين ، وعلى الأنبياء والمرسلين ، وعلى عباد الله الصالحين .

وقد رأيت بخط السيد الفاضل عبدالرحمن بن محمد بن عقيل بن زين باعلوي ،

(١) حديث : « رؤيا المؤمن جزء من سنة وأربعين جزءاً من النبوة » . أخرجه مسلم والبيهقي وأحمد ابن حنبل .

(٢) في رواية الإمام أحمد : « يفصل بين كل ركعتين ... » .

قال : أخبرني السيد الشريف الفاضل أحمد بن عقيل بن يحيى باعلوي قال : أخبرني رجل ثقة من أهل مكة أنه تخلف عن زيارة النبي ﷺ مدة عشر سنين ، قال فرأيت النبي ﷺ ليلة في المنام ، فقال لي : يا عبدالله لم لم تزرنا ، أما علمت أن من زار السيد عبدالله بن علوي الحداد قضيت له سبعون حاجة ، فكيف من زارنا .

ورأيت رؤيا أوائل ما وصلت إلى حضرة سيدنا نفع الله به ، تشهد لمكاشفة ذلك الولي الذي في بلاد المغرب للسيد أبي الطيب ، وهي : أني رأيت كأني وسيدي القطب الشيخ أبوبكر بن عبدالله العيدروس صاحب عدن نفع الله به في جمع ، وأراه متقشفا جدا وثيابه خلقان بالية ، إنما عليه ملحفة متمزقة من كل جانب ، وكأنه في شبه السيد شيخ بن إبراهيم السقاف ، من أهل قسم^(١) ، فتعجبت واستنكرت من حالته هذه ، وقلت في نفسي لو خلوت به لفاتشته في ذلك ، حيث إنا كنا نسمع عنه خلاف هذا ، فما لبثت وأنا أشتهي الخلوة به ، أن جاء داع دعا أولئك الجماعة ، وقال : فلان يدعوكم ، فمضوا إليه ، فخلوت بالشيخ فأقبلت عليه ، فقلت له : يا شيخ أبابكر ما هكنا ما نسمع عنك ، أين صولتك ، أين كرامتك التي نسمع عنك ، وإنك كنت تلبس غلمانك وخدامك الثياب الفاخرة النفيسة ، فما بالك هكنا متقشفا؟ ، فهكنا صورة ما وقع في الرؤيا ، فقال رضي الله عنه : الناس اليوم غير الناس ، والزمان غير الزمان ، كان ذلك في وقتنا ، والوقت لنا ، واليوم الوقت لغيرنا ، فقلت له : ومن هو الذي له الوقت اليوم ، فقال : الآن أريك إياه ، فإذا بالداعي الذي دعا أولئك الجماعة قد جاء يدعونا ، وقال : فلان يريدكم ، وسمى الذي سماه لأولئك الذين دعوا قبلنا فقام الشيخ مسرعا ، فقممت معه مجيبين لداعيه ،

(١) قسم : بفتح القاف والسين قرية شرقي العسر ، وهي أرض واسعة تأن بعد عنات . وبها وبن ترم حوالي ٢٠ كيلومتر .

فمضى بنا إلى باب بيت يشرف على حوش كبير واسع جداً وفيه خلق كثير ، وهو ملائ
منهم ، وفيهم الذين كانوا معنا ، وهم مستندون على الجدار وحاقون به ، دائرين عليه
كالخلفة ، وفي صدر المجلس رجل ، هو الذي دعاهم والناس عن يمينه صافين إلى شماله ،
وهم متأدبون معه غاية الأدب ، مطرقين رءوسهم ، لا يتكلمون ولا يلتفتون مغضين
أبصارهم حياءً منه ، وهو يبدأ بالمصافحة بالقهوة ، ولا يُصافح في مجلسه أحد غيره ،
وكل من صافحه قابله بوجهه ، ومشى القهقري إلى قفاه حتى يجلس ثم يقبض مطرقاً
برأسه ، فلما وقفت مع الشيخ على باب الحوش ، ونظر إليه أطرق برأسه أيضاً حياءً ، وقال
لي : هذا اليوم هو صاحب الوقت ، والوقت اليوم له هو صاحبه ، ثم ولجنا جميعاً من
الباب داخلين ، ثم سرنا معاً حتى وقفنا عليه وصافحه الشيخ ، وقبل يده ثم مشى
القهقري كغيره ، حتى جاء إلى آخر المجلس ، فجلس هناك لأنه لما كمل مقامه ، وعلا
قدره ، زاد تواضعه ، ثم إني أقبلت على الرجل ، وقبضت يده لأصافحه ، وقبلت يده
رفعت رأسي ، ونظرت إلى وجهه وإذا هو سيدي الحبيب عبدالله الخداد نفعني الله به ،
فلما عرفت أنه هو برد خاطري ، وعرفت أنني أهلي من أهل المكان فأردت الجلوس
بالقرب منه ، لكنني استحييت من الشيخ ، حيث جثت معه وجلس هو في آخر المجلس ،
وأجلس أنا عند صدر المجلس ، فجثت إلى جنب الشيخ ، وجلست بينه وبين النعال ،
إلى هنا انتهت هذه الرؤيا للباركة . وأول ما قصصت هذه الرؤيا على سيدي الحسن
ابن سيدي الحبيب عبدالله ، فقال : قصها على حبيبي ، فكأنه ذكرها لأبيه ، أو
مكاشفة منه نفع الله به ، فدعاني سيدي عشية بعد الدرس إلى موضعه الذي يجلس فيه
بعد الدرس أيام الصيف ، وهو شرقي داره بالخاوي^(١) مقابل النحل ، فقال : كيف

(١) الخاوي : ضاحية مدينة ترم .

رؤياك التي رأيت؟، فقصصتها عليه بهذه العبارة ، فلما سمعها تكلم في نفسه سراً بكلام ما فهمته ، وسألت ما سبب مشايمة الشيخ أبي بكر لذلك الرجل ، فقال لعله حصل له منه حال أو مدد .

ومن العجيب الذي يدل على عظيم تصرفه وشدة كراهته للشهرة ، أني رأيت أيضاً أوان وصولي إلى حضرته : كأني وقفت على حافة نهر عذب الماء ، ودخلته وسبحت فيه ، فأعبرت بذلك سيدي في طريق السبيل^(١)، وطلبت منه تأويلها، فقال : أتخسن السباحة؟، قلت : نعم ، قال : والماء عذب؟، قلت : نعم ، ثم سكنت ولم يؤولها ، فقلت : أؤلّوها لي ، فلم يرد جواباً وسكنت ، وسكنت ، فلما جئنا من السبيل فتحت الخزانة ، وأخذت كتاب "حياة الحيوان" لأنظر فيه كلمة ، وليست رؤياي لي على بال ، فحين فتحت الكتاب قابلني فيه قوله ، التعبير مكتوب بالأحمر ، كما هي عادته فتأملت في عبارته في ذلك للموضع ، وإذا به يقول : من رأى أنه دخل نهرًا عذبًا وهو يحسن السباحة ، فإنه يخالط رجلاً من الأكابر ، فعجبت من ذلك الاتفاق ، وبقيت هذه الرؤيا تتكرر لي بعد كل مدة حتى تكررت لي مراراً كثيرة ، فكان سكوت سيدنا رضي الله عنه عن التأويل المذكور ، كأنه اطلع قطعاً على ذلك التأويل، وعلى أن القدرة ستسوقني إلى الوقوف على ذلك التأويل ، الذي لم يستحسن هو أن يذكره لي ، لما رأى فيه له من الإطراء ، مع رغبته في وقوفي عليه للحاجة الداعية إليه ، فأراد أن أقف عليه من غيره ، فاكفى بوقوفي عليه في ذلك الكتاب من غير أن يذكره هو ، وكل هذه والله عجائب آيات ، وكرامات باهرات ، ومناقب عالياً .

(١) السبيل : يضم السين ضاحية من ضواحي ترم أيضاً.

ومما يدل أيضاً على عظيم تصرفه وشدة كراهته للشهرة لنفسه ولمن يحبه ويتصل به ، أن الأخ الأكرم عبدالرحمن بن أحمد باكثير^(١) الشحري ، علمي عزيمة مجربة للحمي ، فاستعملتها لأناس كثير وأفادت واشتهر أمرها في حضرموت ، حتى إن أناساً من دوعن وغيرها يرسلون إلي يطلبون أن أفعلها لهم ، وسمع سيدي بما فقال : كيف العزيمة التي تفعلها للحمي ، فأخبرته بما ، ولم يتكلم لي من جانبها بشيء ، لا بأمر ولا بنهي ، بل سمعها وسكت ، فسلم منفعتها حتى إنها ما أفادت بعد ذلك ، ولا نفعت فتركها مدة حياته نفع الله به ، وبعد ذلك صرت أفعلها لبعض الناس في بعض الأوقات ، رجاء أن يرد الله خاصيتها لنفع المسلمين ، فمراراً تفيد ومراراً لا تفيد ، فانظر هذا التصريف العظيم والتربية التامة . انتهى ما أردنا نقله مما يحقق كلمته للفقير باجبر ، التي أسرها إليه .

والآن إن شاء الله بعون الله نبتدئ في المقصود ، وقد أردت أن أصدر هذا النقل بخطبة لسيدنا نفع الله به ، ليكون كله مقتبساً منه ، ومأخوذاً عنه ، وكان رضي الله عنه وضع هذه الخطبة ، وأراد أن يجعلها على حِكْمِهِ^(٢) ، ويجعل الحكم كتاباً مفرداً ، ثم عَنُّ له أن يجعل الحكم مع مجموع المكاتبات والوصايا والديوان ، وجعلها رابعة الأربعة ، فكان الأربعة مجموعاً ، وجعل له خطبة تشتمل على الأربعة الأقسام ، وبقيت هذه الخطبة مفردة ، ليست على كتاب ، فاستحسن أن أصدر بها هذا النقل ، لتكون فاتحة وهي هذه :

(١) انظر مكتبة الخبب عبدالله بن علوي الحذاء المذكور في المكاتبات ٢ / ٢٢٢ .

(٢) السجكم كتاب مشهور للخبب عبدالله .

بسم الله الرحمن الرحيم

{ مَبْحَاثُكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } (١) ، الحمد

لله الخنان للنان ، دائم الإحسان والامتنان ، الذي تقدست مواهبه عن التخصيص بمكان أو زمان ، وعن الحصر في فلان دون فلان ، جل عن التقييد ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً فسيحانه كُلُّ يوم هو في شأن .

أحمده حمد من غرق في بَره ، فاعترف بالعجز عن القيام بشكركه ، وعن أن يُقْبِرَهُ حَقَّ قدره بعد الإتيان بحسب الطاقة والإمكان ، وصلاته وسلامه على غيرته من خلقه والبعوث بخير الأديان ، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه في كل حين وأوان .

أما بعد : فإني بعون الله قد عزمت بعد أن استخرتُ ربي على تقييد كلمات وأمثال وأبيات ، ترد عليّ عند التذكّر والمذاكرة ، أرجو الانتفاع بها في الدنيا والآخرة ، وقد جردت العزم على هذا الأمر مراراً ، فلم تتم العزمة ، ولم تنفذ المهمة ، والسبب في ذلك بعد سابق القدر احتقار النفس ، والاعتكال على الحفظ والدرس ، ثم إني لما رأيت أنني نسيت من ذلك الشيء الكثير ، ولم يبق منه إلا القليل اليسير ، ورأيت الحاجة في بعض الأحيان تدعوني إلى ما دخل تحت دائرة النسيان ، ووقفت على كلام للشيخ ابن عربي حاصله : أن الإنسان ترد عليه الأشياء في نهاية الطلب ، ينبغي له أن يعتني بحفظها ، لأنه سوف يحتاج إليها فيما بعد ، وما وَرَدَتْ إلا لذلك ،

(١) سورة البقرة ، الآية رقم : ٣٢ .

فعند ذلك صممت على تقييد ما يخطر في البال ، وإليه أضيف إن شاء الله تعالى ما يكون في الاستقبال مستنياً بحشنة الله تعالى النافذة ، ومفوضاً إليه ، ومتوكلاً عليه ، وراعياً فيما لديه ، ومعتمداً به : { وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }^(١) ، ثم إني أعلم أنما وقف على ما هنا ، فرأى فيه مقارنة لكلام أحد لفظاً أو معنى ، أن ذلك وقع بطريق الموافقة ، إذ ليس بخاف أن من أثبت كلام أحد ، ولم يعزه إليه ، أنه سارق أو غاصب ، وكلاهما قبيح ، وهذا أوان الابتداء ، أصلح الله النية ، وصفى الطوية .

انتهت الخطبة المباركة الميمونة ، وما رأيتها قط في حضرموت ، ولكن يسر الله وقوفي عليها في كتاب عند رجل جاء بها من الهند ، فنقلتها منه ، وقرأها على سيدي الحبيب نفع الله به وأقرها .

والآن أشرع إن شاء الله في المقصود ، مستعيناً بالله سبحانه وتعالى :

اعلم أن كلام سيدنا عبدالله نفع الله به مستمد من علمه ، وعلمه مستمد من النبي ﷺ كما هو وصف القطب ، وقد وصفه في بعض قصائده بقوله^(٢) :

يمتد من بحر العلوم^(٣) محيطها خير الأنام بعاجل وبآجل

واعلم أيضاً : أن كلام مجالس سيدنا عبدالله نفع الله به ، على حسب ما يجريه الله تعالى على قلبه ، وينطق به لسانه ، لا على حسب مادة ينسهب فيها الكلام ويطول ، ويرتبط بعضه ببعض ، كما هو في أبواب العلوم المعروفة ، كالفقه وغيره ، ولهذا يكون كل كلام منه على حدة ، لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده غالباً ، ورأيت

(١) سورة آل عمران ، الآية رقم : ١٠٦ .

(٢) الشيوان : ٢٧٦ .

(٣) الشيوان : (بحر البحور) .

فيه من الخاصة ، أنه لا يحمل قارئه ولا سامعه ، ولو تكرر عليه مرارا كثيرة ، وذلك من سر نفسه الشريف ، فلذلك حسن منا أن نسميه كتاب : تثبيت الفؤاد ، بذكر كلام مجالس سيدنا القطب السيد عبدالله بن علوي الحداث نفع الله به ، وقد استأذنته في نقل ذلك مرارا ، فأذن لي في كل مرة وقلت له مرة : إنا نسمع كلامكم ونحرص عليه ونكتبه ، ولا ندري هل فهمناه على الوجه الذي أردتم أم لا؟ ، ولكننا نتحرى لفظكم إن أمكن ، وإلا كتبناه بالمعنى على ما فهمناه ، وربما حصل زيادة أو نقصان ، فقال : أكتبه وعادك تعرفه ، حتى إني رأيته رضي الله عنه في المنام ليلة ، وهي ليلة الجمعة في ١٤ ربيع الأول سنة ١١٢٧ هـ ، وهو في جمع يتكلم عليهم ، وذلك بمسجده بالسبير ، فبينما هو يتكلم عليهم إذ التفت إلي وقال : فلان مهيم القلب ، والقلب المهيم لا يتأهل للواردات الإلهية ، ولا يحصل الهيام إلا لقلب فارغ ، فأخبرته بذلك بقطعة وقلت : أأكتبه في جملة ما أكتب مما أسمع وأحفظه من كلامكم؟ ، فقال: أكتبه ، ثم إنه رضي الله عنه شرحه ، فقال الهيام والغرام من أسماء الغيبة ، والهيام هي الواردات الإلهية بنفسها ، فلا يتأهل ، أي لا يحتمل القلب المهيم من الواردات الإلهية أكثر مما هو فيه ، ولا ترد إلا على القلب الفارغ^(١) انتهى ما شرّحه .

كذلك رأيت أيضا كأي في حلقة فيها خلق كثير ، وسيدنا في وسطهم يتكلم عليهم ، إذ التفت إلي وجعل يملئ علي كلاما كثيرا ، ويقول : احفظ كلامنا هذا ، فقلت : يا سيدي ما يمكنني حفظه لكثرتي ، فقال : هات دواة مع قلم وقرطاس ، فأتيته بذلك ، فقال :

(١) قوله الفارغ : أي من الأدناس الحسية والعنوية .إمام.

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي جعل القلوب محل أسرار الغيوب ،
فانتبهت بعد ما كتبت هذا ، فأخبرته بهذه الرؤيا بعد ستة أشهر في طريق السجبر ،
فقال : أكتبها ، فقلت له : الكلام الذي نقله عنكم بلفظه ، نحس له أثرا ونرى له
رونقا أكثر مما نقله بالمعنى ، فقال رضي الله عنه : ولو قد غبت ظهر له حال غم
الحال الأول ، لأن المخالطة والاجتماع مانع وحجاب عظيم .

وتكلم رضي الله عنه يوما على الناس كثيرا ، ثم قال في آخر كلامه ذلك : إذا
تكلمنا في مجلس ، فلا يظن أحد أننا قصدناه بالكلام خصوصا ، بل هو عام لكل من
سمعه ، ثم مثل بهذا البيت :

وإذا فني طرح الكلام بمجلس في مجمع أخذ الكلام اللذ^(١) عنا

ثم قال : وإذا تكلمنا في مجلس ، فإن عرفه الحاضرون وأدخلوا به ، كان حجة
لهم ، وإلا فله من يسمعه غيرهم لا يرونهم ، وكلامنا بأمر إلهي .

وقد أخبرني السيد محمد بن شيخ الجفري^(٢) : أنه رأى يوما حية في جنب سيدنا
في مدرّس العصر ، فأراد بعض الحاضرين أن يأتي بعصا يضربها ، فصاح سيدنا بالرجل
لا تقتل الحية ، واركعها ، فيقيت إلى أن فرغوا من الدرس ، وقرأ سيدنا الفاتحة ، ودعا
فلما ختم الدعاء تسببت^(٣) وذهبت .

وتكلم رضي الله عنه يوما على رجل وهو يسمع ، ثم قال له : إنما هذا تأديب
لك من الله سبحانه أجراه على لساننا ، وقال رضي الله عنه : إن كل كلامنا الذي
تكلم به معكم ، إنما نخشكم^(٤) به على الوسط لا غير .

(١) أي الذي عاه . اعسام . وفي (ع) : أي الذي عاه به بأن اقتضاه حاله وإن كان الخطاب لغيره .

(٢) ترجمه في مجلة فرمان : ١٧٦-١٨٠ .

(٣) تسببت : اتسلت وانسابت .

(٤) لعله : نخشكم . اعسام .

وقلت له رضي الله عنه : هل تأذنون لنا أن أسمع كلامكم إذا سمعتمكم تتكلمون؟، إذ كل ما نسمعه منكم يحصل لنا منه فوائد ، فقال رضي الله عنه : أذننا لك تسمع كلامنا ولا نأذن لك تتكلم ، فتسمع كلام عظة ، أو فائدة أو علم ، ونحن لا نتكلم إلا لأمرين ، إما لأحد حاضر غير مرئي ، أو لأجل رجل في نفسه كلام لا يمكنه يتكلم به ، وكانوا^(١) مستعدين للنقل بآلته ، وقد نقل كلامنا أناس كثير نقلوه بالمعنى ، فأخطأوا في نقله ، فإذا سمعناه منهم ، رأيناهم مخطئين ، قال رضي الله عنه : وينبغي أن يعرف الناقل الكلام ودرجاته ، وقيوده ، وخصوصه ، وعمومه ، وكونه فيه استثناء ، ويبقى يستمعه من أوله إلى تمامه ، فرب قائل تسمعه يذم العلماء ، إلا أهل الحشية ، والورع ، والتقوى ، فتستعجل وتقول فلان يذم العلماء ، قال : والقيود كمن سمعنا نقول في التوبة - مثلاً - بعد ذكر شروطها ، ولزومها : أنها تعسر في هذا الزمان ، فيقول قال فلان : التوبة عسرة فلا تمكن ، ولا ينقل الكلام من أوله ، فلما علمنا بذلك من أهل الزمان ، تركنا الخوض معهم والكلام إلا في المجالس العامة ، فيما يتعلق بعبارات الكتب ، فإن فهموه وإلا فعهده على أهلها ، وقد أقل الله من ضعفاء الفهم ، وكذا من أهل النفاق ، وإن كانوا أقل منهم .

وقال رضي الله عنه : نحن إذا أمرنا بشيء ، أو تكلمنا بكلام قيدناه ، فكل كلامنا مقيد ، فافهم القيود ولا عليك ، لأننا عارفين بأحوال أهل الزمان ، وقد عثر عندنا ناس كثير يترك القيود ، وأخذوا الكلام غير مقيد ، كالإناء بلا غطاء ، أو الغطاء بلا إناء ، بعضهم تعسفا ، وبعضهم تعنتا ، وبعضهم ضعف فهم ، حتى لما علم بأمرنا بأخذ القيود بعض الناس ، قال : لا ينبغي أن نحضر مجلسكم ، فقلنا لا يتعطل

(١) أي أصحاب المشايخ المتقدمين .

المجلس بغيبتك ، ثم إنه رجع وحضر .

وقال رضي الله عنه : إذا نقل أحد كلام أحد ، فليذكر الكلام كله من أوله إلى آخره ، فإن الكلام يذكر بالكلام ، ويعرف معنى بعضه من بعض ، ولا يذكر بعضه ويترك البعض ، فلو سمع رجلا يقول : إن فعل فلان كذا فلا خير فيه ، فيقول : سمعته يقول : ما في فلان خير ، فليس الكلام على هذا الوجه ، وأحسن التكلم نقل الكلام على وجهه ليعتبر بما اعتبر ، وقد تكلمنا أيام كنا بالفجيرة يوما في التوبة ، فقلنا : التائب المصير على الذنب ، بأن يقول : استغفر الله بلسانه ، وفي قلبه إنه متى تمكن منه فعله ، إن هذا لا توبة له ، ولكن الاستغفار باللسان لا يخلو من خير ، فنقل عنا رجل كان حاضرا ، إنا نقول : إن ما للتوبة معنى أصلا ، وأن ما لأحد توبة ، فسمعه علي بن عمر بن حسين ، فقال له : تحزأ^(١) ما قال هكذا ، وأشياء من الخواطر ما تدخل تحت الاختيار ، يعفى عنها ، كمن ترك ذنبا ، وإنما تركه لله لا لشيء آخر ، ولكن بقيت له في قلبه لذة فيعلم في مثل هذا ، ولا يؤاخذ به ، ثم قال : وأصول الأحكام وأصول الدين كلها في القرآن ، ولكن لمن يعرف ، وهذه الأشياء تنقل وتعرف ، وبعض منها ما يحسن أن ينقل .

أقول : وقد رأيت بخط من نقل عنه رضي الله عنه أنه قال : إن الجوابي^(٢) لم تب في الأصل للقدر ، فلما حصل فيها القدر عارضا فلا يكره ذكر الله فيها ، فمثل هذا نقل عنه خطأ ، فلما سمعته أنكره ، وهو الذي أشار إليه بقوله : فإذا سمعناه منهم رأيناهم مخطئين ، وهو خلاف ما نقلناه عنه من قوله الذي نقول به ونختاره فانقلوه عنا ، وقولوا هذا اختيار فلان ، والذي نقول به : أنه لا ينبغي ذكر الله في

(١) أي إعر .

(٢) الجوابي : جمع حابة ، الحركة الصغيرة تعمل في المساجد للظهور .

الجواني ، ولا جواب المؤذن فيها لما فيها من القذر ، ونكره ذلك فيها ، ولكن إذا خرج منها ينبغي أن يأتي بأذكار الوضوء ، وجواب المؤذن على وجهه يقضيه بعد ما يخرج من الجابية ، وهذا خلاف ما ذكر عنه صاحب ذلك النقل .

وكذلك ذكر : إن سيدنا قال : إذا عوقب أحد من أصحابنا بعقوبة في الدنيا والآخرة فهو بسبب من جهتنا ، لأننا وإن ساعناهم في التقصير الواقع منهم في حق الله وحقنا ، فللطريق غيرة لأهلها . انتهى .

(وقوله) : وإن ساعناهم في التقصير الواقع منهم في حق الله ، لعله وهم ، أو سبق قلم ، أو هو من الخطأ الذي أشار إليه ، فإنه نفع الله به ، من عادته أنه لا يسمح أحدا في التقصير في حق الله قط ، بل في حق نفسه ، هو شيمته وعادته للمسامحة به ، وصمته غير مرة يقول ما معناه : من تعاون بحقنا لا بد أن يعاقب وإن ساعناه وعفونا عنه ، وإن الله ليغار لعباده الصالحين وإن ساعوا في حق أنفسهم ، قال : وإذا غضبنا على أحد وغن غبه لا بد من أن نتكلم عليه ولو كلمة واحدة لئلا يعاقبه الله ، لأننا جربنا أن من قصر في حقنا أو أغضبنا عوقب إلا أن نتكلم عليه فنتعده العقوبة ، أو كما قال .

أقول : وذلك كما وقع للرجل الدمشقي من الطرد والعقوبة ، حيث حصل منه التقصير وسوء الأدب في حقه نفع الله به ، وقصته : أتى رأيت بترم رجلا من أهل دمشق الشام ، يقول : إنه شريف ، واسمه زين العابدين ، فأقمت سبع سنين ما أراه يصل إلى الخاوي للزيارة ، إنما أراه في الجامع يوم الجمعة ، فتعجبت من مقاساته الحال في ترم ، مع عدم ترده إلى حضرة سيدي ، فمضيت إليه يوما قاصدا معاتبته ولومه على ذلك ، وقلت له : أنت رجل من أهل بلد رفاهية ، وسعة معاش ، والغريب لا يتكلف للقيام هنا إلا لأجل الاجتماع بسيدنا الحبيب ، وأنت لا أراك تتردد عليه ،

ولي منذ سبع سنين ما رأيته زائراً ، فما معنى مقامك هنا ، فقال : ما جئت هنا إلا لأجله ، ولا قصدت إلا عنده ، ولكنني خفت من ضعف العقيدة بسبب المخالطة ، فاستحسن البعد مع العقيدة ، ولا القرب مع ضعفها ، فقلت له : كلامك حكمة وصواب ، ولكن عملك يكذب قولك ، فلو كان قولك هذا صدقاً ، لكنت تسترد للريارة ، ولو في الأسبوع أو الشهر أو السنة ، وأكدت عليه بذلك شفقة عليه ، فلم يفعل ، ثم بعد سنة أتته كذلك وقال كما قال أولاً : وبقيت سبع سنين أتردد عليه في كل سنة مرة ، وأسأله فلا يجيبني إلا كذلك ، ولا دخل في خاطري ما قال ، واعتقدت أن الأمر بخلافه ، ولم يعطيني أحد عنه خبراً ، حتى يوماً كثر علي الوسواس من جانبه ، وهذا عادي إذا رابني أمر لم أصبر حتى اطلع على حقيقته ، فلما كان الليل زاد علي ذلك الوسواس ، فلما كان بعد الراتب ، وكانت ليلة الثلاثاء وعادة سيدنا فيها الطلوع إلى البلاد للمبيت ، وركب سيدنا وأنا أسايره مع قائد الفرس عكيما ن فقط ، وبقي يقرأ ورده مشتغلاً به ، وأنا مشغول بتلك الخواطر التفت إليّ ، وقال لي مكاشفةً منه رضي الله عنه : يا حاج ، قلت : ليك ، قال : إن هذا الرجل الدمشقي ما جاء إلى هنا إلا لأجلنا ، ولا قصد إلا عندنا ، ولكنه مرّ في بعيته من بلده إلى عمان ، وجاء إلى قرية على الساحل تُسمى الرمس ، وفيها أناس يقال لهم آل ثالث ، وكانوا محبين لنا ويكاتبونا ، فقصد عندهم لما علم أن لهم بنا صلة ، فلما علموا منه أنه قاصد إلى عندنا قاموا به وكسّوه وزودوه ، وأعطوه خرجيةً ، وأركبوه في مركب لهم إلى الشحر بلا نول ، وكتبوا لنا معه كتاباً يوصونا به ، فبعد ما وصل إلينا بأيام كتب لهم كتاباً ، وذكر فيه كلمة من جانبنا أزعجتهم ، فكتبوا لنا كتاباً ، وجعلوا كتابه ذلك في طي كتابهم إلينا ، يريدونا نقف على كلمته ، فقرئ علينا كتابهم وكتابهم ، وإذا فيه يقول : إنا قد زرنا السيد فلاناً واجتمعنا به ، ولكن

ما رأيته على ما نسمع عنه ، فأخذت الكتابين من يد القارئ ، وأخذت عليه أن لا يتلفظ بتلك الكلمة لا له ولا لغيره ، ثم إنه شل حوائجه وما معه ، وانتقل من نفسه إلى البلاد ، وهو آخر العهد به ، ونحن من عادتنا أنا إذا أردنا أحدا جذبهنا إلينا ، ولو كان بأبعد محل ، ومن لم نرده نقيناه ، ولو كان حاضرا عندنا . انتهى .

ثم إن ذلك الرجل ضاق عليه المعاش بترحم ، فسار إلى الهند مع جماعة من أهل تريم ، فجاء إلى سيدنا عند سفره يستودع ، فأوصاه بتقوى الله ، وملازمة الطاعة ، ونحو ذلك ، وما رأيت له منه تلك البشاشة المعتادة لمن استودع منه ، فلما كان بعد مدة دون السنة ، جاء الذين سافر معهم ، فلقيت منهم رجلا فسألت عنه ، فقال : كنا ليلة سائرين في البحر ، متوسطين الغبة ، فقام من آخر الليل ليتوضأ ، فزلت رجله فسقط في البحر ، فصاح وفطن به أهل المركب ، فأرخوا الشراع ، وجعلوا يدنسونه المركب إلى نحو الصوت ، فعجزوا عن القرب منه ، ولم يمكنه القرب منهم ، ويقوا في علاج من ذلك إلى أن قرب استواء الشمس على الرأس ، فانقطع صوته فساروا وتركوه ، فنعوذ بالله من سوء الظن بالصالحين .

ورأيت بخط ابنه الحبيب علوي مما نقله عن والده أنه قال : إذا تكلمنا لأحد منكم بكلام ، فليسهه^(١) وليقبله بكلية ، فإن ما ظهر له معناه اليوم ، عادة يظهر له ، ولا يعرف قدره إلا عند فقد متكلمه ، فيطلب من يقول مثله ، فلا يجده ، وذلك من تمام الكلام ، لأننا مارسنا الأمور وجرّبناها ، ولنا نحو ستين سنة ونحن في مطالعة الكتب إلى الآن ، انتهى .

والذي سمعته أنا من سيدنا يقول : من حين سننا أربع عشرة سنة وإلى الآن

(١) في (ع) : فليسهه .

ونحن في مطالعة الكتب ، وما مر عليكم مرةً مرَّ علينا مراراً ، ثم تمثل بهذا البيت :

ومن عجب إهداء تمر الخير وتعليم زيد بعض علم الفرائض

وقيل له : يا سيدنا لا تروا علينا ، فإننا ما نخاف إلا من مخالفة أمركم ، فقال :

لا ، ما نحن بصدد ذلك ، وإنما نطلب الجزاء من الله ، لأن الله سبحانه ما خلق الإنسان طويلاً إلى جهة السماء ، وجعل رأسه أعلاه ، إلا ليطلب حوائجه من السماء لا من الأرض ، ولا عليك إلا أن تعمل ما يرضي ربك ، فذلك هو الذي نرضى به .

وقال رضي الله عنه : من أنانا قاصد الانتفاع ، فليسمع ما نقول ويفهمه ،

وَيُصَدِّقْ وَيُصَدِّقْ فِيهِ إِذَا نَقَلَهُ إِلَى أَحَدٍ ، لكن مع فهم القيد ، لقوله ﷺ : ((رحم

الله امرأ سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها : فَأَدَّأها كَمَا سَمِعَها))^(١) الحديث ، وللوارث حكم

للوروث ، والنبي ﷺ ما وَرَثَ إلا العلم ، وما كان له من ذلك مطلقاً كان لورثته

مقيداً ، وإذا أخذ الناس من ذلك بسهم ، أخذنا منه بسهمين ، سهم من جهة العلم ،

وسهم من جهة النسب ، انتهى .

أقول : وما أحسن قول البوصيري صاحب البردة والهمزية ، شاهداً في ذلك :

يا وارثاً بالفرض علم نبيِّه شرفاً وبالتعصيب غير مقيّد

اليوم أحمدُ من عليّ وارثُ حَظِّي عليّ من ورائة أحمد

ومراذه بعلي أبو الحسن الشاذلي ، وبأحمد للذكور أول البيت أبا العباس المرسى ،

وبأحمد للذكور آخر البيت النبي ﷺ ، ومعناه أن علياً المذكور ورث من النبي ﷺ ،

من جهة النسب سهمين سهماً بالفرض ، وسهماً بالتعصيب ، فورثهما منه أبو

العباس ، كليهما من جهة العلم ، وسيدنا نفع الله به ورثهما من النبي ﷺ كليهما من

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده عن حبر بن مطعم قال : قام رسول الله ﷺ لحب من من قال : نشر الله امرأ سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها ثم أدَّأها إلى من لم يسمِعها ، فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه . .

جهة النسب ، أي سهما بالفرض ، وسهما بالتعصيب وهما المراد بقوله (وسهم من جهة النسب) أي فرضا وتعصيبا ، وسهما آخر ثالثا من جهة العلم ، وهو المراد بقوله سهم من جهة العلم.

وقال رضي الله عنه : إذا سمعت شيئا فاتقله بحروفه على أصله ، خصوصا ما كان عن أهل الدين ، لأنهم طرائق إلى رسول الله ﷺ .

وصافحه رضي الله عنه رجل أعمى بعنف ، فقال له : أنت ما تفهم الإشارة ، أو كل حين يكون الكلام ، ونحن حتى عيالنا مريبنهم على فهم الإشارة وحفظ الكلام، وستر المعنى المطلوب منه ، وقد كانوا - أي السلف - إذا تكلم المتقدم بالكلمة ، أخذها الطالب بالقبول وفهم الإشارة ، فيحصل له مقصوده ، واليوم يسمعون منا الكلام ولا يفهمونه ، وكلام الإشارة لا نسمح به كل حين ، كان الشيخ عبدالله العيدروس يقول : كان في ترم أسود تنهم فذهبوا وما بقي اليوم إلا هذا الأسد النهام ، يعني نفسه ، وقد كان في القرن التاسع ، فما بالك اليوم في القرن الثاني عشر ، وإذا حضر مجالسنا العامة والصغار ، لا نرغب في الكلام ، خوفا من أن يسمعوا كلاما لم يفهموه فينقلونه على غير المعنى الذي أردناه ، ومن كان ولا بد ناقل شيئا فليقل أيضا سببه الذي حصل من أجله الكلام ، وقد قال لنا بعض أصحابنا، إذا تكلمتم في المجلس ، فذاك أحب إلينا من قراءة الكتب ، فقلنا له : نحسن أحب إلينا قراءة الكتب من الكلام ، لأن في الكلام زيادة ونقصا ، ولا نسلم فيه من الخطأ غالبا^(١) ، والكتب أصدق ، وإن كان فيها شيء فهو على المصنف ، وهو المسئول عنه ، وأما كلامنا فنحن للمسئولون عنه ، فالقراءة في الكتب أسلم لنا من

(١) حاشاه عن ذلك وإنما هو المقام نفسه كما هو عادة العارفين بالله تعالى . اهـ .

الكلام .

أقول : قوله رضي الله عنه : كان الشيخ عبدالله الخ ، فافهم الإشارة أن سيدنا نفع الله به عنا بذلك نفسه في وقته ، وَوَرَى بإسناد القول إلى الشيخ عبدالله نفع الله بهما .

اعتناؤه بمن تعلق به نفع الله به

وقد قال سيدنا رضي الله عنه : إنا لا نترك ولا ندع للتصل بنا ومرة قال : التمسك بنا ، سواء كان دويلاً^(١) أو جديداً ، والتمسك إنما هو من الطالب ، ومرة قال : من مَسْكَنَاه لا تُسَيِّه^(٢) ، وإن هو سَيَّب^(٣) ، أصل أنا نَمْسِكُهُ ، ومن لم نَمْسِكُهُ فإننا لا نحب كثرة التحمل ، ومرة قال : من تعلق بنا ، ووضعنا عليه نظرنا لم نُفْلِتْهُ ، ولم نَدَعْهُ ، وإن بَعُدَ عَنَّا ، ولكن ما لم نطرح عليه النظر ، فإننا لا نحب كثرة التحمل ، وعلى هذا حرت عادة سلفنا من السادة ، أن من تعلق بهم لم يتركوه ، ويكون مقتدياً بمن تعلق به منهم فيما يقلد والباقي يحمله عنه ، وقد قال الشيخ عمر الحضار : نرد موسومتنا ولو بالصين . أقول : وفي ذلك أيضاً تورية منه رضي الله عنه ، وإنما عنا بالمقالة هذه نفسه الشريفة ، كما وري بها في قصتنا التي وقعت لنا في البحر ، لما حكيتُ له بها قال : قال الشيخ عمر الحضار : نرد موسومتنا ولو بالصين ، والقصصة المشار إليها : أني في وصولي إليه في شعبان من سنة خمس عشرة ومائة وألف^(٤) ، أصابنا في البحر في (غبة قمر) طوفان عظيم، وغن في سنبوق صغير ، كل الذي فيه

(١) الدويل في عرف أهل حضرموت القدم والبالى .

(٢) سَيِّه : تركه .

(٣) أي اكفى بمسكه له لا إعراضاً عنه وسوء عقيدة فالهم .اهـ .ام .

(٤) انظر تاريخ وصول الحسولي إلى الحبيب .

سبعة أشخاص ، وصار الماء يدخل من جوانبه وجعلوا يكون ، فقرأت آياتاً من قصيدة لسيّدنا نفع الله به (نادي المهاجر صفى الله) إلى قوله (تجدّكم وبكم تنجاب ، سحب البليات والضّر) فعند ذلك أخذني النوم ففمت^(١) ، فرأيت كأنى واثنين معي غشي في المعلاة ، مقبرة مكة المشرفة ، ونحن نستعجل في المشي ، يقال لنا: إن هناك السيد عبدالله الحداد جالس ، وإنه في آخر المجلس يريد القيام ، فتعجل المشي لتلحق عليه ، فمررنا بقبر سيّدنا خديجة الكبرى رضي الله عنها ، فزرت زيارة مطولة ، ثم سرت ولحقت سيدي في مجلسه ، فقبلت يده وحصل لي سرور عظيم ، وبكاء كثير ، فانتبهت وإذا أهل السنبوق في ضحك وأنس ، وقد ذهب عنهم الطوفان ، وإذا أحدهم يقول : يا شيخ ادع الله أن يرزقنا حُلاً يعني خصاراً ، قلت: ما هو إلا من البحر ، فصيدوا لكم بمحار قالوا : ما يمكننا ذلك ، وإذا بسمكة كبيرة عليها لون الخضرة ، قد ظفرت^(٢) في المركب فوضعوا عليها ثلاث قواصر حتى ركدت ، فبقينا كل يوم نطبخ منها سبعة قدور ، إلى أن وصلنا سيحوت^(٣) ، ثم إني أخبرت سيدي بهذه الوقائع كلها فتعجب وقال: سبحان الله ، وذكر كلمة الشيخ عمر المذكور آنفاً ، انتهى ما أردنا ذكره ، مما يتعلق بنقل الكلام .

ثم الآن نبدي بالنقل على ما سنع ، أول ذلك مما يتعلق بالنية ، لأننا أساس

البناء وكل عمل يتبعها :

قال رضي الله عنه : اعمل لله على قدر همتك ونيتك ، فإن الأجر على قدر الحمة والثنية لا على قدر العمل ، فإن خزانته تعالى مملوءة عبادة ، فإذا كان المَلَكُ

(١) لي (ج) : ففمت .

(٢) لله ظفرت بمعنى وثبت .

(٣) سيحوت : بلدة على مسافة ثلاثة أيام بالريح المعتدل من السفن الشراعية لساحل مروج .

الواحد من الملائكة ، من قَبْلُ خلق الدنيا إلى يوم القيامة في سجدة ، وآخر في ركعة ، ونعمهم بذكره ، كما هو معلوم من أحوالهم ، فما قدر عملك فإنما هو بالنية، فإن الله تعالى شكر للضئدع حيث حملت في فيها ماء لتطفئ نار النمرود عن إبراهيم عليه السلام ، فقيل لها : أتقدين على طفئها ، قالت : هذا حد قلدي ، فنهى الشرع عن قتلها، والوزغ حيث جعل ينفخ فيها ، وقال أريد أن أظهر له السماتة ، ذمه الله جداً حتى رغب الشرع في قتله.

وقال رضي الله عنه : رب قليل كثرته النية ، ورب كثير قللته النية .

وقال رضي الله عنه : كل عمل يعمله الإنسان لله ، يعلم من نفسه أنه لم يعمله إلا لله فلا عليه بأس من خواطر السوء .

وقال رضي الله عنه : من ادعى إن له نية صالحة ، فانظر إلى عمله ، فكل عمل يدل على النية فإن صلح عمله دل على صلاح نيته ، وإن كان فاسداً دل على فساد نيته ، وقال : إذا عملت خيراً فأتوا العود إليه ، فإن لم يتفق لك العود فتأب على نيتك، وكذلك إن لم تكن قد عملته فأنوه .

وقال رضي الله عنه : إن الله لم يُعِن الشخص إذا نوى فعل خير حتى يشروع فيه.

وقال رضي الله عنه : إن الله لا ينظر إلا إلى هَمِّ الإنسان ونيته ، فمن كان همه لله ، وإن كانت أفعاله على خلاف ذلك ، فيوشك أن تتبع^(١) الهَمَّ ، ومن كان يظلم ويعصي ، وهمه المعاصي ويتلفظ بالذكر ، فلسانه حجة عليه ، فانظر إلى الرجل من الصالحين ، كأن قائلاً يقول له من قَبْلِ الله : أعطني قلبك وهمك ، واترك جوارحك

(١) أي الأفعال . اهـ .

وظاهر عملك ، فلا يمكنك أن تتبعه جمته ، فمن تعلقت همة بالله ، وإن كان غير مرضي العمل في جوارحه ، فإنها تصلح ولا بد ، ومن كان عمله في الظاهر طاعة ، وهم خلاف ذلك تتبعه الجوارح لا محالة ، ولهذا قال النبي ﷺ : ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأبدانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم))^(١).

وقال رضي الله عنه : المخطئ في الطاعة لا يؤخذ ، لأن الله رفع عنه الخطأ ، وهو كفاعلها على وجهها ، بل يثاب على قصده ، والمخطئ في المعصية كالعاصي ويأثم على قصده ، لأن المدار على القصد لا على نفس العمل .

وقال رضي الله عنه : ما أُمِرْتُ أن تصلي وتؤتي طاهر^(٢) ، بل أن تصلي وتعقد أنه طاهر ، وإنك غير متعبد بما هو في نفسه حلال ، بل ما هو في اعتقادك حلال .

وقال رضي الله عنه : من لم تُصَفْ له الطاعات ، لم تصح له نية في المباحات . وقال رضي الله عنه : كلامك لمرتك ، فانظر هل هو حيث أم طيب ، فأنت كذلك ، وهو جزء منك ، فالوعاء الطيب ينضح طيباً ، وضده بضده ، وكذلك النخلة والشجرة الطيبة تثمر طيباً ، والخبيثة تثمر خبيثاً ، (كل إناء ينضح بما فيه) ، : {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا كِبْدًا} ^(٣).

وقال رضي الله عنه : الفهم من جانبين ، فهم يحصل من العلم ، وفهم يحصل من العمل ، والعلوم كثيرة ، لا يحتاج الإنسان إلى العمل بجميعها ، بل ببعضها كالعبادات ، وأيضاً لا يحتاج إلى العمل بكل العبادات ، والذي يخصه العمل به منها قليل جداً ، وما لا يحتاج أن يعمل به كالعبادات ، فينوي أنه إن عمله أن يحسن فيه ،

(١) أخرجه البيهقي ٣ : ٤١٤٣ ، وأحمد بن حنبل ٢ : ٢٨٥ .

(٢) أي في نفس الأمر بالصيام .

(٣) سورة الأعراف ، الآية رقم : ٥٨ .

ليحصل له ثواب النية.

ولما شرح السيد الجليل الحبيب أحمد بن زين الحبشي القصيدة العينية ، وتأخر إتمامه ، فقال سيدنا : لو لم يظهره قبل تمامه ، لتيسر عليه وأتمه سريعا ، وفي الحديث : ((استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان))^(١) ، فقلت له : هل تخلف إتمام "الفصول العلمية" لهذا السبب ، حيث نويتم أن لا تظهروها حتى تتم أربعين ، أي فصلا ، فأظهرتوها قبل ذلك ، فلم تتم ، فقال : ليس تأخر إتمامها من هذا السبب ، لأننا وإن نويتنا أن لا نظهرها إلا بعد تمام الأربعين ، فإننا إنما أظهرناها بنية ، وأيضا كل فصل بمخرطة كتاب ، لأنه معنى مستقل غير معنى الفصل الآخر ، وأيضا إنما هي واردات ، فمضى ورد شيء أثبتناه ، إلا أن هذا الزمان ليس أهله أهلا للواردات ، فهذا السبب توقفت فيه ، فلم يرد منها شيء ، ونحن أعلم بأهل جهتنا منك ، فإنهم غافلون عن كلامنا ، وليس نرى عند أحد منهم شيئا ، ومن كان معه منه شيء ، فرمما أخذه ولم يفهمه ، وسكت ولم يسأل عنه .

ولما عزم رضي الله عنه على إتمام "الفصول العلمية" ، وذلك من فصل الاستقامة وتمامه يوم ثامن عشر صفر سنة ثلاثين بعد المائة والألف ، قال : أين نسختك من كتاب "الفصول العلمية" نشوفها^(٢) ، قلت : البارحة استعاره السيد فلان ، وسميته له ، فقال : ما يعرفه ، أخذه منه بلا جفاء ، ولا تخبره إننا نريد تنمه ، وقل له : لا تطالع فيه ، واجعل مطالعتك في الديوان ، فإنهم أودعوا فيه أسراراً وفوائد لا تكون في غيره ، ونحن هذه الأشياء قامت علينا بتعب واجتهاد كثير ، وهؤلاء بغوها ألا بلاش^(٣) من

(١) الحديث في مجمع الزوائد ٨ : ١٩٥ ، والآتي للنسوة ٢ : ٤٣ .

(٢) نشوفها : نظرها .

(٣) بلاش ، من كلام أهل حضرموت وغيرهم بمعنى : بدون مقابل ، أي بلا شيء .

غير اجتهد ولا تعب ، ما يريدونها حتى بطريق العدل والإنصاف ، ولو طالعوا كتاباً واحداً من كتبنا وأمعنوا فيه النظر لكنهم .

وقال رضي الله عنه : خذ من الطاعة قدرًا لا تملّ وتضجر منه بعد ذلك ، فإن القلب مادام وسحاً لا يستلذ الطاعة ، فإياك أن تكثر منها أولاً مادام كذلك ، فإذا تنور واستلذ بها ، فخذ منها على قدره^(١).

وقال رضي الله عنه : أهل الزمان لا يصلحون للاستعانة على فعل خير ، ولا على ترك شر ، هذا إجمال الأمور ، وتفصيلها يعرفه الإنسان من نفسه بالتجربة .

وقال رضي الله عنه : راحت أعمار الناس بلا شيء ، وسيبوا كل شيء ، وادعوا كل شيء ، وفاقم كل شيء .

وقال : هذا الزمان أهله كثيرون العجائب ، قليلي الغرائب ، كثيرون المثالب ، قليلي المناقب .

وقال رضي الله عنه : إنا لما رأينا حال الزمان وتغيره ، عقدنا عقداً أن لا نكون نعت أحد ، ولا يكون أحد تحتنا ، إلا أن نأخذ سياسة العلم والطريقة ، لأن ذلك يسعه أو يخرج المهدي ، فيكفوا به منا إن أدركنا ، قال : وقد قال بعضهم لرجل جاء يطلب منه الطريق : لا ، بعد ، فإني لم أر قلبي مجتمعاً عليك .

وقال رضي الله عنه : الناس يحسبون أننا ندعو إلى الطريق الخاصة^(٢) وليس كذلك ، لأن من كان عند الضيقة^(٣) ، لا تطرب عليه^(٤) اطلع إلى الغيلة^(٥) ، بل ننزل

(١) أي على قدر الاستلذاهم . (ج) .

(٢) أي طريق الطرفين .هم من هاشمي (ع) .

(٣) الضيقة : الدغل من الملوك .

(٤) تطرب عليه : تدعوه أو تناديه .

(٥) الغيلة : في كلام أهل تريم الغرقة من المنزل في الدور الثاني .

نفتح له الضيقة ، ثم نطلعه ، وذلك لأننا لم نر من يقوم بالدعوة العامة ، ولو رأينا ذلك وعلمنا أن فيه كفاية لكان ، إن كان عندنا شيء من الطريق الخاصة فهي مطوية ، وإن دعونا أحدا مخصوصا إلى طريق مخصوص ، ونرى بعض الناس يدعون إلى الطريق العامة^(١) ، ونحن وإياهم عليها ، ولكن دعوتهم إلى مجرد العلم ، ونحن ندعو إلى الخوف من الله والخشية والعمل الخالص ، ونحن مع أهل الزمان كصاحب الحمار الشبية بنحسه كل ساعة إلى أن يقطع ظهره من الحك ، ولا يسر .

وفي مجلس آخر قال : لا تظنوا أنا على الطريق الخاصة أبدا ، لقلة أو عدم من يطلبها بصدق ، وإنما نحن على الطريق العامة ، طريقة أصحاب اليمين ، وما يدريك لأن هذه^(٢) طريق إليها^(٣) ، لأن الطريق الخاصة قبل إنها رفعت ، فإن كان قد رفعت فذاك ، وإلا فهي مطوية وإن وجدت ، ولكنا لو رأينا فقيهين ورعين لهما ديانة وأمانة ، وقاما بإرشاد الناس ، ويأمران بالمعروف ، وينهيان عن المنكر ، ربما تكلمنا بشيء من الطريق الخاصة ، مع من هو أهل لذلك للتنفس والتروح .

وقال رضي الله عنه يوم الجمعة ثامن عشر رمضان سنة ١١٢٨ ثمان وعشرين ومائة وألف : اعمل في هذا الزمان من الخير ما لا يشق عليك ، وبمكثك المداومة عليه ، فقليل دائم خير من كثير منقطع ، واشكر على القليل يعطك الله الكثير ، ولا تنظر مثل أحوال بشر والفضل^(٤) وأمثالها ، فإن هؤلاء حتى الصحابة رضي الله عنهم لم يعملوا بمثل عملهم ، لكن معهم^(٥) نور النبوة ، وقد سئل بعضهم عن ذلك ، فقال :

(١) أي طريق أصحاب اليمين .هــ من هامش (خ).

(٢) أي الطريق العامة .هــ من هامش (خ).

(٣) أي الطريق الخاصة .هــ من هامش (خ).

(٤) بشر والفضل : من رجال التصوف وأعلامهم .

(٥) أي الصحابة .هــ من هامش (خ).

كان الصحابة أكثر إيماناً ، وكان التابعون أكثر أعمالاً ، وأين زمانك اليوم من زمانهم ، فإنك في القرن الثاني عشر ، ولو بعث اليوم من هؤلاء واحد لتعجب وقال : ما ظننا أن الوقت يمتد قبل قيام الساعة إلى الآن والزمان يتناقص ، من ذلك الوقت إلى الآن ، ولما رأينا الزمان يتناقص ، وأثر النقصان ظاهر على أهله ، بنينا أمرنا في الابتداء على ثلاثة أشياء ، الأول : أن لا نتحكم لأحد حتى نرى فيه أهلية التحكيم، فلهذا صحبنا كثيراً من مشايخنا من غير أن نتحكم لأحد ، بل صيحة مجردة كما هي عادة السلف ، صيحة بلا تحكيم كعادة الحسن البصري وغيره ، كما يقال صحب فلاناً ولقي فلاناً ، والثاني : أن لا نتحكم إلا من نراه أهلاً ، فإذا رأيناه متأهلاً لذلك ، وألقى إلينا نفسه منطرحاً حكمناه على مقتضى حاله ، والثالث : أن لا نفيذ ولا نستفيد إلا من متأهل للإفادة والاستفادة ، والناس إذا سمعوا بأحوال الصالحين ، يظنون أنهم يطلعون على الغيب^(١)، فمضى أرادوا كاشفوا الناس بخواطرهم ، ويقال : الأنبياء يعلمون الغيب من أكثر الوجوه ، والأولياء يعلمونه من بعض الوجوه^(٢)، ولا يعلم الغيب كله إلا الله : { قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ }^(٣)، { وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمَ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ }^(٤).

وقال رضي الله عنه : علوم الغيب تنفرع إلى أمور كثيرة ، وعلم الغيب المطلقة هو لله خاصة .

(١) أي كله . اعصام .

(٢) لقوله تعالى : { قُلْ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ } . فاستثنى من الرضى بعلمهم بالشيء كل أحد ، والرضى يشمل مع الرسول من أحسن متابعه من الأولياء ، فما حصل للتبوع بسبب الرضى يحصل لمن أحسن متابعه من بعض الاعصام .

(٣) سورة النمل ، الآية رقم : ٦٥ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية رقم : ١٨٨ . : { قُلْ لَا أَتْلُوكَ بِطَبَاقٍ مُنْقَلَبٍ وَلَا ضَرُوءٍ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ } * وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمَ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ * وَمَا نَسِيتُ الْسُّوءَ إِنَّ الْإِنَّمَاءَ كَثِيرٌ وَيُنِيرُ الْقَوْمَ نُورُهُمْ .

وقال رضي الله عنه: كلما بعد ما أخير به الأولياء من المغيبات، كان ذلك أعظم للكشف.

أقول: وقد رأينا مما أخير به سيدنا نفع الله به شيئا ما تبين إلا بعد أربع سنين، وشيئا بعد تسع سنين، وشيئا بعد أربعين سنة، وغير ذلك.

وقال رضي الله عنه: أخيرنا رجل عن أبيه، أنه قال: إذا مات فلان [أي سيدنا] بقي الناس يضرب جباههم بعضها ببعض، فقلنا: لا، إن شاء الله، وليس هذا الظن بالله، بل الظن بالله سبحانه أنه إذا راح واحد، خلقه بدل منه، قدم على قدم، إلى خروج المهدي، ونزول عيسى عليه السلام.

أقول: وفي ذلك راحة من معنى قوله رضي الله عنه: عندنا أمانة لا يحملها إلا المهدي، ومرة قال: أو أربعون من أصحابنا، ومرة قال: أو ستون، ومرة قال: أخذنا من الكتاب والسنة ما لا يحملها إلا المهدي، وهكذا كل من بلغ رتبة الكمال، ومرة قال: عندنا من الشيخ عبدالله بن أبي بكر^(١) أمانة لا يحملها إلا المهدي، صدر منه هذا الكلام متفرقا في مجالس متعددة.

وذكر رضي الله عنه في سند سلسلة إلباسه الذي طلبه السيد عبدالله بروم (من أهل الشحر): ولنا بحمد الله منه أي العيدروس يد باطنة في واقعة عظيمة، بل وقائع متعددة، ولعل الواقعة هذه هي التي تروى عن السيد العارف علي بن عبدالله العيدروس: أن سيدنا الحبيب نفع الله به زار التربة مرة وحده، فلما أتى إلى ضريح سيدي عبدالله العيدروس بن أبي بكر رضي الله عنه، رآه جالسا خارج القبر ودخل التابوت، وأنه صافحه وأعطاه وديعة، وأفهم هذا أنه محمول عنه، لا عن غيره

(١) يعني العيدروس.

للمهدي تتفرق عنه في المذكورين ، حتى يجتمع كلها للمهدي ، ولعلها مقام القطبية ، والدعوة إلى الله ، وتعدد الدين ، والله أعلم.^(١)

وقال رضي الله عنه^(٢) : لا تصلح الخلوة والرياضة في هذا الزمان ، لعدم شروطهما فيه ، كأكل الحلال وغير ذلك ، ولكن من بنى أمره فيه على ملازمة الفرائض ، وترك اغترافات ، وما استطاع من نوافل ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، وإعانة ضعيف ، وإحسان إلى محتاج أو إقامة عمّوته ، وما شاكل ذلك ، وثبت عليه حصل له ما حصل لأولئك برضاقتهم وخلواتهم ، وأدرك ما فاتته منها.

وسألته : ما السبب في استقواء الشهوات في هذا الزمان أكثر من الزمن السابق ، فقال رضي الله عنه : لأن أهل الزمن السابق كانوا أقوى يقينا وأكثر حلالا وأقرب عهدا بالنبوة .

وقلت له : أي عمل يعمل في تقوية القلب ، كعمل الشهوات في تقوية النفس؟ ، فقال رضي الله عنه : اليقين الكامل ، فإن النفس لا تترك الشهوات إلا لحوف مزعج ، أو شوق مقلق .

وقال رضي الله عنه في بعض مكاتباته : إنا نسمح عند المذاكرة والمشافهة ، بالشيء من هذا العلم^(٣) ، وإن كان دقيقا ويحتاج إلى طول كلام ، ولا نسمح بمثله في الكتب والمكاتبات ، لأن المذاكرة إنما يعقلها ويعيها من هو من أهلها ، ومن ليس منهم فعارض يعرض له ، وشئ يمر به لا يبقى في يده منه شئ ، وهذا من التأيد الذي

(١) ومن كلام الحبيب أحمد بن حسن العطار عندما قرئت عليه هذه العبارة ، قال : (كلا ، إنما الإمامة الخاصة بأهل البيت ، التي لا تكون إلا فيهم ولا تصح لغيرهم ، والطاهر إنما بعد الحبيب عبدالله عليه ، لم يحملها أحد) . اهـ . مسن تذكرة الناس صفحة ٢١٥ . وسأنا هنا صفحة ٤٠ عن الحبيب عبدالله قوله : (طريقتنا طريقة الإمامة) . اهـ .

(٢) فف وتأمل هذه المقالة وتدرها ترشد . اهـ . كاتبه . اهـ .

(٣) أي العلم اللدني . اهـ .

أيد الله به هذه الطائفة ، ولا هكذا ما يرسم في الدفاتر ، فإنه عرضة للبر والفاجر ، فافقه .

وقد أخبرني الأخ الأكرم عوض بن صباح ، وكان له فيما سمعت في خدمة سيدنا نحو سبعين سنة ، قال : زرنا في قلم الزمن مع الحبيب التربة ، فلما فرغنا من الزيارة ، وبعد زيارة أهله ، جلس على الدكة تحت قبة الشيخ عبد الله العبدروس رضي الله عنه التي عند بابها النجدي^(١) ، فتكلم علينا رضي الله عنه بكلام جزل^(٢) ، ثم قال : أنظنون أنا مع أهل الزمان في مكان واحد يسمعون كلامنا ، هيهات ، بل بيننا وبينهم بحر عميق ، واسع الطرفين ، نحن في طرفه هذا ، وهم في الطرف الآخر ، ومثلنا معهم كمثل رجل جاء من بلد بعيدة لا تعرف ، وفيها من كل شيء من الأشياء النفيسة الغالية القيمة ، وجاء معه منها شيء كثير ، وأراد أهل الزمان أن يشتروا منه شيئاً يسيراً جداً ، فأخرج لهم من دني القماش ، فلم يوصلوا فيه قيمة ، فأمسك على بقية ما معه من المليح ، حيث لم يعطوا في الدني قيمة ، فالله المستعان . انتهى .

وقال رضي الله عنه : نحن مع أهل الزمان في العبادات والعبادات ، كالغريب الذي جاء إلى بلد لا يعرفها فرأى أمراً لا يعرفه ، فسأل عنه فأخبر به .
وقال رضي الله عنه : علم الشريعة إذا عمل به يكون للعلم اللدني كالوعاء ، فإن من هو من أهله يعمل به على مقتضى الشرع ، وإن اطلع به على أمور لم يطالب بها شرعاً ، كمن يدعى إلى طعام وكشف له أنه حرام ، فيجيب تبعاً لأمر الشرع ، ولا يأكل فيجمع بين ذلك وبين جبر خاطره .

(١) الحدي : في حرف أهل حضرموت الشمالي .

(٢) أي من ذلك العلم اللدني . انتهى .

وقد قلت مرة لسيدنا نفع الله به في معرض الكلام : إن في الكشف عن شأن الزاد الحرام لفائدة ، ليسلم من أكله ، فقال : فإذا كشف له عنه أجلس بلا أكل^(١) .
 وقال رضي الله عنه : إذا أحس العبد في قلبه بداعية للطاعة ، وبغض للمعاصي ، فلا يخلو قلبه من نور ، وبه اعتدى^(٢) إلى ذلك كالسراج في البيت المظلم ، إذ لولاه لم يهتد إلى رؤية أدنى شيء عنده ، ثم إنه يظهر بعد تمكنه في الباطن على الظاهر ، كما حكى : إن حجاجاً دعا جماعة من الصالحين على طعام حرام ، فلم تمتد إليه أيديهم ، فعالجوا أن يأكلوا منه ، فلم يستطيعوا فخرجوا ، فقال بعضهم لبعض : رأيتكم دماً عبيطاً ، وقال آخر منهم : رأيت ناراً ، وهذا أكمل من الأول ، إذ رآه على حقيقته وهي النار .

وقال رضي الله عنه : إذا سمعت من بعض الأولياء شيئاً من الخوارق ، فإذا عجز عنها العقل يسعها الإيمان ، وابق على تزيهك لربك ، وانسب ذلك إلى القدرة .
 ودعوى الولاية يقابل بالإنكار ، فيتعين على الولي السكوت عن دعوى الولاية ، وإنما الذي يتعين أن يُدعى النبوة ، لأنه مطالب بالتبليغ لها ، ولا كذلك الولاية فلا يدعيها أحد منهم ، إلا في حالة الغلبة .

وقال رضي الله عنه : الولاية من سر النبوة ، إلا أن الولاية لا تبقى مع النبوة ، فينتطوي سر الولاية في سر النبوة ، حتى لا يبقى له ظهور إلا في عالم الظهور .
 وقال رضي الله عنه ما معناه : درجة الولاية تحت درجة النبوة ، وقد يعطى الإنسان من هذا المقام ما يعينه على الإنابة إلى الله ، والزهد في الدنيا ، وقد يعطى منه ما يرى بسببه الطريق إلى الله ، وإن لم ير السالكين عليها ، وأحدهم يعطى ما

(١) أي عند عدم غيره أي لا يمكنه ذلك ، فباح له ضرورة كما تباح الميتة .

(٢) في بعض النسخ : وبه اعتدا .

يرى به أقدام السائرين ، فيسير على آثارهم ، ومنهم من يعطى ما يرى به آثار أقدامهم في الطريق ، وكل مرتبة أعلى من مرتبة ، فينبغي أن يكون الإنسان على شيء من هذه المراتب ، وإن قدر أن يكون على الأعلى فالأعلى ، ولا يمكث أعمى لا يدري ذهابه إلى أين ، وكلما قرب من التشبه بهم ، وتسير بسيرهم فحسن ، ويرجى أن يلحق بهم ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : كل رتبة من رتب النبوة تحتها رتبة من رتب الولاية ، وقد يكون ما مع الإنسان إلا خمس رتب ، فيحكمها ويدعو إليها في الظاهر ، وقد يتحقق بها في الباطن ، فإذا أحكم الرتب كلها وتحقق بها ، صار هو القطب ، وقد قال بعضهم : أعطيت مقام القطبية ، ولكني استنبت فيها غيري .

ورأيت بخط السيد العارف أحمد بن زين الحبيشي رحمه الله ، قال : حضرت عند سيدنا الحبيب عبدالله الخداد نفع الله به ، فسأله رجل : ما أجزاء الولاية؟ ، فقال له في الحال - أي من غير تفكير - : أربعون جزءا ، فقال : مكتسبة أو موهوبة؟ ، فقال : كلها مكتسبة إلا جزءا واحدا ، فإذا وصل إليه اندمجت كلها فيه ، وصارت كلها حلقة ملقاة في فلاة . انتهى .

وأنشدت يوما بين يدي سيدنا عبدالله نفع الله به ، بأمره لي أن أنشد بقصيدته التي أولها^(١) :

سقى الله ربعا حل فيه الذي أهوى ومن حبهم والقرب كالمئ والسلوى
ثم بعدما فرغت ، قدم طعام لمن حضر ، فقال سيدنا حينئذ : ما يكون الرجل عندهم رجلا حتى يكون فيه من كل جزء من أجزاء الإنسانية^(٢) نصيب ، وينقص منه

(١) الديوان ٣٣٢ .

(٢) أجزاء الإنسانية أي من العلم والمعرفة ومن جميع الصفات الحميدة والأخلاق الحسنة .

جزء من كل جزء من أجزاء النفس^(١)، ويختلف الناس في ذلك ، كل على حسب مرتبته ومنزلته عند الله تعالى ، فالأولياء في ذلك مختلفون ، حتى ينتهي إلى مرتبة القطب ، فهو أكمل في ذلك من غيره ، ولا أحد استوفى من ذلك أكثر من النبي ﷺ ، وكلما كمل العبد صارت الغلبة للأعمال الروحانية ، وانغمست فيها أمور النفس ، حتى يتوهم فقدّها أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : على قدر خصوصية الإنسان ، تُلطّف كثافات نفسه ، والانتفاع الأعظم في قوة الاعتقاد .

وقال رضي الله عنه : لا يعرفُ منازعَ العلوم ، ويعمل بما علم ، إلا ولي أو من هو سائر على سبيل الأولياء .

وقال رضي الله عنه ما معناه : إن الإنسان إذا نزل من درجة الإنسانية بأن غلب عليه الهوى والشهوة جداً ، بحيث تذهب منه المروعة فيصير حيواناً بحسب ما غلب عليه ، لأن كل حيوان تغلب عليه صفة من هذه الصفات ، يُعرف بها ، ومن غلبت عليه واحدة منها من بني آدم نسب بسببها إلى ذلك الحيوان الموصوف بها، فإذا أراد الوصول إلى الله ، يحتاج إلى مجاهدة ، حتى يصل إلى درجة الإنسانية أولاً، وهي ما يختص بها الإنسان دون بقية الحيوانات ، ثم يجاهد أيضاً حتى يصل إليه [أي إلى الله تعالى] .

وقال رضي الله عنه : من ازداد في دينه بكثرة الطاعات وقلة المباحات ، وربما كان للمباح يفعلهم طاعة وزُهداً في الدنيا ، فمن كان كذلك فقد ارتقى من درجة الإيمان العامة إلى الخاصة ، ومثله كمثل طير معلق في قفص . وقد خرج منه ولم

(١) أي كالشهوة والغضب والحسد والرياء وجميع الصفات الذمومة . اهـ .

يبقى إلا رجلاه فيه ، أو على الدرجة العامة ، إذا لم يترك لازما ، ولم يفعل محظورا ، ولكن لم يمتنع فيما يحمده الشرع كالأول ، ولا فعل محرما أصالة ، فهو متوسط ، وهو الغالب من الناس ، وإن نزل عن هذه المرتبة ، بأن جعل للمباح حراما ، وإن لم يقصر في الواجب ، كمن ينظر إلى محرم بشهوة ونحو ذلك ، فهذا طبعه فاسد ، انخط عن الطبيعة العامة ، إذ لم يقيد الله ورسوله بإباحة ذلك على عذمتها ، حيث كان لا يقتضيه الطبع ، فمثال هذا يجب عليه أن يرقى نفسه ، إما بالرياضة ، أو عزلة ، أو ارتقاب^(١) أو نحو ذلك ، حتى يرجع إلى الوسط^(٢) وإن قدر بعد ذلك على الترقى فلا يترك .

وقال رضي الله عنه : طرق التصوف وإن تعددت فهي طريقة واحدة ، وهي مجاهدة النفس ، والخروج من كل ما تدعو إليه ، وهذا أمر عسر .

وقال رضي الله عنه : إنا لم نحمل الناس على طريقة المقربين ، ولم نكلف أن نحملهم عليها كثيرا ، إن حملناهم حملناهم على طريقة أصحاب اليمين ، لأن الناس كلما لم ينكصون قليلا قليلا ، ينكصون أولا عن مقام الإحسان ، ثم عن مقام الإيمان ، ثم هم في هذا الزمان ، أكثرهم يكاد يخرج عن دائرة الإسلام والعياذ بالله ، حتى قال بعض الشاطحين ، لما قيل له ادع للمسلمين : أخاف ما عاد أحد من المسلمين ، وهذا كلام في غاية الخطر ، لأن أثر ظاهر الإسلام ظاهر عليهم ، وقد قال الإمام أبو بكر الباقلاني : إن إدخال ألف كافر في الإسلام بشبهة إسلام واحدة ، أسلم من تكفير مسلم واحد ، بألف شبهة كفر .

وقال رضي الله عنه : إذا حصلت العناية الإلهية ، حصل السلوك كسقي السيل ،

(١) أي مراقبة الله . من هامش (ج)

(٢) أي الدرجة العامة . الله . من هامش (ج) .

ودون ذلك كسقي الآبار ، وفي الحقيقة كل عمل إنما يحصل بالعناية الإلهية ، قال بعضهم : لا بد في كل عمل من الجذب ، ولولاه ما أمكن ذلك .

وذكر رضي الله عنه الأعمال واحتياج الإنسان إلى فعل الخير ، وذلك يسوم السبت خامس عشر شهر رمضان سنة ١١٢٤ ، فقال رضي الله عنه : (الجِدُّ في الجِدِّ والحرمان في الكسل) وأن الله تعالى لا يترك للمؤمن في الخير من إحدى همتين : إما همة العادة ، أو همة الفتوح ، همة العادة أن يكون يعتاد شيئاً من الخير ، فهو يفعل به ويهتم به لاعتياده له ، والثانية يعرفها من حصلت له وذاقها ، وقد جاء في الحديث : ((إن الخير عادة))^(١) ، فقلت : إن همة العادة ناقصة بالنسبة إلى الأخرى ، فقال رضي الله عنه : لا ، إذا لم تحصل لك تلك فلا تترك نفسك ، بل كلفها واحملها على فعل الخير بالتكليف لاعتاده ، وقد يحصل للإنسان شيء من همة الفتوح ، فإذا باشر مفسداً فسد ، فقلت : وما مفسداً؟ ، فقال : بحالسة الغافلين ، وترك الذكر ، وفضول الكلام ، وأكل الحرام ، والكذب ، وأمثال هذه ، ولها أركان ، إن حصلت استقامت وثبتت ، وإلا ذهبت وانمحقت ، فقلت : وما ذاك؟ ، فقال : أكل الحلال ، وبحالسة الصالحين ، والذكر ، وترك الخوض فيما لا يعني ، أو قال فيما لا ينبغي .

وقال رضي الله عنه : وفي الغالب إن الله سبحانه وتعالى إذا أجرى عبداً على عادة^(٢) ، أنه يمشي عليها لأن عادة الله جارية^(٣) .
وقرأت عند سيدنا يوماً قصيدته التي أولها^(٤):

إن كان هذا الذي أكابده يقبى عليّ فلست أصطر

(١) حديث : ((إن الخير عادة والشر لحاجة)) ، أورده ابن الخطيب في (الفقيه والخفقه ، ١ : ٧) .

(٢) أي من الخير . الله من همتي (ج) .

(٣) أي لا يفرها حتى يغفروا إن الله لا يفر ما يشوم حتى يغفروا ما بأنفسهم . الله .

(٤) الديوان : ٢٠٤ .

فلما وصلت إلى قوله :

ما كادت الفانيات توقفي إلا زوته^(١) العلوم والنكـرُ

فقال رضي الله عنه : العلوم الحقيقية لا تفهم وتُعرف بالشرح ، بل من وصلها عرفها ، كتعليم الصغير الوقاع ، فإنه لا يعرفه حتى يكر ، وأصل وضعها مع ذلك خواطر تختلر هم.

ورأيت بخط الشيخ عبدالله بن سعيد العمودي^(٢) ما لفظه ، قال : كنت ذات يوم بمسجد المحجرة عند سيدي عبدالله الحداد ، وذلك في صفر من سنة ١٠٩٥ عشية ذلك اليوم بعد الدرس ، وهو جالس على العادة في ممشى الحركة إلى المسجد ، وأنا في الضاحي ، وفي نفسي يحوك أن يدعوني ، إذ نادى عليّ وعنده شريف وحادم ، إذ فرقهما كلاً في حاجة ، وأقبل عليّ بالكلام وقال : كم ألسن الدعوة؟ ، فقلت : الله ورسوله وأنتم أعلم ، فقال : ابتداءً - أي من غير تفكر - خمس ، وهي : أن تدعو العامة بلسان الشريعة إلى الشريعة ، وأن تدعو أهل الشريعة بلسان الطريقة إلى الطريقة ، وأن تدعو أهل الطريقة بلسان الحقيقة إلى الحقيقة ، وأن تدعو أهل الحقيقة بلسان الحق إلى الحق^(٣) ، وأن تدعو أهل الحق^(٤) بلسان الحق^(٥) إلى الحق^(٦) ، قال : وهذه الأخيرة فتح علينا بها الآن .

وقال رضي الله عنه : إذا دعوت لأحد فادع له بالبركة والصلاح والهداية ، فإذا وجد الدين فلا معول على الدنيا ، ولن تعدم من الله الكفاية ، فإن وجدت معه

(١) القديون : زوجها .

(٢) صاحب فرية الرباط (جمعة الزمان : ٢٤٤) .

(٣) أي حل الحقيقة . اهد . من هاشم (ح) .

(٤) أي حل الحقيقة . اهد . من هاشم (ح) .

(٥) أي الله . اهد . من هاشم (خ) .

(٦) أي إلى الله . اهد . من هاشم (ح) .

فالحال تمام ، ولا تنفع الدنيا إذا عدم الدين .

وقال رضي الله عنه : يجب على من أراد الدخول في الطريق الخاصة ، طريق أهل الله أن يتفرغ عن الدنيا بقلبه وقالبه أولاً ، وإنما يدخر قدر الحاجة بأمر آخر في النهاية آخرها ، وإشغال الأوقات كلها بالذكر والطاعة ، وحفظها كلها والإقبال على أمور الآخرة بالكلية ، كل هذا^(١) من الطريق العامة ، وهي للمهيع الواسع^(٢) الذي عليه السلف ، وهو الذي يسع عامة المسلمين ، وأما الخاصة فهي الفراغ عما سوى الله في الظاهر والباطن ، والتخلي عن الصفات المذمومة بتفصيلها ، والتخلي بالمحمودة بتفصيلها ، والعامة هي طريق أصحاب اليمين ، والخاصة للمقربين ، ولا يناها قبل إحكام الأولى ولو عاش عمر نوح ، ومن لا يحكم صلاته أو زكاته أو غير ذلك كما ينبغي ، كيف يصل إلى الخاصة ، بل هذا عادة خلف الباب ، لم يصل إلى قرب الدخول ، ولكن من أحكم العامة في هذا الزمان ، بلغ ما بلغه الخاصة المقربون ، لانقطاعها فيه ، وعدم سالكيها ، ومن يرجو المخلوقين ويتعلق بهم ، أو يرجو نفعاً منهم ، كيف يحصل له الترقى في مقامات اليقين ، ومن تعلق بهم فقد ترك اليقين ، وتعلق بالوهم ، وفعل الله هو اليقين والحقيقة ، وأفعالهم هو الوهم ، ولا هكذا ينبغي ، بل ينبغي كما هو في قاعدة الفقه ، أن يستصحب اليقين ، ولو طرأ الوهم والشك لا يترك اليقين لأجله ، ولهذا يكون المتعلق بهم^(٣) غائباً في الغالب مع الذلة وشغل القلب ، قال ذلك عشية يوم الاثنين وعشرون في المحرم سنة ١١٢٣ .

وقال رضي الله عنه : الإنسان ضعيف ، ولأجل ضعفه يتعلق بالتوهمات أكثر

(١) قوله كل هذا أي من قوله : وإشغال الأوقات الخ . اهـ . من هامش (خ) .

(٢) المهيع الواسع : الطريق الواسع البين .

(٣) أي للمخلوقين . اهـ . من هامش (خ) .

من تعلقه باليقينيات .

وتكلم رضي الله عنه ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الثاني منها ، فقال : درك الأولياء أهل الإدراك صحيح من توجههم إلى الله في تحصيل ما ينفع ، ودفع ما يضر ، وهم العمدة في تحصيل ذلك، لكن يكون هذا إذا كان المطلوب لهم أو قال الرعية ، مستقيمين لما طلب منهم ، مجتنبين لما نهوا عنه ، وأما إذا خالفوا فلا يحصل الأولياء لهم ذلك ، كمن يطلب لبنا من ثور ، فلا تكون الكرامة إلا مع الاستقامة ، كيف يطلبون حقا لأنفسهم ، ويضيعون حق ربهم ، وقد ذكر أن بعض السلول^(١) أراد دخول البلد في وقت الشيخ عمر المحضار، فلم يقدر إذ كانوا مستقيمين ، وآخر في وقت الشيخ عبدالله العيدروس ثلاث مرات يطلب الدخول ، فلم يمكن ، ثم في الثالثة تلقاه الشيخ عبدالله ، وقال له : إنك لا تدخلها الآن ، وعادك تدخلها ، فلما تغيروا بعد ذلك دخل عليهم فأشغلهم .

وقال رضي الله عنه : أهل للرزخ من الأولياء في حضرة الله ، فمن توجه إليهم^(٢) توجهوا إليه^(٣) .

وقال رضي الله عنه : أحياء الأجسام^(٤) ما عاد ينفعون ، بل أحياء الأرواح ، لكونهم قريبين من الحضرة الإلهية .

وقال رضي الله عنه : الصالح الحي فيه خصوصية وبشرية ، وربما غلبت إحداها الأخرى ، وخصوصا في هذا الزمان تغلب البشرية ، والميت ما فيه إلا الخصوصية فقط .

(١) أي السلولين .

(٢) أي بالغيرة والعقيدة .

(٣) أي يحصلون مطلوبه .

(٤) أي فقط .

وقال له رجل : أريد زيارتكم ، فقال : إن شاء الله إن خُشِمْونا ، وإلا فقبورنا تنوب متنايئة، فإن الأخير إذا ماتوا لم تفقد منهم إلا أعيانهم وصُورهم ، وأما حقائقتهم فموجودة ، فقل له : الله يمتنع ببقائكم ، فقال : وإلى متى يكون ذلك؟، قد دنت الأمور ، وإذا رأى الإنسان الضعف ، وأمارات الكبر ، ظن أنه قرب أمره ، ومرادنا عسى أن العيال يكبرون ، عسى الله أن يكون منهم نائب عنا، قال تعالى : { وَاجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي }^(١)، ولو ناب عنا حتى أربعون رجلاً ، وقد أخذنا عن كثيرين من المشايخ ، لو عددناهم بلغوا مائة وأربعين .

وقال رضي الله عنه : يقال : في زيارة القبور ، نُحِجَّ لِمَا نَعَسُرُ مِنَ الْأُمُورِ .
وقال رضي الله عنه : قاعدة : من كان في المرتبة ، يعينه أهل زمانه كلهم ، ويعينه الأولياء، الظاهر منهم والخاص ، ولو بالدعاء ، وأهل الدوائر ما يتسبيون في أمر للعاش ، إنما سببهم الإيمان والتقوى ، وقد قيل للشبيخ أبي مدين : إن أصحابك يتسبيون لمعاشهم ، وأنت ما تتسبب ، فقال : إني تسببت بسبب خير من سببهم ، قال الله تعالى : { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ عَاشُوا وَأَلْفَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ }^(٢).

وقال رضي الله عنه : إن الإنسان ضعيف ، إلا إن أَمَدَهُ الله بقوة ومَسلطة . وكل الأمور ينبغي أن يأخذ بأوساطها ، لأن عن يمينك طريقاً وعن يسارك طريقاً^(٣) ، فإذا كنت على الوسط ، إن ملت ملت إلى أحدهما ، وإن خرجت منه^(٤) خرجت إلى المزلّة ، إلا إن شككت في الأمر المطلوب ، فخذ بما فيه من اليقين ، كمن يشك أنه

(١) سورة طه ، الآية رقم : ٢٩ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية رقم : ٩٦ .

(٣) أي إفراد أو تفريد .

(٤) أي الوسط .

كريم أو نبيل ، فليأخذ بالكرم بفعله أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : جعل الله في الإنسان قابلية لكل شيء ، لكونه يريد أن يجعله محلاً لخطابه ، فلو لم يكن قابلاً لكل شيء لم يكن أهلاً لخطابه تعالى ، وقد قال سبحانه : { لَوْ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْقُرْآنُ عَلَى جَبَلٍ }^(١) الآية ، وقال تعالى : { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ }^(٢) الآية .

ولما جلس في الضيقة خارجاً لصلاة العصر ، يوم الأحد سادس شوال سنة ١١٢٦ ، فأول ما تكلم به رضي الله عنه حين جلس ، استأذنه بعض الفقهاء أن يعاود^(٣) بعض السادة ، فقال : كيف تروح وأنت صائم^(٤) ، تريد أن تحكي لهم أنك صائم ، قال : ما أحاذره^(٥) ، قال لو لم يكن إلا علمهم بكونك صائماً ، حل عملك إذا تعبت فيه يكون مستوراً ، لعل الله يقبله ، وإلا راح التعصب بلاش ، ثم التفت إلي وقال : فلو كان لك عبد قائم لك بالخدمة لكرهت أن يعلم الناس بأنه يتقدمك ، وللشيطان على الإنسان مدخل خفية ، والرياء يجري فيه بمرى الدم ، أما ترى يحيى بن معاذ الواعظ المشهور ، وكان من كبار تلامذة أبي يزيد البسطامي ، وكان يرقى للوعظ على المنبر ، قال لجاربه : إذا جئت بغداد افتتح لي الكلام في الوعظ ، وكان يحضره^(٦) الخلفاء والأمراء وأبناء الدنيا ، وإذا كنت في غير بغداد لم يكن مثل ذلك ، فقالت له : يا سيدي هذا بسبب الرياء ، والله سبحانه لا يأخذ العبد حتى تقوم عليه الحجة من عمله ، بحيث لو بلغ هو رتبة النضاء ، وقيل له : إقض أنت

(١) سورة الحجر ، الآية رقم : ٧٢ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية رقم : ٣٣ .

(٣) يعاود من العبادة ، وهي في عرف أهل حضرموت : انتهة بقدم العيد .

(٤) أي صيام السنة من شوال .

(٥) أحاذره هنا بمعنى : أستحيه ، وليس من الخلق .

(٦) أي في بغداد .

فيعمل هذا العمل ، لقضى بما جوزي عليه ، وإن لم يكن هو عمله ، فقال فقير آخر : إني رأيت هذا في نفسي ، وتيقنت إنه الرياء لأنه كان في شهر رمضان ، إذا طلعت البلاد أحس نشاطاً ، ولا يسجني نوم ، مع أنني ما أحب أن يعرفني أحد ، ولو أحرمت بركعتين في الخاوي طراً عليّ النوم ، حتى إني لا ألتفت إليّ بشدة ، فقال رضي الله عنه : هو الرياء بعينه ، والله تعالى خلق جنة وجعل لها درجات ، وخلق ناراً وجعل لها درجات ، وقد حكم بأن يُملَى كل واحدة منهما ، ولهذا اختلفت أحوال الناس في الرياء ونحوه ، وفي الإخلاص كذلك ، فليس إخلاص العامة ، كإخلاص الخاصة ، ولا إخلاص الخاصة ، كإخلاص خاص الخواص ، فكل طبقة من الناس لهم رياء ، ولهم إخلاص ، ويكون إخلاص قوم رياء قوم آخرين ، فحسان الأبرار سيئات للتقرين ، وكان بعضهم قد صلى في الصف الأول نحو أربعين سنة ، فتخلف يوماً حتى ضاق الصف الأول حتى لم يمكنه الصلاة إلا في الصف الأخير ، فرأى في نفسه حياء ، حيث خالف عادته فتقضى صلاته في تلك المدة كلها .

وسمعت للعلم باغريب^(١) ، يستأذنه في بناء مسجد في نخلة قرب مسيلة عديم ، بعد ما خرب السيل مسجداً كان به ، فقال رضي الله عنه له : إن كان نيتك في بنائه خالصة لله ، ما نردك عن بنائه ، وإن كان نيتك ما هي خالصة فلا تبته ، قال : بلى إن نيتي خالصة ، قال : انظر لو بنيت وتعبت في بنائه ، وصرفت فيه مالاً كثيراً ، فلما تم لم ينسب إليك ، إنما نسب لغيرك ، فقل مسجد فلان ، واشتهر بذلك وأنت ما نسب إليك ، ولم تذكر به في شيء ، هل ترى نفسك تطيع لذلك؟ ، ففكر قليلاً ، ثم قال : ما أرى نفسي مطيعة لذلك ، فقال سيدنا له : اتركه فإن نيتك غير خالصة .

(١) في (خ) : عبدالله باغريب .

وقال رضي الله عنه لبعض الفقراء وقد استأذنه في صيام الاثنين والخميس ، فقال: خذ نفسك بما سهل عليك ، فقال : لو لم آخذ نفسي إلا بما سهل علي ، ما فعلت شيئاً ، فقال : خذ نفسك بما سهل عليك وأحكمه ، ثم ترق إلى ما هو أعلى منه ، وهكذا الأول فالأول ، وترق من درجة إلى ما هو أعلى منها ، ولو فعلت بعضاً من هذا وبعضاً من هذا لبقى محجوزاً ناقصاً ، ولكنك بتم الأول ، ثم ارجع إلى الثاني ، وهكذا وخذ من العمل ما تطيق ويمكنك المداومة عليه، ولا تُكثير حتى تُملّ ، فتفعله مع الملل والتكلف ، فإن هذا وصف السافقين ، قال الله تعالى : { وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالِي }^(١) فذمهم بالفعل مع الكسل ، لا بعدم الفعل ، ولا تقصر بحيث لا تعمل شيئاً ، فإن الله ما كلف العبد بشيء إلا وجعل له من المعونة أضعافه ، ونحن وإن لم نحكم كل المقامات بالعمل^(٢) ، فنحكمها بالعلم ونعمل بعمل العامة^(٣) ، ونأخذ الناس بأعمال العامة^(٤) ، على ما سهّل عليهم وتيسر أولاً ، ثم نرقبهم ونأمرهم بما يناسبهم أولاً ، ثم إلى أعلى منه ، وبهذا السبب بُعثنا ناس كثير ، أكثر ممن اتبع المشايخ ممن مضى ، لأننا نعلم ضعف الناس وعجزهم ، ولو كلفنا الناس أن يعملوا بما نعلم ، أو قال : بما نريده منهم ، لنفروا عنا مرة^(٥) ، انظر إلى عمر بن عبدالعزيز لم يساعده زمانه على الكلام الذي قاله له ابنه عبد الملك ، وهو في القرن الأول ، أفيساعدنا على ذلك زماننا هذا ونحن في القرن الثاني عشر ، ولو قلنا لأهل ترم : افعلوا كذا ، ونأمرهم بما أردنا ، لما جاءنا منهم واحد ، وهذا هو الذي منعنا من

(١) سورة النساء ، الآية رقم : ١٤٢ .

(٢) أي لأنه ليس من قوة البشر بالعمل .

(٣) أي ليقفون بالعمل .

(٤) هم أصحاب الدين بالعمل .

(٥) أي واسأروا النفع .

الكلام في هذه العلوم^(١) ، لأن الكلام فيها يؤيسهم ، وهل تحاول الغزل المبلبول إذا اشتبك بما تحاول به الحبال القوية من القوة ، لا بل باللطيف والسهولة ، فخذ من العمل ما خفّ وسهّل عليك ، ثم ترقّ من شيء إلى شيء ، فسيروا إلى الله عرجاً ومكاسير .

وسئل رضي الله عنه عن معنى الترقّي الذي يذكرونه؟ وبأي شيء هو؟ وما الذي يُبدأ به؟ فقال نفع الله به : هو الترقّي في أحكام الإسلام وحقائق الإيمان واليقين ، ويحكمها شيئاً فشيئاً ، فيبدأ بأحكام الإسلام ، ثم الإيمان ، ثم الإحسان .

وقال رضي الله عنه لرجل يمازحه : لئن تُردّ عشاك من سماء الدنيا ، فإن حُججتك إلا على قدرها ، فإن سماء الدنيا حد حقائق الإيمان ، ونحتها خزائن النيران ، ولا تظنن أن أحداً له مع الحق كلام ، إنما هم عبيده يعطيهم حقه ، ويثني عليهم .

وقال رضي الله عنه : قد بطنت علومنا الظاهرة لعدم المتلقي لها ، ما هو إنه ظهرت علومنا الباطنة ، وهنا أقوام يتكلمون في علوم ، لا نعدم في العلماء أصلاً ، ولا نعدمها في العلم .

وذكر رضي الله عنه أقواماً أنكروا على بعض الصالحين ، فقال : أقوام تجردوا من الدنيا وزهدوا فيها ، وأقبلوا على الله ، وأخلصوا له الدين وانقطعوا عن الدنيا بقلوبهم ، حتى ظهرت عليهم أمور غريبة ، كيف يسوغ تكفيرهم ، وقد قال الإمام أبو بكر الباقلاني : إن إدخال ألف كافر في الإسلام بشبهة واحدة ، أسلم من تكفير مسلم واحد ، بألف شبهة كُفّر^(٢) ، وقد ذكر ابن عربي^(٣) أنه لما استلم الحجر

(١) أي الخاصة بالعلماء .

(٢) وقد تقدمت هذه المقالة صفحة ٢٣ .

(٣) وهو من جملة الصالحين الذين أنكروا عليهم العلماء .

الأسود في الحنج ، عرجت من فيه لا إله إلا الله كالسلك ، فالتقمها الحجر إشارة إلى أنه هو العهد الذي أخذ عليه لما أداه .

ورأيت بخط الحبيب علوي رحمه الله تعالى ابن سيدنا الحبيب عبد الله نفع الله به ، قال : تكلم الوالد في المشورة وفي نفعها وعمود عاقبتها حتى قال : ينبغي للإنسان أن يشاور كبيره حتى في قبره بعد موته . انتهى .

وتكلم سيدنا في مشورة أهل الزمان ، فقال : إن مشورتهم اليوم ، إنما هي استفتاء فأقنيت بما تراه من حيث العلم ، فمن استشارك في حجة الإسلام مثلاً ، فانظر له من حيث الاستطاعة وعدمها ، وإن أمكنك السكوت ولا تشير على أحد بشيء فهو أحسن ، لأن النيات اليوم معلولة ، لعل مراده يتخلص من حجة الإسلام ، ليصلح لأن يحج بالأجرة ، وإن كان ولا بُد فلا تشر إلا على من تعلم حاله ، بأن يكون من أهل بلدك ولا يخفاك حاله ، ولا تبحث عنه فتصير متحسباً ، أو يريد الإنسان أن يعمل ذنوب غيره؟ ، يكفيه أن يعمل ذنوب نفسه ، وما مرادهم إذا استشاروا الصالحين إلا أنهم يعرفونهم بالطريق الأنسب في أمور دنياهم فيشيرون بما عليهم لتنمو وتزيد ، لا أن يعرفهم الصواب وليتباركوا بمشورتهم ورأيهم ، وأنا من عادي لا أشير على أحد بمسير إلى بلاده ، ولا بأمر من الأمور ، إلا إن طلب للمسير ، قلت : ذلك صواب ، وأوصيه بتقوى الله تعالى . والإشارات الباطنة غير هذه ، لأن تلك أسرار لا يجوز إذاعتها وإطلاع الناس عليها ، فمن أراد سراً مثلاً فاستشارك ، وعلمت أنه بعد شهر يموت أو يقع في شيء ، أو يقع عليه شيء من الأمور ، أفصح به بذلك وتأمره بالجلوس من أجله؟ ، لا ، ولم يفعله النبي ﷺ ، ولا الصحابة ، وهم للكاشفون بالحقيقة ، وأخرى بالكشف من غيرهم ، وهي أمر خاص^(١) ، لا يشار بها إلا على

(١) أي الإشارة الباطنة بالعلم .

الخصوص ، وأما الإشارات الظاهرة فهي مجرد فتاوي ، وهي مذكورة في فتاوى العلماء .

وقد استشار رجل بعض الصالحين في سفر ، فقال له : إن سافرت هذا الوقت قُتِلْتَ وأُخِذَ مالك ، فاستشار الشيخ عبدالقادر [أي الجيلاي] أيضاً ، فقال له : تروح وتُحيى سالماً ، فقبل للشيخ عبدالقادر في كلام الأول ، فقال : إن كشفه صحيح ، وإني سألت الله تعالى أن يحوله في النوم . انتهى بلفظه ومعناه ، وهو من جملة ما تكلم به في داره التي في البلاد ضحى يوم الجمعة غرة شعبان سنة ١١٢٤ ، قال : وإذا استشارنا إنسان في شيء ، ورأيناه مائلاً إليه ، أشرنا عليه به وزَيْنَاهُ له ما لم يكن مخالفاً للشرع ، فإن لم يظهر منه ميل أشرنا بما نراه .

ورأيت بعض الفقهاء استشاره في الحج مع والدته ، وذلك في أول شهر رمضان من السنة المذكورة^(١) ، وقد علم منه عدم الاستطاعة ، فقال له : صلّ معها صلاة الصبح آخر جمعة من رمضان في جماعة بحيث لا يراها الرجال ، واجلس معها^(٢) اذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم ليصلي كل منكما ركعتين ، فذلك حجة وعمرة يكفيكما .

وذكر رجلاً من السادة سافر إلى الهند بعد ما أشار عليه بالجلوس فقال نفع الله به : محل للمشورة الأشياء الاختيارية ، وما عداها فهو فيه مضطر مقهور ، بأن تعلق قلبه بأمر وحزم على فعله ، فلا ينبغي أن تشير عليه بتركه^(٣) ، فإنك إن أشرت عليه خالفك ، وإن أحاب فبُكِرَ وتكلف .

(١) أي سنة ١١٢٤ . اهـ .

(٢) أي أنت وهي . اهـ .

(٣) أي ما لم يكن مخالفاً للشرع كما أشار إليه آخراً . اهـ .

وقال رضي الله عنه : إن أهل حضرموت عليهم دعوة ولي بلا شك ، في مسير الهند ، وإلا فأحدهم ما يصدّق على الله يشوف ترم ، أي ثم لم ينشب أن رجع إليها ، ثم قال : الخلق مكلوفين على ما خلقوا له ، فإن الحق أراد بهم وأراد منهم ، فالسعيد من وافق ما أراد به الحق وأراد منه ، والشقي من اختلفت به الأمور ، ثم قال لي : فاحفظ هذه الحكمة إن كنت حافظاً .

وشكا إليه رجل من القاطنين في الحاي ، من حاله وسوء طبعه ، فقال : ما عليك ، الطين اليابس إذا سقي بالماء هو إلا بلين ، وإنما الذي لا بلين بالماء الحجر . وأتاه جماعة من السادة زائرين ، فلما أرادوا مصافحته قام آخر غير شريف ليصافحه قبلهم ، فقلت له : تأخر عنهم ليصافحوا أولاً ، فأبى إلا أن يصافحه قبلهم ، وسمع قولي له ومعالجتي معه ، فلما أن صافحه قبض يده بيده اليسرى حتى صافحوا ، ثم قال له : لم تتقدم عليهم ، وقد قدمهم الله عليك وكان ذلك وهو خارج للصلاة الظهر ، فلما دخل الضيقة بعد الصلاة ، قال لي : إنما نحن قائمين للناس في مقام الرفق ، فتعلم منا الرفق واللين ، فقد شكوا الناس من قوة طبعك ، ونحن نعرف طباعكم ، يا أهل تلك الجهة^(١) ، أنما قوية ، فلا تغلظ على أحد ، قال الله تعالى لنبيه ﷺ : { وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِظَ الْقَلْبُ لَأَنَّفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ }^(٢) الآية ، وإذا رأيت أحداً يسيء الأدب ، فإن كان معذوراً في ذلك ، بأن كان غريباً لم يعرف الحال ، أو بدويّاً فنحن نؤدبه ، وإن كان غير معذور بأن كان متحرّياً فتكفيه القدرة . وقال رضي الله عنه لأحد رجلين من الزوار : اجلس إلى الآخر ، فقال رجل آخر ممن كان حاضراً مرحباً ، فقال له لا تقل ذلك ، أكان الكلام إليك ؟ ، ثم قال

(١) أي حجة العراق . اهـ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية رقم : ١٥٩ .

نفع الله به : إن أهل الزمان طائشة نفوسهم ، فإذا طلبت من أحدهم أن يحيى بيده أدير بقلبه ، ولو جاء باليدن عشرين مرة مع إدار القلب ما نفعه ذلك ، ولو جاء بالقلب مرة واحدة انتفع وإن أدير بيده ، ونحن ما نطلب من الناس أن يَكُونُوا بمجرد أديانهم ، إنما يَطْلُبُ ذلك للملوك ، فيجئون طوعاً وكرهاً ، وإنما نطلب نحن القلوب لا الأبدان ، وأنشدنا هذين البيتين للإمام الشافعي رحمه الله تعالى (١) :

فقل لأتلس يتمنون أن أمت فبتلك سبيل لست فيها بأوحد
وقل للذي أبقي من بعد من مضى همياً لأخرى مثلها فكان قَـلْبُـ

أقول : أنشأهما الإمام الشافعي رحمه الله ، لما سمع أشهب من أصحاب الإمام مالك ، يدعو عليه وهو ساجد ويقول : اللهم أبت الشافعي ، وإلا ذهب علم مالك (٢) ، فذكروا أن الإمام الشافعي بعد ذلك بأيام ، نحو سبعة عشر يوماً توفي ، واشترى أشهب من تركته عبداً أو جارية ، ثم بعد نحو سبعة عشر يوماً مثل تلك المدة ، مات أشهب ، واشترى ذلك العبد أو الجارية من تركته ، فذلك قوله همياً لأخرى مثلها .

وقال رضي الله عنه : الطريقة التي تذكر ، إنما هي طريقة باطنة ، وهي العقائد والأخلاق ، وإنما مثل لها بالطريق الظاهرة ، لتعقل وتفهيم .

وقال رضي الله عنه : الحقائق إذا تبعتها طرائق سلمنا لصاحبها وإن كان حقائق بلا طرائق فإنما هي أخت الزندقة ، والشرعية علم ، والطريقة عمل ، والحقيقة ثمرة وكل من الثلاثة قسمان ، ولا عليك من فروعها ، فإن عملت ظاهراً فخرت ظاهراً ،

(١) ديوان الشافعي : ٣٦ ط المكتبة الشيعية ، وطبقات الشافعية للسبكي ١ : ٣٠٣ . وفي ديوان الشافعي :

فمن رجال أن أموت وإن أمت فبتلك سبيل لست فيها بأوحد
وقل للذي بقي خلاف الذي مضى نسهاً لأخرى مثلها فكان قد

(٢) انظر القصة في طبقات الشافعية للسبكي ، ١ : ٣٠٣ ط الحلبي .

وإن عملت باطنا فمترك باطنة ، ومن أظلم قلبه عمل بالمعاصي وهي ثمرته ، وكان الشيخ عبدالله العبدروس يمثل للشرعية بالدين ، وللطريقة بالزهد ، وللحقيقة بالدهن ، والزبد هو الدهن بعينه ، ولا فرق بينهما إلا أن يطبخ الزبد ويكبس وصار دهنا ، وقال الشيخ عبدالله العبدروس رضي الله عنه : حكمت^(١) ربع أهل الدنيا ، قال سيدنا : يعني أذن له في تحكيم ربع أهل الدنيا ، ولعل هذا لأجل القدر الذي أمهر علي فاطمة رضي الله عنهما ، فقد جاء في بعض الأخبار أنه أمهرها ربع أهل الدنيا ، قال سيدنا نفع الله به : والذين انتفعوا بنا أكثر من الذين انتفعوا بالشيخ عبدالله .

وقلت لسيدنا نفع الله به : ما يطلب الإنسان إلا أن يستيقظ من غفلته ، ويتوب إلى ربه ، فما السبب الذي يتوصل به لتحصيل ذلك ، قال رضي الله عنه : يعمل بما تقدر عليه وبمكنتك ، واثق الله ولا تتعرض لما يطله عليك ، فإذا عملت واثقيت ، يكون عندك شيء لم تعلمه ، والاستتار في هذا الزمان أسلم ، كما في قصة إبراهيم الأعزب^(٢) ، أنه أخذ أحوال أصحابه وقال : هذا أسلم لكم في الدنيا ، ولعل ذلك بسبب تذهبهم ، قلت : فما ينفع عمل لا ذوق فيه ولا حضور ، أعني إذا سلبوا الأحوال ، قال : ذلك ليس إليك ، ويكفيك ما ضربه رسول الله ﷺ مثلا لليهود والنصارى مع المسلمين .

وقال رضي الله عنه : ما يصح لأحد عندنا قدم في زهد ، أو عبادة ، أو فقر ، أو غير ذلك أصلا ، حتى يرمي بالدنيا خلف ظهره بالكلية ، صادقا في ذلك ، وأعمل هذا الزمان لا يلزم أحدهم أحدا من أهل الصدق والدين إلا لطلب أن تحصل له

(١) التحكيم عند الصوفية هو أن يأخذ الشيخ على المريد العهد بالإسلام والإيمان والتوصية بالتقوى وغو ذلك . انظر كليات : (الجزء الطيف في التحكيم الشريف : ١٧) .

(٢) تلميذ الرافعي وقريسه .

الدنيا الذي^(١) قد حذف^(٢) بها، وألقاها خلفه ، وقل أن يصدق أحد منهم في ذلك .
 وقال رضي الله عنه : ما يكون شيخ الإنسان إلا من اجتمع قلبه^(٣)
 عليه^(٤)، حتى لا يرى أن أحدا أفضل منه ، فذاك هو الذي ينتفع به ، قال رضي الله
 عنه : ومن كان متنفعا في العلم الظاهر والعمل ، إذا أذن الله له في الفتوح ، ما يكون
 إلا على يد رجل كامل ، كما في قصة السيد يوسف^(٥) الفاسي ، وكان كاملا في
 العلم الظاهر والعمل فجاء إلى الشيخ أبي بكر بن سالم فأخذ عنه، وفتح له على يديه ،
 ولم يجتمع به في هذه المدة إلا نحو مرتين .

وقال رضي الله عنه : لا يزال في كل زمان من آل أبي علوي أولياء، إلا ما بين
 ظاهر أو خامل ، ولا يكون الظهور إلا لواحد منهم ، والبقية خاملين ، إذ لا حاجة
 إلى ظهور اثنين أو ثلاثة من بيت واحد وبلد واحد ، والستر على حاليين، ستر الولي
 عن نفسه بحيث لا يعرف بأنه ولي ، وستر الإنسان عن غيره ، بأن يعرف هو بأنه
 ولي، ويخفي ذلك عن غيره ، ولا يطلع الغير منه على ذلك ، وذكر سيدنا في بعض
 مكاتباته أن سر الولي بينه وبين الله تعالى قد لا يطلع عليه الولي نفسه .

انظر ما قال في سبب دخول الصالحين بتريم

وتكلم رضي الله عنه ليلة الأحد ثامن عشر ربيع الأول سنة ١١٢٤ في السادة
 آل أبي علوي ، فقال : إن غالب حالهم الخمول ، ولا يظهر منهم إلا واحد يسلمون

(١) في (ع) : الن .

(٢) أي ذلك الصالح ، اعسام .

(٣) أي المرید اعسام .

(٤) أي الشيخ اعسام .

(٥) هو الشيخ يوسف بن عابد الفاسي المغربي .

كلهم الأمر إليه ، ويُمدونه بالدعاء ، وهم في حالة الخمول ، فيبقى ذلك الواحد ظاهراً لإتيان الناس إليه ، وقصدهم إياه بالخصوص ، لكونه ظاهراً يُعرف من بينهم ، فقلت : وما السبب في كون الصالحين يخلعون في ترم ، ويظهرون في غيرها؟ فقال : لكثرتهم فيها ، فلو كان في بلدة أربعون مخزناً^(١) يباع فيها المسك هل لا تراه فيها رخيصاً؟ أف يكون مثل بلدة لم يكن فيها إلا مخزن مسك واحد؟ . وقد كان في وقت الشيخ عمر المحضار في مقامه أربعون من آل باعلوي، منهم عشرون خلفه وعشرون أمامه ، وقد كان في وقته سريع الانتقام ، كثير الأخذ من المجترئين المتعديس ، لكنه قال: ما دعوت على أحد قط ، وإنما إذا أغضبني أحد بقي في نفسي إشتحان عليه ، لم يزل ذلك حتى يموت ، ولم يظهر من أولئك الذين في مقامه شيء من هذا ، وسألته عن معني عشرون خلفه ، وعشرون أمامه ، فقال : وهل أحد يدري^(٢) بهذا ، إنما هي أسرار ، وإن كان شيء يكون عشرون معروفين ظاهرين ، وعشرون خاملين ، لا يُعرفون بأنهم في تلك المرتبة ، وهم يدعون للآخرين ويمدوهم .

ما قال في خمول السادة

وقال رضي الله عنه : الشهرة ليست من عادة ساداتنا آل باعلوي ، ومن أحبها منهم فإنما هو من كان أظن قال صغيراً ، ثم يعودون يكرهونها تربية لهم من الله عز وجل ، ومن كمل لا يطلبها ولا يريدتها ، ومن لا يخاف الله ، إذا رأى أحداً على تلك الحالة ينكر عليه ، ولا يعلم بما في عاقبة الأمر، ثم قال لرجل كان حاضراً من السادة يماسطه : كيف تقول يا فلان ، إن كنت تحب ذلك ، لو جاءك أربعون

(١) المخرن في كلام أهل حضرموت : الدُّخَان .

(٢) هذا هضم من نفسه ، وإلا فقد فسره رضي الله عنه فيما بعد . اهـ .ام .

رجلاً مرتين أو ثلاثاً ، ضحرت منهم ، وشردت عنهم ، كما لو جاءك أحد بكعدة^(١) قهوة معسلة ، وقال : قف اشرب فإنك تستحلي ذلك وتفرح ، ثم جاءك آخر بخمسي ضحرت ، وعفت من مقطعتهم^(٢) .

وقال رضي الله عنه : لا يفتقر من هو من أهل البيت ، إلا إن افتقر من الدين ، لأنهم مدعو^٣ لهم منه عليه السلام^(٣) ، بعدم الحاجة ، زيادة وتأكيداً على ما ضمنه الله من الرزق العام لهم ولغيرهم ، وإذا بطلت صلاة الإمام بطلت صلاة المأموم لأنهم العُمدة .

وقال له رجل : إن أهل البيت ما تضرهم الدنيا ، لقوله ﷺ : ((اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا)) ، يعني قدر القوت فقط ، فقال رضي الله عنه : يحتمل أنه أراد عليه الصلاة والسلام ، من في وقته منهم خاصة ، وأما اليوم فتراك تنظر إلى أناس من الأشراف توسعوا في الدنيا ، وتمنعوا بها غاية ما يكون ، ومنعوا الزكاة ، وأضاعوا حق الله اللازم .

وذكر رضي الله عنه أناساً يدعون أنهم في الفضل مثل السادة ، فقال : لا تسابق من لا يُسقى ، وإلا وقعت في ثلاث خصال : لأنك لا تدريهم ، فيحصل عليك التعب الشديد ، والفضيحة بين الناس ، والسقوط من منزلتك التي كنت عليها .

وقال رضي الله عنه : ماعاد في هذا الزمان ، ولا أحسن من طريقة آل باعلوي ، وقد أقر لهم بذلك أهل اليمن مع بدعتهم ، وأهل الحرمين مع شرفهم ، وما بقي

(١) الكعدة : نغم الكاف وإسكان العين المهسلة ، إناء يصنع من الخرف طويل الحلق تطبخ فيه القهوة ، وفي القاموس الكعدة طبق القارورة .

(٢) مقطعتهم : أي شغلهم عن أمور الحر .

(٣) في قوله ﷺ : ((اللهم اجعل رزق آل محمد كفلاً)) أخرجه مسلم : ٧٣ ، والترمذي : ٢٣٦١ ، والبيهقي : ٢ : ١٥٠ .

المفاضلة إلا بينهم^(١) بعضهم بعضا ، وهي طريقة نبوية ، ولا يستمد بعضهم إلا من بعض ، فإن حصل لهم مدد من غيرهم فهو بواسطة أحد منهم . قال رضي الله عنه : وهذا الأمر إنما عمدته الانقياد الكلّي ، فيه^(٢) يحصل للإنسان^(٣) ، وهو^(٤) أن ينطرح للشيخ في كل شيء ، ولا يعترض عليه في شيء ، ويمتثل ما يأمره به ، وإن لم يعرف وجه ذلك ، وبهذا السبب قيل : إن طريقة الإمامة طريقة مظلمة ، لا يعرف معني الشيء فيها ، ومن حضر للشايع المسلّكين ، ولا انقياد له سمع من علمهم كما يسمع الناس ، وكل يأخذ ما قسم الله له ، وقد ذكر الإمام الغزالي ، إنه لا بد للمريد من شيخ صادق ينطرح تحته في كل شيء ، وإن لم يكن فأخ صالح يحكي له بذنوبه ، أو قال بعيوبه ، ولا يداهنه ، وهذا لأهل الرياضات الشديدة ، وأما من لم يكن كذلك ، فلا أحسن له من التسليم ، ولا أسلم ولا أحسن من طريقة سادتنا آل باعلوي ، كل يترى بأبيه ، أو من ينوب عنه ، وهو تربي كذلك ، وعلى هذا حتى يبلغوا والأمر قريب كالذي يستخرج للماء من قرب ، وفي أمر القوت على ما ربي عليه ، وفي الثياب قده ما يحصل له إلا وهو محتاج إليه ، والفقر^(٥) في الوسط .

وقال رضي الله عنه : إذا طلب الإمامة من لا يصلح لها ، يدعو عليه أهله النواثر من الأولياء ، وقال البرزنجي^(٦) : ما في آل أبي علوي ، إلا أنهم يتركون بلدهم لغيرهم ، فإن السادة آل باعلوي ، ما أسسوا أمرهم إلا بالفقر الجرد ، بقصد منهم ، ولاهمة لهم في شيء من الرياسات وحفظوا الدنيا ، بل تركوها لغيرهم ، حتى لو أن

(١) أي السادة . اهـ .

(٢) أي الانقياد . اهـ .

(٣) أي المبدء . اهـ .

(٤) أي الانقياد . اهـ .

(٥) أي غلة ذات اليد غالية عليهم . اهـ .

(٦) هو محمد بن عبدالرسول البرزنجي صاحب كتاب الإضاءة المنقوش سنة ١١٠٣ * الأعلام ٦ : ٢٠٣ .

أحداً منهم طلب الإمارة ، أخرجه منها الباقون ، إن كان في الأحياء كفاية ، وإلا نزعها منها الأموات ، وإن الحسين بن أبي بكر بن سالم لما قيل لأولاده : أتتركون الولاية لغيركم ، أشار بإصبعه من قبره إلى حمار ، كان مربوطاً بإزاء قبره ، وقال : لو أردنا أن نوليها هذا الحمار لفعلنا .

وقال رضي الله عنه : من رأيت من السادة آل باعلوي ، على غير طريقة أهلهم فإنما منعه الضعف ، والضعف قد يكون في الحال والمال والقلب ، ومبني أمر السادة آل باعلوي على الكرم والتقوى ، ومثال الدول إذا اثنان كلاهما يريد الولاية ، كثورين يتناطحان عند بقرة ، يأخذها من غلب منهما فلا تكن أنت خلفهما ، ولا أمامهما ، ولا بينهما ، والسادة بني علوي من قسَم الزمن خارجين من بينهما ، ولا يدنون منهما ، ومن دنا خالف ما عليه سلفه .

وقال رضي الله عنه : مَنْ أَكْثَرَ الظُّلْمَ وَاُمْتَحَنَ أَهْلَ الْبَيْتِ أَزَالَهُ اللَّهُ كَمَا هُوَ مشاهد.

وذكر رضي الله عنه الضعفاء من الناس ، فقال : إن الله يغضب إذا ظلموا أكثر من الأقوياء ، وإن لم تشملهم دائرة الإسلام ، وإنهم كالسمك في البحر ما يعيش إلا إن غمره الماء.

وتكلم رضي الله عنه كثيراً في أحوال الناس والزمان وقلة الحق وكثرة الباطل ، فقال : اشتبهت على الناس الأمور ، واختلط عملهم الحق بالباطل ، لكن الله يظهر الحق لأهل الحق ، ويظهر الباطل لأهل الباطل .

وشكى إليه نفع الله به رجل مالقيه من أمر الدولة ، فقال : لو وقع للسلطان كأس^(١)

(١) أي علوية . اعلم .

أو كأسان من جانبنا أصبح لإبدأ في غوضة مسجد ، ودخلوا عليكم ينهبونكم من
يهوتكم ، أحب إليكم ، اصبروا حتى يأتي الله بفرج من عنده ، ولا يستقيم الملك إلا
بمال ، ولا مال إلا برعية ، ولا رعية إلا بعدل .

وقال رضي الله عنه : إذا بقي العود ، فالخير يعود ، وإن راح فكل شيء إنما هو
للفنا ، وإنما هي مقدمات ، الأول فالأول .

وقال رضي الله عنه : الأمور مبنية كلها على الصدق ، وأما من تعود على
الكذب فيناؤه على الماء ، ومن الناس من يعرفه الله حاله قبل الموت ، فيتوب منه ،
ومنهم من يعرفه إياه عند الموت ، فيندم حيث لا ينفعه الندم .

وقال رضي الله عنه : الخوف طبعه الحرارة ، والحرارة تستدعي الحركة ، فإذا
سكن^(١) القلب ، انطبع حرارته على البدن وانجر إلى الحركة ، والرجاء طبعه
البرودة ، وهي^(٢) تستدعي السكون ، فإذا سكن^(٣) القلب انطبع برودته^(٤) على
البدن وأوجب ذلك سكونه فيسكن لذلك .

وقال رضي الله عنه : وحق اليقين هو علم اليقين ، إلا أنه إذا شاهد الشيء
حصل له زيادة^(٥) علم .

(١) أي الخوف بالعلم .

(٢) أي البرودة بالعلم .

(٣) أي الرجاء بالعلم .

(٤) أي الرجاء بالعلم .

(٥) وهذه الزيادة التي تسمى بحق اليقين وهي عين الأول لا شيء غيره بالعلم .

ما قال في الإخلاص وعزته

وتكلم رضي الله عنه في الإخلاص ، فقال : لا أحد يدعي الإخلاص ، بل يلزم حده ولا يتعدى طوره ، ويعتقد في نفسه الرياء ، فإنه إن كان كذلك فقد وقف عند حده ، وعرف قدره ، ولم يتعد طوره ، وإن لم يكن كذلك لم يزد ذلك إلا رفعة وقدرًا عند الله تعالى ، وأين الإخلاص اليوم ، ومما يدل على أنه عزيز لا يكاد يوجد، قول الإمام الشافعي رحمه الله : وددت أن لو انتفع الناس بهذا العلم ، يعني علمه ولا ينسب إلي منه حرف ، فكم أعجبنا كلامه هذا^(١) ولو قلت لمصنف كتاب: امح اسمك منه ، أو اكتب عليه اسم آخر ، أو لا تكتب عليه رسم أحد ، لأن الأحر حاصل لك ، فلا حاجة إلى نسبته إليك لأبي ، وهذا يدل على عدم إخلاصه. وكانت رابعة فيما سمعنا عنها يصح ذلك أو لا يصح ، إنما كانت مانتحي إبراهيم بن أدهم ، وتستحي غيره كسفيان الثوري وغيره ، فقيل لها في ذلك ، فقالت : ماذا ترك سفيان لله؟ وأما إبراهيم فقد ترك للملك والدنيا لله ، فلا عاد يطلب أمرا آخر^(٢) ، فقل لأقوام إذا تصدق أحدهم بربع أوقية أحب أن يعلم به جميع الناس ، ولما تكلم الإمام الغزالي في إظهار العمل ، وذكر شروط ذلك ، ثم قال: لا ينبغي ذلك لأمتنا لأننا لا نطمع في الإخلاص ، إذ مثل هذا^(٣) مع ما كان له من الجاه والحشمة ، حتى إنه يحضر درسه من أبناء الأمراء ثلاثمائة عمامة ، فضلا عن غيرهم ، حتى خرج من جميع ذلك لله^(٤) ، حتى قيل : إن خروجه من ذلك عين أصابت المسلمين .

(١) أي لأنه عين الإخلاص وحقيقته وهو عزيز جدا ، إذ الناس لا تكاد تسمح مثل هذا لهذا العالم.

(٢) وهنا هو عين الإخلاص وحقيقته ، لأن القلب إذا تعرض عن الدنيا وتعلقها ، قبل على الله ضرورة ، فلو لم يعلم.

(٣) أي الإمام الغزالي رحمه الله.

(٤) أي يعرفك عدم طمع الإمام الغزالي رحمه الله في الإخلاص مع زعمه في جميع ذلك أن الإخلاص عزيز جدا لا ينجسه إلا جاهل بالله وبغواثي نفسه رحمه الله.

وقال رضي الله عنه مامعناه : إن الله لا يأمر بالإضاعة، والأشياء مربوطة بالحكمة والأسباب والتدريج ، ولا يجوز له^(١) أن يدعي أحوال الصالحين وهو بعد يوسوس في صلاته ، ولو مع الإنسان ثغلة شغلته في صلاته ، وجميعها^(٢) شواغل ، وإنما التجرد الكلي لأقوام خرجوا من الدنيا بقلوبهم ، فكل ما شغلهم منها تركوه ، حتى لا يبقى لهم همة إلا نفوسهم ، وقد ادعى أقوام أنهم مثل هؤلاء ، وقالوا : إن الدنيا في أيدينا لا في قلوبنا ، ومع ذلك بخلوا بها واشتغلوا ولم يخرجوا الزكاة وتخطوا.

وقال رضي الله عنه : في حديث حسي الله إلى آخره ، حتى قال : صادقاً أو كاذباً ، ثم قال : ما كل أحد يقول ذلك^(٣) ، إلا إن الاكتفاء بالله شديد، قل أن يتصف به باطناً وظاهراً ، وإن قال ذلك ، وفي حديث : إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ، وبأقوام لا خلاق لهم. أي كما ترى أقواماً يقاتلون الكفار مرادهم الغنائم وأخذ البلدان ، فيحصل بهذا دفع عن الإسلام والمسلمين ، وآخرين يقاتلون قطاع الطريق ، وغير ذلك مما يقوى به الدين ، وأكثر ما يكون ذلك في الولاة ، أفلا يكونوا أولئك من غير الناس^(٤) .

وقال رضي الله عنه في حديث قول الرجل ، دعوت فلم يستجب لي^(٥) إن كان ما دعا به من أمور الآخرة ، فمن أين يعلم أنه ما استجب له ، لعله حصل له

(١) أي الإنسان . اهـ .

(٢) أي الدنيا . اهـ .

(٣) أي يتولاه وهو يعتقد خلافه ، لأنه كفر صريح . اهـ .

(٤) أي أفلا أصلحوا نياهم فيجمعوا بين حصول الغنائم والغلبة على الأعداء والثواب العظيم . ولكن كل مبر لا خلق له . اهـ .

(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يستجاب لأحدكم ما لم يعمل يقول : قد دعوت ربي فلم يستجب لي . متفق عليه .

الاستجابة في أمر يكون في الآخرة . أو من أمور الدنيا ، فلعله دعا في شيء لو استجيب له فيه لكان يضره^(١) .

وقال رضي الله عنه : جرى الله العلماء عن الناس خيراً ، جمعوا للناس ، وصَحَّحوا للناس ، ونقَّحوا للناس ، فأين يروحون اليوم إذا احتاجوا إلى مثل هذا مع انعكاس الزمان ، وإذا رأيت شغل هؤلاء ، عرفت أن أولئك هم المشغولون فيما ينفع ، وهؤلاء كالتسوان شغلهم بما لا نفع فيه ، ثم ذكر حديث ((لا تُنَزِّلُوا النساء الغرف ، وألقوهن بالمغازل))^(٢) .

ذكر ما يتعلق بالنساء

وذكر رضي الله عنه النساء وخداعهن ، ثم قال : إن بعضهن^(٣) قال : إذا صاحبت المرأة فأدركوا الرجل .

وقال رضي الله عنه : من خاف الله قَبِدَ يديه ، وإلا انطلقت جميع جوارحه ، كقصّة برصيص^(٤) وهاروت وماروت ، والنفس ما تقدر عليها إلا بمنعها في أول الأمر عن جميع مطالبيها ، وإلا أوقعتك في بليستين وفتنتين ، الأولى : بلية وفتنة المحرمات ، والثانية : بلية وفتنة المباحات ، ثم إذا طلبت منها الرجوع عن ذلك لا تقدر عليه .

وتذاكر رضي الله عنه مع بعض السادة في النساء واستطالتهن على الرجال ، فذكر له حديث الذي قال للنبي ﷺ : يا رسول الله ، ماذا خير لنا بعدك ، بطن

(١) أي قصّة ثعلبة المشهورة في كتب الفسّر .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣ : ٣٩٦ .

(٣) كما في (ج) ، وفي الأم : إن بعضهن قال .

(٤) هو عابد بن إسرائيل انظر قصته في كتب الرقائق .

الأرض أو ظهرها؟ الحديث ، ثم قال : لا تجعل للمرأة وجوداً ، إلا إن كان وجودها من تحت وجودك ، و لا تجعل الأمر إليها ، بحيث لو أردت أن تصدق بشيء منعتك ، فإن مثل هذه قهرماتة ، ما هي صاحبة أمانة ، وانظر من كل شيء إلى أحسنه ، وقيل : لا تمدح المرأة إذا هي صالحة حتى تموت ، ومنهن عطايا ، ومنهن خطايا ، ولا يحصل للإنسان الأجر إلا بالصبر والاستقامة ، وأن تقوم عليها في حقوق الله ، فلا تفرط في أمور الدين فتتركها تمكث بحجابها وتترك الصلاة ، وكن معها من أول الأمر على حزم ، فلا تمنعها اليوم مثلاً من أمر ، وغدا تمنع^(١) فيه ، فقال له ذلك السيد : إنما تحتاج إلى ما لا بد منه ، أي من المداواة ، فقال : لا بد لها من شيء من العدل والإحسان .

ثم قال : ومثل هذه الأمور لا يمكن العلماء فيها التفصيل ، فلو فصلوها لاحتاجت كل مسألة إلى مجلد وتفصيل كثير ، ولكن يفصله الناس بالعقول ، وهن مجربات ومعروفات بأنهن يغلبن الأخيار ، ويغلبهن الأشرار ، ولا يسلك الإنسان معهن إلا بأحد أمرين ، إما باليسر إن أمكن وإلا بفالرفق ، لأنهن إذا أردن أمراً ، فمع الأشرار يغلبوهن ، حتى يدخلن في أنفسهن ودينهن ، ومع الأخيار يأخذوهن باليسر والمساحة ، فإن لم يجيء مع ذلك منهن شيء ، داروهن ورفقوا بهن ، وصبروا عليهن . ومن رأى حال النبي ﷺ مع أزواجه وكثرة شاغلن ، لم يستكر ما يكره منهن ، وإبراهيم الخليل عليه السلام أخرجه زوجته سارة من وطنه الشام إلى الحجاز غرباً مع ولده وسريته قهراً من غير اختيار منه ، وهكذا عادة أهل الخير معهن ، وقد قال الحكماء : ثلاثة إن لم تظلمهم ظلّموك : المرأة والعبد والولد ، أي ظلم صوري ،

(١) هكذا في الأم (منع) ، وفي (خ) : (تقع) ، وفي (ع) : يضر .

وثلاثة لا يطاقون : جائع شبع ، وشوّهاء تزوجت ، أظن قال وفقيرا استغنى ، ومن تأمل فنن بني آدم من وقت آدم فأفسل ، رأى كلها أو أكثرها من النساء ، أو حسن سبب فيها ، أو لمن في ذلك شرك .

وقال رضي الله عنه : لا تسأل عن أعمال أهل الزمان ، والزمان زمان مسائرة ومدارة وتغافل ، فمن فعل ذلك معهم تمت له أموره ، فإذا كان الإنسان منهم ، لا يحتمل التقصي من والده ، فما بالك من غيره ، لكن ينبغي أن يبذل الإنسان وسعه في الطاعة وإن قل ، كالصفحة أتت في معها ماء لإطفاء نار النمرود ، وقالت : هذا جهدي ، فشكر الله لها ذلك ، وإذا رأيت الإنسان ماحمه إلا الدنيا ، فانقض يديك منه ، وإذا أقبلت الدنيا خذ منها [أي لآخرتك] وإذا أدبرت احترز منها مثل النهار^(١) .

وتكلم رضي الله عنه في أهل الزمان وقلة الأمانة فيه ، وأكثر ، ثم قال : قال الشيخ حسين^(٢) بأفضل : إن أكثر الناس قوالب بلا قلوب ، إن لم تقهرهم قهروك وما هم دارين ، قال : وحسين هذا أخو أحمد الشهيد^(٣) ، كلاهما أولاد الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج بأفضل^(٤) ، صاحب المختصر ، ذرية الشهيد في مكة ، وذرية حسين في تريم .

(١) أي إذا أقبل كلما له يتزايد وإذا أدبر كلما له يتناقص فكل ذلك الدنيا مقبلة ومذيرة بالعدم .

(٢) هو الشيخ الفاضل حسين بن عبد الله بأفضل توفي سنة ٩٧٩ انظر (مصادر الفكر الإسلامي : ٣٢٠) .

(٣) هو الشيخ الفقيه أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بأفضل توفي مقتولا سنة ٩٢٩ انظر النور السافر : ١٣٥ .

(٤) هو الشيخ الكبير عبد الله بن عبد الرحمن بأفضل توفي سنة ٩١٨ .

ذكر ماقال في مطالعة كتاب التنوير

وقال له رضي الله عنه رجل : إني أطلع في كتاب التنوير^(١) فقال : اعرف مقصوده وفائدته وما جعل لأجله ، وهو أن ترضى بما أقامك الله فيه ، مع القيام بالأوامر واجتناب النواهي ، ومن تجريد بلا تعلق بمخلوق ، بل محض توكل على الله ، وتعلق به ظاهراً وباطناً، قلباً وقالياً، أو تسبب مع عدم الاعتماد عليه ، والقيام فيه بجميع الحقوق ، فإذا عرفت ذلك فطالع فيه ، ولاتكن كلحم على وضم^(٢) ولكنك اخلط مع مطالعته للمطالعة في الأربعين الأصل^(٣)، واجعله الطعام ، والتنوير خصار^(٤) واستخرج الزبد منهما ، إن أحسنت المخض ، ولا تفهم من التنوير ، أن المراد طرح الأمور كلها ، بل أن تنقي الله فيما أنت فيه ، فقد ضل أقوام بالكتب ، فلا يكون الرجال إلا بالرجال ، لا بالكتب .

وقال رضي الله عنه : إن الله يحب السؤال ، وإنما تركه من هو من أهل التوكل الكامل ، فلا تشبه بالأكابر ، فتطرح الثوب على الجرب .

وذكر رضي الله عنه الشباب ، فقال : وما ينفع الشباب مع الغفلة ، إنما ينفع مع اليقظة ، وإلا راح عليه شباه ضياعاً، وبهذا السبب ضاع على الناس شباههم ، لغفلتهم، والمشيب مع هذا أحسن ، لأنه يرجعهم إلى الله ، من غير اختيار [أي لقللة رغبتهم في المأكول ، والملبوس ، والمنكوح] .

(١) كتاب " التنوير " تأليف الشيخ أبي العباس أحمد بن عطاء الله السكندري المتوفى سنة ٧٠٩ هـ طبع سنة ١٣٠٠ هـ ثم تكررت طبعاته .

(٢) الوضم : حشية الحزاز يقطع عليها اللحم .

(٣) كتاب للإمام الغزالي .

(٤) الخصار : يضم الحاء للصحة في عرف أهل حضرموت : الاندام .

وقال رضي الله عنه في حديث^(١) : ((إذا ابتليت عيدي بحبيتيه ، أي عينيه)) إلى آخره : يختلف الأجر باختلاف الصبر ، واختلاف طول المدة بعد ذلك وقصرها ، فيزيد الأجر وينقص بحسب ذلك ، وإذا كان ذلك في صغره أو كبره ، وكان يحتاج إلى التمتع بهما أكثر ، فله على قدره ، وتتفاوت منازل الصبر في الدرجة الواحدة ، كما تختلف في الدرجتين ، وكثير من الصحابة والتابعين ، والأولياء والصالحين ، حصل لهم ذلك في آخر أعمارهم ، كعبدالله بن عباس ، وكعب بن مالك ، والشيخ أبي بكر بن عبدالله العيدير ، وغيرهم لكثرة المطالعة والكتابة سيما بعد العصر . والسهر في الصبا وكثرة البكاء تعمش العيون .

وقال رضي الله عنه : إن الله سبحانه لا يعطي بالاستحقاق ، إنما يعطي بالمشيئة ، فإن وافق الاستحقاق للمشيئة ، أكمل له الاستحقاق أو قال : أحزل له العطاء ، ثم ذكر : إن رجلا من الصحابة ، قال : اللهم أرني الجنة^(٢) ، فنهاه النبي ﷺ عن قوله ذلك ، وقال : قل : اللهم أرني الجنة كما أريتها عبادك الصالحين ، ومن تأمل أحكام الله تحقق أنه لا يصلح الأمر إلا كذلك ، أو إلا على ذلك ، كالزكاة مثلا ، قياس من لا بصيرة له ، أنها تنقص المال ، فربما منعها من ماله ، فبعد قريب هلك ماله ، أو انتقل إلى من لا ينفعه .

ثم ذكر رضي الله عنه الظلم والميل عن سبيل الحق ، وعدم امتثالهم لمن ينظم عليه ، فقال ما معناه : ومن يدعوهم إلى ذلك فهو معهم ، كرجل أعمى لا يعرف الطريق ، يقول له بصير عارف بالطريق : اطرَح يدك في يدي ، وسر معي ، ولا تتكلم

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٣ : ٣٧٥ من أنس بن مالك . وقد رواه البخاري يقول : « إن الله عز وجل قال : إذا ابتليت عيدي بحبيتيه فصر ، فوجته بهما الجنة » .

(٢) المعروف أنه قال : اللهم أرني الدنيا كما تراها ، فقال ﷺ : لا تلق هكذا ولكن قل : أرني الدنيا كما أريتها عبادك الصالحين . والله أعلم بالصواب .

فإني أوصلك ، ولا تقل : تعال من هنا أو من هنا ، ثم إنه لا يسمح أن يجعل يده في يدك ، بل يستحلي ما هو عليه من العمى والجهالة ، إذ لا يعرف وجه ذلك . ومن رأيت في الماء ، ولم يعطك يده ، أو أعطاك ولم تقدر عليه ، فاتركه ، ولا تحمل الغفر^(١) بعروة واحدة ، فينتثر ، بل بعروتيه جميعا ، أو اتركه في الأرض .

ثم قال نفع الله به : طريق الحقيقة طريق الخصوص ، ما هي إلا في ظلمة لا يبصرها العامة^(٢) لأنهم بدلوا من طريقهم ، فليس من قوتهم معرفة ما يعرفون ، فإن سلموا إليهم أنفسهم بلا اعتراض ، وصلوا ، وإلا بقوا متحيرين ، أو كما قال بمعناه .

وقال رضي الله عنه لي مرارا وكذلك سمعته غير مرة يقول : طريقنا طريقة الإمامة وهي طريقة مظلمة . وسألته عن معنى كونها مظلمة ، فقال نفع الله به : المراد الطريق الخاصة ، ومعناه أن يقتدي بمن تأهل فيها ويمثل له ، ولا يدبر معه فيها بعقله ، وما يستصوبه ، فإن العقل لا مجال له فيها^(٣) ويسلم له في كل ما أمره به ، أو نهاه عنه ، وإن كان يرى أن ذلك خطأ ، وأن الصواب عنده خلاف ذلك ، كما ذكر عن بعض مشايخ مصر ، واسمه قطب الدين الحنفي ، أنه كان يوما يحشي على الماء ، فأخذ بعض جماعته يحشي معه على الماء ، فقال له الشيخ : قل بسم الشيخ قطب الدين ، ولا تقل بسم الله ، ففعل وهذا عند ذلك المرید ظلمة ، فسار ساعة ثم قال المرید في نفسه لأي شيء ما أقول بسم الله؟ ، ثم قال ذلك ، وهذا عنده نور^(٤) يعني قوله بسم الله ، فغرق فصاح بالشيخ ، فالتفت إليه ، وقال : ماذا فعلت؟ ، قال : قلت بسم الله ، فقال له الشيخ : ألم أقل لك لا تقل ذلك ، لأنك ما تعرف الله [أي حقيقة]

(١) الغفر في كلام أهل حضرموت : الزئبل الكبير يصنع من الخوص .

(٢) أي أصحاب اليمين بالعام .

(٣) أي لأنها أمور كسفية بالعام .

(٤) أي صواب بالعام .

وإنما أنت تعرفني ، وأنا أعرف الله [أي حقيقة] ، وما مشيت على الماء إلا باسم الله ، فانظر ما أبعد القيلس من هذا الأمر ، فلو كان في المسجد مريد مثلاً في قراءة قرآن ، أو في أمر ديني ، وهذا عنده [أي المريد] نور ، فقال له الشيخ : قم اجلس في السوق ، أو افعل كذا وكذا من أمر الدنيا ، وهذا عنده ظلمة [أي خطأ] ولكنه ما علم مقصود الشيخ بذلك ، فربما رأى فيه كبراً ، أو كان جلوسه في المسجد لرباءة ، وأراد أن يكسره منه ، فإذا كان في السوق وقلبه متعلق بالمسجد ، أو بأمر ديني خير من عكس ذلك .

وقد كان جماعة من الأكابر يعملون في السوق كالسريّ والجُنْد وغيرهما وله بهم أسوة ، فإذا امتثل له كذلك أوصله من الظلمة إلى النور ، وأما في الأحكام الظاهرة العامة ، فكل الناس يعملون عليها ونورها فيها ، وقد سبق إلى ذلك النبي ﷺ ، وقبله في ذلك جميع الأنبياء ، وإنما الكلام في الخاصة ، فقلت له نفع الله به : فعسى الخواطر للمخالفة لا تضر في ذلك ، أعني بصير بها كحال للنكر المعترض فقال رضي الله عنه : لا ، الخواطر الغير الاختيارية لا تضر ، فقد حصل مثل ذلك لسيدنا عمر يوم الحديبية ، وإنما على الإنسان ما فيه اختياره ، وما وراءه فأمره إلى الله ، ما عليه في ذلك شيء .

قلت : فالاختيارية أيضاً أعني ما له فيه اختيار وقدرة ، من فعل الأوامر واجتناب النواهي لا يمكن الإنسان أن يأتي بها كلها ، لأن نفسه تقطعه عنها ، فقال نفع الله به : تسير معها كما تسير مع المرأة ، فتقدرها امرأة فتداريها مرة ، وتخالقها أخرى ، فمرة طاعة ومرة معصية ، ومرة بغضب ومرة برضى ، وعلى هذا ، ولكك خذ ضابطاً وهو أن تنظر في أعضائك كلها وأفعالك وحركاتك ، فإن كان أكثرها حسراً فاهش ، فإن العبرة بالأكثر .

وقال رضي الله عنه : وضع القدم على القدم يحصل به خير كثير ، ولو لم يكن التابع من أهل الباطن ، فإذا وضع قدمه على قدمهم ، يحصل له ما يحصل لهم ، ألا ترى لو أن شخصاً من أهل الخطوة تطوى له الأرض، وضع آخر قدمه موضع قدمه في المسير كيف تطوى له الأرض بانطوائها للآخر، وإن لم يكن مثله ، فإذا كان هذا في الأقدام الحسية ، فما بالك إذا كان في الأقدام المعنوية ، أو قال الدينية ، ومقام الإسلام يجامع الأفعال الإلهية ، ومقام الإيمان يجامع الصفات الربانية ، ومقام الإحسان يجامع الصفات الذاتية.

وقال رضي الله عنه : كان النبي ﷺ له قوة لا يطيقها البشر ، وكذلك كان قوة في الأولياء ، لأنهم جاهدوا أنفسهم بالرياضات حتى اطمأنت نفوسهم بقلّة الأكل، ولم يعملوا على القوت ، وجميع ما تسمعه عن الصالحين ليس من الدنيا إنما هو من الآخرة ، من رؤية حور ، أو قصور ، أو ملك ، أو مكاشفة ، أو حصول شيء من الدنيا، فلم يشغلهم عن الله ونحو ذلك ، فكل هذا من الآخرة ، قلت له : فلو تكلف الإنسان شيئاً ، ما أمكنه أن يحصل له مثل ذلك ، فقال نفع الله به : ليعرف قدره ولا يتعدّ طوره ، ولهذا إذا قبل منهم وصلّوهم ، كان مؤمناً ، وإذا أحببهم كان معهم ، وأمين الناس اليوم ، وكم بينك في الوقت وبين وقت الشيخ عبدالقادر ، إنما أنت في القرن الثاني عشر ، فهل سمعت هذا القرن يذكر في شيء من الكلام ، أو في كتاب ، إنما حدّ ما يذكر الحادي عشر على الندور أيضاً ، واليوم قد ضعفت الحمم ، وضعف كل شيء عن الحال الأول ، حتى الشجر والنبات ، قلت : فماذا يفعل الإنسان ، قال يُحكّم الإسلام والإيمان ، فهذا هو الذي عليه ، وإذا أراد الله شيئاً فما هو ببعيد ، قلت : فما يريد الإنسان إلا حصول التوحيد والعبودية ، قال : ليعرف الإنسان حال نفسه ، ويحبهم فيكون معهم ، فتشمله المعية ، ويكفيك ما قال الله

تعالى لموسى عليه السلام : { فَخُذْ مَا عَاتَيْكَ وَكُنْ مِّنَ الشَّاكِرِينَ }^(١)

ذكر ما قال في حرمان الرزق

وذكر رضي الله عنه حديث^(٢) : ((إن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه)) فقال نفع الله به : للرزق جهات متعددة ، وكذلك الذنوب ، فقد يكون الذنب في جهة الرزق ، فإذا حصل ذنب في جهة رزق ، كأن كان رزقه في البيع والشراء ، فأذنب ببخس^(٣) وتطفيف^(٤) ونحو ذلك ، حُرِمَ ذلك الرزق ، بأن ذهبت بركته وتلاشى عليه فيفتقر ، وحصلت له آفة أذهبت من يده ، كما هو مشاهد في أهل الربا ومناعي الزكاة وغيرهم ، ويحرم الرزق المقابل لذنبه خاصة دون غيره ، فإن كان له رزق في الحراثة أو غيرها ، ولم يذنب في جهته ، فلا يحرم الرزق منه بذنبه في جهة البيع والشراء ونحو ذلك ، وإن كان ذنبه فيما هو عام لجميع الأرزاق أو أكثرها كالنقد ، حُرِمَ الرزق بذلك للمعنى من جميع الجهات التي يأتيه رزقه به منها ، لأن عليه مدلهارها ، وإن أحسن في الكل حصلت له البركة والنمو في الجميع ، أو أحسن في البعض ففيه دون غيره ، ويجبر حلل كل واحد بالإحسان فيه دون الآخر ، كما يجبر حلل العبادة بعضها ببعض ، كذلك كما تجبر الصلاة بالصلاة ، والصوم بالصوم ولا عكس ، وإن كان الذنب بأمر خارج عن أسباب الرزق كترك صلاة وغير ذلك عم الضرر العمر والرزق ، فإن توالست عليه أرزاقه مع عصيانه فذلك استلراج له ، أو كما قال.

(١) سورة الأعراف ، الآية رقم : ١٤٤ .

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند : ٢٧٧ .

(٣) أي في الوزن اعصابه .

(٤) أي في الكيل اعصابه .

وقال رضي الله عنه في حديث : ((من أسر سريرة ألبسه الله رداءها)) ، قال : أي حسنة كانت أو سيئة ، ويلبسه ذلك بالجملة لا بالتفصيل ، وهو إنه إذا أسر حسناً حصل له القبول عند الناس وأثنوا عليه خيراً ، وإن أسر سيئاً لم تقبله قلوبهم ، وأثنوا عليه شراً ، وربما برز منه قليل فاستلبد به على الباقي من الأمرين ، وعُرف به .

وقال رضي الله عنه : في حديث^(١) : ((الفقر على المؤمن أحسن من العذار الحسن على خد الفرس)) ، قال : ليعرف الإنسان أحكام الفقر والغنى من العلماء بالله ، فإن الفقر المحمود ما كان مع الصبر والرضى ، ولا يَغبط الأغنياء ، وأما الذي يتمناها^(٢) ويده منها خالية ، ويضجر ويتبرم ، فهو أحسن من الأغنياء ، فليعرف أحكام الفقر والغنى ، والدنيا كلها هو ولعب ، فخذ من اللهو واللعب ما ينفعك في الآخرة .

أقول : وقد حضرت يوماً مجلس السيد الكامل الفاضل أحمد بن عمر الهندوان رحمه الله تعالى ، فقال لي : يا الحساوي ما الفقر الذي استعاذ منه النبي ﷺ فقلت : كما حفظته من كلام سيدنا ، هو المقرون بالتضجر والتبرم والتسخط لقضاء الله تعالى ، فقال : ليس هو هذا ، فاسأل حبيبيك ، فقلت : هكذا أحفظه عن قول حبيبي ، قال : لا ، إسأله عن ذلك ، وكان ذلك يوم الخميس ، وكنت مرتباً لزيارته وحضور مجلسه الخميس والجمعة ، فبعد ذلك بثلاثة أيام ، وهو يوم الأحد أمأشي سيدنا نفع الله به في طريق السبيل ، وهو مشغول بقراءة ورده ، إذ التفت إلي وقال : يا حاج ، قلت : لييك ، وما كان يسميني إلا كذلك ، قال : ما قط سألك السيد أحمد عن مسألة؟ ، فقلت : بلى سألتني عن كذا ، وأجبتني عن قولكم بكذا ، فقال : أنت ما تعرف السيد ،

(١) أخرجه الطبراني عن شداد بن لؤس . انظر (الفتح الكبير ٢ : ٢٨١) .

(٢) لم يتقدم للدنيا ذكر لفظي في المادة ولله ذكر دعاء العاصم .

ما سألك ليستفيد منك ، إنما سألك ليرى ما عندك من العلم ، فإذا سألك بعد هذه فلا تجبه بشيء ، وقل : أنا مستفيد ، خَلَّه^(١) يحكي لك بما عنده ، والذي هو عندك محفوظ ، فأعجب بهذه المكاشفة العظيمة من سيدنا نفع الله به ، فلما كان يوم الخميس الآخر ، وأتيته على عادتي ، فلما استتم المجلس سألتني عن المسألة بعينها ، فقلت : الله يحفظك أنا مستفيد ، فقال : الفقر الذي استعاذ منه النبي ﷺ هو مخوف الفقر ، فأخبرت سيدنا في طريق السبر يوم الأحد الآخر ، فقال : هكذا .

ومرت في الدرس أحاديث في كتاب : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، من "الإحياء" ، فقال سيدنا نفع الله به : عاد الناس ، الذين فيهم ظاهر ، والمنكر غير مقبول ولا ظاهر ولا معتقد حله ، غايته أن يكون في آحاد من الناس ، كالذين يفعلون الربا ويستحلونه بمناذرات وإقرارات باطلة ، سَوَّكْت لهم في ذلك نفوسهم وقادهم إليه حب الدنيا ، وأقحمهم فيها أناس أيضاً ، وهذا متعلق بالولاية وأمرهم به على الفقهاء ، فلا تُخَوِّج نفسك إلى مقاربتهم ، ولليل^(٢) منهم أحسن .

وقال رضي الله عنه : ما أفسد على الناس دينهم إلا العلماء ، ولكن بعد فساد دينهم^(٣) ، وما أفسد على الناس دنياهم إلا الأمراء ، ولكن بعد فساد دنياهم ، ففساد العلماء يفسد الدين ، وفساد الأمراء تقصد الدنيا ، لأن قوام الأمر إنما هو بالرؤوس ، أهل الدين لأهل الدين ، وأهل الدنيا لأهل الدنيا ، فإذا تغير الرؤوس تغير المسرؤوس ، وقد يتعدى ضرر ذلك إلى الأحكام والعقود ، لأنها تصير حينئذ أحكام بغساة فتنفذ للضرورة.

(١) خله : يفتح الحاء وتشديد اللام أمر بمعنى أتركه وذلك في كلام أهل حضرموت.

(٢) الليل هنا معنى : التخب والتباعد .

(٣) أي العلماء بالعلم.

وقال رضي الله عنه : إن الناس نزلوا في جميع الأشياء ، وإذا أردت تعرف ذلك فعبد منازل أو منازع العلوم ، كيف تراها ، يفتنون بأمور وإقرارات لا تصح ، يتحيلون بها ، وينبغي للمفتي أن يعرف قرائن الأحوال .

وقال رضي الله عنه في قول بعضهم : علماء السوء قطاع الطريق على عباد الله ، أي إذا لم يكن طريق إلى الله إلا من جهتهم ، وإن كان علماء عاملون ، فيكون هم الطريق إلى الله ، دون الآخرين ، الذين هم علماء انسدت الطريق منهم .

انظر ما قال في الجهة الحضرمية

وذكر رضي الله عنه : ما عم في الجهة ، من الاختلاف بسبب هذه الفتن^(١) فقال نفع الله به : ما عاد بقي قاضي منصوباً على أمر الشرع ولا فتوى شرعية ، إنما هي أحكام البغاة ، إذ السلطان مقهور تحتهم ، لا يمكنه يتصرف معهم في شيء ، يكاد يلحق الناس ضرر في معاملاتهم وأنكحتهم وغير ذلك ، فهذه أمور شرعية قد تغيرت ، وتنفيذ هذه الأحكام إنما هو للضرورة ، وهذه أشياء لا يجوز الرضاء بها والصبر عليها ، ولولا إن هذه دار هجرتنا لخرجنا منها ، ولا لنا موضع هجرة إلا مرباط^(٢) ، لكن ما يمكننا ذلك لأجل المكالف^(٣) والصغار وغوهم .

وقال رضي الله عنه : نحفظ عن بعض جداتنا عن أبيها ، وكانت حضرت وفاته ، وكان من أهل الكشف ، قالت : كان يغمى عليه عند موته ، فأفاق ذات مرة

(١) أي يقع . اعلم . من هامش (ج) .

(٢) من بلاد قطار ، وزاد في هامش (ج) : (وفي مقالة أخرى : لو حبيب دوعن) . اعلم . من هامش (ج) .

(٣) المكالف في عرف أهل حضرموت تطلق على النساء والمترنم .

وقال : عادكم تقولون يا حيا دولة الكثيري، ومرة قال عمن قال عنه : يأتي على الناس زمان ما لهم مفر إلا ثمود أو نحو ذلك .

وقال رضي الله عنه في هذا المعرض: ما في ترم غير الوطن ، إن الإبل تقوى العطن .

وقال رضي الله عنه : رأيت أفعال أهل الزمان كلها هواء^(١) ، وكل ما لا يصحبه فيه هواء لا يعاؤون به ، ولا يعدونه شيئا.

وقال رضي الله عنه : لا يصلح الجلوس للعبادة إلا للمتجرد المرتاض القوي ، إذا لم يكن له غداء لم يتعب ، ويقول : إذا ما وقع يقع العشاء ، وإذا لم يقع يقع وقت آخر ، وهو متفرغ للذكر والعبادة ، لا يشغله هم الرزق ذلك^(٢) ، وأما الضعيف عن هذا فيكون في أغلب أوقاته في العبادة ، وفي بعضها في طلب الرزق المعين عليها.

وقال رضي الله عنه في حديث : ((الزهادة في الدنيا تريح القلب والبدن)) إلى آخره ، أي يسترخ قلبه عن همها ومحبتهما والفكر في جمعها وحفظها ، وبدنه عن طلبها والسعي لها، وزهد القلب أفضل من زهد الظاهر ، وأما مع الرغبة ، فإذا زهد بظاهره وهو راغب يكون فتنة ويلاء على نفسه وعلى غيره فيغتر به . وأما إذا زهد في الدنيا أولا ثم أقبلت عليه وكثرت فلم تشغله وفرقتها، فهو الزهد الكامل ، وهو زهد النبي ﷺ وزهد الصحابة رضي الله عنهم .

وقال رضي الله عنه لرجل : استقو على الشيطان ولا يغلبك فإن الله سمى ضعيفا ، وما سمى بذلك إلا ليستقوي عليه المؤمن ويقهره ولا ينحذب له .

وقال رضي الله عنه : صاحب سر الولاية ما يتظاهر بالكرامات ، وأما أهل علم

(١) هوى بالقصر : ميل النفس إلى غير الحق . اعلم .

(٢) في (ج) : عن ذلك .

الحَرْف ولو كانوا أهل سر يتظاهرون بها بالتصرف بالحرف أو كما قال .
 وأوصى نفع الله به رجلاً فقال : الله الله في دينك ، احتفظ على دينك ، حتى
 إذا كنت على أي حال تكون محمود الحال .
 وقال رضي الله عنه : نحن اليوم في أطراف أيام الدُّجَال ، وفي أيامه ما يكون
 غذاء الإنسان إلا الذكر، يترفعون في رؤوس الجبال خوفاً من الدُّجَال ، وغداؤهم
 الذكر .

انظر ما قال في بلدان حضرموت

وذكر رضي الله عنه بلدان حضرموت فقال : ما عاد شبام يشبام ، ولا الغرفة
 بالغرفة ، ولا تريس ومدودِه تريس ومدودِه ، راحت الأرواح وبقيت الأشباح ،
 كانت كلها حيّة ، ورجعت اليوم كلها ميتة ، وما يهمهم اليوم إلا تحسين الثياب ،
 فلما ذهبت الأرواح ، رجعوا إلى تحسين الأشباح ، فانتعظفوا إلى هذا ، فرجعوا من
 تحسين السرائر إلى تحسين الظواهر ، أو كما قال .

انظر ما قال في التشبه بالسلف واستدلاله بالحديث المذكور

وقال رضي الله عنه : لا عاد تحرك أهل الزمان ، فإن حَرَكْتَهُمْ ظهر من أمورهم
 الباطنة ، أشد من أمورهم الظاهرة التي أنت مُشْمَرٌ منها ، وأهل الحق إذا فسد
 الزمان ، يتعين عليهم أن يتشبهوا بأسلافهم ، واستدل بحديث^(١) :
 ((لِيَلْبِسَنِي مِنْكُمْ أَوْلُو الْأَحْلَامِ وَالسُّهْيِ)) ، وكذلك السلطان والتاجر ،

(١) أخرجه أبو داؤود : ٦٧٤ ، والترمذي : ٢٢٨ ، والنسائي : ٨٧ ، وابن ماجة : ٩٧٦ ، وأحمد بن حنبل : ٤٥٧ ،
 والدارمي : ١ ، والبيهقي : ٩٧ .

ينبغي لكل أن يتشبه بسلفه ، فإذا لم يقدروا على كمال الإقتداء بهم ، والفعل بمثل فعلهم ، فليقتاربوهم في ذلك ، لأن كل عامل من عتري أو عابده له إمام يقتدي به ، ومن لا له إمام فإمامه الشيطان ، فكل من يقتدي بأحد يقال له إمامه ، حتى إن المتبوعين من الكفار سُئِلُوا أئمة ، قال الله تعالى : { فَتَأْتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ }^(١) .

وقال رضي الله عنه : رأيت جدنا^(٢) الشيخ أحمد الحبشي صاحب الشعب في النوم ، وسألني فقال : ما تقول : من الرجل الحي؟ ، فقلت الحي من حيي قلبه ، فاستحسن الجواب ، ثم إنه أخرج قبعين^(٣) أحدهما صغير فألبسنيهِ ، وجاء في خاطري إلها حرقه الشيخ عبدالقادر الجيلاني ، لأن أهل الجهة كانوا يُلبسوها ، ثم أخرج قبعاً آخر كبيراً على المعهود ، من أقباع آل باعلوي ، فألبسنيهِ فوق الأول ، ثم قال سيدنا: وكم مراني تقع والعرية على الخواتيم .

وقال رضي الله عنه : يقال : ليس العاقل من يميز بين الخير والشر ، ولكن العاقل من يميز بين خير الخيرين وشر الشرين ، فيعرف أي الخيرين أرجح فتيبته ، وأي الشرين أفح فتركه .

وتكلم رضي الله عنه يوم الاثنين في ٢٦ شوال سنة ١١٢٨ في رؤية الشهر ، وأطال في ذلك حتى قال: هذا زمان شُبِّه ينبغي الاحتياط فيها ، وقد قالوا : لا ينبغي للعالم أن ينظر مع اشتباه الأمور بين الخير والشر ، فإن هذا واضح كل يعرفه ، ولكن لينظر بين خير الخيرين وشر الشرين ، فيأخذ بالخير من الخيرين إذا استبان ، ويترك الشر من الشرين إذا اشتبهت ، كمن أراد أن يضربك بعضاً أو سكين ، فإن كان

(١) سورة التوبة ، الآية رقم : ١٢ .

(٢) من جهة الأم .

(٣) القبع : بضم القاف وباء الوحدة عطاء على الرأس يُكسسه الشيخ المرید بقصد الإنس ، وأصله النُّبعة . قال في الفاسوس : كسبيرة حرقه كالسُرسي .

ولا بد فإلغصا أأف الأمرين ، وكمّن تريد تركّبه معك وهو عاجز عن المشي ، وأنت قادر ، فإن نزلت وأركبته فهو الخمر من الخمرين^(١) ، ونحن هذا حالنا في هذا الزمان ، وهو من قواعد الدين، وهو مأخوذ عن السلف كالإمام مالك بن أنس وأمثاله رضي الله عنهم ، ومن لا يعرف ذلك فهو جاهل . وإن ظن مع ذلك في نفسه أنه عالم فجاهل جهلاً مركباً ، كمن يظن في نفسه أنه كريم وهو بخيل فهو الجهل المركب .

وذكر رضي الله عنه يوماً الخير والشر، فقال : لا بد من للكافّة عليه ، إما ممن عاملته به ، أو من غيره في الدنيا أو في الآخرة ، وقد يقع من وجه يطلع عليه الناس، وقد يقع من غير ذلك ، ويكون ذلك في المير والعقوق والإحسان إلى الجيران والإخوان والأصحاب والإساءة إليهم ، كما قيل : (المير سلف) والمجازاة على الخير أكثر من الشر ، وذلك من فضل الله فإنما تضاعف في الخير دون الشر ، إلا أن الشر يعظم جداً بحسب مواضعه ، فالسرقة على اليتيم والفقير ليست كما هي على الغني والنفوي . واجتماع الإخوان والأصحاب ما يجيئك منهم إلا واحد من عشرة ، لأنه لا بد في كل واحد خصلة مليحة ، يريد الله أن ينفع الناس بعضهم من بعض .

وقال رضي الله عنه : قاعدة : الرجل الصالح إذا كان له وجه وقفوا ، جاء الصالحون من وجهه ، وجاء للمتفتنون من قفاه ، مثاله إذا كان الرجل الصالح يحب الشر^(٢) ويميل للذمومين من الناس ، فعَل ذلك الأنذالُ ، وقالوا : إنهم اقتدوا به ، وإن بقي على الحالة المعروفة التي عليها الصالحون اقتدوا به .

وقال رضي الله عنه : إذا رأيت أحداً من الصالحين يتعاطى أموراً منكراً [أي في ظاهر الشرع] ، فذاك ينبغي أن يُحتَنَب ، ويُعتقد [أي يُحسن به الظن] ،

(١) أي والخير الآخر هو أن تركّبه معك . اعصام.

(٢) أي الشهو والشلل . اعصام.

ولا يفعل كفعله ، إلا من غلبت عليه الحقيقة كما غلبت عليه^(١) .

وقال رضي الله عنه : من سوء أحوال الزمان وأهله ، أن يقتدي الإنسان بالآخر في مثالبه وأحواله للذمومة ، ويترك أن يقتدي به في محاسنه وآدابه ، وفي هذا بليتان إحداهما أنه تضرر باقتدائه ، والآخرى أنه نبهه على أمر كان غافلا عنه ، أو غير غافل ولكن السكوت عنه أجمل ، فلا تقتد إلا بالأحسن ، ولا تنقل إلا الأحسن ، وهذا الاقتداء على هذا الوجه غالب على أهل هذا الزمان ، فترى أحدهم لا يحسن صلاته أو قراءته ، أو يربي ، فإذا قيل له في ذلك ، قال وري^(٢) فلان ، أو يؤخر الصلاة عن وقتها ، ويقول العالم الغلابي كذا يفعل ، فمثل هذا إنما تضرر ولم ينتفع باقتدائه .

وقال رضي الله عنه : حسن الظن بالمسلمين عموما ، هو الأمر الواجب ، إلا من رأته على باطل صريح ، فيكون ذلك سوء ظن ، لأنه قاذح في الشريعة . وأنت سائر أهل زمانك ما لم يغلبك الجواز ، فإذا لم تجز المسايمة فلا تسامر ، قال سيدنا الشيخ أبو بكر [بن عبدالله العبدروس] :

لا تغالب زمانك يغلبك كن مسامر يسامرك الزمان

وقال رضي الله عنه لبعض الفقهاء^(٣) : لو تلوت القرآن حتى تلاوته ، لزهدت في الدنيا بين يديك ، والإنسان في حالة التقصير ، ويرى أنه على الحال الأكمل ، ويعذر نفسه ويستدل لها بأشياء باطلة ، والإنسان لا يعذر نفسه ، إنما يعذره غيره ، لأنه لا يطلع على عيب نفسه ، وإنما يطلع على عيب غيره ، ألا ترى كيف يستغفر غفامة غيره ، ويتحاشى أن تصيب ثوبه ، ولا يستقدر ذلك من نفسه ، فكذلك

(١) في (ج) : أي يفعل مثله .

(٢) ورا : هنا في كلام أهل حضرموت ، بمعنى : لماذا أو كيف .

(٣) انظر وتلزم هذه المقالة بالعلماء .

العيوب لا يعلمها من نفسه ، وإنما يعلم عيوبه غيره ، فينبغي أن يجتنب كل ما رآه من عيب في غيره ، وهو معنى حديث : ((للمؤمن مرآة أخيه)) في تأويل بعضهم .

وقال رضي الله عنه : تحذ ما بلغك عن رسول الله ﷺ عن نفسه^(١) أو عن غيره^(٢) ، ولا تتركه لشيء ، ومن نقل شيئا فحذ به عنه ، فهو بأمانته ، وكل مطالب بما قال ، والأمر واسع .

وذكر له رضي الله عنه بعض الأموات ، فقال : أرحم ما يكون الرب بعبد إذا وقع أو قال وضع في قبره ، وإذا رأيت عمل الرجل أيام حياته ، إن كان قائما بفروضه ، وبارا بأرحامه قوي جانب الرجاء له ، وإن كان بالعكس قوي جانب الخوف عليه ، وقد كانوا^(٣) إذا خرجوا مع جنازة لا يعرف المصاب منهم ، لكونهم كلهم سيكون ، وهؤلاء أيضا لا يعرف للمصاب منهم ، لكونهم كلهم يضحكون ويلهون ، فكم فرق بين من مضى ومن بقي ، فالأمر اليوم كالطعم تحت العقبة ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : من أراد من الدنيا حاجته ، وما لا يد له منها ، لا يقطعها ذلك عن أمور دينه ، بل أمور الدين تيسره وتزيده ، فمن جعل الدنيا حذاء منعت النجاسة والشوك والأذى ، ونفعت وهو عزيز ، فإن جعلها على رأسه قدرته ووضعت من قدره وهو ذليل ، بل لو جلس وهي في رجله ينبغي له أن يترعها ، فكيف إن جعلها على رأسه ، وقد قال بعضهم : ماذا تريد بأمومتها يتم ، وفالذئبا غرم .

وقال رضي الله عنه لبعض السادة يوصيه في أهله : احذروا من العلاق^(٤) ، فإن

(١) أي فعله .

(٢) أي أمر به .

(٣) أي أهل الزمان الأول .

(٤) العلاق في كلام أهل حضرموت : المشاهرة .

الشحنة كما يقال إذا ما لحقت شيئاً كسّرت القبال^(١) ، وقال لآخر : نوصيك بلا إله إلا الله كل وقت ، خصوصاً عند الهموم والشواغل ، وضيق المعيشة ، فإنما توسع الرزق ، ومن طبعها الرطوبة ، حتى قد يحصل منها النوم ، وقال لرجل من المتعلقين بعلم الظاهر : إحيي في قلبك ، ولا تمت في نفسك ، فإن القلب له صفات كالزهد والتواضع ، والنفس لها صفات كالرغبة^(٢) والرياء ، وحب الجاه ، فإذا اتصف القلب بصفات النفس ، اندرج فيها^(٣) ، وإذا اتصفت النفس بصفات القلب ، اندرجت فيه^(٤) ، فاترك عنك الوسوس ، فإنه في الظاهر مذموم ، فكيف به في الباطن ، ألا ترى من يوسوس في صلاته ، نويت نويت ، ماذا حصل من ذلك ، فوسوس الباطن أشد ، والمتعلق بالفقه [أي فقط] لا يفتح عليه ، فطالع في الأربعين الأصل ، وخذ بما في كتب الإمام الغزالي ، ولا تطلب التدقيق ، فإن هذه الأشياء في هذا الزمان إلى الطي أقرب ، وقد صارت العامة^(٥) فيه خاصة وانقلبت فيه أمور لو سمعتها قبل أن تراها ما صدقت بها ، فلو قيل: إن فلاناً يقطر الناس في شهر رمضان ، ويكلفهم ترك الجمعة والجماعة ، ما صدقت ، وهو وفلان^(٦) قد سكر بخمر الظلم ، فما يفيقان إلا في القبر ، وفي مثلهما قال الله تعالى : { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا }^(٧) الآية.

(١) القبال : بكسر القاف المتعجمة ، جمع قُبْلَ بعَم القاف ، وهو : فرع الشجرة المستطيل يوضع على سفلى السزل متراصاً فيكون سفلى السزل .

(٢) أي : في الدنيا بـهـمـام.

(٣) أي القلب في النفس وصار تاهماً ومتصفاً بصفات الذمومة بـهـمـام.

(٤) أي النفس .

(٥) أي الطريق العامة بـهـمـام.

(٦) كلامهما وآتيان .

(٧) سورة الإسراء ، الآية رقم : ١٦ .

وقال رضي الله عنه لذلك الرجل للتعليق بالعلم الظاهر ، عند الإلباس وقد ألبس جماعة وهو حاضر : إنما يكون الإلباس والتلقين ، لواحد مرة واحدة ، ولكن إذا حصل كذلك ، وهناك أحد ممن قد لبس وتلقن ، أو ممن ليس من أهله كعامي ويدوي ، كما فعلنا في هود ، فإننا إذا ألبسنا أحدا دخل مع من حضر تبعاً لا مقصوداً ، ومن هذا الجانب قد يتكرر ، وإلا فلا تكرر ، لأن المقصود بذلك واحد وغيره تبع له ، لأن هذه الأشياء عزيزة عند أهلها ، فإن بذلها فيه ابتذالها ، ولا يجوز لأحد من المشايخ أن يبتذلها ، ولو فعل منع لأنها عزيزة ، ألا ترى أن المسك لو كثر هان ، ولو أكرثت من شمه هانت رائحته عندك ، فكيف بالأمور الإلهية ، وقد ذكر الإمام الغزالي أنه لا عزيز على الحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى ، وصفاته ، وأن شروط العزة ثلاثة : أن يكون عزيز الوحد ، وأن تكون الحاجة إليه داعية ، وأن يعسر الوصول إليه ، وما زال صاحب التلقين والإلباس حياً فيتلقن منه ، ويلبس ، ومن واسطة بإذنه ، ويأخذ الناس لهم ولمن أحبوا حتى أولادهم وأهلهم ، ألا ترى لو وصل مركب إلى البندير ، كيف ترى كلا يأخذ منه ، وأهل الطريق عليها ، إلا ما بين كونه بجنبك وتراه أولاً تراه ، أو بعيداً منك ، وإذا سقطت في الطريق لا بد ما يحملك المارون ، وهذا معنى لا يهلك مع الله إلا هالك ، وهو ملزم له بذلك ، وإن رمى نفسه في غير الطريق ، فلا يعلم به أحد وهو الهالك ، أو كما قال ، كل ذلك قاله بعد ظهر يوم الثلاثاء رابع عشر ربيع أول ، سنة ١١٢٦هـ .

وقال رضي الله عنه ما معناه : فرح الناس ، وبشرهم عن سعة رحمة الله ، فإنهم يغتفون من بحر لا يخشى منه الانقطاع ، وإن عصوه فإنه لا يعجل عليهم ، بل

يُنتَعَمُ بِهَا إِلَى مَدَّةِ آجَالِهِمْ وَيَجَازِيهِمْ فِي الْآخِرَةِ ، وَإِنَّمَا إِلَى أَنْ تُقِيلَ عَلَيْهِمْ ^(١) قُلُوبُهُمْ .
 وَقَالَ لَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلٌ : أُرِيدُ أَنْ أَبْشُرَ بِالرَّحْمَةِ مِنْ قَوْلِكُمْ ، فَإِنَّ النَّاسَ فِي
 ضَيْقٍ ، فَقَالَ لَهُ : إِنْ رَبُّكَ قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالرَّحْمَةِ ، فَقَالَ تَعَالَى : {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ
 ذُو الرَّحْمَةِ} ^(٢) ، فَبَشِّرْ بِالْوَصْفِ ، وَلَا تَبْشُرْ بِالْقَوْلِ ، فَقُلْ لَهُمْ يَسْتَرْحِمُوهُ بِرَحْمَتِهِمْ ،
 يَسْتَرْحِمُونَهُ بِأَفْعَالِهِمْ ^(٣) وَأَقْوَالِهِمْ ^(٤) لِيَرْحَمَهُمْ .

وَذَكَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَأَخُّرَ الرَّحْمَةِ ^(٥) فِي الْبَلَدِ مَعَ حَصُولِهَا لغيرِهَا ، فَقَالَ تَعَالَى
 بِهِ : عَسَى إِنْهَا تَتَأَخَّرُ لِلْوَقْتِ ، لَا لِغَضَبٍ ، فَمَا خَوْفُنَا إِلَّا مِنْ ذَلِكَ ، وَلَوْ أَرَادَ أَنْ
 يَعْذِبَهُمْ بِذَنْبٍ وَاحِدٍ ^(٦) ، لَكِنْ رَحْمَتُهُ أَوْسَعُ ، وَهُوَ يَمْلِكُهُمْ لِأَنَّهُ وَاثِقٌ بِأَعْدِهِمْ ، لَا
 يَفُوتُونَهُ ، فَمَنْ أَرَادَ لَهُ مِنْهُمْ خَيْرًا وَفَقَهُ لَتَوْبَةٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ ، وَمَنْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ
 فَلَيْسَ يَفُوتُونَهُ ، وَعَسَى أَنْ تَحْصُلَ تَوْبَةٌ وَعَمَلٌ صَالِحٌ ، فَيَكُونُ مِثْلَ قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ
 السَّلَامُ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَنْ يَسْقِيَهُمْ مِنْ مَنَعِهِمْ بِسَبَبِهِ ، إِذْ كَانَ مُضْطَرِّئًا عَلَى مَعْصِيَةِ
 فِتْنَابِ بَيْنِهِ وَبَيْنَ رَبِّهِ ، وَذَلِكَ نَبِيٌّ يَعْمَلُ بِالْوَحْيِ ، وَبَنُو إِسْرَائِيلَ فِيهِمْ أَيْضًا تَخْلِيضٌ ،
 وَلَكِنْ هَذِهِ الْأُمَّةُ لَمَّا كَانَتْ آخِرَ الْأُمَمِ ، وَقَرِيبَةً مِنَ السَّاعَةِ ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَعَلُّقُهُمْ
 بِالْآخِرَةِ أَكْثَرَ ، فَإِنَّمَا آخِرُ الْأُمَمِ ، وَتِلْكَ أُمَّةٌ جَاءَتْ مِنْ بَعْدِهَا أُمَّمٌ .

وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : هَذِهِ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ وَاقِعَةٌ : مَنْ تَعَدَّى حُدُودَهُ ، رَجَعَ إِلَى
 ضِدِّهِ ، وَقَالَ : اسْلُكْ وَلَا تَتَعَمَّقْ ، فَمَنْ سَلَكَ مَلِكًا ، وَمَنْ تَقَصَّرَ هَلَكَ .
 وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنْ اللَّهُ خَلَقَ الدُّنْيَا وَجَعَلَ فِيهَا كَثِيرًا مِنَ الشَّهَوَاتِ ،

(١) فِي (خ) : عَلَيْهِ .

(٢) سُورَةُ الْكَهْفِ ، آيَةُ : ٥٨ .

(٣) أَيُّ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ .

(٤) أَيُّ بِالذِّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ .

(٥) الرَّحْمَةُ هُنَا كِتَابَةٌ عَنِ الْمَطَرِ .

(٦) أَيُّ لَمْ يَسْتَحِقُوا ذَلِكَ .

ليأكل للمؤمن قدر ضرورته فقط، ويعبده في مقابلة ذلك ، ويترك شهواته لدار إقامته في الآخرة ، ولا يتعجلها هنا .

وقال رضي الله عنه : يوم الخميس ثالث عشرين من ربيع أول بعدما انجر كلامه في ذكر الجنة ، ثم قال : لا ينبغي أن تقاس أمور الآخرة على أمور الدنيا ، فلو قال قائل : كيف تكون نخلة من لؤلؤ ، ثمرة ثمرا يؤكل؟ ، فيقال له : ألا ترى أن نخلة الدنيا خشبة ، تأتي بثمر يؤكل ، فذلك أخرى بالثمر من هذه ، والذي أخرج الثمر من هذه يخرجها من تلك ، ولكن الإنسان يصدق ولا عليه ، ولا يخل على نفسه بالتصديق ، ويتدبى أولاً بترك المحرمات ، ثم فعل الواجبات ، ثم ما استطاع من النوافل، والطريق في هذا الزمان فعل الواجبات ، واجتناب المحرمات ، واجتناب ما يقدر على تركه من الشهوات، وإنما قصرت أعمار أمة محمد ﷺ ، وفل ما يتمتعون به من الدنيا مأكلاً وملبساً ونحو ذلك بالنسبة إلى الأمم السالفة ليستوفوا نصيبهم في الآخرة كاملاً .

انظر ما قال في فضل هذه الأمة

وسأل النبي ﷺ من ربه لأتمه لقصر أعمارهم ، فأعطاه ليلة القدر، وسمع واحد من عباد بعض الأمم بقصر أعمار أمة محمد ، فقال : لو أدركتهم لقطعمت عمر الواحد منهم في سجدة ، فأعطني نبينا ﷺ كرامة له ولأتمه ليلة القدر ، ويقال: من عمل فيها اثنتي عشرة سنة فاق عمله عمل ألف سنة ، لأن كل ليلة واحدة خير من ألف شهر^(١).

(١) عبارة عن ٨٥ سنة بعمر شهرين . فيبقى عمله قدر اثني عشرة سنة على قدر الألف السنة ثمان عشرة سنة فاحسب المعام.

وقال رضي الله عنه : قاعدة : إذا كنت مسموعاً عند الناس في أمر دنياهم ، فكن عندهم أيضاً مسموعاً في أمر دينهم ، فإن سمعوا لك في الكل ، وإلا ففي البعض ، وإن سمعوا كلهم أو بعضهم ، ولو واحداً أو في وقت دون وقت وهكذا وإلا كنت أحق بالعذاب الوارد في قوله تعالى : { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا }^(١) الآية ، فيحل بك قبلهم . ومن يخالط أهل الدولة ، فيبغي أن يفعل ذلك معهم كفارة لما صدر منه من مخالطتهم ، ولو معنا نحن ما نتطهر به ونظهر به مجالسنا منهم فعلاً^(٢) ، ولا ينبغي أن يُحرَّكوا ، فإنهم كعقارب وحيات ساكنة ، فيزيد في سكونهم ولا يحرَّكهم ، وقد قيل : إن بعض الجبابرة قحطت أرضه جداً ، فقال لنسي زمانه : قل لربك : يغثنا ، وتخصب أرضنا ، وإلا آذيت ، فقال له ذلك النسي : ألك قدرة على إيذائه وهو مالك السماوات والأرض ؟ ، فقال : نعم ، أقتل أوليائه ، فأرسل الله عليهم الغيث وخصبت تلك الأرض .

وذكر رضي الله عنه ليلة أهل بلد تجاوزوا الحد ، فسلط الله عليهم من آذاهم وتكلم فيهم بكلام كثير إلى أن قال : يعكى عن امرأة منهم ، أنها حملت ابناً لها صغيراً ، وفي يده حجارة ، فقال لأمه : أتجيبين وإلا ضربتك بهذه الحجارة ، فلم تجب فضر بها بالحجارة في وجهها ، وقال الشاعر :

عاقبة الظلم مهلكة وإن تراخت مدة الأمد
كم لقمة دخلت حشاً شره فأخرجت روحه من الجسد

وقال رضي الله عنه : ما معك في هذا الزمان إلا التعريف باللطف ، بأن تحكي له وتقول : إن هذا واجب عليك ، تثاب عليه في الآخرة ، أو هذا حرام عليك ، تأثم

(١) سورة الإسراء ، الآية رقم : ١٦ .

(٢) أي لكن لا يخفى لهم عنه تقع الله به لاحتياجهم لإرشاده فهم العاصم .

عليه ، ومثل هذا سرا ، وإلا رجع عليك هو وغيره ، كما لو رأيت مدا فيه نقص ، وأنكرت عليهم ، وأردت منهم أن يجعلوه وافيا على المعتاد ، ونحو ذلك فينبى له الأمر الرائق ، في الوقت اللائق ، ويختلف هذا بطبقات الناس .

وقال رضي الله عنه : من تحركه الرغبات الدنيوية ، لم يكن للرغبات الأخروية أهلا ، كمن يسمع أن من واطب على صلاة الضحى تيسر رزقه ففعل لذلك ، فلا يقل : أرجو بذلك الجنة ، إلا إن كان للتترك بذكرها ، كما روي أن ابن المبارك خرج يوما على أصحابه ، فقال لهم : إني استجريت البارحة على ربي ، فسألت الجنة^(١) .

وذكر سيدنا رضي الله عنه جملة أناس من العلماء العاملين المخلصين ، ثم أثنى عليهم كثيرا بشاء حسن ، فقال : نعم مثل هؤلاء من المذكورين ، لا مثل هؤلاء قشاش للعاش ، ولا عاد تفتش ، فكان إذا فتشت لحقت جواهر ، واليوم إذا فتشت لحقت بعرا .

وقال رضي الله عنه : لا ينبغي أن يتخذ الإنسان شيئا يعسر عليه فقده لئلا يشتغل إذا فقده ، ولهذا قطع الصالحون جميع التعلقات ، خوفا من التعب عند زوالها ، وهذا يريد رياضة شديدة ، ولكن مع من لا يبالي بالشيء ولا يتلذذ به ، فما بقي إلا أن يتلذذ به ، ويصير عند فراقه .

وقال رضي الله عنه : ينبغي لأهل الزمان أن يجتهدوا أن يكونوا من أصحاب اليمين ، بأن تغلب حسناقم على سيئاقم ، فيكونوا إلى داعل ، لا إلى خارج ، ويسلموا من الكبائر ، ويعتقلوا في أنفسهم أنهم لم يقوموا بشيء ، فمن أحكم ذلك ،

(١) وهذا منه رحمه الله اعتراف بعدم رؤية نفسه أهلا لدخول الجنة مع كماله . فكيف بغیره من أمثاله . اعلم .

صار من المقربين ، وأهل الزمان يطلبون أن يكونوا صالحين مع جمع الدنيا ولا يصح من هذا شيء .

وقال رضي الله عنه : الأمور الغيبية الاعتقادية ، كسؤال الملكين ، حفظ القلب منه التصديق والتسليم ، ولا يُطْلَع عليه إلا بواسطة النبوة فقط ، ولا يُسأل عن كيفية ذلك ، وكيف تكون صفته ، فلا بلغنا عن أحد من الصحابة ، أنه سأل النبي ﷺ .

وقال رضي الله عنه : سمعنا فيما بلغنا أن أهل القبور يسمعون صوت الرعد ، ويخافون منه جداً يخشون أنه من مقدمات الساعة ، فإذا كان هذا صوت رحمته فكيف بصوت عذابه ، قال : ولما سمعته ذكرت أحوال منكر ونكير عند سؤالهم .

وقال رضي الله عنه : أمور الآخرة إنما هي على قدر المتكلم بها . قال الله تعالى : { وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً }^(١) ، أي إنها عند الله تكون قريباً وإن بعدت . وقال نفع الله به : الله يستوفي مظالم العباد في الدنيا ، ثم يردف لهم أيضاً في الآخرة^(٢) ، إذا ورد عليه بثوبة .

وقال رضي الله عنه : في حديث^(٣) : ((ائْتِلُوا^(٤) العفو عن عشرات ذوي المروآت)) ، وفي رواية^(٥) : أئْتِلُوا ذوي العشرات : أي إذا كان إنما يعثر نادراً ، وأما إذا كثرت منه العثرات ، فليس من ذوي المروآت ، فلا يقال كل حين .

(١) سورة الأحزاب ، الآية رقم : ٦٣ .

(٢) أي من الثواب . اهـ .

(٣) لأورده صاحب كبر العمال : ١٢٩٧٨ و ١٣٤١٩ .

(٤) أي اغتصموا به . اهـ .

(٥) أخرجه أبو داود : ٤٣٧٥ ، وأحمد بن حنبل في المسند : ١٨١ ، والبيهقي : ٢٦٧ ، والدارقطني : ٢٠٧ ، وابن حبان : ١٥٢٠ .

وقال رضي الله عنه : نحن ما ينكر علينا إلا مكابر ، فإن كان في أمر باطن^(١) فما عاد هذا من الدين ، فإن كان في أمر يريد أن ينكر فيه الحق ، حاجتنا بحجة الله ، فيحكى لنا بما عنده .

وقال رضي الله عنه : إني لم يقسم لي من المراء والجدال حظ أبدا ، لأنني ما أحبه وأكرهه بطبعي ، فلو أردته سلبته فنسيته في الحال .

وقال أيضا نفع الله به : نحن بحمد الله قد نزع الله من قلوبنا المحبة لأموال الدنيا بالكلية ، وما هو إلا إن كان أحد رمى عليك شيئا ، وأردت جبره ، ولكن إذا بدت لشيء حاجة تنكر إنك تريده ، وتفعل في أمورها^(٢) كما يفعل الناس ، كما قيل : كما هم^(٣) .

وقال رضي الله عنه : نحن الملوك والباقون لنا تبع ، فإن تركنا على ما نحن عليه ، بقينا خاملين ومستترين على ما مضى عليه أسلافنا ، فإن ألبأونا إلى شيء أعطيناهم ما يعجزهم ويسكتهم ، فإن لم يصدقوا فليجربوا .

وقال رضي الله عنه : نحن جميع الناس يحبونا ، ولا يبغضنا إلا منافق ، لأننا نحبهم ، ونحب لهم الخير ، ولا نضايقهم في طلب جاه أو دنيا أو شيء من الأشياء ، بل نترك لهم جميع ذلك .

وقال رضي الله عنه : إن أهل الزمان لا يحتملون شيئا^(٤) لكننا نجعله لهم في الطعام ، ولو علموا ما في طعامنا لسارعوا إليه ، ولازدهوا عليه .

وذكر رضي الله عنه شيئا من أمور الدنيا ، وأحوال الناس فيها ، ثم قال : إن

(١) أي عفي . اعسام .

(٢) أي الحاجة . اعسام .

(٣) أي مثلهم .

(٤) أي من الأسرار الإلهية واللد . اعسام .

الصحابه ما اغتروا بالدنيا ، ولا افتتنوا بها ، وأنا فيما أراه من نفسي ، لو أن رجلا جاءني بمحمول من ذهب ، وقال: خذها لك افعل فيها ما أردت ، لا أجدني أفرح بها ، ولكن لما حصل الكبير والأهل ، نأخذ ما تدعو إليه الحاجة ، وقد قال أنس بن مالك : لولا أولادي ما داريت الحجاج ، لأنه ظالم فخاف عليهم .

وقال رضي الله عنه : نحن مع الناس في فائدة عظيمة بحمد الله بسبب سلامة صدورنا منهم ، لأننا لا نعلم أحوالهم ، ولا نصدق أهل الزمان فيما ينقل بعضهم عن بعض ، ولو تحققنا ما هم عليه من اللذوم ، أبغضناهم لأجله ، وما معك يكفيك ، فكيف بالإطلاع على ما عندهم .

وقال رضي الله عنه ما معناه : إذا فعل الإنسان ذنبا ، أو ما يعتذر منه بينه وبين الله ، فكلما أكثر الاعتذار من الله ، كان أحسن ، وإن فعل ما يعتذر منه بينه وبين الناس ، فلا ينبغي تكرير الاعتذار ، بل مرة واحدة ، إذا لم تؤد إلى زيادته .

وذكر له رضي الله عنه رجل شرس الطبع دعاه رجل يحبه فامتنع ، فقال رضي الله عنه : محاسن الأخلاق تحسن بها الأشياء وإن كانت قبيحة ، ومساوئ الأخلاق تقبح بها الأشياء وإن كانت حسنة ، ومن أردته يسجك لتجره ، وتؤنس فاعتذر ، فاعرف أن له عذرا ، ومن العجيب أن حسن الخلق يأكل حق الناس وهم يحبونه ، وسئ الخلق يأكلون حقه ويكرهونه ، وسئ الخلق هو الذي لا تزال تعطيه وترضيه . وترقاها^(١) فلم تبلغ رضاه ولم يزل خاطره متكدرا عليك ، وجميع ما قبل في حسن الخلق يرجع إلى سعة الصدر والاحتمال ، قيل وبذل السدا ، وهو كل ما ينفع ، وكف الأذى وهو كل ما يتضرر به ، وفي "الإحياء" : من صدر عنه هذا

(١) وترقاها في كلام أهل حضرموت بمعنى : تستعمله ، وأصلها في الفصحى : ترحاه بالميم فأبدلت الميم لاقاء .

بسهولة لا تَكْلُفُ فيها ، فهو حَسَنُ الخلق ، فإن تكلف فيها فليس بحسن الخلق ، فإن صدر عنه ضدها فهو سيئ الخلق .

وقال رضي الله عنه : الأخلاق الأصلية ما فيها تفر ، لكن يؤكدها العمل بمقتضاها ويُضعفها العمل بخلافها ، وإذا عُرِفَ الإنسان بطبع يعطونه الناس على مقتضى طبعه ، أو قال : على قدر طبعه ، وما هي إلا ساعة .

ودخل عليه رضي الله عنه بعض السادة ، وكان قد خرج من مرض طال به ، فقال سيدنا له : الحق إلّا لكم علينا من الزيادة لعيادة المريض ، ولكن الناس تغيرت أحوالهم ، وكل أحد ادّعى بنفسه وأعجب برأيه ، إذا جئنا عند أحد لأمر مقصود طالبونا بأمور غير مقصودة ، فقال ذلك السيد : لأن النفوس كبرت ، فقال سيدنا : نعم ، ولهذا صغرت قلوبهم ، فلو كبرت القلوب وصغرت النفوس لكان أحسن .

وقال رضي الله عنه : كلما غلبت النفوس ضعفت القلوب والأرواح ، وبالعكس ، وإن فُعل خلاف ذلك فبالتكلف .

وذكر رضي الله عنه يوماً : مَنْ هو حَسَنُ الخلق ، وَمَنْ هو سيئه ، وقد جاء ذكر حسن الخلق في حديث ، فقال نفع الله به : لأن سيئ الخلق المُعَبِّسُ بوجهه يسئ إلى الناس وهو لا يحسب أنه يسئ إليهم ، وحَسَنُ الخلق يحسن إلى الناس وهو لا يظن أنه يحسن إليهم .

وقال رضي الله عنه : جاء في وصف المؤمنين ، أنه هين لـ^(١) ، أي حسن الأخلاق في غير معصية .

وقال رضي الله عنه لي يوماً : حَسَنُ أخلاقك ، وعليك بسعة الأخلاق ، فبني

(١) حديث : « المؤمن هين لين » ، أورده في كثر العمال : ٦٩٠ .

سعة الأخلاق وفر^(١) الخلاق .

ولما أشغله رضي الله عنه الزوار بكثرة المصافحة ، أردت أن أؤخرهم عنه ، فقال نفع الله به : إن هذا منهم حسن ظن ، ومنا حسن خلق ، وكل منا مأمور بذلك ، إلا أن الإنسان لا يبقى على حد الوسط ، بل يجاوزه إلى حد الإفراط أو التفريط لأن في طبيعة ابن آدم الميل عن حد الوسط . وقال بعض الفقهاء : سبق مني شيء من القول ، توهمت أنه وجد علي بسبب ذلك ، لأنه قال عند ذلك عاد هنا من هو أولى منك بذلك ، قال فقلت له : يا سيدنا إنه جاء عن أحد من الصحابة ، إنه ربما قال للنبي ﷺ شيئاً فغضب عليه السلام حتى عرف ذلك في وجهه ، حتى قال ذلك القائل : ليتني ما قلت له ذلك ، فهل يضر الصحابة أمثال هذه الأشياء ، فقال رضي الله عنه : أما الذين قالوا له عليه السلام تعنتا ، كان عاقبتهم أن صاروا منافقين ، وأما من قال مثل هذا من الأعراب ، فإنه لم يضرهم ، لأن معهم سلامة وقرب عهد بالإسلام ، وأما من حصل منه مثل ذلك من أكابر الصحابة ، فإن أولئك قوم قد امتلأت قلوبهم إيماناً ، فلا يضرهم ذلك شيئاً^(٢) . وأنت ميز بين طبقات الناس ، واختلاف الأحوال ، والجاهل والخطاب ، وبين من امتلأ قلبه من الإيمان ، والإنسان ينبغي أن يقف عند حده فلا يتعداه ، قال ذلك الرجل : فقلت وإن لم يعرف الإنسان حده ، فقال: فربما مع الإنسان أولاده وأهله وأقرب الناس إليه ، فلا يتعدى عليهم من هو دولهم^(٣) ، وقال سيدنا لذلك الرجل : عليك بالأخلاق^(٤) ، فإن

(١) في (ج) : رضي .

(٢) أي لأنهم لم يقولوه تعنتاً بل على حسب ما ظهر لهم لو عن غلبة حال كثرة سيدنا عمر رضي الله عنه يوم الحديبية .

(٣) أي في الدولة والقرب منه ، فكل أحد من هؤلاء لم عنده دولة فوق الآخر بحسب القرب ، وعلى هذا ففسر .

(٤) أي الحسنة .

الأخلاق خير [أي نعمة] من الأخلاق ، ومن حسن خلقه يأكل حق الناس ومع ذلك يمدحونه ، ومن ساء خلقه يأكلون حقه ومع ذلك يذمونه فانظر الفرق بينهما .
وصافحه رضي الله عنه رجل بشدة حركة ، فقال نفع الله به : اتركوا هذه الشراحة ، ولو نقدر لفعلنا لكم كما تفعلون مرتين^(١)، ودعونا نتمتع بكم ، وتتمتعون بنا ، والله أعلم بالصادق من الكاذب .

وقد قال الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس نفع الله به ، شمس^(٢) اليد عندي كقطعها . ولولا الرغبة في طلب الجماعات والجمعات وشريف الأوقات لما خرجنا إليكم ، وخذلوا العلم من الكتاب والسنة .

وقال رضي الله عنه : بشرنا جملة من الصالحين سمى بعضهم ، وكلهم يوصوننا بالصبر ، فقلنا : إن هذه قصة عثمان رضي الله عنه ، لما بشره عليه الصلاة والسلام بالجنة على بلوى تصيبه ، لكن الحمد لله من الله علينا بالصبر ، وجعل مؤنتنا على غيرنا ، فلما فعل بنا ذلك ، حصل لنا سعة الصدر والقوة كالجمال الذي يجعل عليه الحمل الثقيل ، ولا يعأ به .

وقال رضي الله عنه لرجل أعمى مسن يصيره : لا يكره الإنسان ما يؤجره الله عليه من البلاء، فإنه سبحانه لا يبلي إلا ليؤجر، ولو لم يكن في ذلك إلا تكفير السيئات .

وذكر له رضي الله عنه رجل إنه يتعمي إليه ، ويعظمه الناس لأجله ، سيما في الحرمين ، فقال نفع الله به : إنه ليس إلينا ، ولا نحن إليه ، فقد جاء من الهند ولم يمر علينا ، واكتفى بالمصافحة بعد الجمعة ، وما هذا من الوفاء ، وقد كان هذا الكلام في

(١) أي من قبض اليد بقوة لا من الشراحة . اهـ .

(٢) أي الثقيل . اهـ . من هامش (خ) .

الخاطر منذ مدة أربع سنين ، ولم نذكره إلا الآن لما ذكرته ، وما يظهره للناس من دعوى الاتصال بنا ، نريد نعلمكم معاملته لنا ، ونحن مثل أهل الزمان تتكدر مما يتكدرون به ، ونحس ما يحقون ، وإنما غلبناهم بالصبر ، حتى يظنوا أننا لم نعلم بها ، ولم نخطر في بالنا ، ونحن عالمون بها ، ولكننا صابرون عليها .

ومما عجبت من صبره رضي الله عنه وحسن خلقه ، بالنسبة إلى طبعنا أهل الزمان ، إن موضعاً من بيته في البلاد ، كان خادماً^(١) له موضعاً فيه ، ويجلس ويرقد فيه من النهار ، فما دخله سيدنا منذ كان فيه ذلك الخادم ، حتى مات ، فدخله نفع الله به يوماً وجلسنا معه ، ومعه السيد أحمد بن زين الحبشي ، فقال له سيدنا : علمنا بدخول هذا المخل من ولادة ولدنا علوي ، وعلوي حيث أبو أولاد ، قال : وكنا نقابل في هذا الموضع في الإحياء كل ليلة ، ومنذ نزل فيه فلان ما دخلناه ، واستعار منه رضي الله عنه بعض الناس الجزء الأول من كتاب "مجمع الأحباب"^(٢) ، وكان ضيقنا به ، قل ما يعيره ، فلما أبطأ به ، سأله عنه مراراً ثم أمر أن يوتي به من عنده ، فأتي به ، فجعل يقلبه بيده ، وأنا متعجب من شدة اعتناؤه به ، فقال لي مكاشفة منه : أتخسب أنه لو تغير أنا نعاتب عليه؟ ، لا ، ولكن هذا منا حزم والحزم^(٣) سوء الظن ، نفعنا الله به ورزقنا التخلق بأخلاقه ، وهذا الكتاب "مجمع الأحباب" رآه رضي الله عنه في بلد تعز من اليمن ، سنة حج ، وكان ثلاثة أجزاء بخط واحد ، فلما رآه استحسنته ورغب فيه لكونه يستوفي التراجم كما ينبغي ، فتعلق خاطره به نفع الله به ، فقال : إن شاء الله إذا رجعنا من الحج نشتره ، فلما رجع

(١) هو عوض بن صباح الهسام.

(٢) كتاب مجمع الأحباب ذكره صاحب كشف القظون ١ : ٦٨٩ ، وذكر أنه مختصر حلية الأولياء لأبي نعيم ، وهو تأليف محمد بن الحسن الحسيني الهب . ومنه نسخ خطية بمكتبة جامع ترم .

(٣) «الحزم سوء الظن» حديث أورده في كشف الحقائق والإبلان رقم ١١٢٩ .

وجد أنه قد بيع منه جزء ، وبقي اثنان ، فاشترهما وبقي الآخر في نفسه ، فقدر الله أن رآه بعض المسافرين من السادة إلى صنعاء فرغب أن يشتريه ويهديه لسيدنا ، ففعل فلما وصله رآه ثالث الثلاثة ، فحمد الله على ذلك .

ويشبه قصة هذا الكتاب قصة مسبحة أرسلها له بعض المحبين ، من آشي^(١) عدتها ألف حبة من عود الصندل^(٢) الأبيض ، ونجارتها فوقها في كيسها مع أناس حجاج فطبعوا^(٣) في البحر ، وسار بها للماء ، ثم في السنة التي بعدها جاء من تلك الجهة أناس حجاج ، فرأوا المسبحة طافية على الماء في البحر وقد اختل منها خمسمائة وبقي خمسمائة ، فأخذوها وأرسلوها لسيدنا ، ولم يعلموا أنها مرسله إليه ، إنما هو اتفاق ، ونجارتها أيضا معها ، وقال رضي الله عنه لا تكلم من مكث عنك ، ولا توقف من غفل منك ، فرمما ذلك يحركه بإيذائك ، كما يحكي إن رجلا مر على جماعة من اللصوص ، ناموا حتى طلعت عليهم الشمس وتبدد على وجوههم التراب ، فرحهم وقال : مساكين راح بهم النوم ، فمسح التراب عن وجوههم ، وأيقظهم فعدوا عليه وأخذوا ثيابه . ثم أنشد حينئذ نفع الله به هذا البيت :

أيا موقدا نارا لغيرك ضوءها ويا حاطبا في غير حبلك تحطـبـ

وقال رضي الله عنه : إن الله يستوفي للصابرين على من ظلمهم ، وإن صفحوا وعفوا عنهم في الظاهر ، لأن حقوق العباد شديدة ، وحقوق الله أسهل منها ، ولكن لا يعرف حق الله من حقوق الناس إلا عالم كبير .

وقال رضي الله عنه : صاحب الحقيقة مستغرق فيها ، وجميع عمله ومشهوده

(١) بلد في جلوه .

(٢) أي القيصري اعصام .

(٣) في (ع) : فطبعوا .

فيها ، وأكمل منه الجامع يضع الحقيقة موضعها باعتبار ، ويضع الشريعة موضعها باعتبار آخر.

وقال رضي الله عنه : ومن طبيعة الإنسان الاستعلاء ، وطلب ما هو فوق قدره والتعدي لحدّه ، فلو زاد أدنى زيادة طاش لُبيُّه إلى أزيد من ذلك ، ولو ارتفع نظره إلى عزانة الله مات من الهيبة ، كما ذكر إن بعض خلفاء بني العباس ، خرج متنكراً ودخل على بعض أخدامه فسقاه الخادم نبيذاً ، ثم قال له : من أنت؟ ، فقال : أنا من عسكر الخليفة ، فسقاه ثانياً وقد حصل له منه نشوة ، فقال له هو : من أنا؟ ، فقال : زعمت أنك من العسكر ، قال : بل أنا مقدم العسكر ، فسقاه ثالثة ، فقال : من أنا؟ ، قال : زعمت أنك مقدم العسكر ، قال : أنا الوزير ، فسقاه أيضاً فقال : أتدري من أنا؟ ، قال : زعمت أنك الوزير ، قال : أنا الخليفة ، فقال له الخادم : قم فاعرج عني لئلا تدعي أيضاً النبوة أو الربوبية ، ولهذا ادعاها فرعون اللعين حيث رأى من قومه امتثال ما يقول ، وهل يدعي خلق السماوات أو الأرض .

وقال رضي الله عنه في حديث^(١) : ((ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن)) ، أي وسع المعرفة ، وحمل الأمانة وسع علم ، لا جرم ، والقلب لا يضيق بكثرة المعلومات وإن كثرت ، وإنما تضيق أماكن الفراغ بما يكون فيها من الأجرام .

وقال رضي الله عنه : اعترف بالعبودية لربك ، فإن لم تعترف بها ، فإنها مكتوبة في ناصيتك ، ومن قال : هذا حقنا ومالنا ، فقد أساء الأدب ، إذ لا ملك له ، وقد قال تعالى : { وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ }^(٢) ، فلم ينسب لهم إلا الاستخلاف في

(١) انظره في إتمام السادة الثقلين شرح إحياء علوم الدين ٧ : ٢٣٤ . ونصه : قال الله تعالى : « لم يسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن » .

(٢) سورة الحديد ، الآية ٧ .

للملك ، فمن أين له الملك ، وهو مملوك .

وذكر له رضي الله عنه الفداء للعتاد في الجنة ، فذمه وذم المتعاطين له ، ثم قال :
اعمل^(١) للجاهل والعامي باليقين ولكن ارفعه عن الشك ، ودعه على ما هو عليه ولا
تكلمه .

وقال رضي الله عنه : إذا أعوزك وجود الخير ، فلا أعوزك القرب منه ، بحيث
تكون إليه أقرب من المنهمكين على الدنيا ، يباتون ويصبحون مهتمين بما يعملون
فيها ، وخذ من كل شيء بركته ، وليسور لا يسقط بالمعسور ، وإذا كانت الغايات
لاتدرك ، فالقليل منها لا يترك .

وقال رضي الله عنه في قول الله تعالى : {لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَّاءً غَدَقًا} ^(٢) : أي ماء
القناعة والزهدي ، والزاهد في الدنيا للتجرد عنها ، أحف تبعاً وأكثر راحة من غيره ،
إلا إن الضعيف اليقين إذا أرسل الله إليه نعمة على يد أحد من الخلق تعلق قلبه به ،
ويرى أنه هو المحسن إليه ، ولا يمتد نظره إلى المحسن الحقيقي ، ولا ينفعك أحد إلا بعد
أن يضع الله في قلبه ما وضع ، والحركة^(٣) مع السلامة من منة الناس ، ما هي إلا
بركة إن لم يكن فيها إثم .

وقال رضي الله عنه : ينبغي أن لا يخلي الإنسان يده في هذا الزمان من شيء
يعيش به ، إذ لا راغب في الخير ولا مبالي بمحتاج ، ولعدم الشكر فيه من الغني ،

(١) قوله : اعمل للجاهل الخ : أي اعمل له باليقين وهو إعلامه بالأمر الشرعي في قوله ﷺ دلوا مرضاكم بالصدقة وغو ذلك
وارفعه عن الشك أي اتف عنه أن يظن الفدا على هذا الوجه نافع فإن ذلك شك وفعل جاهلي ، ودعه على ما هو عليه أي
إنما أعلمته بالوجه الشرعي دعه على ما هو عليه في ذبح الفدا ولجوه على نية الصدقة والتلوي لها ، لا على ذلك الوجه
الذموم . والله أعلم . والدعاء هو أن يؤخذ التبريض كيش ويلبغ ويسمي فداء وإنما مرضى قالوا ما ذاك إلا حيث لم
يؤخذ له فداء وهو من أفعال الجاهلية . والله أعلم . اعسام .

(٢) سورة الجن ، الآية رقم : ١٦ .

(٣) أي القسب في أمر المعلن . اعسام .

والصبر من الفقير ، وينبغي أن يحفظ ماله ويحصنه بإخراج الزكاة .

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى : { كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ }^(١) إن تفسيرها في قوله تعالى : { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ }^(٢) الخ .

وقال رضي الله عنه : ينبغي للإنسان أن يحترز من كل ما تميل نفسه إليه جهده ، خوفاً من الوقوع في الحرام من نظر وغيره ، وعلامة النظر بلا شهوة أن يكون كتنظره إلى شجرة سواء ، فإن فرق فهو شهوة ، والإنسان في هذا في تعب ، قال الله تعالى : { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ }^(٣) ، أي مكابدة وجهد شديد ، مع الداعية له إلى المخالفة .

وذكر رضي الله عنه الناس وأحوالهم ، فقال نفع الله به : الناس فيهم ظلهم ، منهم المرئي ، ومنهم تارك الزكاة ، ومنهم المخلط وغير ذلك ، وسواء لو تولى عليهم عادل أو ظالم ، فهم على حالهم^(٤) ، فقال له بعض الحاضرين : يا سيدنا عاد الناس لهم بعت^(٥) ، حيث كشتم بين أظهرهم ويرونكم ، فقال رضي الله عنه : عاد في الزوايا خبايا ، ولو لم يكن في الزوايا خبايا ، لدكدكت بهم الأرض ، لكنهم إذا كثر الظلم والفساد ، يخرجون من ظهرانهم إلى الفياق والقفار ، يسبحون في الأرض ، ويستريحون منهم ، فقلت : يا سيدنا هل هم في هذا الزمان قد قلوا عما كانوا عليه سابقاً؟ فقال : العدد المعلوم المذكور في كلام العلماء وهم أهل الدائرة لا ينقص ، وما كان خارجاً منه فيه نقص .

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٢٩ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٦٦ .

(٣) سورة البلد ، الآية : ٤ .

(٤) أي ليس يكونون على طريقة واحدة ، أعوام .

(٥) بُعِتْ : البعت : التَّد والمُحْط .

وقال رضي الله عنه : قلة العلم مع العمل ، يزكو على الكثير بلا عمل ، إلا أن العامل قليل ، فقد ذكر الشعراوي^(١) أنه لم يزل الناس سابقا ولاحقا كثيري العلم ، قليلي العمل .

وقال رضي الله عنه : إذا سألت الله شيئا فاسأله أن يكون في أحسن أوقاته ، وقيد السؤال بالعافية واللفظ ، فقد سمع ابن مسعود رجلا يسأل التوبة ، فقال : هذا يسأل التوبة ولعل توبته في قطع يده ، فليسأل مع ذلك العافية ، وسأل رجل من الله ، أن يحصل له كل يوم رغيفان ، ولم يسأل العافية فقدر الله أن حبس ، وكان قد قام له أحد من الناس كل يوم برغيفين ، فتذكر بعد ذلك ، فسأل العافية ففك من الحبس .

وقال رضي الله عنه : إن الإنسان في أول أمره في حال صغره مجبول على كثرة الحركة ضرورة حتى قال بعضهم: لو أمسك الصبي عن الحركة لنقطعت كبده . فلم يزل في زيادة من عقله ، ونقص من حركته ، كلما ازداد عقلا ، ازدادت حركته نقصا، حتى يبلغ اثنتين وعشرين سنة. وهذا بلوغ الأشد ، وآخر ما تنتهي إليه زيادة العقل، ثم لم يبق بعد ذلك إلا التجارب ، وهي من زيادة العقل ، فيفهم أن ما يضره يضر غيره ، وما ينفعه ينفع غيره ، وما يكرهه يكرهه غيره ، وعلى هذا ، ويقال لذلك عقلا حتى آخر العمر ، ثم إذا بلغ الأربعين فقد استوى ، بمعنى أنه وقع له من التجارب في نفسه ، ما يقيس عليه غيره أيضا ، وأكثر الأنبياء لم يرسل إلا بعد بلوغ الأشد والاستواء إلا ثلاثة ، عيسى ويحيى، وألوحى إلى يوسف بعد بلوغ الأشد وهو اثنان وعشرون وقبل الاستواء وهو الأربعون ، فلذلك قال تعالى في حق يوسف :

(١) هو الشيخ عبدالوهاب بن علي الشمران المتوفى سنة ٩٧٤ .

{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ} (١) ولم يَقل واستوى وقال ذلك [أي الاستواء] في حق موسى عليهما السلام .

وقال رضي الله عنه : الأدب والانتفاع على قدر المتأدب والمؤدّب به ، وإذا كان الوعاء ملآن (٢) يطرحون له في أيش ، ونحن أصحابنا مؤدّبون بتأديب إلهي ، بسبب الغربة والانتقياض ، ولولا أن الله جعل فينا هبة لابتذلنا الناس ، ثم ذكر قصة الذي صحب الإمام مائلك عشرين سنة ، سبع عشرة منها في الأدب وثلاثاً في العلم ، ثم قال : ليتني جعلتها كلها في الأدب . وما كل أحد يعرف الأدب ، وكيف يتأدّب ، فإن الناس فيهم جهال ، وفيهم بدو وغير ذلك ، أما سمعت الذي شمت العاطس بحضرة النبي ﷺ ، فقال له عليه الصلاة والسلام (٣) : ((عليك وعلى أمك)) (٤) والذي قال له علّم فلان الاستئذان ، وعلّم آخر كيفية رد السلام ، وما كل أحد يعفى عنه سوء الأدب ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : من تأمل أحوال أهل الزمان ، لم ير معهم آخرة ولا دنيا ، لأن الآخرة إنما هي بالعمل الصالح وفعل الخير ، وهم لا يفعلون ذلك ، والدنيا التي بأيديهم ، إنما هي مجرد وسوس ، وشغل في أبدانهم وقلوبهم ، ويزيلون (٥) بسببها تلهفاً وشحاً .

(١) سورة يوسف ، الآية ٢٢ . سورة القصص ، الآية ١٤ .

(٢) أي من الوسخ والقدر إشارة إلى الأخلاق النجسة ، والوعاء : القلب ، بل ينبغي أن يجيء به غرضاً حتى يطرح له فيه اهتمام .

(٣) أخرجه أبو داود : ٥٠٣٢ . وأحمد بن حنبل ٦ : ٨ والطبراني ٧ : ٦٧ وابن حبان ١٩٤٨ .

(٤) قوله : وعلى أمك ، لأنه أخطأ في التسميت ولم يتعلم مع تأمله للتعلم وعدم علمه فلم يعلمه ﷺ ولم يحتمل له سوء أدبه بخلاف الذي علمه كعبية الاستئذان والذي علمه كعبية رد السلام لعنفهما يقرب إسلام أو من أهل بادية والله أعلم .

(٥) كلمة (يزيلون) : (زيادة من هاشم الأم) .

وقال رضي الله عنه ما معناه : من كان معه شيء من أسباب الدنيا ، كعقار وتجارة ، وكان قلبه متعلقا بذلك ، فقد وقع في شبكة الشيطان ، فهو متمكن منه كما يطلب ، فلا يهتم به كثيرا وإنما يهتم^(١) كثيرا في اقتناص المتجردين عنها وطلبهم ، ليوسوس لهم ، ويشغل بواطنهم وجوارحهم بالاهتمام بأمر الرزق والوسوسة فيه ، لأن هذا هو مراد الشيطان ، وقد حصل له في الأولين وطلبه من الآخرين .

وقال رضي الله عنه : مات العلم في الصدور والسطور في هذا الزمان ، لأن أهله لا يطلب واحدهم منه ما يلزمه في حقه وفي حق المتعلقين به .

وقال رضي الله عنه في حديث^(٢) : ((لو لم تذنبوا لخلق الله قوما يذنبون ، فيستغفرون فيغفر لهم)) : يعني أنك لا تتقصد ذلك ، ولا تنكر وجوده في الكون ، فله فيه حكم ، ولو لم يكن من الحكم في ذلك ، إلا ليكون الناس درجات بعضهم فوق بعض ، ومن أنكر وجوده ، أو تقصد فعله ، فهو عاص فاسق ، وهو كمن يتقصد شرب السم .

وقال رضي الله عنه : الاعتماد على المقادير بدعة ، والاعتماد على الأسباب بدعة بل لا بد منهما^(٣) .

وقال رضي الله عنه : الرضى بالقضاء هو أن ترضى بكل ما يجره الله عليك باطنا وتلتزم جميع أحكامه ظاهرا ، والرضى مع تضييعها غرور وفتنة .

وقال رضي الله عنه : لا تغر الظالم بظلم غيره فيزيد ظلمه ، لكن أخف ما

(١) أي الشيطان ، اعلم .

(٢) أخرجه مسلم ب ٢ : رقم ١١ وأحمد بن حنبل ٢ : ٣٠٩ ومجمع الزوائد ١٠ : ٢١٥ . وفي رواية لمسلم كما جاء في رياض الصالحين : عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لولا أنكم تذنبون ، لخلق الله خلقا يذنبون فيستغفرون ، فيغفر لهم .

(٣) الاعتماد على المقادير مذهب القدرية ، والاعتماد على الأسباب مذهب المعتزلة ، وقوله : بل لا بد منهما هو مذهب أهل السنة . وهو : أن يفعلوا الأسباب في الظاهر على وفق الشرع ويعتمدوا على المقادير في الباطن ، اعلم .

استطعت مع المدارة ، ومن لا يرحم نفسه من عذاب الله ، حيث وقع في الظلم والمعصية ، فلا ترجو منه أن يرحمكم ، ولا يدخل ذلك في خاطرك ، والإيمان نور الوجود ، ومن فقد منه فهو كله ظلمة .

وقال نفع الله به : من أبلأك إلى الظلم ، فهو أظلم منك .

وقال رضي الله عنه : أهل الدنيا والنفوس ، يقوون كلما بلغهم ما يفرحون به ، وكلما تغذوا به من الشهوات ، وقوتهم الحاصلة لهم إنما هي من قوة النفوس وغلبتها عليهم ، والصالحون لا تحصل لهم القوة بما ذكر ، والقوة الحاصلة لهم إنما هي قوة الأرواح فيهم ، لأن قوة النفس قد أذابها بالرياضات والمجاهدات فلم يبق لها فيهم أثر .

وقال رضي الله عنه : إذا كانت طاقة الإنسان دون همة ، ما نفع ، بهم بأمر لا يستطيعه .

وطلبه رضي الله عنه السيد زين العابدين بن مصطفى العيديرسي^(١) إلى مكانه : البدع ثامن شعبان سنة ١١٢٨ ، فقال له السيد زين العابدين : عاد رؤيتكم يتمتع بها الإنسان ، فقال نفع الله به: لكن القوى ضعفت ولا يمكنها تساعد الإنسان على ما يريد ، فرمما نهم بالأمر ، لا تساعدنا عليه القوى ، فالهمة قوية ، والقوى ضعيفة ، والروح أقوى من الجسم ، وإذا قوي الروح حصل للجسم قوة ، وإذا حصل على الروح ما يوجب الانقباض المدم الجسم .

وقال رضي الله عنه : إذا وجدت الهمة ، انبسطت في البدن ، فيقوى البدن بسبب ذلك ، ويقوى الروح أيضا .

(١) ترجم له في مجلة الزمان : ٢١١ .

وقال رضي الله عنه : الإيمان الصادق في قلب المؤمن كسراج في ظلمة ، يضيئ لمن حوله ، ويستبدل بضوئه ، والإيمان في قلب المنافق^(١) كالسراج للكفسي فوقه سفيح^(٢) .

وقال رضي الله عنه : صاحب الجاه الجاهل ، سلامته أن يحيل على غيره ، ويظهر عدم علمه ، ولا يتوسط في شيء ، وإلا هلك وأهلك ، وذو الجاه العالم ، يعرف ما يزن به الأمور ، وعنده نور يعلم به ويفرق ، وتكون أموره في الاعتدال كلسان الميزان .

وقال رضي الله عنه : اعرف أحوال الصالحين وأفعالهم وأوصافهم واعرض ذلك على نفسك وادعها إليه ، فإن أجابتك إليه كله صلحت ، أو إلى بعضه فعلى قدر ذلك ، فإن لم تجبك إلى شيء منه أبدا فتحقق بالإفلاس ، ولا تدع ما لست من أهله ، فلا أقل من الإنصاف والاعتراف ، على أن أناسا يطلبون الدنيا ويخزنونها بخلا وشحا ، ويتمتعون بشهواتها ، وهم يظنون في أنفسهم أنهم إنما يأخذون منها قدر الضرورة أو الحاجة ، وأنهم ما يضمونها إلا لمواساة المحتاجين ونفع الإخوان ، وهم كاذبون فيما زعموه لأنهم لا يفعلون ما ادعوه مع قدرتهم على ذلك ووجود المحتاج .

وقال رضي الله عنه : اسمع ما يقال عن الأولين : إن من الناس من هو كثير العقل قليل العلم ، ومن هو كثير العلم قليل العقل ، والأول أفضل .

وقال رضي الله عنه : إذا أعرض العبد عن الله وأعرض الله عنه ، لا ينفعه شيء حتى يقبل على الله ، ويقبل الله عليه ، والضلالة إذا رسخت بأن تربي عليها يعسر

(١) أي المنافق في العمل لا في أصل الإيمان ، فإن ذلك لا نور معه قط ، بل هو أحس من الكافر لأنه في الدرك الأسفل من النار .

(٢) السفيح : في كلام أهل حضرموت هو نوع من الأوعية يصنع من الخرف وأصله في العربية السفيح قدح من الخسر لا نصيب له (انظر القاموس) .

إزائها ، كالنخلة الراسخة ، فلو أمرت أهل تريم - مثلاً - بترك ما استمرت به عادتهم لما أمكنهم ، ولو قلت لهم أن يقلعوا نخلة لازدهوا عليها ، فضايق بهم المكان ، وعجزوا لذلك .

وقال رضي الله عنه : إنا نحفظ جهدنا من أهل الزمان ، لأننا غرباء معهم ، ونحن معهم مثل الذي قيل له ، أتشهد بكذا وكذا ، قال : نعم ، ثم قيل له أتشهد بكذا وكذا ، قال : ما أسمع ، أقول : لعله رضي الله عنه أراد بذلك قصة أبي مسلم الخولاني^(١) رحمه الله ، لما قبضه العنسي الكذاب بصنعاء ، فقال له : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ ، قال : نعم ، قال : أتشهد أني رسول الله ؟ ، قال : ما أسمع ، تَقِيَّةٌ من شره أن يصرح بتكذيبه ، ولعل معنى سيدنا نفع الله به ، أنا نرى في زماننا أشياء من الحق ، فنقر بها ونشهد بها ، لو استشهدنا ، ونرى فيه أشياء من الباطل ، نكرها بيننا وبين الله ، وعمل الناس بخلافها ، ولو نظهر ذلك لانشقت العصا بيننا وبينهم ، فعدم إظهارها لهم أولى ، هذا ما فهمته والله أعلم .

وقال رضي الله عنه : ما أحسن في هذا الزمان من الانقباض والصمت ، فإذا جلست مع نفر منهم فقم ، وأظهر أن لك حاجة دعتك إلى القيام ، وحاجتك حاجة صحيحة ، وهي الإعراض عنهم للسلامة مما يقعون فيه .

وقال رضي الله عنه لبعض الأعيان من السادة : الحزم ترك مجالسة أهل الزمان ، والحذر منهم ، وحدك أن مجالسة المغني أحسن وأسلم من مجالستهم ، وإذا جالسهم وتكلمت معهم ، فأقلل ولا تتكلم إلا فيما لا بد منه ، حق النفس ، أو الاستذكار ، ولا تتعب نفسك معهم ، فإن أوعيتهم مخزقة .

(١) انظر قصته في أسد الغابة لابن الأثير ٥ : ٢٨٨ واسمه عبدالله بن ثوب وقيل عبدالله بن عوف .

وقال رضي الله عنه : كلام أهل الزمان ، كفشاش خم من الدار وملسي به طبقاً^(١)، لا ترى ما ينتفع به ، وقد كان الأولون لابد في كلامهم من فائدة ، ثم إنهم لم ينظروا في الكلام ، بل ينظروا في السير ، ويتأملون فيها ، وتظهر لهم فيها الكرامات، أظن قال : تحملهم على العمل ، وأما هؤلاء فمحالستهم فتنة وإثم وغيبة وفضول وتضييع للوقت ، فاعتزلهم أحسن .

وقال رضي الله عنه : إذا تمسك الإنسان وأمكن أن يتبعه أحد من أقارب أو غيرهم على الحق ، فليفعل ويثبت ، فإن الزمان لا يخلو من أهل الحق، فإذا قُيد أحد من أهل الحق ، لا بد أن يجعل الله خلفاً في غيره ، وقد يكون في من لا يخطر في البال، ولا يُظن به ذلك ، ولا يكون في الوهم استحقاقه له . أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : ينبغي للإنسان في هذا الزمان أن يهتم بأمر نفسه جداً ، ولا يُقَصِّر في ذلك ، ولا يهتم بأمر غيره ، ويلزم نفسه ما به نجاحها ، ويجنبها ما لا ينبغي ، بل يكون كراكب سفينة حصل عليه ما يخشى منه الغرق ، فإنه لا يهتم إلا بأمر نفسه ، ولا يعرج على غيره ، ومن لا يهتم بأمر نفسه ، فلا عقل له ، وهو كمن هو في معركة القتال مع عدوه ، فطرح سيفه في الأرض وجلس ، فلا محالة يوشك أن يسرع إلى قتله ، لكنه يراعي مع غيره ما يلزمه شرعاً . قال تعالى : {لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} ^(٢)، فقَيِّدها بالهداية ، وما قال إذا ضللت .

وقال رضي الله عنه : من الطاعات ما يقيك النار ، ومنها ما يطرق لك إلى الجنة ، والورع مما يقيك النار ، فاستكثر منه ما استطعت واستقلل الكثير منه ، ولا تستكثر القليل ، والورع هو التقوى .

(١) أي التمس به العمام.

(٢) سورة المائدة ، الآية : ١٠٥ .

وذكر رضي الله عنه الجنة فقال : هي في اعتدالها ونورها وصفائها ، كما بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ، في وقت شدة الصيف إذا هبت الريح اللطيفة الباردة ، التي تسمى العُليا وهي الثَّعْمَا^(١) ، وهذا الوقت خالي من الظلمة ، ومن الحر والبرد ، ويوضع نور الشمس والقمر فيها^(٢) ، ويلقيان في النار ، لألهما عُبْدًا من دون الله ، وفيها من النور ما لا يبلغه الوصف ، حتى إن نور الرجل الواحد ، لو برز في الدنيا لغطى نور الشمس ، وأهل الجنة لا ينامون ، بسبب النعيم الذي هم فيه ، وأهل النار لا ينامون بسبب العذاب الذي هم فيه ، فانظر كيف اشتركوا في عدم النوم ، واختلفوا في المادة .

وذكر رضي الله عنه في مجلس آخر الجنة والنار ، فقال : من فاته نعيم من الدنيا لا بد أن يستوفيه في الجنة^(٣) ، ومن فاته عذاب في الدنيا ، استوفاه في النار^(٤) . وقال رضي الله عنه : الإنسان في غفلة عظيمة ، ويعجب هو أيضا من كونه غافلا ، والعجب من الغفلة ، مع الغفلة ، عجب في عجب .

وقال رضي الله عنه : إن الناس كلهم مع الله في مقام الشكر ، ويظنون أنهم في مقام الصبر ، فإن لله في كل عرق نعمتين ، ومن العروق المتحرك لا يسكن ، والسكن لا يتحرك ، فلو تحرك الساكن أو سكن المتحرك لتألم لذلك ، ففي كل عرق نعمة وجوده ، ونعمة سكون الساكن ، وحركة المتحرك ، وفي كل شعرة نعمتان ، إذ أسفلها مخوف ، وآخرها مصمت ، فلو انعكس ذلك لتألم الشخص ، قلله الحمى ، وعن بعضهم أنه كان عشاؤه قرصا بابسا ، يصب عليه من الماء البارد ، ويفته فيأكله ،

(١) قوله الثَّعْمَا : أي أن العرب تسميها كذلك لأنها أول ما تحب في نجم الثعالم . إمام .

(٢) أي الجنة . إمام .

(٣) أي إن كان من أهلها . إمام .

(٤) أي إن كان من أهلها . إمام .

ويحمد الله ويقول :

عجز وماء وظل هذا النعيم الأجل

جحدت نعمة ربي إن قلت إن مقل

وقال رضي الله عنه : خفاء الصالحين في هذا الزمان ، لأن بعض أهل الزمان ما لهم معهم مقابلة ، فما يريدون بظهورهم ، لأنهم ما أرادوهم إلا لهم ، والصالحون ما يكونون لأهل الدنيا ، بل يكونون للفقراء عليهم ، فلو قال صالح عن كشف لبعض أهل الزمان مثلاً : في الموضوع الفلاني من بيتك كذا من المال ، لكنك هات نصفه ، أو فرقه^(١) على المحتاجين لأبي ، وغلبه الطمع ، ولو أنه قد كان آيساً منه ، وليس على باله ، وربما ساء ظنه به ، وزال اعتقاده ، وقال لو كان هذا صالحاً ما قال لي هات منه ، ثم أنشد هذا البيت :

لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرور محب أو إساءة بحرم

وقال رضي الله عنه : السادة أهل التمييز إذا سموا شيئاً كهدياً ما يغيرونه .

وقال رضي الله عنه : إذا رأيت مفتخراً فلا تفاخره ، ولا تقره على فخره ، ولا تلاجه عليه ، وإذا علمتم فعلتموا وكونوا أهم بمنافعهم من أنفسكم .

وقال رضي الله عنه : العلم فضيلة ، لا تتكمل إلا بالعمل به لله .

وقال رضي الله عنه : الإيمان : اليقين ، وترعزه الأوهام ، وكلما كثرت ضعف وكلما قلت قوي .

وقال رضي الله عنه : عند الصوفية ، أكثر الفساد إغنا هو من السماع والاجتماع ، لهذا كانوا يرغبون في الصمت .

(١) أي الصف ، اعلم .

وقال رضي الله عنه : المداراة هي بذل الدنيا للدين وللدنيا ، والمداهنة بذل الدين للدنيا وللدين ، ولا بأس بالأول ، ويحرم الثاني ، ومن بذل الدنيا في المداراة حسن الكلام من غير كذب ولا مجازفة ، واللين لمن تكلمه ، والمدارة هي التي نسميها المراعاة.

وقال رضي الله عنه : قراءة الفاتحة ، آخر المجلس : عادة أهل اليمن ورأى بعضهم أن القيامة قامت ، وسمع مناديا ينادي قوموا يا أهل الفاتحة ، فقام أهل اليمن ، وكان رجل من أهل اليمن ذا فقه وصلاح ، يعتاد يختم مجلسه بها ، وكانت له زوجة تكرهه ، وإخوانها وقرباتها يحبونه ويرغبون فيه لديانته وصلاحه ، ويسمع منها من الكلام ما يكرهه ، فيخبرهم به ، فإذا سألوها : لم تقول له ذلك ، تنكر وتقول ما قلته ، بل كذب علي ، فأنتي إليها يوما نساء ، وبقيت تتحدث معهن فيه ، وتتكلم بما يسوءه ، فاتفق أنه كان يسمع كلامهن من حيث لم يشعرن ، فبقي يكتب ما يسمع منهن ليعرضه على أهلها ، فلما كان في آخر المجلس قالت لمن : تعالين نقرأ الفاتحة على عادة الشيخ ، كما يفعله من قراءة الفاتحة على عادته وقراءتها ، فكتبها أيضا في جملة ما كتب ، فلما عرض المكتوب ، وأخبرهم بما قلن وأنكرت فقال : هو ذا مكتوب ، وفتح الورقة فإذا هو لم ير في الورقة مكتوبا سوى الفاتحة فقط ، فعجبوا لذلك ، فينبغي قراءتها رجاء أن يمحي جميع ما حصل في المجلس من مذموم الكلام واللغو ، ومرة قال : نقرأ الفاتحة في آخر المجلس ، لتكفر ما وقع فيه ، فإن كان المجلس مجلس خير ، فتكفر ما كان من الخواطر السيئة الاختيارية ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : قد قلنا يعني أول العمر نريد أن ننظر ، إن كان نحن من المأذون لهم في السياحة والتنقل ، لا نستصحب أحدا معنا لئلا يكون بلاء وأذى على الناس ، وإن لم تكن من المأذون لهم في ذلك ، فلا بأس إن لحقنا أحد أن تتركه على

نبيته ، في مخالطته لنا.

وقال رضي الله عنه : لو أن أحداً له قدرة على السياحة ، مثل الأولين من الصالحين ، وخصوصاً السياحة في الحاضرة ، فإنها أسهل ، لكن السياحة تريد قوة قلب وزهد ، وترجع السياحة في القلب ، فيسبح في قطع فلوات النفس ، حتى يصل إلى الحق سبحانه وتعالى .

وقال رضي الله عنه : إن الصحابة رضي الله عنهم ، حدث كل منهم على حسب علمه وما بلغه عن النبي ﷺ ولهذا كثرت الروايات ، وذلك لاختلاف أفعاله وأحواله عليه الصلاة والسلام ، ولما كثرت الروايات عنه عليه السلام وعن الصحابة للمؤمنين ، وعن التابعين للمقتدين ، إتسع العلم ، واختلفت الأقوال ، ومن لم يسر على الجادة والتقوى ، لم يكن له إمام إلا منافق أو فاسق ، لأن الطريق قد تخفى وقد تظهر .
وقال رضي الله عنه : لا تُجِلْ هذه الأمور على المقادير ، بل جُلِّها على هذه القلوب المنصرفة والوجوه المديرة ، قال الله تعالى : { وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ } (١) الآية .

ذكر ما يتعلق بالرزق

وقال رضي الله عنه ما معناه : من كان عنده من الدنيا قدر كفايته فقط بلا زيادة فذاك رزقه للمقدر له ، أو زائداً فما فوق (٢) ذلك فهو رزق غيره استخلف فيه ، وهو عنده أمانة فليراع فيه ما يلزمه وكما ينبغي على مقتضى الشرع ، ويتصدق منه

(١) سورة الشورى ، الآية : ٣٠ .

(٢) في (خ) : أو زائداً فوق ذلك .

وبقدم منه لأخبرته ، قال الله تعالى : {وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَخِّلِينَ فِيهِ} ^(١) وإن باع منه شيئاً قنع بما تيسر له في الحال، دون احتكاره والطمع في غلاّه ، ومهما خرج منه شيء من يده إلى يد آخر بأي وجه يبيع أو هبة أو صدقة أو غير ذلك، فقد رجع ذلك إلى من هو رزق له ، وإن بذّر في الزائد أو أسرف فيه أو ضيعه على مقتضى هواه وشهوته ، فهو متعد في حق غيره ، ومسرف فيه مذموم الحال .

وقال رضي الله عنه : سمعنا فيما بلغنا : إن الله ملائكة موكلين بخزائن أرزاق العباد، وإن للعبث في كل وقت رزقاً معلوماً، فإذا أطاع العبد ربه وأحسن له المعاملة أمر الله الملائكة للموكلين بخزائن أرزاق العباد أن يعجلوا له من رزقه في الوقت الآتي، مع رزقه في الوقت الحاضر ، فيتسع عليه رزقه فيه ، وإذا عصى وأساء للمعاملة أمر الخزنة وقال : ادخروا رزق هذا له في الخزائن ، فيؤخر إلى الاستقبال ، ويبقى مقترأ عليه رزقه في الحال الحاضر.

ثم قال نفع الله به : لعل المراد أن الرزق شيء مقدر معلوم ، على ما قسم للشخص بلا زيادة ولا نقصان ، وإنما يقدم ويؤخر بحسب معاملته لربه ، ولعل هذا في بعض الناس ، وبعضهم وسع عليه على أي حال ، وبعضهم بالعكس .

وذكر رضي الله عنه الأرزاق ، فقال : الأرزاق مقدرة ، ولكن إذا عصوا قال للخزنة : أخرجوا أرزاقهم في الخزائن ، وإذا أحسنوا عجل لهم ، أو يجعلها لهم فيها مرة، ثم ترد عليهم في وقت آخر لعصيانهم كما ترى كثيراً من السيول تأتي وتروح ضياعاً لا يحسنون تربيتها ^(٢) ، هذه هي التي كانت أحرقت لهم ثم أردفت لهم ، مثل العبد السوء ، إذا عصى يجمعه سيده نحو أربعة أيام ، ثم يجمع عليه رزق تلك الأيام مع

(١) سورة الحديد ، الآية : ٧ .

(٢) في (خ) : أربها .

رزقه الحاضر حتى يكثر عليه وعمل الأكل .

وقال رضي الله عنه : سمعنا فيما بلغنا : إن الله تعالى يقول : يا عبدي أطعني ولا تعلمني بما يصلحك ، فأنا أعلم بما يصلحك منك ، ثم فسره وقال : عليك الذي عليك ، وأمسك الحبل بطرفيه ، ولا تختار مع ربك ، فاختياره لك أحسن من اختيارك لنفسك .

وتكلم رضي الله عنه يوما في أمر الرزق فقال : إن الله لا يعاقب في أمر الرزق بالتقتير إلا المغترين بالله كثيرا ، ثم ذكر : إن رجلا قال لموسى عليه السلام : أريد أن أوصيك بوصية تبلغها إلى ربك عند مناجاتك له ، قل له : إن فلانا يقول : لا ترزقني ، فإني غير محتاج لرزقك ، فلما ناجاه قال : يارب أنت أعلم بما قاله عبدك فلان ، فقال سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام : قل له : إن خرجت من مملكتي منعتك من رزقي ، وما أعجب هذا فأين يخرج من مملكته ، والأرض أرضه ، والسموات ملكه .

وقال رضي الله عنه : الرزق المضمون هو الكفاف ، وهو ما لا يمكن العبادة وإقامة حقوق الله إلا به ، وما فوق ذلك فمقسوم ، والشك في المضمون كفر ، ولا يجوز فيه قصد تجربة ، بأن يقول : أجلس وأنظر إن كان جاعني شيء ، فإنه إن كان بقي له حياة ، فلا بد وأن يجيئه ، وإلا فليت لا يطعم قوتا ، بل يصرف إلى الحسي ، ومن جلس في داره مجرعا واشتد به الجوع ، يجب عليه تحصيل حاجته بما أمكنه^(١) ، وإن لم يمكنه إلا بالسؤال سأل بقدر الحاجة ، وهو فيه معذور ، فإن لم يفعل حتى مات جوعا ، مات عاصيا لأنه قتل نفسه ، إلا إذا لم يمكنه بحال ، وسمعته رضي

(١) أي من أنواع الكاسب نباحة على مقتضى الشرع .

الله عنه يقول : إن السؤال من الفواحش ، كالزنا والسرقة ، ما أبيض من الفواحش إلا هو ، عند الضرورة .

وقال رضي الله عنه في ذكر الأرزاق : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إذا غضب الله على قوم أخر أرزاقهم عن أوقاتها ولا يمنعهم منها ولا ينقصها ، فیرسل المطر في غير وقته والحصاد في غير وقته فإنه كذلك وليس هو على أصله بل دون ذلك ، وقال بعضهم : لا يمنعهم ولا ينقصها ولا يؤخرها بل يقبها ويدخرها لهم في الخزان حتى يرضى ، فإذا رضي أرسلها عليهم كلها بالتمام .

وقال رضي الله عنه : أهل الخير ما لهم من يضبط لهم أمورهم ، ولو كان لم يطيعوه ، لأنهم لا يحبون الدناقة ، وأمورهم وأرزاقهم عند الله تحت العرش ، يقول الله تعالى : أعطوا فلاناً بقدر ما يخرج ، وقد يخرج رزق يوم أو أيام في ساعة ، فيبقى محتاجاً في تلك الأيام ، وقد تقع لهم زرات في بعض الأوقات ، وقد تفيض عليهم من وجوه كثيرة ، وإذا أراد الإنسان من متاع الدنيا شيئاً عن حاجة إليه أو ضرورة فإن الله يعينه ويسره وإن أراد به بطراً من غير حاجة فليقدر .

وتكلم رضي الله عنه ليلة في ذكر الرحمة والتوسعة لبعض الناس دون بعض ، وفي وقت دون وقت ، فقال : إن الله تعالى لا يسب عباده ، ولكنهم إذا سبوا طرف^(١) الحبل ، تركهم مدة ابتلاء لهم ، ثم يعود عليهم وإن بقوا على ما هم عليه ، وكيف يتركهم وهو عالم بعجزهم وفاقتهم { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }^(٢) وقد سمعنا أن رجلاً مكث في غيظة شجر ملتف بعضها ببعض ، ولا معه

(١) قوله : طرف الحبل الذي بأيديهم ، هو فعل الأوامر واحتساب الثوابي ، والطرف الآخر الذي هو الأصل يد الله تعالى ، وهو الإرادة والقدرة والشيئة ، ولكن المدح غالب بالطرف الذي يده إهمام.

(٢) سورة الملك ، الآية : ١٤ .

ولا دونه فخطر بهاله أن الله هل يعلم بحاله في مكانه ذلك ، فسمع صوت قائل يقول :
 { أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } .

وتكلم رضي الله عنه أيضاً يوماً في الرزق ، فقال : جاء في بعض ما ورد عن
 الله تعالى ، أنه قال : عبيدي أطعني ، ولا تعلمني بما يصلح لك . ولكن الدعاء
 مطلوب ، لأن فيه إظهار الافتقار من العبد لسيده ، وهناك أصناف من المخلوقات ، لا
 يعلمون الغيب ، ولا تظهر لهم أحوال الناس إلا بدعائهم ، من ملائكة وشياطين ، لأن
 للملائكة يحيون من الناس العبادة والدعاء وإظهارهم افتقارهم إلى رحم ، فيفرحون لهم
 بذلك ، والشياطين يكرهون ذلك منهم ، ويبتطلوهم عنه ، ويفرحون لهم بتركه ،
 فيحصل بظهور الافتقار بالدعاء سرور للملائكة ، وإرغام للشياطين ، ولا يزال الإنسان
 مشبوحاً^(١) بين هذين الصنفين ، الشياطين يجرونه من أسفل بالمعاصي ، والملائكة
 يجرونه من أعلى بالطاعات ، فإن غلبت الملائكة حركته من أيدي الشياطين من أسفل
 سافلين إلى أعلى عليين ، وإن غلبت الشياطين ، إحتذبت من أيدي الملائكة من
 عليين إلى أسفل سافلين ، والعياذ بالله تعالى أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : الأسباب والحِرَف منبأ ما هو على صاحبه نعمة ، ومنها
 ما هو عليه نقمة ، فما يمنعه من أداء حقوق الله والصلوات مثلاً في أول أوقاتها وفي
 الجماعة فهو نقمة ، وما كان لأجل الاستمسك ، والاستغناء عن الناس ، مع أداء
 حقوق الله ، وفعل الأوامر في أوقاتها فهو نعمة ، وينبغي أن يعمل بنية نفع نفسه
 ونفع غيره ومن يأتي بعده ، فإن معظم الناس اليوم في بيوت الأولين وفي أموالهم ، وقد
 مرَّ كسرى أنو شروان على رجل مسن شيبة ، وهو يفرس نخلاً ، فقال له : لِمَ

(١) تشبوح : في كلام أهل حضرموت : المربوط بكلا طرفيه ، يقال جلد مشوح مثله بين لؤناد وهو كذا في القاموس ١ : ٢٢٩ .

تغرس وأنت في هذا السن ، ولعلك لا تدرك ثمرته ، فقال : غرسوا وأكلنا ، ونغرس
ويأكلون ، فأمر له بأربعة آلاف درهم ، فقال له : إن النخل لا تثمر إلا بعد
عشر سنين ، وهذا أثمر لي في ساعة واحدة ، فأمر له بمثلها ، وقال : إنه رجل حكيم ،
فقال له : إن النخل لا يثمر إلا في السنة مرة واحدة ، وهذا أثمر لي في يوم مرتين ،
فأمر له بأربعة آلاف ثلاثة ، وقال لحازنه : سر بنا لتلا يتم الخزانة علينا .

وذكر رضي الله عنه الأرزاق والزوايا ، ثم قال : كانت الزوايا فيها خبايا من
صالحين وعاملين لله ، فلما ذهبوا ذهبت الأرزاق ، والدنيا إنما خلقها الله تعالى إعانة
لأهل طاعته ، وهي لهم بلاغ ، وللكفار متاع ، وأهل الزمان ينفرون النعم عنهم مع
إقبالها عليهم بقلة الشكر عليها ، وإنما يذل الله الرزق لكافة الناس ، لكونهم فيهم أهل
الطاعة والفقر والمسكنة ، فيكون لغيرهم بسببهم ، ولو لم يكن في الدنيا إلا العصاة ما
أعطاهم لقمة .

وقال رضي الله عنه : اجعل الدنيا كالخذاء مطروحة لا ترفعها بل تلبسها إذا
أردت موضع قلر أو حاجة ولا تضعها على رأسك ، فمن وضعها على رأسه أو
مسح وجهه بها ، فقد أحرم حرما عظيما ، ونحن ما أنكرنا على أهل الزمان في أخذ
ما لا بد منه وما يغنيهم عن التكفف للناس ، وإنما أنكرنا عليهم رفعها وتعظيمها
والتهالك عليها ، حتى ضيعوا بسببها حقوق الله ، كإخراج الصلوات عن أوقاتها أو
عن أوائها ، أو عن الجماعة ، وكان السلف لا يتركون شيئا من أمور الدنيا يتم في
أيديهم ، بل إذا تم من جهة ، بقي ناقصا من الجهة الأخرى ، لأنها إذا تمت لا بد أن
تذهب ، فتعظم حسرتها ، وإذا كان من طلبها لير بها ، ناقص عقل ودين ، فكيف
يطلبها لنيل الشهوات ، والتمتع باللذات ، وكان يشر بذلك إلى بعض الحاضرين ثم
قال له نحن نعلم ما تقولون في مجالسكم وأسواقكم ، أنظنون أنا لا نعلمه ، بل نعلم ما

به تجهلون ، قال ذلك ضحى يوم الجمعة في ٢١ جماد الأولى سنة ١١٢٤ .
وقال رضي الله عنه : أمور الدنيا كرجلي المحواك^(١) ، كلما ارتفع واحد منهما
هبط الآخر .

وقال رضي الله عنه يوم الاثنين عاشر جماد أول من السنة المذكورة ، وقد بلغه
فرط ظلم السلطان عيسى بن بدر في شبام ، وجوره زائدا على العادة ، فتكلم في شأنه
كثيرا ثم قال : ما له إلا الكتيب الأحمر ، وهو تربة عينات ، وكان حينئذ يشبام ، ثم
سرح منها صبح يوم الثلاثاء منحدرا إلى عينات ، وخرج سيدنا ضحوة يوم الثلاثاء
المذكور إلى مسجد إبراهيم بن السقاف الذي شرقي الحايوي ، وبقي فيه يومه ذلك
إلى أن صلينا معه فيه صلاة المغرب ليلة الأربعاء . ومما تكلم به في مجلسه في المسجد
للمذكور ذلك اليوم ، أن قال : إن الناس لا ينظرون من الشخص إلا إلى عمله ، لا إلى
ذاته ، ومن مات وهو محسن تأسفوا عليه ، أو غير ذلك فرحوا بموته ، ومن مات وهو
حسن العمل بعد قليل من العمر ، فهذا مدة عمره ، ومن مات كذلك وهو سيئه ،
فنقصان عمره من شؤم عمله ، ومن طال عمره منهما فالحسن زاده الله في عمره
ببركة عمله الصالح ، والآخر هو عمره للمقدر له ، ليزداد من الشر ، فبعد صلاة
المغرب والنافلة بعدها سار سيدنا إلى الحايوي وسرنا معه فالتقنا محمد بلفقيه
الصعدي ، الملقب بمحيود ، جاء من بلده شبام ، وكان خادما لسيدنا ، ويحفظ
ديوانه ، فصافحه وشكا إليه حاله وأحوال الناس وما حصل عليهم من الظلم الفظيع ،
وقال : فلان غرم كذا ، وفلان كذا ، وأنا أخذ علي خمسين قرشا وعادتي خمسة
ومثل هذا فقال سيدنا له : إذا ظلمكم حاكمكم ، فماذا تريد أن أفعل ، فقال :

(١) المحواك : الكالة التي يحرك بها الساج (معروف) .

أريدكم تقبضون بحلقه فتخنقونه وتقتلونه وترىحونا منه ، أو قال : من شره ، فبسم سيدنا وضحك وسكت ، فكان من قضاء الله وقدره أن عيسى بن بدر تلك الساعة بعينات في ضيافة له من آل الشيخ أبي بكر بن سالم ، بتعشى فنشبت قطعة لحم في حلقه ، فلا خرجت و لا دخلت فانقطع نفسه ، وخرجت روحه ، ومات في الحال ، وقبر هناك في الكتيب الأحمر ، كما ذكر سيدنا قبل موته بيوم ، وأظن أن كلامه المذكور في المسجد ، فيه إشارة إليه والله أعلم .

وقال رضي الله عنه : إذا أكثر الإنسان الظلم ولم يزل يظلم كان كالجريدة الخضراء ، كلما لها ينقص ماؤها وخضرها حتى تيبس ، فعند ذلك تسرع النار في إحراقها .

وقال رضي الله عنه : إن انتفع أهل الزمان بشيء فبنيانهم^(١) ، وإلا فجميع أعمالهم مدخولة ، فإن لم يقرؤ بهذا فعلهم البيان ، ومثال أهل الزمان كمثل من جاء إلى سلطان ، يحمل خطباً^(٢) ، فماذا يستحق من السلطان ، ما هو إلا أن يشب في خطبه النار ، قال بعضهم : النار فيك وبالأعمال تحرقها الخ ، ثم قال : من جاء بوعاء يطلب فيه سمناً^(٣) أعطوه فيه ، وأهل الزمان لا أوعية لهم طاهرة يطرح لهم فيها ، وكان فيمن مضى ، إذا جلس الإنسان إلى أحد من أهل الدين نحو ثلاثة أشهر صار داعياً إلى الله ، وهؤلاء لا يمكن ذلك منهم .

وقال رضي الله عنه لما فرغ القارئ يوماً من قراءته ، في "الدعوة التامة" : ما على الإنسان إلا أن يبين ويوضح لهم ، ولا عليه إن لم يحفظوه ويعملوا به ، وما هو

(١) أي إن صحت بأهـامـ.

(٢) إشارة إلى العمل القاسد بأهـامـ.

(٣) إشارة إلى اللد بأهـامـ.

إلا كحديث أبي هريرة ، لما حدث عنه عليه السلام حديث^(١) : ((لا تؤذ جارك ، بقتار قدرك)) ، ما رأى منهم الإصغاء والإقبال ، فقال : مالي أراكم عنها معرضين ، والله لأرمين بها بين ظهوركم . والناس اليوم ثألفين متلفين خاربين ، فينبغي أن يأخذ الإنسان منهم حذره ، فإنهم كالأرض المرضية ، يحذر أن يطرح عليها متاعه ، وإن انتقل إلى الأرض التي لا أرضة فيها فهو أصلح وأحسن ، وإن بقي فيها فليحزم بمتاعه لا تأكله . وذم الناس على مقتضى الأكثر منهم ، وإن كان فيهم بقية خير ، كما يقال لقليل للمال : إن ما معه مال ، أي كثير ، وإن كان معه قليل ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : لا يكن لك في الدنيا حسيب إلا نفسك ، إن أردت خفة الحساب في الآخرة فحاسبها في الدنيا ، والناس ما يبالغون بك ولا يدرون ما تقول .
وقال رضي الله عنه : معنى اجعل القرآن ربيع قلبي ، كما في الدعاء أي بأن يعمل في القلب من الأنوار والعلوم ، كما يعمل الربيع في الأرض .

وقال رضي الله عنه : ينبغي للإنسان في هذا الزمان أن لا يتحمل ، فمن الذي سلم من شواغل الزمان كما ينبغي ، زمان ردي ، زمان هم وغم ، وفي هذا المعنى قيل : للمشغول لا يشغل .

وقال رضي الله عنه : إذا أردت أن تعرف عقل الرجل من حمقه فاسأله عن مسألة فإن أجابك عنها ، ولم يزد عليها ، فهو عاقل ، وإن أنى بها وذكر كلما في نفسه وتكلم به ، فهو أحمق ، والفرق بينهما أن العاقل صحيح القصد والعمل ، والأحمق صحيح القصد دون العمل ، ومرة قال : والمجنون فاسد القصد والعمل ، وإن أردت أن تعرف أنه ثقة أو لا ، فاسأله واتفن جوابه ، ثم امكث مدة ثم اسأله

(١) أورده صاحب كبر العيال : ٢٥٦٠٨ .

عما سألته أولاً ، فإن تكلم ثانياً مثل كلامه أولاً ، فهو ثقة ، فإن زاد أو نقص أو لم يكن على ترتيب الأول فليس بثقة .

وقال رضي الله عنه : أهل هذا الزمان ما يسعهم إلا الجائر ، وقليل فيه^(١) ونادر من يرتقي رتبة العزيمة ، فلا حكم له ، ومن أتانا من هذا القليل لا نصدق حتى نسخره ونحقق صدقه ، فإن من لا فيه دين يردعه ولا عقل يحجزه فلا يباي بما يخل في دينه ولا مروءته ، فليس بإنسان .

وقال رضي الله عنه : من أتانا يطلب الطريق العامة ، أخذنا بخاطره وأنسناه ، ومن أتانا طالباً للطريق الخاصة ، استخدمناه وابتليناه ، مجابة للأول باللائق بحسنه ، واختياراً للثاني وكسراً لنفسه ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : ربما نسمع من أفعال أهل البلاد ما لا ينبغي ، فإنه لا يسرنا أن نسمع شيئاً مما يتعاطونه ، مما يفعل داخل البلاد ، إلا كما كذا ، ونحن معهم كامراً طلقها زوجها وأخذ غيرها ، ومعها له ولد ، فلا بد ما تسأل عنه ويسأل عنها لأجل الولد ، ولو كان كل منهما قد أبس من صاحبه ، كذلك بيننا وبينهم من التعلق كما بين المرأة للذكورة وزوجها ، من قرابة وصحية وجوار وغير ذلك ، فما نسأل عنهم إلا لذلك لا غير .

وقال رضي الله عنه : نحن مع أهل الزمان على حد قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ }^(٢) لتعرف أحوالهم في دينهم .

وقال رضي الله عنه : من لم يُبَلِّ بدينه لم يُبَلِّ الله به ، احفظوا هذه القاعدة . وتكلم رضي الله عنه عشية الاثنين في ٢١ رجب من سنة ١١٢٢ في ذم المعاصي

(١) أي الزمان ، اهـ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٥٩ .

والفضول من الكلام ، فقال : هو^(١) ما سوى ذكر أو قراءة أو أمر معروف أو نهي عن منكر أو نصيحة { وَهَذَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ }^(٢) ولو أن أحداً أراد أن يفعل ما يُستَحَيُّ منه ، وعنده طفل لخاف أن يعرف ما أراد فعله ويفطن له ، وبقي يلتفت يمينا وشمالاً ، فكيف بمن لا يستحي من ملائكة كرام ، وهم معه أينما كان ، لا يفارقونه ، يحصون ما يعمل ويقول ، ولا يستحي من خالقه ، فمن لا يعتقد أنه [أي الله] ثالث الاثنين ، ورابع الثلاثة ، فما معك منه إلا خير^(٣) ، ولو جلس جماعة في محل بقدر قراءة يس ، لاشتغلوا بفضول الكلام ، ولا يحترمون القرآن ، وسواء للمسجد وغيره ، ولو أنهم جعلوا لله من أوقاتهم بقدر ما جعل عليهم في أموالهم . وقد حكى أن سليمان بن داود عليهما السلام أرسل بعض الجن ، أو قال بعض الشياطين إلى موضع ، وأمر آخر بأن يتبعه ، ويسمع كل ما يقول ويُعلمه بذلك ، فمضى معه ولم يسمعه تكلم بشيء ، إلى أن مر بسوق ، وفيها كثرة من الناس ملتصين ببعضهم وشرائطهم ، فوقف ورفع رأسه وقال : سبحان الله ، ووضعه وقال : سبحان الله ، فأخبر سليمان بذلك ، فسأله عن ذلك فقال : تعجبت من هؤلاء الفوقيين [أي الملائكة] وسرعة ما يكتبون ، ومن هؤلاء التحتيين وسرعة ما يعملون .

وقال بعض الصالحين : لو أنهم [أي للملائكة] أخذوا من الناس بعض المداد والقرطاس^(٤) الذي يكتبون به أقوالهم ، لأقلوا من الكلام . وكان أبو يزيد إذا دخل الخلا يفرش للملائكة إحرامه عند بابه ، ويقول : اجلسوا ، ملائكة ربي ، يعني أنه

(١) أي الفضول ، اهدام .

(٢) سورة غافر ، الآية : ١٣ .

(٣) قوله رضي الله عنه : فما معك منه إلا خير ، لأنه قال مرة : لا تقل ما في أهل هذا الزمان خير ، ولكن قل ما معك منهم إلا خير ، لأن هذه الكلمة تؤدي المعنى الذي أردته من غير ذم للمسلمين ، لأن معهم كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو الخير كله ، اهدام .

(٤) أي البياض ، اهدام .

كان في غاية الحياء من الله أولاً ، ثم منهم [أي الملائكة] ، فإذا فارقوه في هذه اللحظة ، فرض لهم واستراح لعلمه أنهم فارقوه إذ ذاك ، فلو أن أحداً تكلم في الخلاء ، لكلفهم الدخول عليه فيه ، ليكتب ما يقول ، ولا لهم [أي أهل الزمان] لذة في ذكره ولا صلاة ولا قراءة ، ومن كان يشق عليه فعل المعصية ، ففعلها مرة ، سهلت عليه بعد ذلك ، كما يحكى أن بعضهم كان يسير في طين ووحل من جانب الطريق رافعاً ثيابه ، يتحفظ عن السقوط وعن البلل والطين لئلا يضل ثيابه ، فاتفق أنه سقط فبعد ذلك أرخى ثيابه ، وسار مرعياً ثيابه في وسط الطين ، وجعل يبكي ، فقيل له في ذلك ، فقال : كنت خائفاً من السقوط ، فسقطت فسهل عليّ ، وهكذا المعاصي .

وقال رضي الله عنه : من يرى عند فعل المأمورات والمطلوبات انبساطاً وانشراحاً ، وعند فعله خلاف ذلك ، يرى اشتزازاً وحزناً في قلبه ، فهو الذي ينتفع بالنصيحة والموعظة ، ثم تمثل بهذا البيت :

إنما تنجع للموعظة في المرء إذا كان له من قلبه واعظ

وقال رضي الله عنه : قد جرت عادة أهل العلم إذا ذكروا أحدهم عن أحد كلاماً يحكيه عن نفسه مما يكره لا يحكيه عنه بصيغة لفظه عن نفسه ، بأن يكون فيه ضمير للتكلم ، بل يذكره بصيغة الإخبار عن غيره ، ويأتي فيه بضمير الغائب ، كما لو حكى عن أحد الطلاق ، فيقول : قال فلان امرأته طالق ، ولا يقول : قال امرأتي طالق ، وكقال فلان هو يهودي إن فعل كذا ولا يقول قال أنا ، وكل ما يجري هذا المجرى .

وقال رضي الله عنه : إذا لم تعلم ما عمل الإنسان ، فاعرف جزاءه ، تعرف به عمله ، إذ الجزاء من جنس العمل .

وقال رضي الله عنه : الضلال والهداية من الله تعالى ، لكنه يفضل على أيدي

الشياطين ، ويهدي على أيدي الأنبياء ، فإذا كان الإنسان سائرا على المسيرة السوية ، فعرض له الشيطان ، وقال له : تعال من هنا، فإن كان له تمييز به ، وأراد تعالى ثباته ، قال له : لا أتبعك فإن أعرف الطريق وقد مارستها، ومن أراد إضلاله امتثل ما أمره به الشيطان.

وقال رضي الله عنه : إنه ستكون بعدنا أمور هائلة جنا ، فاستمسكوا بخصلتين: الانتباض والتمسك [أي بالدين] ، فاعملوا عليهما ، واستوصوا بهما ، ولعل أن يكون أحد يجهمه^(١) على الدين كما يجهمه على الزرع ، ورأينا الناس اليوم إنما همته الدنيا فقط ، وما يريدون من الصالحين إلا من له منهم حال ، أن يزيل عنهم بحاله ما ينقص أموالهم ، مع عدم إتفاقهم لشيء في سبيل الله ، ومن تأمل أحوال الأنبياء ومن تبعهم من العلماء والصالحين في الدنيا ، عرف أنه لم يسترح فيها ويطمئن بها إلا أحمق جاهل .

وقال رضي الله عنه : لا تتول إلا إذا كان عليك^(٢)، واحذر أن تتول إذا كان لك ، فتخرج من الدين وتصر تابعا للهوى والخط ، بل اسأل عنه العلماء المتقنين، دون المتساهلين.

وقال رضي الله عنه : قد تعلق الإمام الغزالي آخر عمره بعلم الحديث ، حتى قال بعضهم : لو طال عمره لأرخص تلك البضاعة ، وإنما تعلق به لأن من تمكن في العلم اللدني وتبحر فيه ، لا يلائمه ويطابعه ، إلا العلوم اللدنية كعلوم الحديث ، لأنها من عند الله على لسان رسوله ، أو كما قال . وسمعت سيدنا يقول : كان

(١) أي يذم . إمام .

(٢) أي الحق . إمام .

أكثر تعلقه^(١) من كتب الحديث بإجماع الترمذي ، حتى روي عنه أنه قال : من عنده جامع الترمذي ، فكأنما عنده نبي يتكلم^(٢).

وطلب منه رضي الله عنه بعض السادة كتاب "موجبات الرحمة في اختلاف الأئمة"^(٣) ليقابل عليه نسخة عنده منه ، فقال له : أما أنت فنعم ، وأما للقبائل معك ، فإن كان فلان أو فلان أو من هو مثله ، وإلا فلا ، ثم قال نفع الله به : علما لا تأمن متفقه الزمان عليهما : علم الحقائق وعلم الخلاف بين الأئمة ، وعندنا منهما كتب كثيرة ، لكننا ما نظهرها .

وقال رضي الله عنه ما معناه : اطرح نفسك على التراب ، فإن كنت ترابا فلا حرج عليك إذا وضعت التراب على التراب ، وسلمت بذلك من الدعوى ، وإن كان معك شيء فلا تظن أن هذا يضعك ، بل يزيدك رفعة ، وما أظن أحدا في هذا الزمان ، يدعي لنفسه شيئا إلا من عدم العقل ، وأما من ادعي له ، فإنما ذلك من كثرة الكلام ، وقد تكون أسباب وأغراض لمن يدعي ذلك لأحد ، تحمله على أن يدعي له ، فقد قال رجل لرجل آخر لا نعهده في درجة أهل الإيمان ، أو قال الكامل ، قال له : أنا أعتقد أنك في منزلة الشيخ عبدالقادر الجيلاني ، ونحن لا نسلم لمن يدعي بما ادعاه ، ولا لمن ادعي له بذلك ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : أهل الزمان يحبون أن تحصل لهم الكرامات من الصالحين إذا وافقتهم على مقتضى أغراضهم ، وهم لا يعرفونها بل يسمعونها في الكتب ، فإذا رأوها فليفعلوا إن كان فيهم أهلية لذلك ، وإذا ذكر لهم : إن فلانا خرج من

(١) أي الغرالى . اعلم من هاشم (خ) .

(٢) نقلت هذه القولة للترمذي نفسه في وصف كتابه .

(٣) في النسخة المطبوعة من هذا الكتاب . بعنوان " رحمة الأئمة في اختلاف الأئمة " ، للعلمان .

ماله لله ، أو تصدق بكنا كنا ألف ، نفروا من ذلك ، فإنما يحبون منها ما يزيدهم في دنياهم ، وأما ما ينقصهم فيها فلا يريدونه ، ثم قال : وهذه الأشياء^(١) نادر وقوعها جداً ، ولا تحصل إلا في أوقات متطاوله لغرض أو فائدة ، وفي حال غيبة ، وقد لا تحصل لأحد منهم مدة عمره ، إلا نحو مرة أو مرتين ، ولهذا سُميت خارقة للعادة ، إذ لو غلب وقوعها لما قيل لها أمر خارق للعادة ، وفي الحقيقة إنما الكرامة حرق عادة النفس ، وقطع ميلها عن حب الدنيا وملاحظة الأهوى ، ومجانبة الكبر والدعوى ، وسائر الأخلاق للذمومة ، وتخليتها بالمحمودة ، أو كما قال بمعناه .

وقال رضي الله عنه : هذا الزمان هو الذي قال الله فيه : { عَلَيْكُمْ أَنْتَقِسْكُمْ }^(٢) فعلى الإنسان فيه بخاسة نفسه ، بمنعها من كِبَرٍ وحسد وغل وحقد، ولا عليه في ذلك من غيره .

وقال رضي الله عنه : الأوراد لا تؤثر إلا مع الحضور ، ولا تنفع إلا مع الدوام.

وقال رضي الله عنه : أحص ما يكون من معاني القرآن ، التكلم به على لسان الحق^(٣) ، ثم بعد ذلك الخطاب مع الحق وهو ما فيه ضمير الخطاب كإياك نعد ثم ما كان فيه نيابة عن الحق كآيات الأمر والنهي والوعد والوعيد ، وغير ذلك .

وقال رضي الله عنه : إذا جاء في القرآن الخطاب لهذه الأمة ، فهو عام فيها ، ولا يختص بالفاعل ، كقوله تعالى : { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ

(١) أي الكرامات المعصيات .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ١٠٥ .

(٣) قوله : على لسان : أي ما كان فيه ضمير التكلم كقوله تعالى : { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ } ، { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِحَقِّ الْحَقِّ } ، { وَمَا خَلَقْنَا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا بِحَقِّ الْحَقِّ } ، وغير ذلك مما يختص من الأعمال بالقدرة الإلهية ، إذ لا يقول ذلك أحد سواه المعصيات .

خَاصَّةً^(١) ، أي إنما نصيب الظالم وكل من ينسب إليه ومن يجالسه أو يواكله أو يحل إليه بأي وجه ، وإذا جاء الخطاب لغير هذه الأمة ، فيكون لمن فعل مثل فعلهم .
وقال رضي الله عنه : القرآن كلام الله ، سماه عزيزاً لعزّة قدره ، لأنه نزل من عزيز على عزيز ، ولا يستلذ قراءته إلا أهل البصيرة ومن في قلبه نور ، ويستقل منه الشياطين ، فمن يحل من قراءته فذلك في قلبه شياطين ، لولاهم ما كان منه ذلك ، إلا إن كان مع كثرة القراءة ، فإن البشر من طبعه الملل ، وقد قال الفضيل : لو كنت عرفت من القرآن أولاً ما عرفته منه الآن ، ما نقلت حديثاً ، يعني لأن جميع العلوم تنفجر من القرآن ، فإذا أعطاه الله الفهم فيه ، فلا يحتاج إلى تحصيلها من غيره ، وقد أحملها فيه ، والعمدة على نور القلب .


وقال رضي الله عنه : من تعاون بطاعة الله الظاهرة ، ووقع في معصيته لا بد له من الموت ، عاجلاً وآجلاً ، وأول ما يموت منه قلبه ، وهو للموت العاجل .
وقال رضي الله عنه : من يضيق من الجلوس في للمسجد والقراءة ، قل لي ذلك لأي سبب ، ما هو إلا إن في قلوبهم شياطين ، يُضَجِرُّوهم من الجلوس فيه ، ومن تلاوة القرآن ، مع أن التالي بحالٍ رَبِّهِ ، فلا تصلح قلوبهم حتى تخرج منها الشياطين . وللملائكة لا تتبع الشياطين ، وهذا صراط الله للمستقيمين ، حيث حكى عنه أنه قال : { لَاقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ } إلى قوله : { شَاكِرِينَ }^(٢) وهو يجري من ابن آدم بحسرى الدم ، إن لحق إلى القلب مدخلاً دخل إليه ، وسببه لُقِمَ الحرام والشُّبُهَة ، ومن أكل طعاماً حراماً لم يعلم بحرمته فلا لوم عليه من حيث ظاهر

(١) سورة الأتفال ، الآية : ٢٥ .

(٢) قال الله تعالى : { قُلْ قَبِلْنَا إِغْوَاؤَكَ لَاقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ } (١٦) ثُمَّ لَا تَجِدُ لَظَاهِرَهُمْ غَافِقِينَ وَتَجِدُ الْغَافِقِينَ وَتَجِدُ شَعَائِلَهُمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ } .

الشرع ، لكن يحصل منه تأثير في أمر غير ذلك .

وقال رضي الله عنه : فقد الشيطان لكل أحد على طريقه التي يصل بها إلى الله تعالى ، لأنه عدو ممارس عارف بالطرق ، فحاء لبعضهم في البخل ومحببة الدنيا ، ولآخر في الرياء والكبر وغير ذلك ، وأهل أخلاق السوء كل منهم هو متصف بها ، ويعمل على مقتضاها ، وإن لم يعرف تفصيلها ، ويعبر عنها كالضعيف^(١) ، الذي يجب أن يكون أحسن من غيره ، وإذا فعل أمرا أحب أن يرى ، فهذه الأشياء ونحوها ، هو الرياء والكبر المحبول عليها ، وأما أضدادها كالإخلاص ، فإنها من ثمرات التوحيد ، لا تهتدي العقول إليها ، حتى جاءت الأنبياء ، وعرفوا الناس التوحيد وثمراته ، وقد يدرك بالعقل الخالق للأكوان ، ولكن لم يهتدوا إليه إلا بتعريف الأنبياء فمعن نظر السماوات والأرض وغيرهما ولم يعتقد أن لها خالقا فهو مصاب في عقله ، وما أجهل ممن يفعل صنما بيده ويعبده ، وبعضهم يجعله من سكر فإذا جاع أكله .

وقال رضي الله عنه : الهداية بعد الآيات ، ما هو ولا بد ، ومن تأمل أحواله  ، علم أنه قاسى منهم من التعب أمرا عظيما ، ومن مشركي مكة ومنافقي المدينة خصوصا ، وابن أبي في المنافقين كأبي جهل في المشركين ، والإنسان محجوج بمجرد عقله ، ولو لم يكن كتاب ولا رسول ، وإن كان في أمور الآخرة بعد على العقول ، لكن يلزم بالتكذيب بذلك التكذيب بمن أخبر به ، وهو الله ورسوله ، وكنا عزمنا على وضع رسالة في الإلهيات والنبويات وأمور الآخرة ، ولكن^(٢) متعنا منه اشتغال الناس وعدم إصغائهم ، ولكننا إن شاء الله سنجعله في فصل من الفصول العلمية ، أقول : وكلامه هذا في مجلس الدرس ، بعد العصر في المصلى ، فلما قام ودخل

(١) أي الضعفاء ، انظر من هامش (ج) .

(٢) في (ج) : ولكن ، وفي الأم : ولكنا .

ودخلت معه إلى الضيقة ، قال لي نفع الله به : الحذر تعلق قلبك بشيء من ذلك ، وإن ورد عليك شيء منه فأعرض عنه ، فقلت : عسى الله يبركتكم يحفظني من جميع الأسوي ، قال : إن شاء الله .

وسئل رضي الله عنه عن حديث : ((إن لله في كل ليلة من شهر رمضان كذا كذا عتيقا من النار ، وفي آخر ليلة منه يعتق كما أعتق في الشهر كله)) ، هل هذا يكون شاملا للأحياء والأموات ، وللإنس والجن ، فقال : هذا للأحياء من الإنس والجن ، وأما الأموات فقد غفر لهم ، وليسوا في دار تكليف ، وإذا جاء حديث ينظر أولا في صحته ، فإذا صح نظر فيه العالم وتكلم وفصل فيه ما يحتاج فيه إلى التفصيل ، وإذا لم يصح لم يحكم فيه بشيء إلا إذا هو في الوعد ، فيبقى العبد على حسن الرجاء في الله تعالى ، وأمور الآخرة يؤمن بها كما جاءت بلا تأويل ، وأمور العقيدة تنقسم إلى ثلاثة أقسام : الإلهيات ، والنبويات ، وأمور الآخرة ، وللعلماء في كل قسم كلام ، وأضيقتها بحال الإلهيات ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : إنما يستدل على كمال الشخص ، بتأديته الفرائض على كمالها لأنها عمود الدين ، فمن أقامها بواجباتها وسننها وحضورها من غير وسوسة ، دل ذلك على كماله ، وحسن عناية ربه به ، وإن عكس دل ذلك على عكس ما ذكر .

وقال رضي الله عنه : إن أهل الكرامات من الأولياء ، قل أن يظهروا منها في هذا الوقت شيئا لفساد الزمان وتعلق أهله بالدنيا ، فلو قال ولي لواحد منهم : قم وانظر في المحل الفلاني من بيتك ، تجد فيه ألف درهم ، خذها واعط الفقراء منها خمسين درهما ، لبخل ولم يسمح بشيء ، وأراد أن يأخذه كله ، وقال : لو كان هذا وليا لما أراد مني شيئا ، فانظر أحوالهم هذه ، ما أبعداها من الصلاح والاعتقاد ،

وما أقرها من الطمع والفساد أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : إذا تعارض الداعيان في الإنسان ، فيترجح أحدهما إما بحكم شريعة ، أو بحكم طبيعة ، أو عادة ، إما يرجحه هو بنفسه ، أو يرجحه له غيره ، وكل ما تحدث به نفسك مما لا فائدة فيه ، فاشتغل عنه ، بلا إله إلا الله والذكر والاستغفار .

وقال رضي الله عنه ما معناه : إذا أراد الله من عبد أمراً ، أجراه على خاطره ، وأرسل عليه داعية إلى فعله ، وأنساه الأمر الآخر للقابل له ، ليمضي الله فيه ما أراد منه .

وقال رضي الله عنه : إن الله لم يجعل أسراراً ، أو قال ولايته إلا في من يصلح لذلك ، فإنه يؤهله له وينظفه ، فإذا صلح فعل ، فما كان إلى اختيار العبد فعلى التدريج ، وما كان إلى الله ففي لحظة ، كما إن أحدكم إذا أراد أن يضع شيئاً عزيزاً في مكان فإنه يغم المكان وينزعه ثم يطرحه ، وربما قال : وإذا أراد للعبد خفف عليه ما هو باختياره ويسره ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : من اصطنع معروفاً إلى من يخاف من لسانه ، نظر إلى اصطناعه إلى أهل الخير والمستحقين ، فإن كان نحو تسعة أعشاره ، وإلا فسوء رياء وكذب .

وقال رضي الله عنه : العلم مع الرعونة^(١) لا يتفع ، كوضع المسك على الوسخ ، وكان الأولون لهم حاجة إلى رياضة النفس^(٢) .

وقال رضي الله عنه : إنهم بنوا أمورهم على العلم ، ولكنهم يعلمون الأصول

(١) أي الكبر بهائم.

(٢) أي يتنون بتصنيفها من الرعونة ، لا مثل هؤلاء البهائم.

أولاً، وإذا احتاجوا إلى الفروع النادرة يحصل لهم فيها فتوح من الله تعالى .
وقال رضي الله عنه : وفي قول من قال : من عمل بما يعلم أورثه الله علم ما لم يعلم : هو العلم للدين .

وقال رضي الله عنه : العالم إذا لم يعمل بعلمه ، لا يقال له عندنا عالم ، إلا أن يقال عالم فاجر ، بأن يوصف بالفجور ، والجهل على هذا أسلم له ، وتقريبه مع هذا الوصف فيه هدم للدين أكثر .

وقال رضي الله عنه : ينبغي لمن طلب العلم أن يتعلم المسائل التي تقع غالباً ، فإن حصلت مسألة لا علم عنده فيها ، فيأخذها من الكتب إن أحسن أن يأخذها منها ، وإلا سأل عنها العلماء أهل الدين .

وقال رضي الله عنه : قيل لبعضهم أي أوسع ، العلم أو الجهل ، فقال : العلم أوسع للمتحري ، والجهل أوسع للمتحري .

وقال رضي الله عنه : جامع التقوى فعل الطاعات وترك المعاصي خشية من الله سبحانه ورجاء ثوابه وامتنال أمره .

وقال رضي الله عنه : كان الصالحون ، تُستر كراماتهم وقت حياتهم ، حتى عن من يطلع عليها قبل موتهم ، بحيث لم يفهموا أن ذلك كرامة إلا بعد موتهم ، وكذا قد تستر ما داموا في الدنيا ، حتى عنهم أهل الكرامات أنفسهم .

أقول : وقد رأينا منه رضي الله عنه كثيراً مما لم يخطر في البال أنه كرامة إلا بعد وفاته ، ولو لم يكن من ذلك إلا معرفته بدخول وقت الصلاة سيما وقت الفجر قبل أن يعرفه الناس حتى إنه نفع الله به يركع سنة الفجر ثم ينزل إلى الضيقة ويجلس إلى أن يتبين للجماعة الفجر ، ويركعوا ، ثم يأتيه الخادم ويؤذنه للصلاة ، فهذه عادته كما هي عادة النبي ﷺ ، وربما أشكل على الجماعة الفجر ، سيما مع شدة ضوء القمر

وتراكم السحاب ، فيعلمهم هو بالفجر ، وكل أحد يرى ذلك منه ولم يخطر في باله أنه كرامة خارقة للعادة ، لكن ظهر ذلك بعد وفاته رضي الله عنه .

وقال رضي الله عنه : أهل الزمان تغلب عليهم العادة ، سواء صلحت أو فسدت ، لأنهم عدموا من يقتنون به من الأخيار ، فبقوا على آرائهم ، وهذا الزمان قليل الأخيار ، من أخيار الدين وأخيار المروءة .

وقال رضي الله عنه : من لم يزهد في الدنيا كيف يطلب الجنة ، فترى الإنسان يحزن على فوات لقمة أو عرق ، وعاده يحدث نفسه بحصول الجنة ، فإن مثل هذا لم يكن متاهلاً للجنة .

وقال رضي الله عنه : الحكيم من يدير الخوف بالحزم ، ويدبر الرجاء بالأمل .
وقال رضي الله عنه : لا بد للقطب من أربع خصال ، حسن السيرة والسريرة والصورة ، هكذا رأيت في الأصل الذي نقلت منه فلا أدري أنسيت الرابعة أو كذا ذكره .

وقال رضي الله عنه : قال سيدنا علي عليكم بالنمط الأوسط ، يتبعكم العالي ، ويلحقكم التالي ، ومرة قال : عليك بالوسط من الأمور ، يتبعك ويلحقك بالأفراد .
وقال رضي الله عنه : المطلوب من عبد ابتلاه الله ببلية ، أن يصير ويظهر التجلد ، رجاء الثواب ، وأن يعاقب من ذلك ، فإن ابتلي بسبب جور أو مخالفة أمر فليحتسب ذلك ويواسي^(١) بين الأمور ، فإن أظهروا للملك^(٢) والخلاف ، زيد عليهم وهذا مشاهد بحرب ، وأهل هذا الزمان يعكسون الأمر ، فالغالب على الأكثرين منهم التورط بهذا السبب ، ومثاله بين الناس أن من أراد أن يضرب عبداً له عشرة أسواط

(١) في (ع) : ويواسي .

(٢) الملك : أي المحصورة . العبد من هاشم (ع) .

مثلا ، فرأى منه السكون والتسليم ، اكتفى منه بسوط واحد ، وربما تركه رحمة له ، وإن أظهر للمعانة والتفطظ لم يكتف منه بذلك ، بل ليس ينحصر ما يحصل عليه منه ، وهذا ضابط بحرب .

وقال رضي الله عنه : خذوا هذه الكلمة حكمة ووصية ، إذا اشتبهت عليكم الأمور فاسلكوا الوسط .

وقال رضي الله عنه : الظلم المرتب خير من العدل المصيب ، فما بالك بعكس الأمر فيهما .

وقال رضي الله عنه : كل أمر متوسط لا يضر ، وكثرة الظلم وكثرة العدل لا يستحقه أهل هذا الزمان ، لأن فيهم من لا يستحق الظلم ، وفيهم من هو حدير به ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : الاحتكار سحت ، وقد وجدنا كثيرا من الناس فعلوا ذلك قاصدين الربح ، فأصبحوا فقراء لا يجلبون كفاية ، إذ لا بركة في اغتنام الناس .

وقال رضي الله عنه : من تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم ، بعد ما فتح الله عليهم الفتوح الكثيرة ، رآهم مع كثرة الدنيا في أيديهم ، ما شغلهم إلا بالله ، والذي في أيديهم كأنه ليس هو هم ، ولا بينهم وبين غيرهم فيه مزية ، إلا بكولهم يتصرفون فيها فقط ، فقد كان الزبير رضي الله عنه له ألف عبد ، يؤدون له الخراج ، فإذا جاعوه به في مجلس ، ما يقوم من مجلسه حتى لم يبق له منه درهم ، ويفرقه في الحال ، وما الدنيا للذمومة ، إلا ما أشغل عن الله ، وما لم يشغل عنه فهو زاد الآخرة ، وعلى هذا قد يكون الإنسان خليا من الدنيا وهو مذموم الحال ، حيث يشتغل باهتمامه بها عن ذكر الله ، وقد يكون معه من الدنيا شيء كثير وليس مشغولا به محمود الحال أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : لا يمسك الدنيا إلا الأوعية^(١) الدنسة ، لأن في إمساكها شكا ، والأوعية الظاهرة لا تمسكها ، ولا يبالي أحدهم إن أصبح بلا عشا ولا غدا .
وقال رضي الله عنه : الإفراط في محبة الدنيا يغير العقل والدين ، لأن طبعها الإسكار .

وقال رضي الله عنه : علامة اليسر في الأمور ، أو العسر فيها يعرف من أوائلها ، إن رأيته يسرا فالباقي كذلك ، أو بالعكس فالباقي مثله .
وقال رضي الله عنه : محبة الطاعة دليل العناية ، ومحبة الشر دليل الخذلان ، فعناية الله تظهر على الإنسان ، وكذلك خذلانه لأن أفعال الله باطنة ، ولا تعرف إلا بظهورها .

وقال رضي الله عنه : العمدة على اجتماع الأرواح ، وبالأبدان يكون الاجتماع في الدنيا ، وبالأرواح يكون الاجتماع في الآخرة ، ولا عبرة باجتماع الأبدان مع مفارقة الأرواح .

كلمات تقال عند الوقاع

وقال رضي الله عنه : سمعنا في بعض الكتب أربع كلمات تقال حال الوقاع استحسانها ولا بأس أن يأتي بها بعد الوارد ، وهي : الحمد لله الذي جعله في حلال ولم يجعله في حرام ، وجعله في طاعة ولم يجعله في معصية ، وجعله في سر ولم يجعله في هتك ، وجعله في أخيار ولم يجعله في أشرار .

(١) أي القلوب . اعلم .

وقال رضي الله عنه : لا يستقيم ويتيسر للإلتسان أمر الطاعة إلا بفصلتين :
الرغبة والفراغ ، وأحدهما أبلغ من الأخرى^(١) . الرغبة أنفع من الفراغ .

ما قيل في حسن الظن في غير محله

وقال رضي الله عنه : أهل الزمان يسمعون ما ورد في الحديث من مدح حسن
الظن بالله ، فيفعلون المعاصي ويصرون عليها ، ويعتزون ويطنون أن ذلك هو حسن
الظن المطلوب ، بل إنما هو سوء ظن بالله ، وإن كلمته قال : ما أنا صالح ، وأنا من
شق الناس ، وما الذي يمنعه من الصلاح ، ومتابعة نبيه؟ ، ويتوكلون في ترك
الطاعات ولا يتوكلون في ترك الدنيا ، ومن علامة المؤمنين من المنافق ، إن للمنافق
جميع ما تراه منه في أفعاله وجميع أحواله يتبع الرخص ، والمؤمن محتاط ، وهذا
منافق في العمل دون الدين ، وإن أنكر على من يرد عليه ، فهو منافق في الدين أيضا ،
ولكنك اجتهد أن لا تدابنهم ، ولا تطلع على أحوالهم ، وإلا وقعت معهم في محنة ،
وإن بليت بأحد منهم فاجتهد في سلامة دينك ونفسك من شره .

وقال رضي الله عنه : حسن الظن في غير محله ضحكة للشيطان ، كإساءة الظن
في غير محله ، كمن يرى عاميا يصلي ، وقد اطلع على حاله ، وعلم أنه لا يجسن
شروط الصلاة ، ويخل في شيء من أركانها ، ثم إنه اقتدى به ، وقال : حسن الظن
بالمسلمين واجب وهذا من قبيله ، فليس كذلك ، بل إذا علم منه ما ذكر لم يصح
اقتداؤه به ، وهذا غالب في هذا الزمان السيء .

وقال رضي الله عنه : إذا لم يمكنك أن تقوم بالأمر كله ، فتوسط فيه ، فإذا

(١) في (ع) : من الأمر .

كانت الغايات لا تدرك ، فالقليل منها لا يترك .

وقال رضي الله عنه : من حصلت له عقوبة مع السيئات^(١) حصلت له بعدها^(٢) مثوبة^(٣) لأن الله لا يعاقب إلا ويثيب .

وقال رضي الله عنه : إن الله لم يخرج عبده المؤمن من الدنيا ، حتى يضحى منه مرض ونحوه ، ليخرج منها زاهدا فيها.

وقال رضي الله عنه: من لا يعرف قواعد الصوفية ، يظن أنه تفاض عليهم العلوم^(٤) كذا بلا شيء وهم جلوس ، لا ، بل لا بد من الإقامة بالكتاب والسنة أولا، ثم يفتح الله بعد عليهم بها ، وهي^(٥) علوم عين اليقين ، بعدما تنظفت قلوبهم من المذمومات وتخلت بالمحمودات ، وذلك حاصل من الإقتداء بالكتاب والسنة ، وهو معنى المجاهدة التي وعد عليها بالهداية ، فمته^(٦) تحصل العلوم الدنية ، ومن جلس ينتظر من غير اتباع لهما ، من أين يحصل له ذلك ، وقد كانوا يحصل لهم من الأنوار والعلوم والمعارف ما لم يعبر عنه ، وأما اليوم فقد تغيرت القلوب من أكمل الحرام والشبه.

وسألت سيدنا نفع الله به : ما المراد بالعلوم التي ذكر الإمام الغزالي في الأربعين الأصل: إنه اختلف في سبب تحصيلها النظار والصوفية ، وذكر سبب ذلك عند كل منهما ، فقال رضي الله عنه : تلك حقائق العلوم التي هي غاية كل علم ، فإن كل علم له حقيقة وسبب يتوصل به إلى حقيقته ، كمعرفة الملائكة وما ذكر من أمور

(١) أي عند فعلها.اهـام .

(٢) أي بعد العقوبة .اهـام .

(٣) أي إذا تاب.اهـام .

(٤) أي الدنية .اهـام .

(٥) أي علومهم .اهـام .

(٦) أي الإقتداء .اهـام .

الأخرة ، فتوصل الصوفية إلى تحصيلها بالمجاهدة ، حتى بلغوا حق اليقين فيها الذي لا شك فيه فصار قولهم قولاً واحداً ، وأما النظائر الذين توصلوا إلى تحصيلها بالقياس والدليل ، وتشبيه الشيء بالشيء فيقاس عليه ، فلم يبلغوا من حقيقة اليقين مثل ما بلغ إليه أولئك ، ولهذا ترى لهم في المسألة عشرة أقوال ، لكون مبلغ علمهم الظن ، فيقولون لكل قول من العشرة ، لعل هذا هو حقيقة اليقين ، والصوفية إنما كان قولهم قولاً واحداً ، لما حصل معهم من تحقق حقيقة اليقين .

وقال رضي الله عنه : لا يفتح على أحد في العلم حتى يطلبه ويعتقد أنه على منه ، لأن المظاهر الدنياوية ، قد تنقص من المظاهر الأخروية .

وقال رضي الله عنه : ما جر إلى خير ، فعاقبته إلى خير ، وإن كان في ظاهره شر ، وما جر إلى شر فعاقبته إلى شر ، وإن كان في ظاهره خير ، والعاقبة للحوائث أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : كأن هذا الوقت مقدمة للحشر^(١) أعني غير الحشر المنتظر .

وقال رضي الله عنه : إن الله أمر بأداء الواجبات ، من صلاة وزكاة وصوم وحج وغير ذلك ، والعبد يفعل ويرجو القبول ، وهو فيها أقرب من غيرها ، لأنها دين لله ، والله مطالب بها ، وقليل ما أحد يرد دينه إذا أوصله للمدينين إليه ، ولو كان فيه خلل ، وأما النوافل فهي تبرع ، فلا تقبل إلا إن كانت على الوجه الأكمل .

وقال رضي الله عنه ما معناه : لا يكون من الأرض شيء من المنافع والفوائد إلا وله سبب سماوي ، وبالعكس لا يحصل شيء من السماء من العقوبات ، من منع

(١) قوله : مقدمة للحشر : أي شبهة في قول كل إنسان ، نفسي نفسي فيما يهواه ، ولا يبالى بأخيه ، ولا يقوم برأيه مما عليه امره ، ففرق بشبهة نفسه .

قطر أو عاعة أو أي شيء إلا وله سبب أرضي ، وإذا اعتبرت رأيت جميع الخيرات الدينية والدنيوية كلها إنما هي من السماء ، أو سببه من السماء ، فالقرآن نزل من السماء ، وهو السبب في الهداية ، والماء نزل من السماء ، وهو السبب في النبات^(١).

وقال رضي الله عنه : العافية هي المستر للإيمان ، وعليها المعول في طلب الدين .
والدنيا .

وذكر رضي الله عنه رجلا ادعى ما لم يكن له أهلا . فقال نفع الله به : أحد من الناس يشمخ بنفسه ، ولم يكن شيئا ، ثم قال أقل أحوال أهل الحق ، أنهم يتواضعون وينصفون إذا ما رأوا صفاتهم للذمومة ، وأقل ما في حال الداعي إلى الله ، أنه يتكلم على الناس بما يرقق قلوبهم ، وإن تعددوا^(٢٧) من قائم ظاهر للناس يدعوه ، إن كان هو القطب فذاك ، وإلا فهو نائب عنه ، والقطب إن كان من أهل الخمول ، ينصب أحدا ظاهرا ويدعو له ، فيعيش ذاك في بركته ، ومن افترقت الكلمة بسببه يدعو عليه الباقون .

وقال رضي الله عنه : قيل : كل كلام يخرج وعليه كسوة القلب الذي يخرج منه ، فإن كان القلب منورا خرج منه الكلام وعليه النور وإن كان الكلام مظلماً ، وإن كان القلب مظلماً خرج منه الكلام وعليه الظلمة وإن كان الكلام منورا.

وذكر: إن الشيخ عبدالقادر رضي الله عنه إذا تكلم على الناس يسمع لهم الصياح والبكاء ويتوب كثير من الناس مما هم مصرين عليه، وكان في لسانه لكنة

(١) أي إن القرآن سبب حياة القلوب والأرواح ، ولقاء سبب حياة الأجسام والأشباح ، وكلاهما نزل من السماء الهامية.

(٣) أي الدعوة، التماس.

لأنه كان أعجمياً ، فسافر بعضُ بنيه وطَلَبَ العلم واللغة^(١) والنحو وغير ذلك ، حتى أتقن علوم الآلات ، فجاء واستأذن أبيه أن يتكلم على الناس ، فأذن له ، فلما خرج إليهم جعل يتكلم ، ويتفصح في الكلام ، ويجتهد في الإعراب ، فصاح منه الناس ، واستغاثوا بالشيخ والده^(٢).

وقد قال سيدنا نفع الله به في حِكْمِهِ : كلام أهل الإخلاص والصدق نور وبركة ، وإن كان غير فصيح ، وكلام أهل الرياء والتكلف ظلمة ووحشة ، وإن كان فصيحاً انتهى .

وقال رضي الله عنه : قال بعضهم عملٌ واحدٌ في ألف شخص ، أبلغ من ألف قول في شخص واحد .

وقال رضي الله عنه : إن فلاتاً من السادة من أهل الشر ، يطلب شيئاً ممن القصائد فاختر له ، قلت : إنه يريد التوالي ، قال : مليح ، ونحن ما جعلناها قصاراً فرية اللفظ إلا لهذا القصد ، ليسهل حفظها على من أراده ، فاختر له إن كنت تحسن الاختيار ، قلت : إن اخترتوا له فهو أحسن من اختيار غيركم وأولى ، فتبسم وسكت قليلاً ثم قال : أنت تسمع ولا تعقل ، ودائرة العقل أوسع من دائرة السمع ، وقد ذمَّ الله سبحانه بعدم العقل أبلغ مما ذمَّ بعدم السمع ، فقال الله تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ تُحَسِّبْ أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾^(٣) الآية ، فلو قال : ويعقلون لكان أهون ، فلما نفى عنهم العقل أيضاً ، مع نفي السمع كان ذلك في أقصى غاية من الذم ، أما سمعت

(١) في (ع) : والفلة .

(٢) وفي القصة : يلزم طلبوا من الشيخ أن يأمروهم بالدور ، فأمره بالدور ، ثم صعد الشيخ فقال وهم يسمعون : بالرحمة لم نفراد، يعني زوجته ، طاحت لها دجاجة وجعلها في حضارة ، فجاء امرأ فأكثها ، فحصل لهم عندما سمعوا ذلك خشوع عظيم وصراخ وبكاء ، فقال لآبائه : ألم تعلم لك إن ذلك ليس بالتمساسة وإنما هو سر ، وكان قال لآبائه ذلك عندما أسأله في الصعود على المنبر بالصوم .

(٣) سورة الفرقان ، الآية : ٤٤ .

في القصيدة قولنا فيها : الجسم المشبه باليو^(١)، تشوفونا ندخل ونخرج ، ولا أنتم داريين ، فما ترون حال من يخطر في باله أنه يصلي قائما أو قاعدا ويتخوف السقوط كل حين ، فخللوا منا القليل ، ولا تطلبوا الكثير ، فإن القليل ممن هذا حاله كثير ، كالرجل المريض ، إذا جاء عنده أحد يستند ، ويتحمل بالقوة ، ولكنه يغلبه ما يجد ، وأهله يريدونه يأكل شيئا ، ويسقونه الماء ، كل ذلك يريدون عافيته وحياته لنفعهم واحتياجهم إليه ، أو لرغبتهم في حياته ، وهو في ذلك مشغول عنهم بما هو فيه ، فقال له رجل كان حاضرا : ما هذا إلا بخت لأهل الزمان يوم يرونكم كل حين . فقال رضي الله عنه : لكن أهل الزمان ما يحسنون يضمنون البخت ، ولا يعرفون قدر البخت ، إلا فيما بعد ، كالمرأة السوء ما تضم البخت ، كلما مس يدها يريدها^(٢) ، جرت برجله . قلت : إن الأمر كذلك ، فماذا ترون؟ ، قال نفع الله به : خذ بالرفق لأنك خذها قاعدة : في كل أمر انبهم عليك فلا تدري حقيقته خذ فيه بالرفق ، قلت : الإنسان مع حسنة حاله يطلب الكمال ويرجوه ، قال : نعم ، لا ترى الشيء خاصا بك ، كما إذا كان عندك قوت طيب ، ومعك ناس ، فإن كان كثيرا يكفيك وإياهم فتضلع منه ، وإن كان قليلا لا تأخذه عليهم ، وخذ منه قدر حصتك ، وخل هم الباقي ، قلت : فإن اعتمد الإنسان على المقادير تعطل ، وإن عمل ما أحسن ، ولا عرف كيف العمل . فقال رضي الله عنه : أشياء من المقدرات مقدرة مع العمل ، فلا للمقدر يمنعك من العمل ، ولا العمل بمنعك من المقدر ، ولا بد لك من كلا الأمرين ، فتعمل بظاهرك ، وتعتمد على الله بباطنك ، فلا بد لك

من القسب والجسم المشبه باليو
فهل من سبيل ما إلى العالم العلوي

(١) أول البيت :
ومضى هم ميت العصابة والفرى
من قصيدة أوتغا : شرى البرق من تند فهيج لي شعوى
(٢) في (ج) : بل كلما مس يدها يريدها .

أن تزن نفسك بالأمرين جميعاً ، أما سمعت الشيخ علي^(١) في الحقائق^(٢) ، كلما ذكر حديقة قال: وكيفية للوازنة .

ما قال في القضاء والقدر

وصافحه رضي الله عنه بعض الفقراء عليل الرجل ، فقال نفع الله به : الإنسان ضعيف ، ما يريد بطبعه إلا العطا دون النزع ، والعافية دون البلاء ، وهذا لا يكون ، ولكن عطاء ومنع، وعافية وبلاء ، وكذلك في كل شيء ، ولكن إذا نزل بك شيء من ألم تريد دفعه، أو نفع ترجو حصوله ، فاسع فيه بما له من الأسباب ، كسداوي ، حتى يجيك ما يغليك ، حتى لا تبقى لك قدرة على شيء ، فحينئذ تنح عن طريق القضاء والقدر ، ولو كان للإنسان عبد ما يريد منه إلا العطاء الدائم وكل ما يحب ، ولا يحتمل من سيده ما يكره ، ضاق منه سيده وباعه في الحال ، وهذا سر الرياضة والانقياد، كالزئبق لو قُتل حصل بفتله قلب الأعيان ذهباً وفضة ، ونحن وإياكم على ما قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام: { فَخُذْ مَا عَاشَيْكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ }^(٣) أو كما قال.

وقال رضي الله عنه : الأشياء تكون بأوقاتها ، لا بأسبابها ، ألا ترى الأمور تتم أسبابها فلا تقع ، وقد تقع بأدنى من ذلك ، وما على الإنسان إلا أن يطلب الفرج واللطف ، ولا عاذ يبالي من أي وجه يجيء ، وقد تكون العقوبات على أشياء سبقت وأشياء تُسبِت ، لأن العلم إليه سبحانه ، وما يكون من الله سبحانه مظهر

(١) هو الشيخ علي بن أبي بكر السكران بن عبدالرحمن السلف اللخوي سنة ٨٩٥ .

(٢) يعني كتاب "معارج المقابلة" للمذكور فسمه علي حقائق كما هو مذكور هنا.

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٤ .

عذاب إلا وترى فيه الرحمة أكثر ، من أجل أن الله سبحانه وتعالى سبقت رحمته غضبه ، كالريح ، فإنه أهلكت بما قوما ، وقد رحم بما على ما ذكر في القرآن أقواما كثيرا .

وسأله رضي الله عنه : ما الفرق بين أمر القضاء والقدر ، وأمر الشرع . فقال نفع الله به : القضاء والقدر هو الشرع ، فمن أمرك بالإيمان به ؟ إلا الشرع ، فأعرف الحق واعمل به ، واترك الباطل ولا عليك ، فإن للمبتدعة ضلـلوا أهل السنة بالقضاء والقدر ، قالوا لهم أما رضيتم حتى كذبتم ربكم ، والإعراض عن مثل هذا أحسن ، فإن الغلو في مثل ذلك ما يحصل منه إلا التفضيل ، وفساد الدين ، أو كما قال .

وسأله رضي الله عنه : يوم الثلاثاء سادس ذي الحجة سنة ١١٢٩ عندما خرج لصلاة الظهر ، أن أنقل من كتاب "البواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر"^(١) للإمام الشيخ عبد الوهاب الشعراوي رحمه الله تعالى أبياتا كتبها يهودي إلى الإمام القانوني ، يسأله فيها عن حكم من رضي بالقضاء والقدر ، فأجابه بأبيات أخرى ، وقد مر ذلك في قراءة السيد الجليل أحمد بن زين الحبشي ، في ذلك الكتاب في الدرس، يوم الاثنين. فقال رضي الله عنه : الحذر نقلها فهي في غاية الإشكال ، وقد حذرناك وقلنا لك لا تنقل شيئا إلا بعد أن تشاور ، ثم سكت ساعة ، ثم قال: هذه مسألة صعبة جدا ، ولا أحد من العلماء بلغ قعر بحرها ، وقالوا : لا يتضح أمرها إلا في الآخرة ، وأنت تريد أن تدخل بلجة البحر من غير سباحة ولا سفينة ، فما لك ولهذا الأمر ، اترك الخوض فيه رأسا ، ولت شغل شاغل في العمل الصالح والأخلاق^(٢)

(١) كتاب مشهور في الطب من ابن عربي (طبع عدة مرات).

(٢) أي الحسة بالصالح.

عن هذه الأمور ، فهل سمعت هذا من قول ابن عربي ، احذروا هذه الطريقة ، فإن أكثر الزنادقة ما خرجوا إلا منها ، ثم قال فإذا كان علم الفقه ، وعلم الحديث ، في كل منهما فضولاً لا حاجة إليه ، فكيف هذا ، ولو أن الشعراي مثلاً استشارنا في تصنيف هذا الكتاب ، كان قلنا له لا تصنفه ، وقد أجملنا في "رسالة المعاونة" ما يتعلق بهذه المسألة بما فيه كفاية ، وذكرنا من الكتب ما فيها تفصيل لها ، وذكرنا إنه لا ينبغي مطالعة تلك الكتب ، وإن غلطَ من يقول إنه يفهم أكثر من غلط من لا يفهم ، فأعطى الكتاب مولاه^(١) ، وإياك أن تصفحه وقل له : اطرحه في الخزانة في محله الذي كان فيه ، ثم إن السيد أحمد ما عاد قرأ فيه بعد ذلك ، فهاه سيدنا عن ذلك فرضي الله عنه ما أشفقته على كل مسلم في دينه ودنياه .

وقد ذكر الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" ، عند قوله تعالى : { لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ }^(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما بعث الله موسى عليه السلام ، وأنزل عليه التوراة ، قال : اللهم إنك رب عظيم ، ولو شئت أن تطاع لأطعت ، ولو شئت أن لا تُعصى ما عُصيت ، وأنت تحب أن تطاع ، وأنت في ذلك تُعصى ، فكيف هذا يارب ، فأوحى الله إليه إني لا أسأل عما أفعل ، ثم سأل عزير مثل ذلك ، فأجابته إني لا أسأل عما أفعل ، فأبت نفسه حتى سأل أيضاً فأوحى الله إليه إني لا أسأل عما أفعل ، فأبت نفسه حتى سأل أيضاً ، فقال : أنتستطيع أن تصرَّ صرَّةً من الشمس ، قال : لا أستطيع ، قال : أنتستطيع أن تجيء بمكيال من الريح ، قال : لا ، قال أنتستطيع أن تجيء بمشقال من نور ، قال : لا ، قال : بمقراط ، قال : لا ، قال فهكذا لا تقدر على الذي سألت عنه ، إني لا أسأل

(١) أي صاحبه .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٢ .

عما أفعل أما إني لا أحعل عقوبتك ، إلا أن أعمو اسمك من ديوان الأنبياء ، فلا تذكر فيهم ، فمحا اسمه من الأنبياء ، فلم يذكر فيهم ، وهو نبي ، فلما بعث الله عيسى ، ورأى منزلته من ربه ، وعَلَّمَهُ الكتاب والحكمة والنبوة والإنجيل ، ويرى الأكمة والأبرص ويحيى الموتى ، سأل ربه عن ذلك فقال : اللهم إنك رب عظيم ، إلى آخر ما تقدم من سؤال موسى ، فأوحى الله إليه ، إني لا أسأل عما أفعل ، وأنت عبدي ورسولي ، وكلمني ألقيتك إلى مرمر ، وروح مني ، خلقتك من تراب ، ثم قلت لك كن فكننت ، لكن لم تنته لأفعلن بك كما فعلت بصاحبك بين يديك ، إني لا أسأل عما أفعل ، فجمع عيسى عليه السلام من تبعه وعطبهم خطبة بايعة ، فقال : القدر سر الله فلا تكلفوه ، وبحر عميق فلا تلجؤوه ، انتهى .

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى : { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ } (١) الآية ، لم يقل تبيض وجوهاً وتسود وجوهاً لأنه أحوال ذلك إلى أعمارهم ، لأن أعمارهم هي التي يبيضها وسودها ، والله سبحانه بعدما أعلمهم أنه خالق للحمر والشر ، أحاطهم على أعمارهم ، ولو شاء لخلقهم بيضاً وأدخلهم الجنة ، أو خلقهم سوداً وأدخلهم النار ، والإيمان بالقضاء والقدر واجب ، والاحتجاج به بدعة ، وكان بعض أصحاب بعض من المشايخ يعاطي أموراً مُحَرَّمَةً فنهاه شيخه عنها مراراً ، وهو يقول مكتوب عليّ ، فلما رآه مصراً على ذلك ، ويحتج بهذا الكلام ، استعد له يوماً بحملة أو قال بحزمة من جريد النخل ، فلما رآه فعل للنهي أمر به ، فبَطِخَ ، فأمر بضربه بتلك الجرائد حتى كُسِّرَت على ظهره ، فصاح بالشيخ ، فقال له الشيخ : هذا مكتوب عليك فلا تصيح . ومن رأيت وهو عالم يعمل بخلاف العلم ، فاعلم أن العلم

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٦ - ١ .

لا يصل إلى قلبه ، وإن رأيته يستدل لذلك ، سيما علماء الوقت ، فإنهم يحتجون للعامية ، ويعلمونهم الخيل ، ويكتبون لهم المناذرات الباطلة ، وليس من شأن علماء الدين ، إنما هم الذين يعلمونهم ، ويهدونهم ويبينون لهم الحق ، ولو كنا والين على هؤلاء أو معنا وال يستمع الكلام ، فعلنا لهم أشياء ما يعرفونها ، وإنما يعرفون أنها حق فقط ، فإنهم لا عهد لهم به ، فإذا رأوه ربما ينكرون ما لا يعرفونه .

وذكر رضي الله عنه الأسباب ومسبباتها ، فقال : إنه مكتوب في اللوح المحفوظ ، وقوع كل شيء مع سببه ، أن كذا يقع بكذا ، وكذا بكذا ، وعلى هذا ، والعالم من أوله إلى آخره مدبر عن أيدي الملائكة ، لا على أيدي بني آدم ، حتى بنو آدم مدبرون بالملائكة ، حتى إن الإمام العراقي ذكر : إن في باطن آدمي سبعة ملائكة ، يدبرون غذاءه ، هذا يدفع القوت إلى المعدة ، وهذا يستخرج الفضلة منها ، وهذا يدفع الدم إلى الكبد ، وعلى هذا ، هذا في السفلي من العالم ، وفي العلوي هذا يسوق السحاب ، وهذا يحمل الماء ، وإنما تدبر أمر الأرض وأحوال الدنيا بأيدي بني آدم ، لإقامة أمر الله وأحكامه ، وإذا أردت أن الله يجري بك على العادة من لطفه وكرمه ، فأجر أنت على العادة من طاعته وعبادته ، فإن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله أمرا سبب له أسبابا ، وظهر سبحانه في الأسباب ، ولا يظهر بالقدر في الدنيا إنما يظهر بالقدر في الآخرة . فالقدرة في الدنيا تابعة للأسباب ، وفي الآخرة الأسباب تابعة لها ، والقدرة في الدنيا خافية في الأسباب ، والأسباب ظاهرة بها ، وفي الآخرة القدرة ظاهرة ، والأسباب خافية فيها ، ويجعل سبحانه لكل أمر سببا غير سبب الآخر ، ليعلم الناس وسيع قدرته تعالى أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : رب مسخر للقضاء والقدر ، مأجور في الشرع ، ورب

مسحر له مأزور في الشرع ، وكل أحد مسحر للقضاء والقدر ، ولكنه لا حجة لأحد ، لأنه لا حَبْر ، وكل الأشياء من القضاء والقدر ، لا من الأسباب ، والأسباب مظهر لها ومنه طول العمر بالبر ، والأسباب وما تعلق بها من القضاء والقدر .

وقال رضي الله عنه : الأشياء من القضاء والقدر ، لا من الأسباب ، والأسباب مظهر لها ، ومنه طول العمر بالبر ، وقصره بالفجور ، والأسباب وما تعلق بها من القضاء والقدر ، فإذا بر وطال عمره ، أو فجر وقصر عمره ، فهو مَقْضِي عليه أن يفعل ، ومَقْضِي عليه أن يحصل له من العُمُر ما حصل .

وقال رضي الله عنه : مسألة القضاء إنما هي اعتقاد في الباطن ، لا مسألة احتجاج بها وإظهار لها ، ومن أظهر ضَلِّ ، فُتَعْتَد ولا تكون في الأعمال ، أليس تحريكك يدك باختيارك ، فهذا هو الكسب والاكْتِسَاب ، ولا يُظهرها أو يتكلم بها للعمامة إلا من أراد أن يَضِلَّ ويُضِلَّ ، وقد قيل : إنها مسألة غامضة لا تنضح إلا يوم القيامة ، وقالوا : الرضاء بالقضاء أن تفعل ما يَرْضَى الله به ظاهراً ، وترضى بما يقضيه باطناً ، فهذا هو الحق والصواب ، وما كان غير ذلك فهو باطل ، وماذا وقع للعمامة من قولهم ، في كل ما فعلوه : هذا مَقْدَرٌ علينا ، وإذا جاء ما فيه هواهم وغرضهم ، قالوا ذلك ، وإذا جاء خلاف ذلك ضاقوا به ذرعاً ، وقامت عليهم القيامة ، أو كما قال .

وقال له رضي الله عنه رجل من أهل القارة^(١) : حصل عندنا في بلدنا ريح شديدة مع مطر ، حتى إنه أصبح نعت النخيل كثير من الطيور ، مات من شدة الريح ،

(١) القارة : قرية من حاضرة موت بالقرب من مدينة شبام ، وهناك قارات أخر أشهرها المذكورة .

مسلأوا منها زناييل لكثرتما ، فقال نفع الله به: ذبيها^(١) تحدث في الوقت حوادث،
ثم قال : اللهم اجعل مرادك فينا خيرا ، لكن ما معنى هذا المراد ، والمراد قد سبق ، إلا
إن كان بالصبر والرضا و يحو الله ما يشاء ويثبت .

وذكر رضي الله عنه في بعض مجالسه المشيئة والقضاء والقدر، فقال : القضاء
والقدر بحر عميق ، وقد جاء : إن الله تعالى لما عصاه إبليس ، قال له : بم علمت أني
قدرت الذنب عليك ، قبل فعله أو بعده ، قال : بعده ، فقال تعالى : بما أخذتك .

وفال رضي الله عنه : مذهب القدرية خير من مذهب الجبرية ، وإن كانا
باطلين ، لأن الأولين إنما نسبوا لأنفسهم قدرة ، وأما الآخرين فإلهم عطلوا الأحكام
الشرعية ، وهذا هو الزندقة بعينها ، ومذهب الجبرية هو الغالب الجاري على ألسن
العامة وأفعالهم ، فهم زنادقة إلا أنهم ما علموا بذلك ، لكونهم لا يعرفون العلم ، أليس
أحدهم يأكل باختياره ، ويفعل باختياره ، وهو بقضاء الله وقدره ، ولكنه في ذلك
مختار ، وما جعل الله سبحانه وتعالى للإنسان اختيارا ، إلا ليختار ما اختاره الله ،
والأسباب من الله تعالى ، وهو الفاعل في الفعل ، فليفعل من الأمور الشرعية
المطلوب ، ويتنهي عن المنهيات في كل ما له اختيار فيه ، وإذا ذهب عنه الاختيار
حصل له العذر حينئذ ، فما الفرق في رجلين ، أحدهما سقط في بئر مع غفلته عن
ذلك ومات ، حتى إنه يصلي عليه ويجهز ويدعى له ، ويقال هو شهيد ، وحاله
ممدوح ، ثم إذا سمع آخر بمدح ذلك رمى بنفسه في البئر ، هل يكون مثله في
المدح؟ لا ، بل يكون مذموم الحال ، مستوجبا للعقاب . ولو عطل الناس الأحكام
واعتلوا بالقضاء والقدر لبقوا مثل الحمير والبهائم .

(١) هكنا في الأم : ذبيها .

وقال رضي الله عنه في مجلس آخر : لله أسرار وَجْهَكُمْ في ترتيب الأسباب ، وارتباط منافعها بعضها إلى بعض ، واحتياج البعض منها إلى البعض ، وهذا عالم الأسباب ، جميع أموره تتوقف على الأسباب وهو موضع قوله : { كُنْ فَيَكُونُ } قال تعالى : { أَنَا صَبَبْتُ الْمَاءَ صَبًّا }^(١) إلى قوله تعالى : { مَقَاعًا لَكُمْ وَلَآئِعًا لَكُمْ }^(٢) ، وأما عالم الأمر فهو شئ آخر ، لا حكم فيه للأسباب ، ولا للكاف والنون ، ولا احتياج إليها.

وقال رضي الله عنه : الناس كلهم يخدمون القضاء والقدر ، لأنهم يسعون في تنفيذه ويُعرف تخصصه بظهوره عليهم ، ولو قلت لشخص سيرٌ إلى البلد الفلاني لثموت فيها لأبي ، ولكنه سيرٌ لقصد حاجته ، وقد قُضي أحله فيها ، فيموت بها ، وكلٌ يسعى في نفع نفسه ، فيصير النفع لغيره بسببه ، ويتنفع بعضهم من بعض ، ولا أحد قصد إلا نفع نفسه .

وقال رضي الله عنه : يكفي الإنسان بعد الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر ذكرُ الوعد والوعيد عن الخوض في مسألة القضاء والقدر ، لأن فيها إشكالاً لا ينحل إلى يوم القيامة ، وكل من تكلم في حلها زادها إشكالاً ، فلا تطمع في حلها . وقال رضي الله عنه : إذا انبههم عليك أمر ، فسر معه حتى ينقطع طرفه الثاني ، لأن الأول قد عرف ، فإذا عرفت السابقة فلا تنبههم عليك الخاتمة .

وذكر رضي الله عنه رؤية الأشياء من الله تعالى فقال : لو أن رجلاً أتاه مسائل فأعطاه شيئاً ، لا شك أنه يرجو عليه ثواباً ، ويرى أنه فعل شيئاً ، وينسى أن الله تعالى هو الذي أقدره على الفعل ، وأنه هو الذي يَسِّرُ له ما تصدق به ، وأنه هو الذي

(١) سورة عيسى ، الآية : ٢٥ .

(٢) سورة النازعات ، الآية : ٣٣ .

ساق إليه السائل. وفي المعاصي النفس تدعو إليها والشيطان يزيناها له وينسبه عاقبتها ليطمئن بما قلبه وينوي العود إليها ويصر عليها.

وقال رضي الله عنه ما معناه : الأشياء كلها صادرة من حضرة الإرادة ، إرادة الله تعالى ، ولكن الطاعة مظهر نور وغير وتنزل إلى حضرة الملائكة ، إلى حضرة المؤمنين ، والمعصية مظهر نار وظلمة وتنزل إلى حضرة الشياطين ، إلى حضرة الفاسقين ، ولا عذر مع الاختيار في تجاوز الأحسن إلى ضده أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : الناس مسخر بعضهم لبعض ، ولما يريد الله منهم ، فترى الإنسان يفعل الأمر مما ينفع غيره ، بقصد وبغير قصد ، ويظن أنه إنما يسعى في حاجة نفسه فقط ، وإنما الحاجة أو معظمها لغيره ، وحاجته من ذلك قليل .

وتكلم رضي الله عنه ليلة في وصف الإنسان فقال: مسكين الإنسان، إذا قسرت عليه رزقه جزع وتعم ، وإذا وسع عليه طغى وغفل ، وفي طبعه الدعوى ورؤية نفسه، وإن لم يكن ثم شيء ، وأكثر نفع الله به في هذا ، ثم قال : ولهذا سئل بعضهم عن الإنسان ، فقال: هو أنف في السماء ، واست في الماء .

وقال رضي الله عنه : الأمور بالأقدار ، فإذا قامت الأقدار فانظر الشريعة هي أين ، حتى تستقيم الشريعة مع الحقيقة .

وقال رضي الله عنه : إذا رفعت الملائكة من الأرض إلى السماء أمرا لم يعرفوه^(١) ، نزلت من السماء إلى الأرض بأمر لم يعرفوه^(٢).

وقال رضي الله عنه : ما مع الإنسان إلا جهده ، والأقدار تحكم عليه ، لا يحكم عليها .

(١) أي من السموات .

(٢) أي من السموات .

وقال رضي الله عنه : الحق سبحانه وتعالى إذا لم يردك لأمر ، فيض لك سببا ، وإلا فما الفاعل إلا هو سبحانه .

وقال رضي الله عنه : ما يحيل على المقادير إلا العاجز ، فأعطى الأمور حقها أولا ، فإذا أعجزتك فحينئذ كسلها إلى المقادير ، فلو أعطى الأشياء حقها ، وساعدته بها للمقادير ، وقام فيها على الوجه المطلوب ، كان محمود الحال إلى آخر الزمان ، وأسباب الرجاء في الله ، الناس إلا يعرفون طرقها ، ما هو إنهم ما يعرفونها .

وقال رضي الله عنه : إذا حكمت الأقدار ، تيسرت الأسباب أو تعسرت ، وقعت المسببات ، ولم يعذر مع الاختيار ، وأما إذا لم تسبق الأقدار فلم تقع ، فلا عذر له أيضا مع الاختيار ، وهذه مسألة قد تخفى ، فيحتج الإنسان بالأقدار مع ثبوته على المعصية ، أو كما قال .

واستأذنه رضي الله عنه رجل في السفر ، فقال : ليس هذا وقته ، فاصبر حتى يأتي وقته ، واحفظوا هذه الكلمة: إذا أردت أن تقطع ، فاقطع على مفصل^(١) ، فإن قطعت على مفصل قطعت^(٢) ، وإن لم تقطع على مفصل^(٣) كسرت .

وقال رضي الله عنه : الخلق مكلفين على ما خلقوا له ، فإن الله تبارك وتعالى أراد بهم ، وأراد منهم ، فالسعيد من وافق ما أراد به الحق وأراد منه ، والشقي من اختلف به الأمور ، ثم قال لي : احفظ هذه الحكمة ، إن كنت حافظا .

وقال رضي الله عنه : ما يحتج بالقضاء والقدر ، إلا بعد ما يقع المقدور ، وأما قبله فلا ، وإلا تعطلت الأشياء .

(١) وهو موافقة السبب للوقت . اهـ .ام .

(٢) أي ظفرت . اهـ .ام .

(٣) بأن لم تطله بسبه ووقته . اهـ .ام .

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى : { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } ^(١) ومن يشاء الله ؟ ، إذا كنت قادراً تفعل باختيارك فقد شاء الله ، والله سبحانه ما يسأل الناس إذا جاءوه يوم القيامة إلا عن الأعمال ، لا عن أمثال هذه الأشياء .

كلامه رضي الله عنه في الحسد

وقال رضي الله عنه : الحسد يدخل — أو قال يظهر — على الإنسان في كلامه وأحواله ، من غير شعور منه ، وهو لا يظن ذلك من نفسه ، بل يرى أنه برئ منه ، وهو من أكبر الذنوب ، وبه هلك إبليس وقايل ، ولو كان فيكم أهلية لقرأنا عليكم مقاطع القرآن ، فافرأوا : { وَوَاعِدْنَا مُوسَى } ^(٢) فماذا تقول لو جاء أحد من الحساء ^(٣) فطلعناهم وعليناك ، فماذا ترى يقع عندك ، قلت : إني أود لو جاءوا كلهم يلتمسون منكم وينظرون إليكم ، قال : لا ، وهذا هو معنى قولنا لكم ، إن طريقة الإمامة مظلمة لا يُهتدى فيها ، قلت له : فالحاصل أن كل مجلس يفوتني من مجالسكم ، ولا يحصل لي فيه الحضور ، يحصل لي من فواته تعب كثير ، قال : قد علمنا منك ذلك ، وما خاطبك بهذا إلا لعلنا بذلك منك ، أرايت إن كان مجلس يضرك في دينك ، أحب أن تحضره ؟ ، قلت : أنتم أعرف ، قال : ومجالسة الأكابر كثيراً ما تنهى ^(٤) عنها ولذلك أكثر ما يحرمهم أهلهم ومخالطوهم .

ولما ابتدأ القارئ من القراءة بعد العصر ، وكان عادة هذا الابتداء كل يوم ،

(١) سورة الإنسان ، الآية : ٣٠ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٢ .

(٣) الحساء : هي العروقة بالاحساء إقليم يشمل الساحل الشرقي في المملكة العربية السعودية من حدود الكويت إلى حدود قطر ، قاعدته الدمام ، عرف سابقاً باسم هجر والبحرين ، يعرف اليوم بالمملكة الشرقية (المجدد : ٢٤)

(٤) في (ج) : تنهى .

فقال له : لا تعد تبتدئ أنت كل يوم إلا مرة ، ومرة ، لأن هذا يحرك منك داعية الرياء ، ومن غيرك الحسد ، وأنتم ما تعرفون هذا الأمر ، ولا رضتوا أنفسكم ، ونحن أعرف به منكم ، ثم قال : كل كلمة تخرج من الأكابر للتلميذ ، فيسمعها منهم ، تكون على نفسه كالحجارة ، تزيد بها نفوسهم رياضة وخمودا ، ومن لا يكون كذلك ، لا تزيد إلا قوة نفس ، ولا يزداد إلا حسدا ، ويعمل بخلاف ذلك ، أو كما قال ، قال ذلك القارئ: والله ما قط حاجتي الرياء بالابتداء ، إلا ذلك اليوم ، فأطلع الله عليه ، فنهاني نفع الله به ، فلما كان تلك الليلة ، وهي ليلة الخميس تاسع عشر ربيع الثاني من سنة ١١٢٩ ، طلب مسمعا وفعل سماعا ، وذلك عادته في أيام متراحية ، ومن عادته أن لا يحضر أحدا ولا يتركه يحضر ، كذلك سمعته يقول ، فلما كانت تلك الليلة طلبني للحضور ، ولم يطلبني لذلك قبلها قط ، فلما صافحته ، وجلست كان فيما تكلم به أن قال : ليس من عادتنا أن نطلب أحدا للسمع ، وذلك من عهد قديم ، ولا يحضرنا أحد إلا إن كان من العيال ، أو خادم واحد يحتاج إليه ، ولكن من استمع من بعيد كما^(١) من تحت الباب ، أو حيث يسمع لا نعتف عليه ولا نلومه ولا حرج عليه. ومثل ذلك في كل أمر نفعله ، فهذا حالنا إذا كنا في البيت ، وأما لو كنا في خلأ في السبر أو غيره فنحضر جماعة مخصوصين مقربين ، الذين يحصل بهم الأُنس وياجتمعهم ، وهنا عندنا في البلاد عادة : إن الإنسان إذا كان في داره ، فقلد^(٢) على نفسه ما أحد يجيئه ، وإذا فتح الباب ضاق بالناس للمكان حتى لا يسمع أحدا كما ترون في عواد^(٣) وغيره ،

(١) كما : هنا في كلام أهل حضرموت تقوم مقام مثل النصي أو شبه .

(٢) قلد الباب : يفتح القاف واللام في كلام أهل حضرموت بمعنى ألقفه .

(٣) العواد يضم العين : للمائدة للعهد (معروف) .

ودخل فيه الشريف والوضيع من رعا ع وغيرهم ، ممن لا يعرف الأدب ، ولكن الرعا ع من عا دقم إذا حضروا بحالس الأشراف ، فإن رأوهم متأدين تسأ دبو ا ، وإن رأوهم على علاف ذلك زادوا عليهم في إساءة الأدب ، فاحفظوا هذا لا تسوه ، ثم قرأ الفاتحة ودعا : اللهم احفظنا في ديننا وقلوبنا ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، ثم أمره يشل ، فلما تم من أول مأخذ ، وسكت للسمع ، قرأ سيدنا : { وَنَرَى الْأَرْضَ هَامِئَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَبْتَتْ مِنْ كُلِّ ذَوْجٍ بَهِيحٍ }^(١) وتركه يسكت ساعة ، وهو يتكلم عما يناسب الحال والمجلس ، ثم أمره يشل ، فلما فرغ أمر بإحضار القهوة ، فجعلت أصبها وأديرها ، حتى فرغت ، ثم أمره أيضاً فلما فرغ قال نفع الله به لي : هل ظهر لك من هذا شيء لم يكن لك على بال؟ قلت : الله أعلم ، قال : هل سمعت ما لم تكن تسمع؟ قلت : نعم ، ثم التفت إلى ابنه الحسن ، وقال : إنه ما يريد إلا مثل كرامات الشيخ عبدالقادر الجيلاني نفع الله به ، تكون منه الكرامات الظاهرة الباهرة على التواتر ، وهذه أشياء لا يجوز إظهارها ، فلا هي نبوة حتى يجب إظهارها وإنما هي بحسب الحاجة والضرورة الداعية إليها ، كما في قصة الخنفي مع تلميذه في المشي على الماء ، وقد كان من كرامات بعض من شهد الشيخ عبدالقادر أنه عرض عليه طبيب مُقْعَدٌ وصحيحاً في صندوقين ليختيره ، هل يعلم أيهما المتقعد والصحيح ، فقال : تريد اختياري بذلك ، هذا هو المتقعد وهذا هو الصحيح ، أو كما قال في معنى هذه الحكاية ، ثم قال : وأنت لو كنت في بلادك لكنا^(٢) ولكن الضوء لا تظهر مع الشمس ، وذلك بالنبي ﷺ لا بنا ، لأنه عليه الصلاة والسلام هو الشمس ،

(١) سورة الحج ، الآية : • .

(٢) هكنا في الأم ، وفي (ج) : لوقع لك كنا .

ونحن الظلال ، وقد أمر هو بالتمسك بأهل البيت النبوي ، وبكتاب الله ، وقال :
 ((لن يفترقا حتى يردا عليّ الخوض)) ، وقد كان رجل من المتعلقين بنا انقطع فقلنا
 له : وانقطاعك ماذا يحصل لك ، أنتدفع عنك به حجة ، أو تثبت لك به الحجة ،
 فبقي يتردد كما يتردد هؤلاء الذين يترددون ، وعليناهم على ترددهم ، لأنهم
 كانت لهم حبال ، والحبال إذا ثبتت لا يجوز قطعها ، ثم أمره أن يشل ، وقال :
 احتم فلما ختم قرأ الفاتحة ، ودعا ومن جملة دعائه بعد الحمد والصلاة والسلام
 على رسول الله ﷺ : اللهم يسر أمورنا وأمور المسلمين ، وأنزل أمطارهم ، وأرخص
 أسعارهم ، اللهم اطفئ بنا في فضائك ، وعافنا من بلائك ، وأوزعنا شكر
 نعمائك ، وهب لنا ما وهبت لأولائك ، اللهم جمل أحوالنا ، وأصلح أعمالنا ،
 وطهر وحسن أخلاقنا ، ووسّع وطيب أرزاقنا ، واقض بفضلك ديوننا ، وأصلح
 بكرمك شؤوننا ، واجعل إلى رحمتك ورضاك ومحاورتك في دار كرامتك منقلبنا
 ورجوعنا ومصيرنا ، فلما انقضى هذا المجلس للميمون المبارك ، ونزلت من عنده ، فلما
 وصلت إلى المكان الذي أنا فيه نازل ، أعلقت^(١) السراج ، وكثبت هذا الذي جاء
 علي خاطري ، وما نسيته أكثر .

وحضرت مرة عنده رضي الله عنه سمعاً في نخل السيد عمر الحداد ، فقال
 المسمع في سماعه ، من أبيات لباعثار^(٢) هات محزم وخذ لك ألف محزم ، هذا ما ظهر
 لي من لفظه ، فرأيت سيدنا عند ذلك رفع رأسه متبسماً ضاحكاً ، ثم صوّبه وحفظه ،
 وإذا به يبكي ودموعه تنقاطر .

(١) أعلق السراج : أشعله (من عامة أهل حضرموت) .

(٢) هو الشيخ عوض بن عبدالله باعثار قلبه صوفي من أهل الغرفة من حضرموت ، توفى سنة ٩٧٨ هـ : تاريخ الشعراء
 الحضرميين ١ : ١٢٧ .

ذكر ما قاله في الإلباس

وذكر رضي الله عنه الإلباس ، فقال : الإلباس لا يراد لصورته ، ومن لبس بصورة الإلباس ، ما حصل شيئا ، وإنما هو لمعني فيه وهي الرابطة ، وقد رأى أبو يزيد رجلا يمشيه ، فيضع قدمه في موضع قدمه ، فقال له : لم تفعل هكذا ، فقال : لأسير على طريقك ، فقال : لو سلحت جلدي ، فلبسته ما نفعلك حتى تدحق على طريقي التي سلكتها إلى الله عز وجل ، فقلت لسيدنا نفع الله به : أيقضي هذا أنه لا بد بعد الإلباس وحصول الرابطة أن يقتدي بمن ليس منه ، قال : نعم ، بما أمكنه ، ولو بعض اقتداء ، بحيث لا يصير مخالفا له ، ويكون منتسبا إليه ، قلت : فهل يشترط في هذا أن يراه؟ قال : لا ، بل بحيث يكون على الطريق لا يحيل عنها ، وإن لم ير السائر عليها ، فإن المائل عن الطريق لا يصل إلى المقصود ، والساثر عليها وإن بعد عن من أمامه يصل ، فأين نحن من الشيخ محمد بن علوي^(١) ، ونحن في تريم ، فقلت : رأيت في شيء من الرسائل إتكم قلتم فيها : إن طريقنا الكتاب والسنة ، ولو جاءنا صادق لبينا ذلك له ، ولوددت أنكم ذكرتم من ذلك ما تيسر ، فضحك متبسما ، وسكت قليلا ، وكان ذلك عادته إذا خوطب بكلام يجب أنه لم يذكر له ، ثم قال : هي الطريق ، وإن اختلفت الطرق فهي عليها وهي واحدة ، ولكن ما كل أحد يعلمها ويعمل بها ، فلو صلى رجل مثلا من غير طمأنينة ، فلا يخلو إما أن يكون عالما بطلان صلاته ، فهو مخالف للعلم ، وإلا فهو جاهل ، والزمان اليوم إلى وراء وقد أدر كنا جماعة نقصوا عما كانوا عليه كثيرا ، هذا بالنسبة ، وأما الكامل على القدم المحمدي ، فما أدر كنا عليه أحدا أو كما قال .

(١) هو الحبيب محمد بن علوي بن أبي بكر السقايف ، ذكره بن حبيب في شيوخ الحبيب عبد الله . انظر جملة الزمان : ٩٠ ، اهـ . وهو هنا يشير إلى أنه شيخه ولم يجتمع به ظاهرا لأنه بمكة المكرمة وسيدنا تريم . اهـ .

وذكر قصة الذي ذكره الياضي^(١) أنه مر عليه الشيخ مع تلميذ له ، والطبل في عنقه ، وكان في جماعة يسمون السناكم يأكلون الميتات ، ويشربون الخمر ، فأخذوه وضربه بحزمة قضبان ، ثم صلى بهم صلاة أظنها العصر ، ثم فرش له سجادته ، ثم أمره يجلس عليها ، فجلس وسار يمشي على الماء ، فيقول السامع متعجبا كما قال تلميذه الذي معه : أنا لي معك كذا كذا سنة ، ما حصل لي ، وهذا حصل له في لحظة ، فاجواب ما قاله الشيخ من أنه ليس الأمر في ذلك إليه ، بل إنما الأمر فيه إلى الله لا غير ، حتى قال : أنا وددت لو كان ذلك لي ، وإنما أنا عبد مأمور ، بل قيل لي فلان من الأبدال توفي ، فأقم فلاتا مكانه ، فامتثلت كما يمثل الخدام ، ثم قال : وهذا الأمر لا بد فيه من حذبة أو سلوك .

ولما خرج رضي الله عنه لصلاة الظهر يوم السبت ثالث عشر جماد أول سنة ١١٢٩ ، ذكر لي الكتب التي في عزائته ، واستحبرني عنها ، ومن جعلتها الصحيحان ، فقلت : أود لو حصل معي كتاب جمع بينهما بلعلت جل مطالعتي فيه ، فقال نفع الله به : أنت فيك فضول تحب جمع الكتب ، خل عنايتك بالعلم والعمل ، دون جمع الكتب ، إفهم كلاما قليلا ، يغني عن كلام كثير ، فما ينفع كثرة الكتب كمثّل الخمار يجعل أسفارا ، فحل همك هما واحدا ، ولا يتشعب قلبك في طلب العلم ، والناس ما صحبوا أهل التصوف ، إلا لهذا المعنى ، ومن تتبع الشعب ، لا ييالي الله في أي وادي أهلكه ويبقى قلبه يتبع الشعب ، حتى في صلاته ، فيتبع الشعب في طلب العلم ، حتى يتبعها في النساء والثياب ، وما شاكل ذلك ، وفي مثل هذا للعرض ، قال : وكتاب واحد من كتب الإحياء يكفي من جميع الكتب ،

(١) في كتابه روض الرياحين : ٢٤٨ .

والعلم المطلوب منه العمل ، وإلا فما تنفع لقلقة^(١) الكتب ، فكم أناس جمعوا كتباً ولففوها ، فما نفعهم ذلك ، فلا عاد أحد يخرنا بالكتب ، فما مر عليك بعضه قد مر علينا كله مرتين أو أكثر ، لأننا من سنة^(٢) خمسة عشر سنة إلى الآن ونحن في الكتب ثم أتشد:

ومن عجب إهداء عمر الخير وتعليم زيد بعض علم الفرائض

وكان رضي الله عنه طالعا يوما من الصالح^(٣) يريد مكانه الخاوي ، وذلك يوم السبت ثامن عشر جماد الآخر سنة ١١٢٥ ، فقال : إن سلم الفلاحي ، ووصل إلى بلاده ، صار لهم مثل حديث^(٤) خرافة ، رحت أنا مع فلان إلى مكان كذا ، وجئنا من مكان كذا ، وكان الأمر كما قال نفع الله به ، فقلت: إن كان الأمر إلا هكذا فالحجة فسلة . فقال رضي الله عنه : كل شيء له حكمه ، للظاهر وأمور الأجسام حكمها ، وللباطن وأمور الأرواح حكمها ، فما معنى قول لا عبرة بالأكل ولا بشيء من الأمور التي تتعلق بالجسم ، وهو لا يسمح بترك أكلة ، وقول بعض المتصوفة : أنا أعمل لا لحصول الجنة ، ولا لخوف من النار ، ولا للحدود والقصور ، وهو متعلق قلبه بتكاح النساء ، وبسائر اللذات ، فما هو إلا من حيث إن مطلوب الأرواح غير مطلوب الأجسام ، أفهمت هذا القدر؟ قلت : قريب منه إن شاء الله ، ثم ذكر قصة الذي عزم على أن لا يأكل الطعام مدة أربعين يوما ، ثم اشتد به الجوع ، فخرج من غير شعور منه بنفسه إلى السوق ، فرأى رجلا يقول : أشتهي

(١) لقلقة الكتب : من كلام أهل حضرموت ، أصلها لقف وهي بمعنى جمع وضم ، ضد نشر.

(٢) في (خ) : من سن .

(٣) هو رجل فيه أهل كثير شرقي مكان الحبيب عبدالله السبي الخاوي . اعلم من هامش (خ) .

(٤) يقال حديث عبرة أصله : إن رجل من بني عذرة استهوت الجن ثم رجع إلى قومه فكان يمدحهم بالأباطيل ، وكانت العرب إذا سمعت ما لا أصل له قالت : حديث خرافة ، ثم كثر في كلامهم حتى قالوا للأباطيل خرافات . انظر (المقصي للرحماني ١ : ٣٦١) .

كنا من الخلوى ، وكذا من شهوات أخرى ، فقال ذلك الرجل في نفسه : إن هذا الثقل يتعين هذه الشهوات ، وأنا أشتهي كسرة ما حصلت لي ، ثم بعد ساعة حصل لذلك الرجل للشهوى ما أراد ، فأتى به لذلك الآخر وقال له : من هو الثقل منا ، الذي قطع عزمه وآذاه الجوع ، أو من يتشهى الحلال ، فخذ هذا واقطع الأربعين بالتدرج شيئاً فشيئاً ، ما هو بكرة واحدة ، فهذا كله بالنسبة إلى الأرواح والأجسام ، فافهم ذلك واعرفه أو كما قال .

وخرج رضي الله عنه اليوم الذي بعده ، وهو يوم الأحد إلى السير ، فتكلم في الطريق ، وذكر أحوال الفقراء في الرد والأخذ ، فقال نفع الله به : للرد شروط لا بد منها ، أو كل أحد يحسن الرد ، فقلت : أو يشترط في الرد كما فعله من فعله أن يستوي عنده المال والحر سواء؟ قال : نعم . قلت : إن ذلك لشديد وأمر غريب ، فقال رضي الله عنه : كل أمور الصالحين غريبة ، لأن تعلقتهم وأمورهم من الآخرة ، فأى شيء من أمورهم ليس بغريب ، واعتمد على ذلك الكلام الذي ذكرناه لك في طريق الصالح ، فإنه ^(١) يفهمك أموراً لم تكن في بالك ، ويحل لك مشكلات كثيرة ويوضح لك أشياء إن سألت عنها ، أو قال ربما تسأل عنها ، أو كما قال .

وكان رضي الله عنه طالعاً يوماً من الصالح إلى الخاوي ، وذلك بعد الإشراق يوم الجمعة ٢٤ جماد آخر من السنة المذكورة ، فسأل عن غريب قدم منذ يومين ، ظاهر حاله التحدرد وتقليل الطعام ، حتى امتنع من الدخول مع الجماعة للعشاء ، ويصوم ، فقال : هل له قيام بالليل؟ قيل : ما رأيته ، فقال نفع الله به : قلة الأكل

(١) أي الشفهم قريباً .

وقلة النوم متلازمان ، قيل : وكثير من الغرباء عند مجيئهم يعملون على هذا ، ولكنهم لا يبتون عليه ، كما قصة فلان حيث أراد أن يدخل أربعينية^(١) ، واستأذنكم في ذلك ، فقال رضي الله عنه : ليس ذاك الأربعينية المذكورة في طريقة السابقين ، وترجم فيها أربعينية^(٢) ، وإنما هي أربعينية كذا في طريقة أصحاب اليمسين ، وهذه الطريق ليس فيها أربعينية ، بل هي طريقة سهلة ، تفضي بالإنسان إذا واطب عليها بالملحوق بأهل تلك الطريقة ، فرما حصل له في هذه الطريقة فتوح فالتحق بأهل تلك ، وليس فيها من طريقة السابقين إلا من كل شيء جزء يسير ، وهي طريقة سهلة ولا أربعينية فيها ولا مشقة ولا خطر .

وأما طريقة السابقين فهي مشقة وفيها أربعينية ، ولكنها خطيرة ، يخشى فيها على أمور الدين من تغير العقل والعقيدة ، وكثير من الناس إذا رأوا شيئا من ذلك خرجوا من الأربعينية ، كيف وقد قال النبي ﷺ وهو مؤيد بالوحي والعصمة : ((لقد خشيت على نفسي)) ، قلت : قال ذلك لما رأى الملك ، قال : وهذا أيضا رما رأى الملك ملك الإلهام ، لا ملك الوحي ، وأيضا النبوة فيها ملك وحي ، ولا سبيل للشيطان مع ملك الوحي ، وأما ملك الإلهام فرما حضر معه الشيطان ، وقرش إنما استكرت من النبي ﷺ ، لما رأوه مخالفا لهم ، وقالوا : نخشى أن يكون أصحابه الشيطان ، وأرادوا ينظروا له طبيبا يداويه ، ولا يليق بأهل هذا الزمان إلا هذه الطريقة السهلة ، دون الأخرى ، وأين الناس اليوم ، وأكثر ما يحصل التغمير في الأربعينية لمن يدخلها بغير شيخ ، أو من غير امتثال ، وقد كان جاء إلى عندنا رجل

(١) الأربعينية عند سادات الصوفة : هي رياضة يضطرون فيها أحوالهم بالاعتزال من الناس وقلة أكلهم والطعام ومقاومة الكسر ، وهي للمعصومة بالذكر في قوله ﷺ : « من أكلش في أربعين صباحا ظهرت بتابع الحكمة من قلبه على لسانه » .

(٢) استفهام إنكاري أي ليس فيها الأربعينية المذكورة بالعام .

يعمل لنفسه رياضات ، وأدخل نفسه الأربعينية ، ويزن القوت بالجريد الأخضر ،
فقلنا له : اترك هذا ، واعمل على تلك الطريق السهلة ، فعل الأوامر الظاهرة ،
والاقتصاد في العمل مع اللدومة عليه ، فأبى ، فقلنا له : تكذب في عملك ، هذا
أنت ما بعد أحكمت طريقة أصحاب اليمين ، فكيف يمكنك سلوك طريق
السابقين ، فسافر من عندنا ، فتوقت عليه الطريق ، حتى رجع نحو ثلاث مرات ،
حتى تيسر له السفر فيما بعد ، ونحن ما نتأسف على فعل الخير ، وإنما نتأسف على
كلمة صدرت منا لأحد ، وكان يسعنا العفو عنه فيها والتجاوز والإغضاء ، ومنذ
ابتدأنا إلى الآن ، ما أشهرنا أنفسنا بطريقة السابقين ، لا سابقا ولا لاحقا ، ولا
سلكتها بين الناس ، ولا سلكتها فيها أحدا ، وأين الزمان من الزمان ، والناس من
الناس ، طالبا أو مطلوبا ، قلت^(١) : فإذا جاءكم أحد لا يعرف طريقة السابقين ،
ولا طريقة أصحاب اليمين ، فماذا يفعل؟ قال : يعمل على ما نحن عليه ، فما يرانا
نفعله يفعل ، كما ترى ، من إقامة الصلاة ، وقراءة القرآن ، وترتيب الأذكار ،
وطلب العلوم النافعة مع الدوام على ذلك ، فهل رأيت أحدا دام على ذلك من
علماء الحرمين ، أو غيرهم ، أو سمعت أحدا ينكر هذه الطريقة ، قلت : لا ، قال :
هذه طريقة أصحاب اليمين ، وهي اللاتفة ، فينبغي أن يطلق لأهل الزمان طريق
العموم ، لتعذر طريق الخصوص ، وإلا فكم واحد يظن بنفسه أنه مثل الشيخ
عبدالقادر ، وهو ما يكون مثل شوكة في رحله ، قلت : فالطمع طبع ، يطمع في كل
شيء أن يكون له منه الحظ الأوفر ، فقال رضي الله عنه : الطمع يكون في أمور
الدين^(٢)؟ ، إذا كان الطمع في أمور الدنيا مذموما ، فكيف في أمور الدين .

(١) انظر طريقة أصحاب اليمين وادلل . اعسام .

(٢) استظهم إنكار : أي لا يكون . اعسام .

وتكلم رضي الله عنه يوما كلاما كثيرا حتى قال : أكثر ما يغار الإنسان إلا من أمثاله ، ولو حضر أربعة متماثلون في جنازة ، لطلب كل منهم أن يكون هو المتقدم في الصلاة ، ولو جلس مثلا رجل من غير الأشراف للتدريس ، من آل بافضل ، أو غيرهم ، لما استنكف الأشراف من الحضور عنده ، ثم قال ولو قد رحلت إلى بلادك ، وجاء واحد ليتقدم عليك كرهت ذلك ، فقلت : نعم ، ولكن إلى متى الإنسان على هذه الحالة ، فقال نفع الله به : حتى يخرج عن حكم الطبيعة ، فقلت : وبأي شيء يخرج منه ، فقال : باختيار الله ، وليس بكسب الإنسان ، وإنا هو بالبعث والنصيب ، فكل ما أراد الله^(١) شيئا لا يحصل له إلا بالبعث والنصيب ، أما سمعت قولهم : وما هو إلا بالبعث والنصيب .

وقال رضي الله عنه : إنا قيل في النفس إنها أعدى الأعداء ، لكونها تنكر الشيء من غيرها وتكرهه وفيها مثله ، فلو رأيت إنسانا في أمر كرهت منه أشياء ، فلو قمت أنت في ذلك الأمر ظهرت منك تلك الأشياء التي كرهتها من غيرك ، فيكرهها منك آخر ، فالطباع سواء ، والنفوس على طبع واحد في ميلها عن الصواب ، ولكن يظهر الشيء ويخفى أو كما قال .

ولما خرج رضي الله عنه لصلاة العصر يوم الثلاثاء ٢٣ من الشهر المذكور ، سأل عن رجل فقير غريب ، سافر في هذا اليوم ، وهو الذي لم يخبر باسمه ، وإذا سئل عنه ، قال : التراب ، وسماه سيدنا أبو الفتوح الشامي ، وكان من أهل حلب ، فسأل هل معه زاد ، ثم ذكر أحوال أهل التجريد فقال : كانوا إذا احتاج الرجل منهم ، وعرض له شيء أخذ حاجته فقط ، ورد الباقي ، وإن لم تكن حاجة رد الكل ، ولا

(١) قوله : فكل ما أراد الله . هكذا في الأم التي ينقلها الحبيب أحمد بن حسن الحنبل ، إثبات لفظ الخلالة بعد قوله أراد . ولو حذف لفظ الخلالة وكان فاعل أراد ضميرا عائلا على الإنسان لكان أظهر في المعنى . فتأمل . انتهى . كتابه .

ينظر في قلبه الحال ، في الوقت المستقبل ، ثم ذكر قصة ذلك الرجل المتحرد الذي احتاج فحاه رجل بحاجته ، وقال له : إني رأيت النبي ﷺ في النوم يقول لي اذهب بكذا وكذا إلى فلان في المكان الفلاني ، فإنه محتاج لذلك ، فأنتيك به ، وقال له : إذا احتجت فتعال إلى عندي ، أقضي حاجتك وأنا في المكان الفلاني ، فقال له : لا آتيك ، فإذا أنا احتجت ، يأتي بك أو بعرك من أتى بك الآن ، الحكاية بمعناها ، فقلت : إن مثل هذا وقع بصيغة خرق العادة ، من حيث الكرامة ، ولا يكون ذلك إلا نادراً ، فمضى يكون مثل ذلك في كل حين ، والضرورة تتكرر في كل حين. فقال رضي الله عنه : نعم إذا خرقت من نفسك العوائد ، انخرقت لك العوائد ، وهو أمر قد ذكر الإمام الغزالي إنه لا يوصل إليه بالهويناء ، بل بعد اللُتْيَا واللُتْيَا^(١) ، فقلت : يعني به شدة الصبر على مثل ذلك ، قال : نعم ، إذا صبر عليه لأجل الله ، كتقوية اليقين ، لا لأجل هوى ، وإلا تسمى^(٢) رهباناً وفلاسفة ونحوهم يتخلون ويترضون ما حصلوا شيئاً ، أما سمعت قول بعضهم : قف على الباب لا تفتح لك الأبواب ، تفتح لك الأبواب ، وانضع لا لتضع لك الرقاب ، تخضع لك الرقاب ، فقلت : إن هذا أمر عسر جداً ، وكل غافل عنه ، ومع ذلك كل يريد ، فقال نفع الله به : هذه الأشياء إنما هي بالبحث والقسم ، ولما استخلف^(٣) منه ذلك الغريب المذكور ، مسافراً في ذلك اليوم ، قال سيدنا له : مع الله نتلاحق إن شاء الله تعالى في مكة ، ثم عَقَّبَ ذلك بقوله : إما في البقطة وإما في النوم ، والله الله في دينك ، واحذر من الرياسة ، لا يكون لك بها تعلق ، وخل

(١) قوله رضي الله عنه : (بعد اللُتْيَا واللُتْيَا) ، قال في القاموس وغيره : يقال فلان وقع في اللُتْيَا واللُتْيَا وهما اسمان من أسماء الدابة . اللُتْيَا الدابة الكبيرة ، واللُتْيَا الدابة الصغيرة .

(٢) في (ع) : ألا ترى .

(٣) استخلف : في كلام لعل حضرموت ممن طلب الإذن والوداع عند السفر وهذه السببة مأخوذة من الدعاء السوي للأنور .

الأمر ممر عليك ، ولا تخطر ببالك ، وكن في الإقامة حيث ما يستقيم قلبك ، ودم على لا إله إلا الله إما باللفظ أو بالقلب حسب الفراغ ، إلا إذا كان لك في وقت ورد معين لذلك الوقت ، فاشتغل به فيه ، وأمر الدنيا لا يخطر ببالك ، وإن دخل يدك منها شيء فخذ منه حاجتك ، وإن خرج من يدك فلا تخالف ، أو كما قال . وطلبت من سيدنا نفع الله به الدعاء ، وذلك ليلة الأحد في ٢٩ شهر رمضان سنة ١١٢٩ ، بعد ما فرغ من ختم مصلى الخاوي ، لما دخل الضيقة يريد الدخول إلى الدار ، فقلت : ياسيدي الله الله في بالدعاء ، ادع لي في هذه الليلة المباركة ، فقال نفع الله به : ادع أنت لنا ولنفسك ، لأن لك حق الغربة ، وحق الطلب ، فإنك غريب وطلب ، ولا تدع لنفسك إلا بأن الله يتولاك مع اللطف والعافية ، وإلا فإن الولاية الخاصة فيها ابتلاءات كثيرة ، قلت : دعاكم لي بصلاح القلب بالخصوص ، وغيره بالعموم ، فقال : الله يتولاك بولايته ، الله يتولى الجميع ، أو كما وقع . وخرج رضي الله عنه يوم الثلاثاء في ٦ ذي الحجة سنة ١١٢٩ بعد الإشراق ، من دار آل فقيه ، إلى دار آل عمر حداد ، فكان فيما تكلم به وهو يسر قابضا بيدي ، إذا عاش الإنسان زمانا طويلا ، أنكر ما يراه من الناس ، لأنهم جاءوا بعده فينكر أفعالهم وأحوالهم ، يراهم يطلبون غير ما يطلب ويفعلون غير ما يفعل ، ويهوون غير ما يهوى ، فهو مبين لهم في كل شيء ، فانظر إذا عشت بين أهلك ، كيف تستنكر أمورهم ، فتكون وأنت بينهم كأنك مفرد عنهم وحده ، أو كأنك غريب عندهم ، قلت : فما يصنع الإنسان مع هذا في حال نفسه ، وما يتعلق بالناس ؟ فقال رضي الله عنه : ففي حال نفسه يتبع الحق وما أمر به ، ولا يميل إلى الباطل فاعتبر بنفسك ، ومعهم تسايروهم بالتي هي أحسن ، وتقيم عليهم حق الله ، إن كان لا عذر له منهم ، بأن كانوا أهله وقرباته ، وإن كانوا غيرهم ، فمن له منهم بد فيحاتبهم ، ولا يتابع

أحدا إلا فيما يجوز، ويتحرى لنفسه الصواب وما فيه الاحتياط ، وهذه الأمور لا يلزم النظر فيها إلا من كان من الخلفاء، إما خلفاء الظاهر أو خلفاء الباطن ، لأن الله سبحانه وتعالى جعل أحدا في الخصوص وأحدا في العموم وأحدا في الخصوص والعموم ، وما خلقهم على حالة واحدة ، ولا دبرهم تدبيرا واحدا ، ولا عين للفعل وجها ، فيختلف النظر باختلاف التدابير ، ولا يجوز أن يدبر العالم تدبيرا واحدا ، ولو كان كذلك ، لحصل من الضرر والفساد والاختلال شيء كثير ، بل دبره سبحانه وتعالى تدبيرا^(١) شتى ، ولو عين فعلا على وجه مخصوص للزم الأخذ به ، ولا جاز لأحد يتعداه أو كما قال بمعناه .

وجلس إليه نفع الله به الوفائي^(٢) فشكا إليه حاله وما به من الابتلاء والفقر ، فقال له سيدنا رضي الله عنه : من ساعة إلى ساعة فرج ، فتزود فيها من الطاعة ، ومن التقلل من الدنيا، فقال : وأي دنيا عندي ، وما تمنيتها ولا طلبتها، فقال : أحسن ، وما اقل من الدنيا إلا قربة ، أو ما عليك ذنوب تستغفر منها ، قال : بلى، قال : لكن إذا أعطيت من غير سؤال فخذ، قال : فإن قيل لي أتريد كذا وكذا ، فقال : لا، إنما هذا مشاورة ، ثم التفت إلي نفع الله به وقال : وكم عطية بلية ، وكم من بلية عطية ، احفظ هذه يا حساوي .

وسأله رضي الله عنه : عبدالله بن فلاح^(٣) : ما السبب في أن الإنسان في بعض الأوقات يحس في نفسه نشاطا للطاعة وداعية إليها، وفي بعض الأوقات خلاف ذلك ، يكسل عنها ، وتميل نفسه منها، فقال رضي الله عنه : إن كان الباعث على فعل الخير

(١) في (ج) : تدابير .

(٢) هو الشيخ محمد أبو الوفاء المصري ، قدم من مصر إلى حضرموت وتوفي بها في بلدة بور "جمعة الزمان" : ٢٤٨هـ .

(٣) في جمعة الزمان فلاح بن عبدالله بن فلاح الحولاني العمدي ، ذكره ضمن تلامذة الحبيب عبدالله انظر (جمعة الزمان :

: ٢٤٨هـ .

من جانب الحق ، بأن شاهد في نفسه أمرا من جانب الحق تعالى ، فذلك إلى الله سبحانه وتعالى لا مدخل للعبد فيه ، وإلا فهو رجل دنيائي ، لا قدر له ، بأن كان إذا تيسرت له أمور الدنيا وثوت له ، نشط للعبادة ، ورغب فيها ، وإذا تعسرت عليه وانقبضت عنه أمور معيشته ، كسل واشتأز من الطاعة ، فإن باعثه ذلك باعث دنيائي ، وهو خسيس الهمة ، لكن النشاط في الطاعة مريح ، وخذ نفسك بالتي ، كالغريم الظالم ، خذ منه كل ما سمح واتفق ، والنفس إلا غريم ظالم .

وكان يوما رضي الله عنه خارجا من البلاد إلى الحياوي ، وهو يوم الثلاثاء ١٨ محرم سنة ١١٣٠ ، فقال رضي الله عنه : النفس تحتاج إلى الترويح والفسحة ، تستجم ويقوى الإنسان وينشط ، ولو كان دائما كذا ، وذكر كلاما كثيرا نسيته في الطريق ، معناه دائما يكبد نفسه وذهنه في أمور الجسد ، بلا تروح في بعض الأوقات ، لكان يخشى على مزاجه ودماعه ، ولكن التروح في بعض الأوقات ينشطه للأمور الجدية ، كما قال بعض الصحابة لعله ابن مسعود ، إن لأستجم نفسي بشيء من اللهو ، ليكون عوناً لي على الحق ، أو كما قال الصحابي ، وذكر بيت :

ما ينفع النفس إذ كانت مدبرة إلا التثقل من حال إلى حال

فقلت : لكن النفس فيما يلائمها وتشتهيه تألفه وتعتاده بسرعة ، ولو كان في أمر خير وطاعة لم تألفه وتعتاده إلا بمشقة ، فقال نفع الله به : نعم ، لأنه خلاف طبعها والأصل فيها الهوى وخلاف العمل بالطاعة واتباع الشهوات ، فإذا جاء خلاف ذلك ، كان غير مستقل حتى يعتاد ويثبت ، وإذا غلبت النفس العقل كان الحكم لها ، وإذا غلبها العقل كان الحكم له ، والنفس والعقل كالرجل مع المرأة ، فإذا كان الرجل تابعا للمرأة في كل ما تريده ، كان التدبير تدبير امرأة ، وبالعكس ، ((ولن

يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة^(١) . وأخرج الله النفس للإنسان من نفسه عدوا ضارا ، أو قال قرينا ضارا ، كما أخرج حواء من آدم ، فصارت هي عليه سبب الشر ، حتى قيل إنها سقته الخمر ، حتى أكل من الشجرة . والإنسان ولو قد خرج من أسر نفسه بالرياضة والتهديب ، فيحتاج أن يتعهدا ، ولا يغفل عنها ، وقد ذكر الإمام الغزالي في رسالته إلى الفتح الدمشقي ، إنه فتن عن حال نفسه ، وتقصى عن حالها ، وكذلك الذي طلبت منه نفسه الجهاد^(٢) ، أو كما قال بمعناه . وفي ليلة الاثنين في ١٦ جماد الأول سنة ١١٣٢ سادس نجم الصرفة ، أشرف من الغيلة^(٣) إلى المصلى ، وناداني ، وذلك حين بقى من الليل نحو الربع ، وقال : استغفروا الله من هذه السيول الهائلة ، فإنها بلاء أصابهم بذنوبهم ، وقرأوا يس بنية دفع الضرر .

وقال رضي الله عنه : الطالب الصادق يحيى ، فيأخذ ما يكفيه ، ومن جاء بحسن ظن وصدق ، ومع أدب ، مثل من يحمل من الماء ما يكفيه ، ويشرب حتى يروى ، ومن كان ليس معه أدب كالذي يشرب ويحمل ، ثم يبول في الماء ، ومن يعمل الأعمال الصالحة ليظهر فضله فهو مذموم ، فقلت : إنما يريد الإنسان الاستقامة على الصراط المستقيم لله تعالى ويطيعه كما يجب ، فكيف الوصول إلى ذلك ، فقال نفع الله به : بما أنت عليه من ظاهر الصلاة ، ومن الباطن ما أمكنك [أي من الخشوع] ، وتعلم متعلم ، والله سبحانه هو المعطي ، فقلت : إنما مددنا منكم ، فقال : إنما المدد من النبي ﷺ ونحن ما مددنا إلا منه ، وذكر هنا قصة الذي يحفظ قصيدة الشيخ أبي بكر العدني ، وكان عشارا ، فرؤي بعد موته وملك من ملائكة

(١) حديث أن يفلح قوم ألح ، أخرجه البخاري ٦ : ١٠ والترمذي ٢٢٦٣ والنسائي ٨ : ٢٢٧ والبيهقي ٣ : ٩٠ .

(٢) في غير طويل خلاصته : إن نفسه طلبت منه الجهاد في سبيل الله فاستغرب أن يكون ذلك منها وهي الأمانة بالسوء فلما سألها من ذلك قالت : أردت أن أنسخلص من حياتك لما أتعبها بالصيام وقام الليل إلى غير ذلك .

(٣) الغيلة : في كلام أهل حضرموت بكسر الغين المعجمة الفرفة الكبيرة في الطابق الثاني في البيت .

العذاب قابض يده ليدخله النار ، فاعترضه ملك آخر ، وقال : حل سبيله ، إنه يحفظ قصيدة الشيخ أبي بكر ، فقال : إنه يغلط فيها، فقال : أما يحفظ منها مستقيما قوله : وذكر العبدروس القطب أجلا عن القلب الصدا للمصادقين

قال : بلى ، قال : فحله ، ولو لم يكن فيها إلا هذا البيت أو كما قال في القصصة ، فقلت : إذا سمعنا كلامكم في الرجاء لمثل هؤلاء ، لا يكاد يقطع الرجاء من أحد ، وإذا رأينا أفعالهم يكاد الرجاء ينقطع منهم ، فقال نفع الله به : أرج لغيرك ما ترجو لنفسك^(١) ، وأرج لنفسك ما ترجو لغيرك^(٢) ، فقد يكون ما في نفس الأمر خلاف ما في الظن ، كما رأى النبي ﷺ ، قطف عنب في الجنة لأي جهل ، فأحزنه ذلك فقال: وما لعدو الله أي جهل وللجنة ، حتى ظهر تأويله بإسلام ابنه عكرمة [واستشهد] ، لأن الأمور بالخواتيم ، إلا إنك جانب أهل المعاصي ، وعظهم وذكرهم ، من غير أن تتكبر عليهم ، أو ترجو لنفسك خيرا منهم ، ثم سأله حيثئذ عن حال رجلين ، أو رجل في إحدى الحالتين ، أيهما أحسن وأحب إليكم ، أحدهما غائب منكم وهو متعلق بكم كثيرا ، وآخر عندكم ولكنه ليس كالأول في التعلق ، فقال رضي الله عنه : المتعلق أحسن حالا من الآخر ، وإن كان حاضرا ، لأن في التعلق منافع كثيرة ، لا تحصل بدونه ، وإن حصل مع الحضور منافع آخر ، فقلت : ما يحصل للحاضر من رؤيتكم ، والاجتماع بكم ، والصلاة معكم ، والتعلم منكم ، وغير ذلك ، لا يقابل تعلق الغائب ، فقال : لا ، لأن مع المخالطة لا يكاد يستقيم له شيء يحصل ، بل يفوت بسبب المحامرة ، كالذي يكون مشتاقا للطعام ، فإذا شبع مله ، وفي البعد تغلب رؤية الخصوصية على البشرية ، وفي الاجتماع تغلب رؤية المماثلة

(١) أي من العفو والقرعة بالعصام.

(٢) أي من العدل والموازنة بالذنوب بالعصام.

والبشرية على رؤية الخصوصية ، وقد قال الشيخ أبو بكر بن سالم: لو سألت الله أو قال شفعت في أحد من الكفار ، ولعيالي وأخدامي ، لرحوت الإجابة لأولئك الكفار ، دون الآخرين ، لأن للمخامرة إذا قلت هات كذا ، أو افعل كذا ، تذهب الاحترام ، ولهذا كانوا إذا جاء الطالب بمكث شهرا أو أكثر ، لا يكلمونه بكلمة ، خوفا أن يألف الكلام معهم ، ويقل احترامه ، أو كما قال ، كل ذلك بمسجد إبراهيم يوم الثلاثاء ثاني ربيع ثاني سنة ١١٢٦ ، وسألته رضي الله عنه مرة عن حال الرجل ، يكون في البعد متلهفا إلى الشوق إليكم كثيرا ، وفي الحضور ساليا عن هذا ، وفارغ البال منه ، أي الحاليتين غير ، فقال نفع الله به : حالة الحضور غير ، وليس في ذلك من الخصال الحمودة ، إلا التلهف والشوق إلى الاجتماع فقط ، وهذا يزيد عليه ببقية الخصال ، وإن كان خاليا من التلهف الحاصل لذلك ، لأن الإنسان في الطبع ، لا يشتاق إلى الحاضر ، فلهذا لا يكون الشوق في الجنة ، وإنما يكون فيها الاشتياق ، قال ذلك ضحي يوم السبت لعله في ٨ صفر سنة ١١٢٨ .

وذكر رضي الله عنه يوما من مجاهدات الأكابر الذين سلفوا كالشيخ أبي بكر بن سالم ، فقال : كانوا أيضا يترصدون للملئ الحيضان في الليل حتى لا يراهم أحد ، وبقيمون الليل بالصلاة والتلاوة ، ومرادهم بهذه الأشياء كلها وجه الله تعالى ، فيحفونها عن الخلق ، فقيل له : فما هذه المهمة التي كانت لهم ، فقال : بهذا حصل لهم ما حصل ، أو أعطاهم الله ذلك بلا تعب ، أو يجلسون جالسين ويطلبون ذلك ، كان سوى الله بين الناس ، ولم يتميز أحد منهم على أحد ، فقلت : إنه قد أعطاهم هذه المهمة ، فيها سبقوا غيرهم ، فقال : عرفوا الحق فطلبوه ، من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل .

وقال رضي الله عنه لي يوما : طريقة السادة آل باعلوي ، العقيدة النامة ،

والتعلق بالشيخ ، والاعتناء من الشيخ ، والتربية بالسر ، وهي طريقة السلف ، كالحسن البصري وغيره ، وليس من شرطها الأربعينية ولا بأس بذلك ، وقد فعله كثير منهم ، ومن لم يجتمع قلبه بعد على شيخ معين ، فلا يختص بأحد منهم ولا ينتسب إليه ، بل يكثر من لقاء المشايخ ، ويترك بهم ما دام كذلك حتى يجتمع قلبه على واحد ، فحينئذ يلزمه ويختص به ، وينطرح تحت نظره .

وقال لي رضي الله عنه عشية الخميس في ١١ ربيع الأول سنة ١١٢٥ من طلب وأراد شيئا من أحوال الصالحين ، فيطلب ذلك ويستمره بالأعمال الصالحة الخالصة ، والأخلاق الحسنة ، ويطلبه من الله بذلك ، ولا يطلبه منه بغيرها ، ثم يطلب منه لها الزيادة والترقي ، فإن هذه الأمور تنمر له ذلك ، إن كان له نصيب ، والله هو الفاعل ، إذ ما كل حبة تقيء بسبول^(١) ، فتراك ترى كثيرا من الناس ، يا صلاة ، يا صيام ، [أي يكثر منهما] ، ولا حصلوا شيئا لعدم ترقبهم ، فإنهم بقوا جامدين على ذلك ، ولم يطلبوا الزيادة والترقي ، ولكنهم على خير لا يخلون منه ، ولا عاد نوصي إلا بالإحياء ، كما أوصى بها السلف ، وفي الفقه : المنهاج ، لأنه مغربل ، وفي كل كتب الحديث خير ، "البخاري" أو "مسلم" أو "رياض الصالحين" ، أو "الأذكار" ، إلا أنه لا يمعن جدا ، أو قال لا يتقعر ، لأن ذلك يزيد قوة في الإدراك والفهم والتحقيق ، وما ندرى ماذا يصير الأمر بعدنا ، ولكن احفظوا عنا ما ذكرناه ضحوة وقت القراءة من أمر الدجال ، لأن النبي ﷺ قال^(٢) : ((إن ظهر وأنا فيكم فأنا حجيجه ، وإلا فكل حجيح نفسه)) .

وقد ذكر رضي الله عنه ضحى هذا اليوم في مجلس القراءة للمسيح الدجال ،

(١) سبيل : أي سبل الهام .

(٢) من حديث طويل أخرجه مسلم ٤ : ٢٢٦٧ عن الترمذي بن محمد .

فقال نفع الله به : ما جاء أنه يمسح الأرض لا يلزم من ذلك أنه يعمها كلها ، بل يطلق هذا على الأكثر ، ويحصل به العموم ، لأنه جاء أنه لا يدخل مكة ولا المدينة ، وفي الجبال حصن حصين منه ، فعلى من خافه بها^(١)، إلا إن كان يرسل لمن بعد منه ، لكن ما له رسل ولا طلائع يعيّنهم ، وإنما هو مفرد برأسه ، وقد مر علينا في آثار ضعيفة جدا ، أن من كان في الأموات ، ممن لو حضره لأحابه ، يجيبونه من قبورهم ، ولكن لا يصح هذا ، أو كما قال .

وقلت لسيدنا نفع الله به : لو أن رجلا اجتمع ببعض المشايخ ، ولم يكن معه إذ ذاك همه في العبادة ، فبعد مفارقتهم للشيخ حصل له باعث العبادة ، هل يكفيه اجتماعه بذلك الشيخ ، عن لقاء شيخ بعد ذلك ، ويكون ذاك شيخه ، وينسب إليه ، فقال رضي الله عنه : نعم يكفيه ذلك ، ويكون شيخه ، وهو تلميذه ، والطريق معروفة ، ولا عليه إلا أن يسلكها ، والفتوح من الله يأتيه ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : اعملوا ولا تستعجلوا ، وجزاء العمل إنما يكون في آخر العمل .

وسأله رضي الله عنه : ما معنى نسبة أمور إلى العبد لا اختيار له فيها ، كأمره بالإخلاص واليقين ، وغير ذلك من الأمور الباطنة ، التي هو يتمناها ولا يقدر عليها ، فقال نفع الله به : هذا لأجل النسبة ، أمر نسبة يعني ينسب ذلك إليه مجازا .

وسأله رضي الله عنه : عن كلام تكلم به ، في مجلس القراءة ، في الداعين إلى الله ، القطب أو من ينوب عنه ، وكان السؤال يوم الأحد في ١٣ صفر سنة ١١٢٤ في السير داخل بستان الليمة ، فقال : القطب إذا لم يتأهل لظهور في الدعوة يستتيب

(١) في (ج) : فعلى من خافه عليه ١٤.

من فيه أهلية ، وذكرنا كلام الشعراوي ، وهو إلا في من كان شيخا ، ومعه تلامذة ، وجاء آخر ومعه تلامذة كذلك ، ودعوتهم مختلفة ، فيدعون عليه لأنه معترض باغ ، ولهذا لا يجوز إمامان في وقت واحد ، وإن كان قصدهم كلهم الدعاء إلى الله ، فيسلم أحدهم الأمر للآخر ، ويصير تابعا له ، حتى إن بعض الداعين إلى الله من مشايخ مصر يقال له الحسن ، أنه شيخ يقال له يوسف ، وكلاهما على الطريقة ، قال الحسن ليوسف: إما أن تكون تابعا لي ، وإلا أنا أكون تابعا لك ، واختار الحسن أن يكون تابعا ، فبقي كأنه من تلامذته .

وحكي إن موسى عليه السلام ، لما كثرت عليه بنو إسرائيل ، وتلفعوا على بابيه ، سأل الله أن ييسر له من يدعو إلى الله معه ، ويعينوه على ذلك ، ويخفوا من نزاجهم عنده ، فأوحى الله في تلك الليلة إلى مائة أو مائة وعشرين ، فكان حيثئذ هؤلاء أنبياء ، فتفرقوا عنه حتى لم يبق عنده منهم أحد ، واجتمعوا على أولئك الأنبياء ، فلما رأى ذلك غار ، فدعا عليهم ، فماتوا كلهم في ليلة واحدة ، ولما بعث الله إلى موسى عليه السلام ملك الموت لقبضه ، ثقل عليه الموت ، فأوحى الله إلى يوشع بن نون فسي ، وقال الله تعالى: لا تعلم موسى بأننا أوحينا إليك ، فرأى موسى كأن الله أوحى إلى يوشع ، وأمره أن لا يعلمه ، فلما أتى يوشع إلى موسى ، سأله موسى : بماذا أوحى الله إليك؟ فأبى أن يعلمه ، وقال له : أما كان يوحى إليك قبلي ، فلا تعلمني بما أوحى إليك ، ولم أسألك عنه ، فلم تسألني؟ فقال موسى عليه السلام : أما الآن فلا طيبة لي في الحياة . ونحن إذا رأينا من يدعو إلى الله على الطريقة العامة ، ويعلم الناس ، وإن لم يكن صحيحا ، نفرح بذلك ، وإنما نتكلم على من يدعي أنه من أهل الطريق الخاصة ، ويرى أنه من أهل الباطن ، ويدعو إلى ذلك ، فننظر إن كان حقا ما يقول ، فيسلم لمن هو أكمل منه ، وإلا كان مفتنا ، وإن

قدرنا على منعه منعه ، ثم ذكر قصة سيدنا علوي بن الفقيه مع الغريب الذي جاء إلى تريم ، وموه على الناس ، وادعى الصلاح ، وأظهر لهم خوارق ، فاعتقدوه واجتمعوا عليه ، إلى أن افتضح على يد سيدنا علوي المذكور ، إلى آخر القصة ، ثم قال سيدنا رضي الله عنه : وقد جاء رجل من جماعتنا ، يعني من السادة آل باعلوي من الحرمين ، ومعه إجازات من جملة مشايخ ، وقال : اجتمع بفلان وفلان ، وجاء إلى تريم يريد يصير صاحب طريقة ، وبقي يتلقط الذين قد صحبونا ، فقلنا له : إن هؤلاء قدمهم مربوطين ، فخذ ممن لم يصحبنا ، ولم يجتمعوا بأحد ، فبقي على ذلك ، فرأيت في النوم كأني خارج من مسجد الحجرة إلى الطريق ، وهو ضيق ، وإذا بالشيخ محمد بن علوي صاحب مكة قائم في الطريق ، وذلك الرجل ومن معه قائمون في جانب الطريق ، فقال لي السيد محمد بن علوي : أنا أمر وأنت مر بعدي ، فمر السيد محمد بن علوي ، ومررت بعده ولم يمر أولئك وبقوا ، وبعد هذه الرؤيا ما استقام لذلك الرجل أمر ، فرجع يقري في الفقه ، ونحن ما بيننا وبين الناس شيء ومن يدعو لنا في جميع أقطار الأرض ، ونبجونا أكثر من الذين يبغضونا ، لأننا ما نازعناهم في شيء من أمور الدنيا ، ولا طلبناهم أموالهم ، وتكلم كثيرا ، ثم قال : أمسكوا الحبل بطرفه ، ليمسك لكم الأمر ، وإن أخذتوه بطرف واحد انتثر عليكم ، أو كما قال .

ما قاله من المقابلة لتصحيح النقل والتوصية بذلك

وكنتم يوما أسايره خارجا من البلاد إلى الحواوي ، وذلك يوم الثلاثاء عاشر ربيع الثاني سنة ١١٣٢ ، وكان قبله بنحو أسبوع وصل اثنان إخوان من بغداد ، وهما من أولاد الشيخ محمد الرحبي مفتي بغداد ، وطلبا أن ينقلا شيئا من القصائد من

الديوان ، فقال رضي الله عنه حيثئذ : لا تخلي أحداً من الأعراب الذين يصلون إلى عندنا ، إذا حصل شيئاً من الرسائل أو من القصائد يسافر به إلا حتى تقابله بيديك ، واكتب عليه بلغ مقابلة على يد فلان ، واذكر اسمك واسم المصنف ، أو الناظم ، وأن هذا من نظم فلان أو تصنيف فلان ، لأنك معروف بتحصيل الكتب ، وأي شيء ينفع الكتاب المغلوط ، وربما زاد حرف أو نقص حرف أو زادت نقطة أو نقصت أو غير ذلك ، فقرأه على الخطأ ونسب ذلك إلينا ولم يعرفوه ، فالحذر تخلي أحداً يكتب شيئاً ويسافر به حتى تقابله ، وتكتب اسمك على مقابلته ، واسم المصنف أو الناظم .

وقريء على سيدنا نفع الله به في شيء من مؤلفاته ، فاتفق تقدم بعض الكلام وتأخير بعضه ، فأمر بإصلاحه ، ثم قال رضي الله عنه : إنه قد يحصل الابتاع في الدين بزيادة كلمة أو نقص كلمة ، ومثل هذه الأشياء هي التي أوجبت الإنكار والظعن على الأكابر ، وقرأ من كان يقرأ بحضرته ، قارئ كان يقرأ في "رسالة للذاكرة" في فصل : وأما ضعف الإيمان إلى أن قرأ إلى غير ذلك من الأخلاق للشومعة ، فغلط وقال : للسمومة ، فقال سيدنا عند ذلك بعد ما ردَّ عليه غلطته : أكثر ما أنا خائف من أحد ينقل هذه الرسائل ، وفيها الغلط والتحريف فينقله عنا ، ويقول : قرأته على المصنف ، فاشهدوا على ذلك ، وإنما نحن خدكُم الشريعة ، فمن أتانا فنفعه الله بنا أو بكلامنا فلا نكره ، وإلا فلا حاجة لنا بأحد ، فمن سمع منا بكلام غير مستقيم ، أو مخالف للكتاب والسنة ، إما لغلط^(١) ، أو اعوجاج في لسانه ، فلا يصدق ، والغيار كله من قلة الفهم أو العجلة ، حيث يسمع بعض الكلام ، ويفوته البعض ، فينقله ، فينبغي أن يسمعه كله ويفهمه ، قال ذلك عشية السبت سلخ ربيع الأول سنة ١١٢٩ هـ .

(١) أي من السمع . اعلم من همل (ج) .

وقال لي رضي الله عنه يوماً : عاد آل فلان أُرسلوا لك ، قلت : نعم ، واعتذرت ، فقال رضي الله عنه : إذا كان لك في شيء هوى ، ما عاد تعرف الصواب من الخطأ ، وأنت امتثل ولا عليك أن تعرف وجهه ، فإن الطريق العامة ، والطريق الخاصة ، كل منهما مظلمة ، لا يهتدي الإنسان بنفسه فيهما إلى الصواب ، فيحتاج أن يجعل يده في يد العالم بذلك ، ولا يتكلم ، كالأعمى أو مَنْ هو في ظلمة يجعل يده في يد البصير ، أو مَنْ هو أعرف منه ، ونحن جميع أقوالنا وما نتكلم به مع الناس في هذا الزمان إنما هو في طريق العامة ، ومعنى كونها مظلمة أنك لو قلت للرجل منهم ، في صلاة أو زكاة ونحو ذلك ، من أمر معروف أو لحي عن منكر ، اشتغلَ مِنْ ذَلِكَ ، ولا يحب من يُذكره ويعلمه ، وقد نجد في نفوسنا على أحد من الناس من هذه الحيلة ، حتى على أغراب وفقراء ، لكننا بحمد الله لا نظهر شيئاً من ذلك ، وأما الطريق الخاصة ، فقد قال بعضهم : إنها قد اندرست منذ زمان بعيد ، ومن لم يسلم لذلك ، قال معني دروسها : إنها كلما تأخر الزمان ، زادت خفاء ، وأنت طالب نفسك بحق الله عليك ، وهو التقوى واليقين ، ولا عليك تكليفها ما وراء ذلك ، ومرادنا نعلّمك حتى تعرف الصواب ، فتنتفع وتنتفع ، فقد مر بعض المشايخ بعد أسود في عنقه طبل ، يشرب الخمر ، ومع الشيخ تلميذ له ، وذكر القصة إلى تمامها ، فقلت : هل التقوى من أول الطريق الخاصة؟ فتبسم وسكت ساعة ، وهذه عادته إذا كلّم بما لم يُردّه ، أو بما بُعد عن المعنى ، ثم قال : أولها الاعتقاد الصحيح ، ثم قام إلى صلاة العصر ، وكان ذلك الكلام في الضيقة .

وقال رضي الله عنه لي يوماً : خذ في كل ما يشكل عليك في حق الله ويوهمك فيه ، شيئاً بالتسليم وتركيبه على ما هو عليه من التنزيه له سبحانه عن صفات الحدث ، وقد جاء في القرآن والسنة كثير مما يوهم ذلك ، ولكن للسلف فيها طريقان :

التسليم والتأويل مع التنزيه ، وأين الرب سبحانه من صفات خلقه ، ففي وصف أحد من الملائكة من الأمور ما تعجز العقول عن إدراكها، فكيف بالياري سبحانه أو كما قال. وقال رضي الله عنه : مَنْ رَاعَ رُوعِي ، أَنْتَ تَرِيدُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَرَاعِيكَ ، فَرَاعَ حَقَّهُ أَنْتَ حَتَّى يَرَاعِيكَ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِي وَقْتِهِ الْحَاضِرُ صَاحِبَ نَجِيرٍ وَيَقْظَةُ ، لَا تُسَوِّنُ^(١) لَهُ فِي بَاقِي الْوَقْتِ يَقْظَةُ ، وَالْيَوْمَ مَا مَعَهُمْ مَعَا مَعَ أَهْلِ الزَّمَنِ الْمُتَقَدِّمِ ، حَتَّى غِبَارُهُ ، لَكِنْ أَرْدَنَاهُمْ يَسْتَقِيقُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ، إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ عَلَى قَهْوَةٍ يَقْرَأُ مَا تَسِرُ مِنَ الْقُرْآنِ وَلَوْ حَرْفًا ، وَمِثْلَ هَذَا ، وَلَا يَضِيعُونَ أَوْقَاتَهُمْ بِلَا شَيْءٍ ، فَإِنَّا نَعْرِفُ رَجُلًا^(٢) كَانَ بَعْدَ الْقِرَاغِ مِنَ الدَّرْسِ ، بَعْدَ الْقِرَاءَةِ قَبِيلَ الْمَغْرَبِ ، يَأْتِي بِالْفَنَى تَحْلِيلَةً ، وَهَؤُلَاءِ ضَعُفَتْ هَمَمُهُمْ ، حَتَّى سَهِّلَ عَلَيْهِمْ تَضْيِيعَ أَوْقَاتِهِمْ ، مَعَ أَهْمٍ يَسْمَعُونَ الْعِلْمَ ، وَلَا يَنْهَضُهُمْ ، فَيَصِيرُ حِجَّةَ لَهْمٍ ، إِلَّا إِذَا كَانَ لَهْمٌ هَوًى فَعَلُوا كَمَا يَفْعَلُ النِّسَاءُ مِنَ الْإِعْطَاءِ ، وَلَمْ يَفْعَلْهُ أَزْوَاجُهُنَّ ، وَهَمُّ أَوَّلَى بِذَلِكَ ، لَكِنْ هَذَا مَلِيحٌ يَنْتَفِعُ الْمَعْطَى ، وَإِنْ لَمْ يَنْتَفِعِ الْمَعْطَى ، وَهُوَ أَحْسَنُ مِنْ لَا شَيْءٍ ، وَرَغَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْإِطْعَامِ ، فَقَالَ : بِاللُّقْمِ تُسْتَدْفَعُ النِّقَمُ ، وَمَرَّةً قَالَ : تُسْقَى النِّقَمُ ، وَلَكِنْ مَعَ كَثْرَةِ التَّحَالِيطِ قَلَّ أَنْ يَنْتَفِعَ الْإِنْسَانُ بِشَيْءٍ ، إِلَّا إِنْ كَانَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَإِنَّمَا حَصَلَ لِلأَوَّلِينَ بِأَعْمَالِهِمْ مَا حَصَلَ ، لِلْخُلُوصِ نِيَاتِهِمْ وَزَكَاتِ أَعْمَالِهِمْ ، وَمَنْ رَأَى أَفْعَالَهُ تَعَالَى الرَّحْمَتِيَّةَ وَالْجَبَرُوتِيَّةَ خَافَهُ ، فَيَعْرِفُ أَنَّهُ يَأْخُذُ فِي سَاعَةٍ ، وَلَا جَاءَ فِي بَالِي أَنْ مَعَ هَذَا الْمَهْمَلَةِ ، [أَيْ لِلطَّرِيقِ الْخَفِيفِ] يَجِيءُ هَذَا السَّيْلُ الْهَائِلُ ، وَفِيهِ كِمَالُ التَّنْبِيهِ ، لِأَنَّهُ مَسْبَحَاتِهِ أَوَّلُ مَا يُخَوِّفُ وَيُنْذِرُ ، ثُمَّ يَأْخُذُ ، وَهَذَا بِسَبَبِ الْمَظَالِمِ الَّتِي هُمْ مُقِيمِينَ عَلَيْهَا مِنْ قَدَمٍ إِلَى الْآنَ ، وَاعْتَظَلَتْ إِخْلَالَ الْحَرَامِ ، وَلَا تَنَاهَوْا فِيمَا بَيْنَهُمْ ، فَقَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ قَوْمًا مِنْ بَنِي

(١) تُسَوِّنُ : تَنْظُرُ .

(٢) لَا يَكُونُ إِلَّا هُوَ لَسَعَ اللَّهَ بِهِ الْعَصَامَ .

إسرائيل ، مع انتهائهم عن المحارم ، ولحيهم عنها ، إلا أقم ما جانبوا أهل المعاصي ، فأخذهم الله معهم ، لكن عسى في هذا كفارة للذنوب ومذكر بالأخرة .

أقول : والسيل المذكور، هو للمسمى سيل الحوت ، الذي أخذ النخيل ، وكان ضحى يوم الأربعاء في ٢٦ شهر رمضان سنة ١١٢٤ ، وقد تكلم سيدنا رضي الله عنه في أمر هذا السيل بكلام كثير في مجالس متعددة ، وسيأتي إن شاء الله كثير منه مجموعا في موضع واحد من هذا المجموع ، وقد اتفقت لي رؤيا قبل السيل المذكور بيومين ، وذلك يوم الاثنين بعد صلاة الصبح: كنت في حلقة نقرأ القرآن في مصلى الخاوي ، وسيدنا حاضر جالس في الخراب ، فبعد ما قرأت المقرأ غطني النوم ، فرأيت قبة في وسطها قبر ، وفيها ثقبان ، قبلي وشرقي ، وكان عتم^(١) ماء يدخلها من القبلي ويسفح على القبر ثم يخرج من الشرقي وينفذ إلى نخيل وبساتين يسقيها، وكان القبر قبر النبي ﷺ ، فوقفت على القبر متعجبا كيف يترك الماء يجري على القبر الشريف، وأقول في نفسي : هذه البقعة التي ضمت أعضاء الشريفة ، أفضل من العرش والكرسي ومن كل شيء ، ويترك هكذا، وكأنني أتمثل بهذا البيت من قصيدة البكري:

قد حسدتها سدة للنتهى لما حوت والفلسك الأكبر

وطالت بي الرؤيا حتى وصلني المقرأ ، فنيهت له ، فتعجبت من هذه الرؤيا ، فلما فرغنا من القراءة بعد طلوع الشمس ، وركع سيدنا الإشراق ، ثم دخل ودخلت معه إلى الضيقة ، فأخبرته بالرؤيا ، فقال: سبحان الله ، هذا بايقع أمر ما يتحمله إلا هو ﷺ ، فلما كان ضحى الأربعاء جاء هذا السيل الهائل كما قال .

وقال رضي الله عنه : أشرنا على فلان : رجل سماه ، بشيء ، فلم يفعل ،

(١) العتم ينتح العين المهملة وإسكان التاء المشددة من فوق هو الأعفوه يشق على وجه الأرض لير عليه الماء .

وذلك لغباوة فيه لا مخالفة ، والغباوة يفوت بسببها من الإشارات أكثر مما يفوت بالتعمد ، لأن المتعمد مخالف ، وهو كمن يصب الماء^(١) ، وأما الغي الذي لم يفهم ، فله حال آخر ، وهو معلور ، وكلام أهل الحق كله إنما هو بالإشارة ، ولو أشاروا على أحد بشيء فخالف ، ثم قال : بأرجع أفعل بالإشارة ما قال لي فلان ، وفعل ، فما عاد ينفعه .

وقال له رضي الله عنه رجل من السادة : ادع لنا ، فقال نفع الله به : وما مع الإنسان ما يصل به أخاه إلا الدعاء ، والدعاء علامة المحبة ، ولم يجعل الله دعاء المؤمن لأخيه بظهور الغيب مقبولا ، إلا لما فيه من الإخلاص للمقترن بالمحبة ، ولهذا جاء الترغيب في ذلك ، والأشياء إنما تعرف بأصولها لا بالفروع ، فإذا أخذت بالفروع ، فترق منها إلى الأصول ، ولا عكس ، فإذا أخذت بالأصول لا ترجع إلى الفروع .

ثم قال له يوصيه : خفف على نفسك من العلائق ، ومن اتخاذ الدين ، فليس الشأن من العاقل إذا وقع في الأمور أن يتخلص منها متى شاء ، إنما الشأن منه أن لا يقع فيها أصلا ، ثم قال له : أتعلم سورة النلك كم آياتها ثلاثون ، وتعلم الجزر كم هي تسع وعشرون ، ولله في القرآن من حيث الحروف والآيات والصور أسرار وحكم ، وإلا لاستغنوا عن الترتيل ، واكتفوا بسورة واحدة .

ما قال في من يرث الولي إذا مات

وقال رضي الله عنه : لم توضع الأسرار إلا في الأوعية الطاهرة النقية ، لا للملائكة من القدر والتحليط ، ولو كان هو أولى بإرثه من غيره ، فقد يرثه غيره لوجود هذا

(١) احتاروا في غير الله . (كما في نسخة).

الشرط في ذلك الغير ، وخلو ذلك القريب منه ، فقد يكون صاحب السر في حضرموت مثلا ، ويرثه إنسان بمكة ، أو في غيرها من الأماكن البعيدة ، ولا يرثه القريب ، ثم حكى إن الشيخ أحمد بن علوي باجحدب^(١) علوي نفع الله به لما مات ، ما عرف في البلاد من ورثه ، أو قال من أقیم مقامه ، فبقي بعض السادة يتقصي عن ذلك ، فلم يظهر له ، فأمر خادمه أن يقف على باب الجامع ، يوم الجمعة ، وينادي من حفظ منكم الضالة ، وبقي كذلك ينادي ساعة ، وفهم له بعض السادة ، وكان هو ، فقال : إنها محفوظة ، فعرفوه حينئذ ، وتوفي بترحم بعض الأعيان من أهل الأحوال ، وقيل له [أي سيدنا] : إن فلانا لم نعلم له من وارث ، فهل يكون أحدا من الملازمين له والمنسويين إليه ، فقال رضي الله عنه : قد يكون للوروث هنا والوارث في الصين مثلا ، وأما المنسويين إليه فلا ورثه منهم أحد ، لأنهم لم يتربوا ولم يتأهلوا ، وقد كانوا إنما يبيء أحدهم إلا عند فراغه ، فقيل : بأي شيء يتأهل لذلك ، فقال : بالإقتداء بهم واحترامهم وتأويل ما يشكل عليه مما يصدر منهم مما ينظره إنه ينكر شرعا ، ولا يقتدي بهم فيه ، وعجتهم وامتنال أوامرهم ومراعاتهم ونحو هذا.

وقال رضي الله عنه لرجل : إخلص العمل ، لتأخذ أجرك من ربك ، وإن لم تخلص قيل لكخذ أجرك ممن عملت له ، ومن كان معتقدا^(٢) يعسر عليه الإخلاص ، وخصوصا فيما يؤكد الاعتقاد فيه كشل الأذكار . والرياسة لها مكر ، كسكر الخمر ، ولكن عندنا قلة اعتقاد الصالحين والتعلق بهم ، نفعت العاملين ، وإن تقمح غيرهم ، وويل لمن راح وخسر من عمل الآخرة ، اشتروا به لنا قليلا فبئس

(١) من العلماء الأفاضل (انظر ترجمته في للشرح الروي ١ : ٦٩) .

(٢) معتقدا بفتح الميم كما في نسخة .

ما يشتركون ، قال الشيخ أبو بكر العيني : رئاسة ترم ، منوطة بأوباشها ، فأف لرئاسة تناط بهم ، أف لرئاسة تناط بهم ، أف لرئاسة تناط بهم .

قصة أصحاب السفينة

وقال رضي الله عنه : يراعى حال الأكثر في كل أمر ، فلو كان عشرة يريدون أمرا يضطرون إلى فعله ، سوى واحد منهم يتضرر بفعله فيراعون دونه ، وقد كان جماعة عابرين في سفينة وفيها مسلمون وكفار عددهم سواء ، فحصلت عليهم شدة احتاجوا أن يرموا ببعض العابرين ، لسلامة الباقين ، فبقي كل من الصنفين ، يريد أن يرمي بالآخرين ، ويسلمون هم ، ففعل رجل كان فيهم مسلم عاقل هذا البيت وقال:

الله يقضي بكل سر ويرزق الضيف حيث كانا

أقول : وفي القصة أنهم لما تشاجروا في أيهم يرمى به ، قالوا : نقتزع ، ومن وقعت القرعة عليه ألقيناه ، فقال لهم ذلك الرجل للمسلم العاقل : ليس هذا حكما مرضيا ، وإنما الحكم : أن نعد الجماعة ، فكل من كان تاسعا ألقيناه ، فارتضوا بذلك ، فصفهم حلقة على ترتيب حروف البيت المذكور ، حروفه المهملة للمسلمين ، والمعجمة للكفار ، فلم يزل بعدهم ويلقي التاسع فالتاسع إلى أن ألقى الكفار أجمعين ، وسلم المسلمون وابتدأ العدد من أول الأربعة المسلمين ، ثم بأول الاثنين منهم ، وهكذا على حسب الترتيب المذكور ، انتهى.

ما قال في طلب المريد الطالب للقراءة

وقدم رجل على سيدنا نفع الله به ، فقال له حين قدم : أريد أن أقرأ ، فقال له : لا تعجل ، ما هكذا يكون الطلب ، فقد كانوا يأتي الطالب ويمكث سنة لا يعرف به ، لأن أمور الدين عزيزة عند أهلها ، متقبضين عليها ، وأما أمور الدنيا ، فإن كان عندهم منها شيء ، فهو مبذول ، وهذا هو الفرق بين أهل الدين وأهل الدنيا ، إن الدنيا مبذولة عندهم ، أقل الحال للمأكول والمشروب ، ولو كل من أراد القراءة خليه يقرأ ، لامتلا منهم المسجد ، ولكنهم قرأوا وما حصلوا وقد كان تكفي أحدهم النظرة ، لكون قلوبهم ملاءنة من العقيدة والتعظيم وحسن الظن ، وللدد في المشهد ، ونحن بواطننا سليمة على أهل الزمان ، وما بيننا وبينهم شيء ، وأتى رجل ذا النون المصري ، يطلب الاسم الأعظم ، فمكث عنده سنة أظن قال لا يكلمه .

وقال عبدالله القرشي : كنت آتي شيخي وأجلس تحت سور البلد سنة لا يعرفني أحد ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه لذلك الرجل يوصيه : كن رجلا مليحا لربك ، يكن كل شيء لك مليحا ، فمن كان مليحا لربه ، كان له كل شيء مليحا ، ومن كان بخلاف ذلك ، كان كل شيء له كذلك ، لأن الأشياء تابعة لخالقها .

ما قال في آداب مطالعة الإحياء

واستأذنه رضي الله عنه رجل في مطالعة الإحياء ، فقال نفع الله به : إذا أحكمت التواضع ، ما تنهاك عن مطالعة الإحياء ، ومن لا يعرف حقيقة التواضع ، نكسر بمطالعة الإحياء ، فإن أردت أن تتواضع فطالع فيه ، وفيكم يا أهل الزمان ،

فشار^(١) من غير حقيقة شيء ، وإذا رأيت كتاب الغرور^(٢) خلاك قائما بلا شئ ، وصفوة الإحياء ربع للنجيات ، لأن الإمام محضه حتى انتهى إليها ، جعلها خلاصته ، ونحن مع حضورنا في أوقات فاضلة ، واجتماعنا بناس أهل فضل ، لم يخطر ببالنا أن نقرأ على الشيخ فلان المعروف بالخصوص .

ثم تكلم رضي الله عنه كثيرا في أحواله في تلك الأوقات ، وذكر جماعة ممن كان فيها ، حتى انتهى إلى ذكر أهل هذا الوقت الحاضر ، فذمهم وذم أحوالهم وأعمالهم ، فقال : إذا جاءك أحدهم فقال أريد أن أقرأ في الكتاب الفلاني ، وقلت له : عجل هذا واقرأ في كتاب آخر ، حتى^(٣) ، فما بعد هؤلاء ، ولكننا ما بالينا بهم ، وما استأنسوا معنا ، ولا نبالي بمن حتى ومن لا يحق ، ولكننا نأخذ البعض منهم بالبعض ، ثم أعطاه كتاب "النجيات" ، فقال له : طالعاه واجتهد في العمل به ، والاتصاف بما فيه ، واحذر أن تقوش^(٤) وتكبر ، فإن إبليس أول من فاش وتكبر .

وتكلم رضي الله عنه في أهل المناصب ، فقال : من هو في هذا الحال ينبغي مداراته ، للإبقاء عليه ، ومثلها^(٥) كمثل النار ، كلما زاد لطيبها ، زاد إحراقها ، فالعاقل هو الذي يأخذ بخيرها ويترك شرها ، فإن لم يتميز له الأمران تركهما جميعا أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : إذا قيل فلان أخذ عن فلان ، ليس معناه أنه أخذ عنه في كتاب ، أو قال قرأ عليه في كتاب ، إنما معناه : إنه اقتدى به في سيرته ، بأخلاقه

(١) قوله فشار : أي هذيان غال في القاموس : هي لفظة عامة وليست بعربية . اهـ . بحث الحبيب عطاس الحيني .

(٢) من كتاب الإحياء وهو من ربع اللهلكات .

(٣) حتى يفتح الحاء للهملزة وكسر اللون الموحدة من تحت : اغتاضى .

(٤) يقوش الرجل : اغتصر وتكبر .

(٥) أي للمناصب . اهـ .

وأفعاله وأقواله ، فإذا فعل ذلك فذاك شيخه ، وهو له مرید.

وقال رضي الله عنه : ينبغي أن يأخذ الإنسان من الأعمال على قدر ضعفه وضعف زمانه ، ولا يدعي القوة في غير موضعها ، لأن أمور الدين كالمسك ، كلما ازدادت له شئما نقصت رائحته.

وقال رضي الله عنه : من له تعلق وميل إلى أحد من الصالحين ، حصل له اللدد من جميع الصالحين ، لأنهم لا مشاحنة بينهم ، ولا مشاحنة في شيء أبدا ، بل لو قال هذا للمتعلق بأحد منهم لآخر منهم : أريد أن أترك فلانا وألازمكم ، لم يطلعوه ولم يوافقوه على ما قال ، بل يقول له : كن متعلقا بشيخك الأول وللد لك منا يحصل ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : من رأيت له أدنى تعلق بطاعة وإن قلت ، أو ميل إليها أو بأحد من الصالحين أو ميلا ما إليه ، فارج فيه الخير ، وذكر قصة الرجل من أعوان الدولة الذي يحفظ قصيدة الشيخ أبي بكر العدني^(١).

وقال رضي الله عنه : ما جر إلى خير فعاقبته إلى خير وإن كان في ظاهره شرا ، وما جر إلى شر فعاقبته إلى شر وإن كان في ظاهره خيرا ، والعاقبة للحواتيم .

وقال رضي الله عنه : سبحان الله ، الرجل من أهل هذا الزمان ، فيه الأخلاق السوء والأعمال السيئة ، ثم مع هذا يظن ذلك في غيره ، ولا يظنه في نفسه ، فينبغي أنه إذا كان فيه هذا النقص ، أن لا يظنه بغيره ، فيكون نقصا آخر ، ولكن كان النقائص يتبع بعضها بعضا ، ومثل لذلك بالرجل يترك الزكاة ، ثم إذا دخل للمسجد ، ورأى الجارية غير حارة^(٢) ، فيقول : يأكلون الوقف ولا يقومون بالمسجد،

(١) وقد سبقت قبل قليل (صفحة ٩٧) .

(٢) لأن عادة أهل حضرموت أن يسخنوا الماء في وقت الشتاء .

وأنه ما قال ذلك إلا لهد هواه ، لا إنكاراً للمنكر .

وذكر له رضي الله عنه أن أناساً وزعوا أموالهم ، وفرقوها وتعسر^(١) الزكاة على هذا. فقال : لعل لا نية لهم في إخراج الزكاة ، فإذا أردت تعرف ذلك فانظر إلى صلاحهم كيف يؤدونها ، فبذلك تعرف قلة رغبتهم في الدين .

وقال رضي الله عنه لرجل جاء من الحج : هل حججت قبلها؟ قال : نعم ، إلا إني كنت إذ ذاك ما معي شيء ، وأحب ما يحصل لي بلا شيء. فقال له نفع الله به : الرزق وللآل كله لربك ، ولا فرق بين أن تعطي غيرك أو يعطيك غيرك ، فكلكم عبيده ، والذي في أيديكم رزقه ، يعطي منكم من شاء بالآخر ، ويعطي بعضاً على يد بعض ، فالرزق من حيث الحقيقة واحد ، وكل الناس فيه سواء ، وإنما اختلف وضاق الأمر فيه من حيث الشريعة أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : صار الناس اليوم غنائم لبعضهم لبعض ، هذا يمد يده في مال غيره ، والآخر يمنع الحق من ماله ، وما كان هذا عادة الأولين ، إنما كان أحدهم يمنع يده من مال غيره ، ويرى أن أخذه للثمرة منه جرة نار يأخذها ، والآخر يعطي الحق من ماله ، ويرى أن الثمرة يخرجها من ماله جوهرة يختسبها ، وكلاهما يغفلو ويروح لما طلب.

وقال رضي الله عنه لرجل : كيف أنت؟ أمستريح؟ ثم قال نفع الله به : ما للمستريح في الدنيا إلا من لا يعمل^(٢) بأمورها ، ولا يقول أريد ذا كذا ، وذا كذا ، وكان الجنيد لا يهتم بها ، فقيل له في ذلك فقال : إنما بنيت على التعب ، فلا أمتنكر شيئاً ، وتعلم أن كل راحتها تعب ، وتعبها راحة .

(١) (ج) : وتعسرت الزكاة على هذا .

(٢) يعمل بتشديد الواو : يعني ويهتم .

وذكر رضي الله عنه الحياء فقال : إن لسيدنا علي فيه كلاماً ، ومنه : إن الحياء المفرط باب الحرمان ، وهو مانع من الخير ، والطالب لا ينبغي أن يستحي وإن استحيا المطلوب منه .

وقال رضي الله عنه : ينبغي لمن يريد التوبة ، أن ينظر ما خلفه وأمامه أولاً ، وأن لا يُعاف عليه أن ينكث التوبة ، قال ذلك لرجل بعد أن قال له سيدنا : تبت عن الخطي^(١) ، ثم نكثت وعدت إليه ، فترَيَنَّ به الدنيا للناس ، فسرغبوا فيها ويجوهها ، وقد شكّا إليه حينئذ تعطل حرفته منذ مدة ، وما بقي ينتفع منها ، فقال له : خذ عِزَّن^(٢) فإن فيه بركة ، والقليل منه كثير .

وقال رضي الله عنه : لا بد إذا فعل الإنسان شيئاً ، أن يجازى به في الدنيا قبل الآخرة من خير أو شر ، كما ذُكر إن بعضهم كان على حمار ، فجعل يضربه ، فقال له الحمار : ضربك على رأسك^(٣) ، أكثيرُ منه أو أقل .

وذكر إن رافضياً كان والياً في بعض البلدان ، وكان ظلاماً ، وهناك يهودي ، فعات الرافضي ولم يصبه شيء في الدنيا ، فمضى ذلك اليهودي إلى بعض الصالحين ، وأسلم على يديه ، وقال : ظننت أنه لا يموت حتى يقطع ، ولكن هذا بركة الإسلام ، ويكون نفعه في الآخرة أكثر^(٤) .

وقال رضي الله عنه لرجل يخاطبه بهذا : ما كان بينك وبين أهلِكَ فهو صالح على أي حال وإن كان على غير ذلك ، ولكن اجعل ما بينك وبين

(١) خطي الثوب : نسجه وثائه ، وهو نوع من السج معروف عند أهل حضرموت ، وكثير هذا النوع من الحرف يسلع فيه بعض الفين لأصحاب الثياب والله أعلم .

(٢) أي اشغل بالتحارة ، والمخزن : الدكان .

(٣) أي أنه يسلع عليك في يوم من الأيام .

(٤) والذي أحفظه أنه أسلم وقال : لا شك أن عاد بحث وحساب ، حيث لم يعاقب هذا في الدنيا بأحد كتابه ، أحد من هاشم الأم للقول منها .

الناس يكون صالحاً .

وذكر رضي الله عنه المرأ والجدال ، فقال نفع الله به : هو الذي نسميه المعاشاة ، وهو أن تقول أنت : الأمر كذا ، ويقول الآخر: لا إنما هو كذا ، وكل منكما يحتاج بقوله ، يريد ظهوره سواء كان حقاً أو باطلاً ، فإن كان صاحبك محقاً فاتبعه ، وإن كان مبطلاً فاتركه ، حتى يتبين له الحق في وقت آخر ، وإنما يبين للمحقق بيت في أعلا الجنة ، لكون السكوت من المُنْجَى شديداً ، وأما سؤال المرید شيعة ، فعلى ما قررنا في رسالة المرید ، لكن بشرط إن قال له اترك السؤال ، أو عادك تسأل في وقت آخر ، أو أنه سيأتي في الكتاب ، أن يحتل ، وهذه الآداب عند أهل الباطن دون غيرهم ، كما استدلل فيها بقصة موسى والخضر ، وقصتهما أيضاً إنما هي لبعض أهل الباطن ، لا كلهم ، وأيضاً بعضهم إنما رأيه موافقة أهل الظاهر لأجل سلامة نفسه منهم ، ولسلامتهم أيضاً من الإنكار ، والوقوع في الإشكال ، وقد شرط على موسى أن لا يسأله ، فلما لم يوافق ذلك العلم الذي هو عليه ، لم يمكنه السكوت أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : كل علم له أصول ، إذا ضبطها تكاد تنضبط له الفروع ، ومن أراد أن يتبحر في فن فليأخذ بأصوله لتبعتها الفروع .

وقال رضي الله عنه : من يقرأ القرآن لا يمكنه أن يقول بالجهة ، فيفرق بين معراج النبي ﷺ ، وكلامه تعالى لموسى من الشجرة ، لأن الأمور الإلهية لا يدركها أحد ، وما أوهم إشكالات من كلام المحققين ، فلا ينبغي أن يسارع إلى الإنكار عليهم ، بل يَدْعُهُمْ ، ويسعهم الكتاب ، ويجعلها من قبيل التشابهات الواردة في الكتاب والسنة ، ولم جاءت هكذا حتى احتاج الناس فيها إما إلى التسليم وإما إلى التأويل ، والصوفي لا ينبغي له أن ينكر على أحد بل يترك الإنكار يصدر من غيره ، وإنما هو

يوجه ويؤول ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : إنما الإيمان في الأمور الغيبية ، فلو كان إلا في الأمور الحسية ، لما احتاج إلى التنبيه عليه ، وفي هذا تفاوت بعيد ، ثم قال : ولا تستبعده وإن كان منك قريباً لأنه أمر غيبي ، فانظر إلى حال النائم بسجنيك كيف يرى الرؤيا ، وإنه كذا وكذا ، وأنت لا تعلم به وربما صاح فتظهر لك .

وذكر رضي الله عنه رجلاً مات وأوصى بوصايا باطلة وحيل فاسدة ، حتى جعل ماله : بنذر لأولاده الذكور دون الإناث ، فقال نفع الله به : هذه الأموال جاءت من وجوه حرام ، فراحت في وجوه حرام ، وهذه قاعدة : إذا أشكل عليك مال أحد هل هو حلال أم حرام ، فليُنظر فيماذا يصرف ، فإن صرف في حرام فهو كذلك ، أو حلال فهو كذلك ، وكل ما خالف الشرع لا تحسب أن فيه بركة ، وعاد هؤلاء إن طال بك زمان ، إلى نحو عشر سنين تراهم يبيعون ما معهم ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : العلم بتقرير المسائل ، وأن يذكر مع كل مسألة ما يناسبها لا بمجرد مرور الكتاب ، ولو أن أهل الزمان ما معك منهم شيء ، إلا أنه ما عاد منا شيء للتطويل ، وشيء من الكتب قد قرئت علينا ، ونسينا حتى اسمها ، وأما الإحياء فقد مر علينا ثمان مائة مرات ، غير الأبعاض^(١) .

وذكر رضي الله عنه الإخلاص والرياء ، فقال : على الإنسان أن يعمل ويلوم نفسه ولا يغالطها ، وإن حصل التقصي بطل العمل حتى هنا في الدنيا ، فضلاً عن حالة الوقوف بين يدي الله تعالى .

(١) وعاده رضي الله عنه عائل بعد هذه الثمان مائة سنين ، فافهم . ومدارسه لا تخلو من قرائته بالهجوم .

واستأذنه رضي الله عنه رجل في الحج ، فقال له : اعزم على ذلك ، ولا تعلق نفسك بأحد الأجرة فيه ، وأمر الخير إنوه ، فإن كان قد قدر لك وقع ، وإلا فالنية ما هي قليل ، وكذا إنو كل فعل خير بُعْدَ وقته أو عُسْرَ عليك فعله . وذكر الحديث^(١) : ((ليس له من صيامه وقيامه)) الحديث .

وذكر رضي الله عنه وادي دوعن فقال : فيها آثار من الصالحين ، وآثار علماء ، ولهذا لا ترى أحداً يروح إليها ولو لقضاء حاجة إلا بنية الزيارة ، فظاهر أمره الزيارة ، بخلاف وادي عمد ، فلا يروح إليه أحد للزيارة ، بل لغير ذلك ، وسبب ذلك ما ذكرناه من آثار الصالحين فيه ، لأن بهم نجا كل أرض ينزلون بها سواء كانوا أحياء أو أمواتا ، لأن في الأحياء مع الخصوصية البشرية ، وفي الأموات مجرد الخصوصية .

وذكر رضي الله عنه القراءة على القبور ، فقال : من أوصى بموى و غرض لا ينفعه ، فمن لا نفعه عمله لا ينفعه عمل غيره ، فلا أحد يحدث نفسه بذلك .

وقال رضي الله عنه : ما كل علم ينتفع به كل أحد ، ولا كل علم يحسن من كل أحد ، ولا عذر للجاهل أن يَسْكُتَ العالمُ بجهله ، أو يسكت عنه لذلك ، ولو قال كم يموت كل يوم ، فماذا تقول ، ما معك إلا ما شاء الله ، وذلك موكول إلى علم الله ، حتى الملائكة لم يكن ذلك من شأنهم ، لأنهم مخلوقون لأمر جعلت عليهم ، منهم في الأرض ، ومنهم في السماء ، حتى الحفظة على الإنسان ، ما دام حياً ، هم على عملهم في الأرض ، فإذا مات رجعوا إلى ملائكة السماء ، حتى يبعث ، فإذا هم قيام عليه بعمله ، فمن كان سائلاً فليسأل عما يحتاج إليه ويعنيه .

وقال رضي الله عنه : الدين بصائر ، ومن قال ما سيبك^(٢) مني ، ما عليك له

(١) حديث رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع أخرجه ابن ماجة ١ : ٣٩ عن أبي هريرة والبيهقي ٤ : ٢٧٠ .

(٢) ما سيبك في كلام أهل حضرموت . تعني ما يعليك مني .

كلام ، إلا إن كان معك قهر تقهره .

وقال رضي الله عنه لرجل : استمد واستعد للإقامة في القبور أطول من الإقامة في الدور .

وقال رضي الله عنه : الرجل قبل التزوج قنديل ، وبعده زنبيل .

وقال رضي الله عنه : الرجاء أوسع من الخوف ، لأن النفس مغرورة ، ومن لا معه معرفة بقدر خوفه ، يخشى عليه الانقطاع ، إن وضع على عبده عَذْلَه ما نفعه عمل ، وإن عامله بفضله يرجي له السلامة بأدنى شيء ، أو نحو هذا أو معناه ، والخوف أهم من الرجاء ، لأن فقدته مضر ويسوق إلى المعاصي ، والنفس كالمرأة السوء ، كن شديداً عليها في الظاهر ، مع التحنن عليها في الباطن ، وهي ^(١) قسط لا تدعو إلا إلى الشر ، ومن لازم الرجاء الخوف ، ووسَّع المعرفة ، وأما هؤلاء فيرجون بلا خوف ولا معرفة ، وقد قيل : الخوف كله للراجلين ، والرجاء كله للمخائفين .

وقال رضي الله عنه : طبيعة النفس طبيعة أجنبية ، ما هي من طبائع الدين ، بل هي طبيعة جاءت من جهة الطين ، وأجوج الإنسان إلى قدر الضرورة من الدنيا ، ولو اكتفوا عنها مثل الملائكة لاستراحوا ، وأولئك ^(٢) ، قد كانوا ضعفوها ^(٣) بكثرة الأعمال الصالحة وأعمال الدين ، وأنت اليوم كلما لك تجدد على نفسك ما يشغلك ويؤذيك ، وما زاد على الضرورة فهو عندك بمنزلة الأمانة وعاد متعلق به شواغل وأمور أخرى ، ولكن لم يتم لك شيء ، فإن الإنسان خلق محتاجاً ، وخلق مبلي ، ومثل ذلك قد أسسها لهم آدم ، إذ أخرجه الشيطان من الجنة ، ولكن عليك

(١) أي النفس . إمام .

(٢) أي الصالحون . إمام .

(٣) أي النفس . إمام .

بتذكر ما يُسليكَ ، فإذا لم يُعزِّك^(١) أحد فعز نفسك .

وقال رضي الله عنه : إذا نصحتَ شخصاً فذكر لك عيبك أو تعلق ، فبدع منافقته ، كما إذا لم تره يصلي ، فأمرته بالصلاة ، فقال : وأنت لِمَ لا تفعل كذا أو أطمعني أو أكسني ، وأصلي ، فمثل هذا لم^(٢) تمكن محاجته ، فاتركه ، ومثل ذلك في كل أمر معروف أو نهي عن منكر .

وقال رضي الله عنه ما معناه عن بعضهم أنه قال : استحسان المصافحة بعد صلاة الصبح ، وصلاة العصر ، رجاء أن توافق المصافحة ، نزول الملائكة الحفظة للموكلين بحفظ بني آدم ، فقد ورد^(٣) : إنهم ينزلون عليهم في صلاة الصبح وصلاة العصر ، ويقولون : أتيناكم يصلون وتركناهم يصلون ، فليس تخصيصها^(٤) بهذين الوقتين من السنة إلا أن يؤخذ ذلك من العموم .

وشكا إليه نفع الله به رجل ضعف بصره ، فقال له : نور الله بصيرتك ، فإنه إذا استتارت البصرة ، لا يحتاج من البصر إلا إلى قليل منه ، ونور البصرة هو العمدة . وقال رضي الله عنه : الزمان زمان جهل ، وإذا رجع الإنسان ما رجع إلا إلى جهل ، وكان في الناس أهل علم وتقوى ، إذا رجع الجهال إليهم أرشدوهم إلى الحق والصواب ، واليوم لا يَهْدُوهم إلا إلى الخيل والمخادعات ، كما فعل بنو إسرائيل في حيلهم ومخادعاتهم في قصة الاصطياد وغيرها ، ولو قدرنا أن أهل البلاد أرادوا أن يتوبوا ويتحالفوا ، ما عاد لهم إلا الإسلام واليد ، فمن يده على شيء ، ولم يُعلم له فيه شريك ، فاليد له ، ولو أن والياً على يتيم له عنده عشر ثغلات في جملة ماله ، ما

(١) من التعزية وهو التصبر والمواساة في النصبية .

(٢) ق (ص) : لا تمكن .

(٣) حديث يعلقون فيكم ملائكة الخ متفق عليه من حديث أبي هريرة .

(٤) أي التخصيص بالاهتمام .

يميزها له ، ولا عاد ينفع في ذلك منهم إلا السيف ورد الأموال المجهولة إلى الفقراء والمساكين والأمور العامة ، وما مع الإنسان إلا الدعاء بالخلاص لنفسه وهم ، كما قال بعضهم : اللهم سلم ، ثم قال آخر بعده بزمان : اللهم خلص ، لأنه إنما يطلب السلامة من لم يقع ، وأما من وقع فإنما يطلب الخلاص . وقال له نفع الله به رجل أتى بأهله للزيارة وقد عَرَضَ بالاستشارة في الإقامة بهم أو للمسير ، فقال له رضي الله عنه : كلا الأمرين من حيث الدين سواء ، ولكن انظر ماذا يرجح منهما طبعك ، لأنه إذا اتفق الدين مع الطبع في طلب أمر مستحسن ، فمن كان يغلب طبعه ينبغي أن يراعي من حيث الدين ويراعي أيضاً من غلبه طبعه ، لأن غلبة الطبع تدعو إلى أمور فضول لا فائدة فيها ، وإن استوى أمران في الدين فليراع الطبع .

وقال رضي الله عنه : إن الإنسان خُلِقَ متحركاً ، وطُلبَ منه السكون ، فعسر ذلك عليه ، فكل ما قيل لك إنه ^(١) زال فصدق ، وإن قيل لك إن الطبع يسزول فلا تصدق .

وقال بعضهم : إن الإنسان خلق كالكرة على الصفا لم يزل يتحرك ويتدحرج إلى أن يحسكه شيء .

وقال رضي الله عنه : ما دام الإنسان معه خير عن نفسه ، فما هو شيء أصلاً ، ولأن يكون معه خير عن الخلق خير له من أن يكون معه خير عن نفسه ، والخير عنهم أن يسمعهم يروون عنه ، ويعرف ذلك عنهم من خارج ، والخير عن نفسه على هذا الوجه ، أن يرى أن له منزلة أو أنه خير من غيره ، أو يذكر فضائله أو كما قال .

وقلت له نفع الله به : هل ظاهر كلام الشيخ ابن عراقي ، حيث يذم للمتعاطين

(١) أي : أي شيء كان بهام .

للسماع ، إنه ينكره فلا يقول به أصلا ، أو ينكره من أحد دون أحد. فقال رضي الله عنه: إنما ينكره إذا صدر من غير أهله ، على غير الوجه المطلوب منه ، ومع المداومة عليه واتخاذة عملا ، وعلى هذا الوجه ، حتى من يقرأ القرآن ، ويذكر^(١) على غير وجهه ، مذموم حاله ، فكيف بالأشعار ونحوها ، والشئ للنهي عنه ، قد يكون لذاته ، وقد يكون لعارض ، فإذا فعل الشئ على وجهه ، عرف الحكم منه ، من كونه مباحا أو منهيًا عنه أو مندوبا إليه ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه في علامات المنافق الثلاث^(٢) : ما هو أنه لا يصدق أبدا ، فقد يصدق ويوفي ولا يخون ، ولكنه لأدنى غرض يكذب ، ولأدنى داعية يخون ، ولأدنى عذر يخلف ، وذلك لعدم التقوى فيه .

ذكر العقيدة

وقيل له رضي الله عنه : ثلثان فيكم عقيدة . فقال نفع الله به : عقيدة هؤلاء في الستهم ، فإذا أردت تعرف اعتقاد أحد ، فانظر إلى فعله ، واعتقادهم تبع لأهويتهم ، ومن له عقيدة في بعض الصالحين ، ثم زالت ، فلا عاد يسأله الدعاء ، إذ لا ينفعه الدعاء حينئذ ، لعدم الوسطة ، كالطير يرجى حصوله من غير صاحب^(٣) ، وسحاب الصالحين تعلق القلوب .

وأوصى رضي الله عنه إلى بعض الظلمة من ولاة الجهة ، بأنه إن سألك عنا فقل : إنه ما يسلم عليك ، ولا هو راض عليك ، ويقول لك : الوسطة التي بينك

(١) في (خ) : ويذكر الله .

(٢) حديث : آية المنافق متفق عليه من حديث أبي هريرة .

(٣) استلهم إنكري : أي لا يرجى حصوله إلا بسحاب الصالحين .

وبينه قد انقطعت عنك من العام ، ثم قال : ومن له عقيدة إلى آخر ما قال آنفا .
 وذكر له رضي الله عنه رجل اشتهر بالعلم ، فقال : هل رأيت أحدا مثل
 المذكورين في "جمع الأحباب" ، وكل من رأيت مشغولا بنفسه فلا تعده شيئا ، إلا أنه
 لا يخلو من خير ، لأن الخير له أطراف وحواشي ، كالجند الذين يعضون إلى الجهاد ،
 ودرجاتهم شتى ، بعضهم أعلى درجة من بعض ، وليسوا في درجة واحدة ،
 فكذلك الخير بعضه أعلى من بعض .

وذكر رضي الله عنه ضعف الناس في طلب العلم ، فقال : ما يربي الناس في أمر
 دينهم وديارهم إلا للملوك ، تربيهم بسيرهم وأحوالهم ، وكذلك تقسدهم ، فإذا رأيت
 فسادا فابحث عنه ، تجد سببه من الملوك الظلمة .

وقال رضي الله عنه : من أراد الهلاك فليظلم ، ولا عليه ، لأن الظلم
 كالمغناطيس في جذب الشر ، والعدل كالمغناطيس في جلب الخير ، ألا ترى كيف يرد
 الله المراكب في البحر إلى ظفار وغيرها ، لظلم فلان وقد سماه .

وقال رضي الله عنه : ومن كلام الحكماء : إذا لم يكن في البلد أربعة ، تسارع
 إليها الهلاك : طيب ، وسلطان ، ولحر ، ومغني .

وذكر رضي الله عنه أقواما من أهل الجهة ، في حالة تعب شديد ، فقال : كأن
 البلا إلا يدور لأهل حضرموت من أين كانوا ، فترى الإنسان يؤذى ويشغل ، ثم
 يؤخذ ماله ، وولاية الجهة بخارية ، وإذا أردت خراب بلد فقدم عليها ، فيغيرون حتى
 قبالتها ، وتصير كما في قصة عمر بن الخطاب^(١) للمساحد الدائرة ، والذي ينبغي للولاة ، أن
 يسعوا في إصلاح البلدان ، ولكن هؤلاء زهاتية الدنيا .

(١) كنا في الأصل .

وأمر رضي الله عنه يوما بنحلة مشمرة أن تسقى ، وأخرى لا ثمرة لها أن لا تسقى ، وقال : إذا راعيتها ولم تثمر فاقطعها^(١) ، وافعل ذلك^(٢) في المثمرة ، كالمصاحب الذي لا يراعي من يحسن إليه ، إذا أساء إليك مع إحسانك إليه ، فاقطعه^(٣) ، ويكون الإحسان في شاكر أحسن منه في غيره ، إلا أن تخاف شره ، أو كان ذا رحم ، فلا تقطعه لإساءته ، والأشجار والدواب في أوائل درجة آدمي ، فيعاملن بما يعامل به آدمي ، وقد قال سفيان الثوري : أحسر الناس من يفعل المعروف مع غير أهله ، أو كما قال .

وأليس رضي الله عنه يوما أناسا الخرقه ، فقال : ليسناها من الشيخ عمر العطاس^(٤) ، لكن بالشدة^(٥) ما طاع بليسنا إلا بمعالجة ، وأرادنا نحن نلبسه ، لأنه كان متواضعا جدا ، والتواضع وإن كان حسنا من كل أحد ، لكنه من أهل الفضل أفضل وأحسن ، فلننظور بين الناس ليس تواضعه كتواضع واحد من أطراف الناس ، أقول : سمعته رضي الله عنه يقول : ما ألبسني كوفيته حتى ألبسته كوفيتي ، وكل منا ترك كوفيته للآخر ، ولنا كل منهما يعد الآخر شيعة .

وذكر رضي الله عنه يوما كرامات الأولياء وغاراتهم ، ثم قال : قد قيل إن كرامات الأولياء وغاراتهم قد طويت ، حتى إنه روي أن بعضهم جاء بحزمة سيوف إلى آخر منهم ، وقال : هذه أحوال الصالحين ، قد طويت .

ثم قال نفع الله به : ما الإنسان يريد الصلاح ولا الصالحين لأجل هذه الأمور ،

(١) أي اقطع السقي عنها . اعصام .

(٢) أي السقي . اعصام .

(٣) أي الإحسان عنه . اعصام .

(٤) هو القنطري الصوفي عمر بن عبد الرحمن العطاس ، من شيوخ الحبيب عبد الله .

(٥) أي بعد جمع شديد من قبل المذكور .

إنما يريد ذلك لطاعة الله والدار الآخر .

وقال رضي الله عنه : الصالحون خاملون في حياتهم وموتهم ، وإنما أشهرهم ملوك الناس ، إذا أشهروا أحداً اشتهر عند الناس ، مثل ابن عربي فما أشهره إلا آل عثمان ، لأنهم بلغهم عنه الإخبار^(١) بأن بعض أجدادهم سيملك فبنوا عليه قبّة ، وشهروه ، وكانوا إذا ظهرت منهم الكرامات يوصون من علم بها أن يكتمها ، ولكن عذمت في هذا الزمان الكرامات ، وإنما منعوا الأسرار ، لعدم كتمهم الأسرار ، لو رأى أحدهم رؤيا راح يحول^(٢) بها ، فلما لم يكن إسرار ، كذبوا بادعاء الأسرار ، أو كما قال .

وذكر رضي الله عنه ليلة الاثنين حادي عشر شوال سنة ١١٢٥ هـ كرامات الأولياء ، فقال : أهل الزمان ما هم بشيء ، فلا تظهر لهم كرامات الأولياء ، وهم لا يريدون منها إلا ما يزيد في دنياهم ، ولو كان أحد من المكاشفين ، فرح بكل ما يحصل لهم من نقص في دنياهم ، والكرامات لا تظهر إلا لأسباب ، وإذن من الحق تعالى ، إما لتحصيل التشمير لمن يراها ، مثل من ظهرت له ، أو ليعترف من نفسه ، ويتحقق أن ما معه شيء .

وذكر بعضهم : أنه ذكر الكرامة لأحد من السادة المتقدمين فقال : فيها مضرتان أحدهما : أن يغتر من هو من ذريته ويتكبر بكرامة جده ، والثانية : أن يقول من لا عقيدة له : انظر كيف لما كان جدك صالحاً ظهرت له الكرامات ، وأنت لما فسدت لم تظهر لك ، وأهل الزمان مثل قوم وقعوا في نحر وغرقوا فيه ، ولكن استنقذ الله قليلاً منهم ، وقليل ما هم ، وما دام الروح في الجسد فلا يئس من روح

(١) في كتابه شجرة الكون .

(٢) أي يعلن بها كما يعلن عن قنوم الليل .

اللَّهُ ، وهو سبحانه وتعالى قادر على أن ينقذه.

وقال رضي الله عنه : إنما فائدة بلوغ الإنسان حد التكليف ، الترقى ، فإن لم يترق فموته قبل ذلك أحسن ، لأنه لم يبلغ الحُث ، ويكون حينئذ على الفطرة .

معنى الطُّرُق إلى الله

وقال رضي الله عنه في معنى قولهم : (الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق) : هي أعمالهم التي يتقربون بها إلى الله تعالى ، فكلُّ أعماله طرائقه ، بل لو سبح مائة تسبيحة مثلاً وقُبِلَتْ ، يقال : هذه مائة طريقة ، وعلى هذا .

وقال رضي الله عنه : ما عليك إلا أن تُسَلِّمَ من شواغل الخلق ، وشواغل خواطرك ونفسك ، ويتنزل لك الأمر إن كان فيك بأنه على قدر حالك ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : إياك أن تضع الدنيا التي هي عدوة الله في قلبك ، بل ضعها في رحلك كالحذاء ، فإذا قُذِّدَت تكون حذاء بدل حذاء ، وأهل الزمان تعلقوا بالدنيا جداً ، فتفاحروا بها وتحاسلوا عليها ، فصارت لهم محبوباً ، ومن كانت هذه حالته ، يوشك أن تكون هي معبوده من دون الله وقد كان السابقون عرفوا الدنيا بالله ، وهؤلاء عرفوه بالدنيا .

وقال رضي الله عنه : أصول للمعاصي ثلاثة : الكبر ، وهو أصل معصية إبليس حيث تكبر على آدم ، فقال : أنا خير منه ، والحرص وهو أصل معصية آدم ، حيث حَرَصَ على الأكل من الشجرة ، والحسد وهو أصل معصية قابيل ، حيث حسد أخاه فقتله .

وقال رضي الله عنه : عذ من دينك بيمينك ، لأنها للأمور الحسنة ، وكذلك

الأخرة ، وخذ من دنياك بشمائلك ، لأنها للأمور الفكرة ، وكذلك الدنيا .
وقال رضي الله عنه : تراحوا ترحوا ، وارجحوا فقراءكم ، فلو أنك فقير وغني ،
كل منهما يطلب حاجة ، فالأولى تقدم الفقير ، وقد دخل الهوى على الناس حتى في
طاعاتهم ، ولكن إن سبق الدين ولحق^(١) الهوى أبطله ، أو بالعكس فزلزلت قواعده .

ما قال في التآني والعجلة

وقال رضي الله عنه : تأن في كل أمر تحاوله ، فإن الشرع أطلق للدح في التآني ،
والدم في العجلة ، فإن كان من طبعك العجلة ، فريض^(٢) نفسك وكلفها التآني ، فإن
لم تنفع فيك الرياضة في ذلك ، فاترك كل أمر تضر فيه العجلة لا تفعله ، وليفعله
غورك .

وقال رضي الله عنه بعدما فرغ القارئ من القراءة في كتاب الزهد من الإحياء :
ما عاد في الناس أحد ظاهر في مقام الزهد على هذا الوجه ، إلا إن كان أحد في
التراري والقفار ، لأن هذه الأمة أمة مرحومة ، وإنما هم إلا بين راغب وأرغب ، ومن
أنشأ محاليه في الدنيا ، أمره مخطر ، ولنهمك فيها كالتائم الذي يخط^(٣) ، ودونه
الذي يتحرك ، ودونه الذي يمسح وجهه من النوم ، ومثل هذا ، وكلهم يشملهم
النوم ، والصالح من أهل الزمان لا تراه حتى متزهدا ، بل إن حسن حاله يكون ليس
منهمكا وغارقا فيما غرق فيه أهل الدنيا ، ونحن لا نحب من يذكر الرجاء حتى
يفرط والخوف حتى يفرط ، إنما نحب الوسط فيهما .

(١) لحق : أهركه في السباق .

(٢) ريض بتشديد الباء اللام من تحت أي أرحها واجعلها مطبقة أو مسترة .

(٣) يخط : أي يخطو بالهجوم .

فلا حاجة إلى أن يذم نفسه ، أو يذمه غيره ، بل إن كان ذا علم وصلاح ، فمدحه قرينة ، ولا عيرة بذمه لنفسه ، بل الشأن إذا جاءه الذم من غيره بديهة^(١) ، وإلا فكف الإنسان يذم نفسه إظهاراً^(٢) ، ثم لو ذمته بما ذم به نفسه ، قامت عليه القيامة ، ثم قال : التواضع والخمول نعمتان ، ما يغيبط عليهما أحد .

وذكر عنده رضي الله عنه بعض الناس بأدب ، فقال : أكثر هذه الآداب تكون عند الملوك ومن يتصل بهم ، وإنما يكون الشيء عند ظهور مقتضاه ، فقد يغلب الطبع الأدب عند ظهور مقتضاه ، فإذا ظهر ما يقتضي أحدهما^(٣) ، ظهر كما في قصة هر بعض الملوك ، لما أدبه فتأدب ، حتى صار يطرح الشمعة على رأسه ، فلم يرأى في بعض الأيام لحماً مطروحاً ، أو فاراً مر به طفر^(٤) له ، ورمى بالشمعة ، فقيل لصاحبه في ذلك ، فقال : غلب طبعه أدبه .

ترك الأدب في محله

ودخل عليه رضي الله عنه بعض طلبة العلم من السادة ، وكان صغير السن ، وعنده رجل من السادة شبيبة ، فجعله بينه وبين ذلك الشبيبة ، فقال له : اجلس ، وفلان ما شاذره ، قال هو : لكن تقلدك الكبير في المجلس من الأدب ، وإن كنت أريد القرب من مجلسكم ، فقال سيدنا نفع الله به : الأدب يعفى عنه في بعض الأوقات ، وفي بعض المجالس ، إذا عرف عند ذلك من أهل الأدب أنهم يؤثرون منه ترك الأدب ، فترك الأدب مع المحبة من حسن الأدب ، فقد قال ابن عربي : جلسنت

(١) أي لا زعله . اهـ .

(٢) أي إظهاراً لتضليلها . اهـ .

(٣) أي الأدب وعنده . اهـ .

(٤) أي ففر ووثب . وتقدم مثله . اهـ .

وقال نفع الله به لآخر محترف صوّغاً : الله الله في النصيحة في حرفتك ، على قدر جهتك ، واحذر فيها من الغش ، ففي الحديث^(١) : ((أشرار أمّتي الصواغون)) .
وقال رضي الله عنه لآخر : استعد للنوائب ، سورة يس ، وإذا طُلِمْتَ فلا تنصر لنفسك ، وسلم الأمر لربك لينتصر لك ، فإن من انتصر لنفسه لا يكون له من الله نصير .

وذكر رضي الله عنه أخذ الأجرة على الحج ، فقال : اجعل الحج والمسير إلى الحرمين للدين لا للدنيا ، إلا ما كان ضرورة للدين ، ولا تجعل أمور الدين وسيلة إلى أمور الدنيا ، وأمور الدنيا إنما هي سُلم لا يحسن المقام فيه ، وإنما هو وسيلة إلى الطلوع إلى المكان المقصود ، وكل من زاد على المحتاج إليه في ذلك فهو ناقص ، ولولا ذلك لما رغب الله تعالى في الآخرة ، وزهد في الدنيا ، ولكان رغب في الدنيا ، أليس كلهما ملكه .

وقال رضي الله عنه : أمور الدنيا كاليوت ، لا يثبت بناء القصر إلا بعد إحكام الأساس ، كذلك الدين أساسه كلمة التوحيد ، والتصديق ، ثم الأحكام الواجبة ، ثم قراءة القرآن ، ثم ما يُندب بعد ذلك ، قال تعالى : { أَقِمْنَ أَسْوَءَ بَيِّنَاتِهِ }^(٢) إلى آخر الآية ، فالتأسيس بإثبات العقائد والنيات والصدق ، ثم البناء يتم لك بعد ذلك ، وأخذ أصل العلم الذي لا بد لك منه في نفسك ، ولا تفنن الناس بطلب العلم بلا عمل .

ما قال في طلب العلم

وحض يوماً رضي الله عنه ورغب في تعلم العلم وتعليمه ، ثم قال : كنا سابقاً

(١) حديث : شرار أمّتي الصواغون ، لورده صاحب كوكب العمال : ٩٤١٣ .

(٢) سورة النورة ، الآية ٩ - ١٠ .

نسأل عن العالم العامل بعلمه ، فإن لم يكن به عاملاً لم نعبأ به ، وأما الآن فحسن
نسأل عن العالم ، وإن لم يعمل ، لما رأينا من غلبة الجهل والغفلة عن التعلم وعدم
الهمة في طلب العلم والرضاء بالجهل والعمل على مقتضاه ، وإن عمل به فهو العايب ،
وإن لم يعمل فيعلم الناس ويهديهم إلى الصواب ، فينتفع به غيره ، وإن لم ينتفع
هو في نفسه .

وقال رضي الله عنه : ينبغي أن يعرف الإنسان العلم وقواعده ، وبعد ذلك إن
أراد الله له توفيقاً لعمل بذلك وعلم ، وإن لم يرد له ذلك وأراد له الخذلان والعياذ
بالله ، كان على الضد فلا يعمل ، ولا يعلم ، بل ولا يتحقق في معرفة العلم ،
ورعاً احتنب بعض الجهال أهل العلم ومحاسن العلماء ، خوفاً من أن يعرف ما يلزمه
العمل به ، يظن أن في ذلك عذراً له ، وهيئات إنما ذلك يزيده تشديداً ومطالبة ، لأنه
أعرض عن أحكام الله علماً وعملاً ، فهو أشد ، وغاية العذر في أشياء تكون لمن
ربي في البادية ، وفي بعد عن أهل الإسلام ، ومن هو مسلم وآبائه مسلمون ونشأ
بين المسلمين أنسى له العذر .

ما قال في الاغترار بالكرامات

وذكر رضي الله عنه شيئا من مناقب الصالحين ، ثم قال : طلب المناقب شأن
الصغار ، وفراكات للغازل ، والكامل إذا سمعها أحسن الظن ، واعترف له بالفضل ،
واحتقر في جنبه نفسه ، وفيها خصلتان تفر العامة ، وتجري السفهاء ، فيقول من
له أب صالح هو يكفيني ، ولو كفاه لكنى الناس جميعهم النبي ﷺ ، لأنه أبو الكل ،
ويقول المتجري : إن كان فيك شيء أفعل مثل آباتك ، وأين تروح من الأعراب ،

أولاد نباشة القبور^(١)، وإذا بلغك عن أحد منقبة ، فابحث أولاً، إن كان قد قدم شيئاً^(٢) لأن الأشياء لا تبقى إلا بالتعب ، ولو أنك غرست نخلة لا بد لك فيها من تعب ومقاساة ، فكيف هذا الأمر .

وإنما للنقاب : التقوى ، والزهد ، والحلم ، والصبر ، والتواضع ، والخمول ، وما عدا ذلك ففتنة ، وأنت أدفن نفسك في الخمول ، فإن كان فيك شيء فهو يبت ، وإن لم يكن أعطيت أمراً حسناً، وإن كنت متسبباً في شيء فتسبب في الخمول، فإن أظهرت من غير اختيار منك فلا عليك.

ما قال في الخمول والشهرة

وقد شكينا الشهرة لما حصلت علينا للشيخ عمر العطاس ، فقال : إن بعضهم اعتقده الناس وازدحموا على تقبيل يديه ورجليه ، حتى إذا لم يتمكنوا من ذلك قَبَلُوا حافر بغلته ، فقيل له في ذلك فقال : إنهم ما عظموني ، إنما عظموا الله فلا أمنع أحداً من تعظيم الله ، ثم قال : إنهم عظموه لله لا شيء آخر ، ثم قال : وفي هذا إشارة إلى أن تعظيمهم له ، إنما هو لله .

ثم ذكر سيدنا حكاية : إن رجلاً من أهل الخمول ، من السادة من آل باعبود في تريم ، إذا أراد الاجتماع يمر في السوق ، فلا يقوم يصافحه رجل واحد ، وله صاحب من آل بافضل ، معه مخزن يبيع فيه ، ويعتاد هذا السيد التردد إليه ويجلس عنده في مخزنه ، فقال له صاحب المخزن : أنا متعجب من حرمان أهل البلاد ، كيف تمر في السوق ويرونك ولا يقوم لك رجل واحد ، ولا يصافحك أحد، فقال : وما تريد بمصافحتهم

(١) أي إنهم يقرون بكرامات الأموات دون الأحياء المعاصرين .

(٢) أي من الجهد والاجتهاد في العلم والعمل المعاصرين .

وقيامهم، فأما إذا قلت هذا، فانظر، فإذا الناس قد ازدحموا عليه في المخزن في الحال، حتى لم يسعهم، وضاق بهم المكان، فلم يتمكن من الوزن والبيع، وبقي صاحب المخزن يدفعهم وتأذى بهم، وقال: يا حبيب، إن كان إلا هكنا فاعرج من المخزن فقد ضيقتوا علينا، فقال: هذا كله منك، لتعرف أن للنعم منا لا منهم. وبلغ السيد محمد بن علوي ما شكونا للسيد عمر، فأرسل إلينا رسولاً، وقال: قل له يقول لك فلان: عليك بالحمول جداً، فإننا قاسينا من الشهرة مشقة شديدة، وكان هذا حال السيد محمد المذكور من هذا المقام أي الخمول، فقال له الرسول: إنه يُقَلَّدُ بابسه، ويصل الناس إليه ويرجعون ولا يفتح لهم، فقال: ولو كان، عادك قل له: يقول لك: الحَذَرُ.

وقال رضي الله عنه: لو ترك أحد الدنيا واشتغل بما لا بد منه، أنه منها ما يحتاج إليه، وهذا مجرب.

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾^(١): هذا يتحقق في حق الكافر، وأما المؤمن فلا يخلو عن شيء منه، إما تفاق أو شيء من المعاصي الظاهرة، أو الباطنة كبرياء وعجب وغير ذلك.

وقال رضي الله عنه: ينبغي أن يسر^(٢) مع اليسر والإحسان^(٣) في كل الأمور، من أمور الدين والدنيا، وإلا فما معنى يتنفل ويترك الفريضة، حتى لا يحصل له ثواب بكل فرض ولا نفل، فإن من ضيع الفرض واشتغل بالنافلة، لا يقبلها الله منه، وما ينفع الكلام فيهم، والشيطان قائم لهم في المِرْصَاد، فمن حيث شق عليه الدخول

(١) سورة البقرة، الآية: ٨٦.

(٢) أي الإنسان بهام.

(٣) أي الإحسان بهام.

عليهم من جانب دخل من جانب أسهل منه ، حتى إن له كما ذكر الإمام الغزالي سبعة مداخل التي يدخل منها على الإنسان ، ذكر منها العجلة في الشيء ، حتى لا يحسنه ، وليس للشيطان مراد إلا أن يضل الإنسان بأي وجه كان ، إذا لم يتبعه من هذا الجانب دخل من الآخر ، بخلاف النفس ، فإنها تطلب منه مطلباً واحداً لا تتعداه وتصمم عليه .

وسئل منه رضي الله عنه الدعاء بالرحمة ، وأخ عليه في ذلك ، فقال : ادعوا ربكم فإنه سبحانه يحب كثرة الترقعة^(١) على بابه ، ولعل المانع من ذلك ذنوب الناس ، ولكن يرجى منه سبحانه أن يرحم المذنبين لأجل البهائم والصغار ، فإن كان أولئك ليس فيهم خير ، فهو لاء ليس فيهم خير^(٢) ، وأيضاً ليس كل المكلفين أهل معاصي ، بل فيهم أهل الخير ، وقد بلغنا إن البهائم كل يوم تشكو إلى ربها من بني آدم ، وتقول : إنما منعنا الرحمة بذنوبهم . فإذا أردتم الرحمة فأطيعوا ربكم ، فإن الرب ما يرحم إلا أهل الطاعة ، والطاعة ما تكون إلا فيما يخالف هوى النفس ، وما ينفع القلب والدين من الأعمال إلا ما لم يكن للنفس فيه هوى ، وخزائنه سبحانه كلها مملوءة ، ولا بد من مطر في الدنيا كل ليلة من ليالي السنة ، إلا إن كانوا مطيعين ، جعل الله الغيث حيث ينفعهم ، وإن كانوا عاصين قال تعالى : أعروه في الخزائن ، وما بالناس إلا المداينات^(٣) ، ومظالمهم بعضهم لبعض ، وقد ورد : ((إن البهائم إذا قحطت تدعو على بني آدم ، وتقول : إن الله واحلنا بذنوبهم)) ، إذ ليس لمن ذنوب ولم يمنعهم سبحانه إلا ليؤدبهم ، فإن العيب إذا لم يكونوا مستحقين فالسيد الكريم

(١) السرقعة في عرف أهل حضرموت : ذك الباب .

(٢) في (ع) : ليس فيهم شر .

(٣) أي ما يعللون من الربا والحيل فيه .

يؤدهم ، وذلك لأنفسهم لا لنفسه ، ليؤدبوا بذلك غيرهم ، فإن الآدمي محتاج إلى الرزق ، وإلا لجلعهم كالملائكة غير محتاجين للأكل ، وعدم الاحتياج إلى الشيء إما لكون بُنيته لا تقبله ، كالملائكة لا غذاء لهم في الطعام ، أو لكون الله تعالى لم يجعل له فيه غذاء ، وجعله في غيره كالسُّرْقُوتِ الآدمي ، والقَضْبُ قوت الدواب ، وإنما قوت الملائكة الذي يتلذذون به القُرب ، وهذا شأن الأرواح ، كما إن الأكل شأن الأجسام ، ولذة الأرواح في غير ما تلذذ به الأشباح ، ولا يلتذ الروح بما يلتذ به الجسم ، إلا من حيث المجاورة ، وكل ما يذكر من معاني القرب واللقاء ، وكونه لا يشناق إلى حنة ، ولا يخاف من نار ، ونحو ذلك مما قد يجري في كلام القوم ، فكل ذلك من صفات الروح لأنه لا يأكل ، وإلا لاحتاج إلى أكل في القبور ، أو كما قال . وقال رضي الله عنه : من فيه خيرية وكان ذا دين ، لم يزل يستفيد من خَيْرٍ وشرٍّ ، لأنه يرى فائدته فيأخذها ، ولا ينظر إلى من سمعه منه .

وقال رضي الله عنه : نحن ما نمشي إلا على الطريق الأكبر المستقيم ، التي لا يكون فيها اعتراض لأحد ، وهو المهيح الواسع . قال الله تعالى : {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} ^(١) ، والسبل هي الأمور الخفية ، يكاد من يسلكها أن يقع في البدع ، ومن وقع فيها فاعترض عليه أحد ، فلا لوم عليه ^(٢) ، إلا إن كان له حظ ، فمن اعترض على ذي صلاح ، واعتراضه بشرع ممتزج بحظ ، كأن أراد تنقيصه أو حظ مرتبته بين الناس ، فهذا يهلك ، إلا إن كان اعتراضه مجرد الشرع ، ويكون ظاهره وباطنه واحداً

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٥٣ .

(٢) أي المعرض بعصام .

مسلم من المعارض عليه ، وإلا هلك ، فقد ذكر إن ابن المقرئ^(١) ، ما سلم من إبراهيم^(٢) الجبرتي إلا لكونه ليس له حظ في اعتراضه بل لمجرد الشريعة^(٣) .

وقال رضي الله عنه : علوم المكاشفات غير مخالفة لعلوم المعاملة ، لأن معانيها صحيحة ، إلا إنها تختلف باختلاف المجاهدات ، ومن أمكنه مطالعة علم ينتفع به في دينه ومعاشه ، وهي كتب الإمام الغزالي ، خير من التعرض للشتم ، وقد طوى علوم المكاشفة ، وقال : إنها لا تسطر في الكتب ، وقد حوت كنه ما في كتب غيره .

وسأله رضي الله عنه هل الاعتقاد الحق منحصر في عقيدة الأشعري ، وما خرج عنها فهو باطل ، فقال نفع الله به : عقيدته هي الحق ، وما خرج عنها فيه حق وباطل ، وإنما فاق غيره لكونه قال آمنت بالله ، وبما جاء عن الله ، على مراد الله ، وفوض الأمر إلى الله .

وذكر رضي الله عنه الأولياء يوما ، وهو يوم الأحد ١٥ صفر سنة ١١٢٥هـ — وذلك في طريقه سائرا إلى المسير ، فقال : الأولياء يقلون ويكثرُونَ في كل زمان ومكان ، ولا يبلغون عدد الأنبياء ، إلا إن كان الولاية العامة ، من كل مؤمن ، فيبلغون أكثر ، وأما الولاية الخاصة ، من كونه مؤديا للواجبات ، تاركا للعنهييات أو قليلا^(٤) فلا ، وقد كثروا في وقت الشيخ عبدالقادر ، وما بلغ قدرهم إلا إثني عشر ألفا^(٥) ، وأهل الزمان إنما يطلبون الكرامات لأهواء نفوسهم ، فيريدون أن يتمكنوا من

(١) هو فقيه الكبير إسماعيل بن أبي بكر المقرئ المتوفى سنة ٨٣٧ هـ مؤلف الإرشاد وغيره .

(٢) كذا في الأصل ويحيى به الشيخ الصوفي الكبير إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي المتوفى سنة ٨٠٦ ، انظر ترجمته في طبقات الخوارج : ١٠١ ط ثانية .

(٣) أي تعالى الله . وكلاهما من أهل زيد ، إسماعيل ابن المقرئ كاتل في علم الشريعة ، وإبراهيم الجبرتي كاتل في علم الحقيقة .

(٤) أي أو قليلا غير تارك لما لأن العصاة ليست إلا للأنبياء علي الأصح . إسماعيل .

(٥) انظر الأولياء ما يبلغون عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا . إسماعيل . من هامش نسخة .

قلب الأعيان ذهباً وفضة ، ليستكثروا من الدنيا، ومن هو على هذا الوصف ، فسُئِرَ الكرامات عنه رحمة به ، ومن مُكِّنَ منها وفعل نحو هذا سُلِبَ ، فلا بد من فَعَل ما لا ينبغي له، أن يُقَسِّضَ له أحد من الصالحين فيسلبه ، وكل من سُلِب منه حاله منهم، إنما هو لسوء أدبه فيه ، والكرامة ما كانت ثابتة ، وإنما الكرامة الاستقامة ، قلت له: إنما يطلب الإنسان قوة اليقين، والخروج من غوائل النفس ، فقال نفع الله به: اليقين إنما هو من السماء ، فاطلبه من الله تعالى ، ولا تُعَرَف غوائل النفس إلا عند التجربة .

وسأله رضي الله عنه عن رجل صحب بعض المشايخ ، قبل تحصيل له الحمة في طريق القوم، ثم حصلت له بعد فراق الشيخ ، هل يحتاج حينئذ إلى شيخ ، أو تكفيه صحبة الأول ، فقال نفع الله به : تكفيه إذا قد رباه بظاهر العلم ، ولكن إذا أمكنه صحبة من ينتفع به أيضاً وتحصل له منه فائدة فحسن، فقد كان فلان وذكره ، وهو أكبر تلامذة أبي مدين ، قال له : إمض إلى الشيخ عبدالقادر واصحبه ، فلما صحبه قال له الشيخ عبدالقادر يوماً وزوى له الأرض : ماذا ترى من هنا؟، قال : أرى الكعبة ، قال له : ومن هنا، قال أرى شبيحي أبا مدين ، فقال : تريد أن تصل إليه ، قال : نعم ، قال : تريد ذلك في لحظة أو كما جئت ، قال : كما جئت فودعه فصار.

وصحب ابن عربي جملة مشايخ ، والشعراوي نحو مائتي شيخ ، وإذا صحبت إنساناً وثبت لك معه الصحبة ، فلا بأس أن تتردد إلى من ترجو منه البركة ، ولكن بعد أن تتمسك.

ما قال في انتفاع السادة بعضهم من بعض

وقال رضي الله عنه لبعض السادة : وإذا اندفتت ، فلا يظهر لك إلا منكم ، أي السادة بعضهم من بعض ، وقد ذكر إن عبدالله بن أحمد بلفقيه ، لما صاحب الشيخ أحمد القشاشي^(١) ، وعلم به السيد محمد بن علوي ، حنق عليه كثيراً ، كيف يروح إليه يصحبه ، وهو موجود فلا يصحبه أولاً مع اعترافه له بالفضل ، فقلت لسيدنا : لا يكون انتفاع السادة إلا من بعضهم بعض ، فقال : نعم ، لأنهم مرتبطون بسبب النسب ، من حيث إن هذا أبو هذا ، أو أخوه ، أو عمه أو قرابته ، ونحو ذلك ، وعقيدة البعض منهم متعلقة ببعض ، وقد يأخذ الرجل منهم عن أبيه ، أو قريبه ، ثم يروح يأخذ من آخر ، إذ كان في الأصل ، ما أخذ الناس إلا عن الناس ، قلت : وهل يكون ذلك منهم لغيرهم أيضاً ، قال : نعم ، يكون ذلك منهم لغيرهم ، فقد قال الشيخ عبدالله العيدروس رضي الله عنه : أذن لي في تحكيم ربع أهل الدنيا ، وقال جده الشيخ عبدالرحمن السقاف^(٢) رضي الله عنه : من لا له شيخ فأنا شيخه . قلت : ولا يمنعهم تغير الزمان من ذلك ، قال : لا ، ويكون ذلك على قدر الحال ، والنحلة في ابتداء أمرها لا تكون كما في آخره ، وما على الإنسان إلا الأهلية ، فإذا تأهل حصل له مقصوده في أي زمان كان ، قلت : وما الأهلية ، وبأي شيء تكون ، فقال : بفضل الله ، قلت : لا حيلة لنا في ذلك ، قال : الحيلة منه وإليه ولا بلسوغ إلى شيء من المقاصد إلا بتوقيته ، وإصلاح النفوس في هذا الزمان المعكوس بعسر . قلت : كيف الحيلة في تذليلها ، قال : لا يمكن إلا بإعانة وتوفيق ، واذكر قوله تعالى :

(١) هو الشيخ صلي الدين أحمد بن محمد بن يونس الدعالي المعروف بالقشاشي ، عاش بالندبة للتسوية وتوفي سنة ١٠٧١ هـ .
"الأعلام ١ : ٢٣٩" .

(٢) هو الشيخ عبدالرحمن بن محمد مولى الدولة بن علي بن علوي من الفقيه المقدم ، المشهور بالسقاف المشهورين إليه آل السقاف جميعهم توفي سنة ٨١٩ هـ .
"الشرح القوي ٢ : ١٤١" .

{ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ }^(١) الآية ، كلما استعصت عليك ، وقوله تعالى : { لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ }^(٢) ، ولا أحسن للإتسان في هذا الزمان عند ورود عَجَب أو كبر أو نحو ذلك من الاستغفار كلما ورد عليه ، ويكون ذلك عند وروده في الحال .

ثم قال رضي الله عنه : ما مقصد الصالحين بعد رياضاتهم ومجاهداتهم إلا مُلْكُ نفوسهم وقتلُها ، فإذا حصل لهم ذلك منها ، وقعوا على الإكسير الأعظم ، لأنها في هذا الباب أعظم الأجزاء ، ولا يتم الأمر إلا بقتلها ، وهي فيه كالزئبق في الكيمياء ، ولا يحصل للمقصود منه إلا بقتله ، ويعسر قتل كل منهما ، ولا يحصل للمقصود من كل واحد منهما في بابه إلا بقتله ، فقلت له : إنما تتشفع إلى الله بعد رسوله في حصول أمر ما في وقتنا بكم ، كما إن من أراد من الله شيئاً في زمنه ﷺ جاء إليه يدعو الله له به ، فقال : تلك خصوصيات له عليه السلام ، قلت وتلك الخصوصيات أيضاً يكون منها في ورثته ، فقال : عهدة ذلك عليك ، وتتوقف فيه حتى نرى عليه دليلاً . وتكلم إذ ذاك كثيراً ، فقال بعض الحاضرين من الغرباء المقيمين : إني لا أرى أثر النبت ظاهراً علي ، فقال : إن هذا أحسن خوفاً من الإعجاب ، وقد تَبَتُّ وَتَقَبَّلْتُ وغصت أيضاً بزيادة ، ولكن قاعدة : إنه لا يظهر على الإنسان ما دام في حضرة من تعلم منه ، ولكن إذا سار إلى بلده ونشر ما علم ، حصل له الفتوح في أرضه ، وإذا أردت أن تسير بجعل لك إن شاء الله وصية ، تكون لك قائدة كالحبل في عنق الدابة كلما بُعِدت عن مربطها جرّها حتى تعود إليه . انتهى ما حصل في هذا المجلس المبارك ، وذلك عشية الأربعاء ٢٤ صفر سنة ١١٢٤ وكان مجلس فسحة

(١) سورة يوسف ، الآية : ٥٣ .

(٢) سورة هود ، الآية : ٤٣ .

وتبسط^(١).

وقال رضي الله عنه : أهل الزمان قل ما تتم الشروط فيهم ، إلا إن حصلت كلها فقد واحد ، فتعطل جميعها لذلك ، فلم يحصل بسبب ذلك المطلوب ، كما في علم الكيمياء إذا أتى بشروطها ، وبقي شرط تعطل عليه عمله ، والكيمياء أحد حاصلتين : إما أن يؤتبه الله زهدا فيستوي عنده الذهب والتراب ، وإما أن يؤتبه الله الكفاف ويشغله بطاعته .

وثن نقول : الكيمياء قل هو الله^(٢) ، والعمدة على صفاء القلب ، واجتماع الأرواح ، وإلا فكثافات الخلق لا حاجة إليها ، عذ ما صفا لك ودع أمر الخلق يكون وراءه .

وقال رضي الله عنه : فلان إذا أراد أن يسير إلى بلاده ، نأذن له أن يحكم لنا لا لنفسه ، وليس الخرقه ، وثن ما أذننا لأحد أن يلبس مطلقا ، بل يلبسوا من أرادوا من أهلهم وأولادهم أو كما قال .

ما قال في معنى حديث : إن الله جميل

وقال رضي الله عنه في حديث^(٣) : ((إن الله جميل يحب الجمال)) ، معناه : أي ينبغي للعبد أن يتحمل ، لكن بحيث لا يحب التزين ويَشَهَّى كل ما يرى ، ولا يحب أن يرى متجملًا ولا يفاخر في ذلك ولا^(٤) من هو كذلك ، بل للؤمن لا يحب

(١) لأن أمر أربعاء في صفر في حضرموت والحرمين وجرهما يترجون يومهم كل فرقة تجتمع في محل أنس ليعود بركة الاجتماع على دفع البلا تبارك أمر كل أربعاء في صفر يذبح بالؤمن من أخيه العاصي ولا يشقى حليس السعيد . اهـ .

(٢) وفي النسخة المطبوعة : قل هو الله أحد .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان : ١٤٧ وأحمد بن حنبل : ١٣٣ والخاكم : ١ : ٢٦ والطبراني : ٨ : ٢٤٠ .

(٤) الظاهر : ولا يباعي من هو كذلك . اهـ .

إلا ما يحبه الله ، فإذا كان كذلك فليفعل ما يليق ويَحْسُنْ ويأخذ الأمر بأوله وآخره ، ولا يتبع هواه في أمثال هذه الأشياء ويستدل بهذا الحديث ، لأن فيه إتلاف النفس ، وإتلافها عسر .

وقال رضي الله عنه : المزاحمة في الدين مطلوبة ، زاحموهم بالرُكْب ، وبعض الناس غلبت عليه العوائد، أي المزاحمة في أمور الدنيا، من جاه ومال ونحوهما وحسب ينقل عليه أن يقال له حال الزحام ، تأخر قليلاً ، وبضيق حاله من ذلك .

وأمرني رضي الله عنه يوماً أن أقرأ عليه مقصورة^(١) ابن دريد ، وبعد تمامها قال : إنها تصلح للمهمومين ، أو قال المغمومين من الحكماء .

وقال رضي الله عنه : إذا حصل عليك أمر تكرهه ، لك فيه خيرة فلا تحزن ، ولو كان سارق سرق عليك شيئاً. وأنت من أهل الحق في أمان ، ولا تأمن أهل الباطل .

وقال رضي الله عنه : كلام الأكابر يحتاج إلى تأمل ، ولا يزال يردده ويتأمله ، حتى يظهر له .

وذكر رضي الله عنه ابن الفارض يوماً عندما قرئ عليه شيء من قصائده ، فقال : هو كلام قلب حي في جسم ميت .

وقال نفع الله به : لا يتم النشيد إلا بثلاثة أمور: حسن الصوت ، والنظم ، والإعراب ، قال : ورابع ولعله طيب الوقت .

وأشدد بين يديه رضي الله عنه بشيء من نظم ابن الفارض فيه غزل فقال : كل هذا مليح ، ويُنزل على الروح وعلى الجنة ، لا على الحقيقة الإلهية ، خالق الكل .

(١) قصيدة مشهورة أولها : يا طيبة أشبه شيء بالها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

ومرة قال : وإذا تكلم للمخلوق ، بوصف المخلوق فاللائق به أن يكون في المخلوق .

ثم ذكر نفع الله به ابن عربي فقال : فنهما واحد ، إلا إن ابن عربي الغالب عليه الصحو ، والغالب على ابن الفارض الاستغراق . وذكر لابن عربي^(١) كلام ابن الفارض ، فقال : كلامنا واحد ، وإنما كلامه ميدان لكلامي .

وذكر رضي الله عنه ابن الفارض فقال : إنما عمره ٥٥ سنة ، لأن أهل الأحوال الغالب إنهم ما تطول أعمارهم ، بل تأخذهم الأحوال ، كالشيخ أبي بكر السكران ، وابنه الشيخ عبدالله عمره نحو ٥٥ سنة وغيرهما . والأحوال المقلقة : شوق ، أو خوف ، ونحو ذلك ، هذه هي الأحوال ، ومن لا معرفة له بحسب أن الأحوال غير هذا . وأمرني سيدنا أن أنشد وكان ذلك ضحى يوم الجمعة ثاني ربيع الأول سنة ١١٢٤ ، فكان مما أنشدت به قصيدته : محب ليس يدري من يحب الخ^(٢) .

فقال رضي الله عنه : هذه الآيات التي أولها ، إذا هبت ، وإن سحبت ، وإن مرت ، وإن عرضت ، هي معنى ما ذكرناه في الثانية .

يذكرها العهد القديم سماعها لترجيع نال للمثنائي الكريمة^(٣)
أي الروح إلى آخر الآيات .

ثم قال نفع الله به : إن الإنسان مازال محجوبا بكثافات نفسه ، وعوارض جسمه ، فحجبه كثرة ، أو قال كثيفة ، ولا يمكنه أن يلتذ بما يسمعه من الأصوات للوزونة ، والنعيمات الطيبة ، ومعرفتها من علم الموسيقى ، ومتى خرج من ذلك

(١) وسأين كلام من سيدنا في ابن عربي وابن الفارض بعد نحو ٢٣ صفحة من هذا المصباح ، بعد هذه فاستظره اهتمام .
(٢) (صفحة ١٤٦ ، ١٤٧) .

(٣) ديوان الحبيب عبدالله ص : ١٤١ .

(٣) الديوان ١٥٤ .

بالمجاهدة ، والرياضة ، لم يزل يترقى في معرفة الأشياء ، حتى يطلع ويعرف ما لم يكن يعرفه أولاً ، وحينئذ ربما سمع دوران الأفلاك ، ويحصل له فيها من اللذة ما يستغرقه وبذله عن شهوة الأكل ، لأن لذلك لذة يجدها الروح ، حُجِبَ الإنسان عنها بشهواته الحسية ، ولأي شيء يسكر الإنسان عند سماع شيء من تلك الأصوات ، لأن فيها بعض لذة له حينئذ ، ولا يُشَبَّه بينها وبين لذة الفلّسك ، وإن حصل له شيء من الأمور الإلهية ، فيحصل له فيها من اللذة والاستغراق شيء عظيم ، لا يناس بلذة الأفلاك ، وفي هذه الأشياء ترقّ وتزُلّ ، ولهذا لما أراد الله تعالى أن يبلغ النبي ﷺ غاية الكمال ، لم يزل يرقيه ويُطْلِعُه على الموجودات شيئاً فشيئاً حتى بَلَغَه إلى درجة التكلم معه ، وأَهْلَه لسماع كلامه مشافهة مع قرب ، وتَزَلُّ لموسى عليه السلام حتى أسمعته كلامه من الشجرة ، فانظر الفرق بين الأمرين الإلهيين ولا تنظر ما بين النبيين ، وإن كان كل منهما في مرتبة عالية ، وعلى هذا التنزل والترقي ، ما وقع لإبراهيم الخليل عليه السلام من رؤية الكوكب ، ثم القمر ، ثم الشمس ، ثم التوجه إلى الحضرة الإلهية ، حضرة الذي { فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَفِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ }^(١) هذا ما حفظته مما تكلم به في المجلس المذكور.

وأمرني رضي الله عنه أن أنشد ، وذلك بعد صلاة عصر يوم الثلاثاء في ٢٨ ربيع أول المذكور ، من السنة المذكورة ، في مسجده الأوابين ، فأنشدت بقصيدته التي أولها^(٢) :

(١) سورة الأنعام : الآية ٧٩ : { إِيَّاهُ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِذِي فَطَرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَفِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } . أما الآية ١٦١ من سورة الأنعام فهي : { قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَدِيمًا بَلَدَ إِبْرَاهِيمَ خَفِيفاً وَمَا تَكُنَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } .

(٢) السديان ٢٤٦ . وفيه : يا قل لأحبائي يا قل لجوتنا يا قل لخيرتنا من جملة الناس

يا هل لأحبابنا يا هل لخيرتنا يا هل لخيرتنا من جملة الناس

فقال نفع الله به : إن في خاطري أن أسأل عن هذه القصيدة ، وكنا نظمناها منذ أيام ، ولا بقي معنا غير عنها ، فاتفق أن أنشدت بها ، وهذا منك ما هو مكاشفة إنما هو نور التوفيق . وكان السيد الجليل أحمد بن زين الحبشي حاضرا ، فقال له : أكتب ما ظهر لك وفهمته من معنى هذه القصيدة ، وأرناهُ لنرى كنهه فهمك ، فتناول النسخة من يدي حينئذ ، وكتب تحتها ما فهمه ، وأسمعه سيدنا فاستحسنه .

ما تكلم به السيد أحمد بن زين علي قصيدة سيدنا

وهذا صورة ما كتب ، وهو قوله : قل (لأحبابنا) من نحبه ويحبنا ، (والخيرة) المهاورون في الأمور ، والأحوال ، والديار ، (والخيرة) من يختار ويتحب ، (والوسائل) جمع وسيلة وهي الوساطة ، و(المقاصد) جمع مقصد ، ومقصود ، و(المدخر) ، لغير الملائم المعد لليؤس واليأس ، يسمى ذخيرة جمع ذخائر ، ثم طلب من الله المنفرد بالعطا والكرم ، أن لا يوحش منهم لكونهم أنسه ثم طلب المن بالإيناس ممن ذكره ينير السرائر التي هي محل السر ، ويميط الهم والوسوسة عن الصدر الذي هو صدر البدن ورئيسه ، بانتمراحه بنور السريرة ، فلا يبقى فيه غير الحق الجلي ، فتزعج النفس عن غفلتها ، بتحافها عن دار الغرور ، ورجوعها إلى ربها بالرضى ، فعينئذ يبطل كيد الشيطان لضعفه في نفسه ، وإنما قواه في اللؤم إلا غفلة النفس ، فلا يبقى لوسواسه شر ، ولا استباع للقلب ، لانزعاجه ورجوعه إلى ربه ، وإذا ذهب الشياطين ، جاءت الملائكة بخواطر الخير ولوامعه وطوالعه للمجانسة حينئذ لطهارة القلب للملائكة بالأصل ، و(الميمون) هو المبارك ، و(الملك) هو المرسل بالخير ، الذي لا

يقبل إلا بالخير من الخير ، و (المرووس) التابع كالرأس المتبوع ، و (صعود الروح) ترقى القلب بخلوصه عن القيود الجسمية ، والصفات البشرية ، والصور الهيكلية ، في روح التروحن ، ونفس الانطلاق ، فإذا صعد الروح وترقى إلى معهده الأصلي الأمري ورجعت النفس إلى حالها الأصلي ، الذي قبل نزولها إلى تدبير الجسم والانفهار والانفعال لمطالبه الطالبة بحالها لتدبيره ، وحفظها إياه وفعلها به ، فإذا رجعت الروح إلى ربها ، لسقيته وتبوأ حاضرة عنديته ، وسعدت بواردات حضرته القدسية ، وذلك لا يستقيم إلا للمستقيم المتوجه إلى الحضرة الربانية بإقامة العبادة الخالصة ، وتحقيق التقوى ، واجتنب الشبهات، وملاك ذلك هو أن الحفظ العاجلة والأمور الفانية على القلب وصلى الله على من هدانا به ، محمد وآله وعترته وعلينا معهم وسلم . اهـ .

وقال رضي الله عنه : كل ما يكون من كلام الغزل ، فيحمل على مخاطبة النفس للروح ، ولا يحمل على الأمور الإلهية ، لأن أمرها عسر غامض لا يكاد يفهمه إلا الأكابر الصديقون ، ولا تطبيقه القوى البشرية ، فقد حكى : إن رجلاً جاء إلى نبي من الأنبياء ، وسأله أن يدعو الله له أن يرزقه ذرة من عبته ، فدعا الله له بذلك فأحر إجابته إلى وقت آخ ، وأعلم النبي بالوقت، فلما جاء وقت الإجابة ، حصل على الرجل غيبة وأخذ عن حسه ، ولم يبق يهتدي لشي ، فرجع يستغيث بالنبي ، فسأل النبي ربه عن ذلك ، فأوحى الله إليه، إن مائة ألف رجل سألتني ما سألت له ، وأحررت إجابتهم إلى هذا الوقت ، فلما جاء قسمت بين الجميع ذرة من عبيتي ، فهذا سهمه . ومعاني المحبة تُلطف وتجل جداً عن إمكان التحدث بها ، لأن العبارة لا تأتي على معانيها، ولا يمكن التعبير بالمعاني بحال لأنها لا تدركها العبارة ، ولهذا ترى أهل المحبة لما أدركوا من معانيها ما يجمل وصفه ، ولا يمكن كشفه ، واحتاجوا بسبب ذلك إلى التنفيس والتروح ، إنما يعبرون عنها بقولها التي

هي صورها ، والمعاني أرواح قائمة بها ، فلما عجزوا عن التعبير بالمعنى ، عجزوا بالقوالب والصور ، وذلك كنتغزلهم بليلى وسعدى ، وأبيّ ، وهند ، ودعد ، وغير ذلك . وقال رضي الله عنه : إذا شكا المحب الجورَ من محبوبه ، فالجور إنما هو منه ، لا من المحبوب ، لأنه يطلب منه هوى نفسه ، وهو ما يعطيه كل ما يهواه ، احفظوا ذلك .

وتكلم رضي الله عنه : ليلة في ضَعْفِ الحمم عن فعل الخير ، فقال : من كان له هوى في الشيء ، لو لميته عنه ما انتهى ، وإذا لم يكن هوى فكأنك تخره في شحر^(١) ، ثم أنشد للمتنبي^(٢) :

إنما تنجع للمقالة في القلب^(٣) إذا صادفت هوى في الفؤاد

وقال رضي الله عنه : أهل الزمان أفرط بهم حب الدنيا ، وقد ذم الله تعالى من سَوَى بين محبة الله ومحبة غيره ، وأثبت لهم محبة الله بقوله : { يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ }^(٤) وخرج بهم حب الدنيا من السر إلى البحر ، لأنهم الآن في بحر ، والبحر قد أكل دوابه بعضها بعضاً ، وليس شيء من الحيتان يقاتل من البر .

وقال رضي الله عنه : من رُبِّي على الإحسان خرج منه الإحسان ، ومن رُبِّي على العدل خرج منه العدل ، ومن رُبِّي على الجور حرى منه الجور .

وقال رضي الله عنه : القربات لا تغني عن الشهوات ، فإذا اشتغل قلب الإنسان مثلاً من الجوع ، فالطاعة فاسدة ، إنما تُسَلِّي عليه ، والسماء غير الأرض ، إشارة إلى إن للعارف من الأمور العلوية ، والشهوات حسية ، وهي تراب ، غير إن الأرضين

(١) الشحر : نوع من الشجر كثير الشوك .

(٢) ديوان المتنبي : ٤٩٨ من قصيدة لولها : حسم الصلح ما المنيهة الأعادي وأناعسته ألسن الحساد

(٣) في الديوان : المرء .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٦٥ .

سيع ، فتكون مثلاً العليا كالمباحات .

وقال رضي الله عنه : إذا أقيم الولي في مقام الرحمة العامة ، فيكون إذا علم برحمة قوم فرح لهم فيرحمون برحمته لهم ، وإذا علم بالتشديد على آخرين ، رق عليهم وساء ذلك ، فيرحمون على حسب ما يطلبه ، وحينئذ تبقى شائبة الطبع فيه ضعيفة، والرب سبحانه عليه قول (كن) ، والملائكة عليهم المباشرة ، ولكنهم لا يتصرفون في شيء إلا بأمره ، ومع ضعف داعية طبعه لا تذهب ، ولا يمكن ذهابه بالكلية ، وإنما يكون ضعيفاً ، وأفهم كلام الإمام العزالي: أنه لو فقد ، وجب تحصيله ، وكل فيه هوى ، وليس الشأن أن يذهب الهوى ، إذ لا يتصور ذلك ، بل الشأن أن يعمل على خلاف ما يقتضيه مع وجوده ، وهذا يضعفه ، وكلما ازداد من العمل على ذلك ازداد ضعفاً ، حتى ربما يتوهم عدمه ، وليس بمعلوم ، بل ضعيف جداً ، والعمل على موافقته يقويه ، وكلما ازداد من ذلك ازداد قوة ورسوخاً ، وكلما كملت خصوصية الشخص ، قلت دواعي نفسه ، وكلما قلت الخصوصية كثرت دواعي النفس .

ومن خط ابنه علي زين العابدين ، قال : تكلم الوالد يوماً مع الحاضرين فقال : إن العقول قلت ، والنفوس كبرت ، والحق خفي ، والباطل ظهر ، اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال ، ومن فضول الكلام وسوء الانتقام ، ونعوذ بك من زوال النعم وحلول النقم وضعف الحمم ، اهـ .

ما قاله في النفس

وسأله رضي الله عنه يوماً وكان في بستان الليمة بالسببر : ما الشاهد الذي يعلم به الإنسان صدق نفسه فيما تدعي من فعل أمور طاعة ، أنها أرادت بذلك

وجه الله والتقرب إليه به . فقال رضي الله عنه : ليس لها صدق أبدا ، بل هي كالمرأة السوء ، والعبد السوء ، والطفل ، لا يؤمنون ، وإنما يستجلبها ويتهمها دائما ، أما سمعت قصة الذي دعتة نفسه إلى الجهاد ، فأبى أن يسير إليه . فلم يزل يتهمها حتى ظهر له أنها أرادت أن يقتل ، ويعرف أنه قتل في الجهاد ، وطلبت حصول الربا بعد الموت ، وقال صاحب القصة : إنما قالت له نفسه ، إنك كل يوم تقتلني بمخالفة هواي مرات متعددة ، وفي الجهاد تحصل لي قتلة واحدة أتخلص منك بها ، ويحصل لي الاشتهار بالشهادة ، والنفس عدو محبوب ، وسارق في الدار ، فإذا كان سارقك في دارك ومن أهلك ، فأمره مشكل ، ولا يقدر عليه إلا بأمر من الله .

وقال نفع الله به مرة : إنما قيل في النفس إنما أعدى الأعداء لكونها تنكر الشيء من غيرها وتكرهه وفيها مثله ، فلو رأيت إنسانا في أمر كرهت منه أشياء ، فلو قمت أنت في ذلك الأمر ظهرت منك تلك الأشياء التي كرهتها من غيرك ، فيكرهها منك آخر ، فالطباع سواء ، والنفوس على طبع واحد في ميلها عن الصواب ، ولكن يظهر الشيء ويخفى .

ومرة قال نفع الله به : نفسك عدو لك من أهلك ، فإذا كان العدو من أهل بيتك فأمره مشكل .

وقال رضي الله عنه : قد يكون العبد العاقل ، والخادم والولد ، إذا أمرته بأمر وعلم أن الصواب خلافه يحجبك على قدر مرادك الذي أردته ، ويخسر عنك خلافه ، ثم بعد إذا ظهر لك وتبين أن الصواب هو ما عمله ، خلاف ما أردته منه ، فتحمدته حينئذ ، وإذا وجدت من العبيد والخدام من هذه صفته ، فأمسك عليه .

وقال رضي الله عنه : يداري الإنسان نفسه ، فإذا أحس منها بعض رغبة في

خير ، وإن قل^(١) ، ويستجلب منها الزيادة ، ومن تدعوه نفسه إلى معصية وهو بمنعها ، فهو بمحامد ، وأما الصالح فلا تدعوه نفسه إلى معصية ، ولا تخطر بباله أبداً .

وقال رضي الله عنه : القلوب الدنسة المشغولة بالنظر إلى الخلق ، والترين لهم ، وبمراثيهم ، ومحبة للنزلة عندهم ، متى تطهر؟ لو جئت بوعاء وسخ لرجل تريد منه سمناً أو عسلاً أو نحو ذلك ، قال لك : رح اغسله أولاً ، هذا في أمور الدنيا ، فكيف توضع الأسرار في القلوب الوسخة ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : تعلق القلوب بمهماقها إذا صلحت ، رجعت دينية .

وقال رضي الله عنه : الأمور الإلهية كلها ترفعك ، وعليك بقراءة القرآن ، وإن عجزت عنه لا تعجز عن الذكر ، فهو يوصلك إلى حيث أردت من أمور الدين ، والصعود إلى العالم العلوي عسير ، كما يطلع الإنسان^(٢) البشر ، إلا أنه فرق بين من يطلعه بجبل يُشَلُونه به^(٣) ، وبين من يطلعه بلا حيل^(٤) ، وهذا هو الفرق بين السالك والمخذوب .

وقال رضي الله عنه : إنما لم تظهر كرامات الأولياء في هذا الزمان ، لألهم ما هم شيء ، فلا يستأهلون ظهورها ، ولهذا أنكروها ، كيف وقد قال رجل في حضرة السقاف ، وقد قرئ عنده "روض الرياحين" ، واترى ما فيها من هؤلاء واحد ، وأهل الروض قد خالفوا نفوسهم من قبل ، حتى ارتاضت ، فلما كان بعد لم يحتاجوا إلى رياضتها ، لأن رياضتها ومخالفتها عسيرة جداً ، لو احتاجوا إليها حينئذ لقطعتهم عن أمرهم .

(١) أي قديراً عليه .

(٢) في (ج) : من البر .

(٣) وهو المخذوب .

(٤) وهو السالك .

وقال رضي الله عنه : وظيفتنا الذكر ، ونحن به مشغولون عن غيره ، أو قال مستغرقين به عن غيره ، وإنما نقرأ مع الجماعة لنيل فضيلة القرآن ، وهذا هو الأمر الحقيقي الذي ينبغي ، فإن من تجرد لشيء اشتغل به عن غيره ، وهو الذي دعا أهل "الروض"^(١) إلى التجرد عن أهلهم وأولادهم ، لما تجردوا لله اشتغلوا به عن من سواه ، وينبغي لكل أحد أن يأخذ وظيفة في الخير يستغرق بها وقته ، ثم يأخذ من كل وظيفة غيرها طرفاً أو كما قال .

مفاضلة الأولياء

وسألت سيدنا رضي الله عنه عن أولياء كل زمان ، هل يفضل أحد منهم أحدا بسبب تقدم زماته ، قال : نعم يكون الزمن المتقدم متوفرة فيه الخيرات ودواعيها ، فينال فيها أكثر من المتأخر .

وقلت له نفع الله به : هل الأقطاب كذلك ، يفضل المتقدم المتأخر ، فقال : المرتبة معروفة ، مرتبة القطبية ، فكل من هو فيها فهو قطب ، وإنما يتفاضلون بسبب فضيلة أخرى ، تكون في الفاضل ، ولا تكون في المفضول ، فضله بسببها ، كمن يكون عالماً بالظاهر والباطن ، وانتفع الناس به ، أو يتعدى منه نفع إلى الناس ، ولم يكن ذلك في الآخر ، فيفضل بهذه للزاياء الآخر ، لأن النفع للمتعدى أفضل من اللازم^(٢) هذا في القطب الواحد ، الذي هو الغوث ، ولا يكون إلا واحداً ، وأما في غيره فكل من فاق غيره في فنه ، فهو قطب ذلك الفن ، كما يقال : الإمام الغزالي قطب

(١) يعني كتاب "روض الرباحين في حكايات الصالحين" للياقبي .

(٢) أقول : نلاحظ هنا إنما فضل المتقدم بزيادة الخير فإنما حصل الأفضلية سواء تقدم أو تأخر بل القليل من النفع كالكثير من المتقدم لقلّة المساعد وضعف الدواعي كما جاء ذلك في أحاديث نبوية ، اهتمام .

العلوم ، والشيخ سهل بن عبدالله قطب الأحوال ، ونحو ذلك .

وقال رضي الله عنه : كل من الصالحين إنما يستعظم ما وهبه الله ، ولا يرى ما وهب لغيره ، وإن كان الكل حقاً ، ولهذا قال بعض الصالحين في ابن الفارض وأمثاله : إنهم ملأوا الدنيا زعاريط بلا شيء ، لأن لكل من الروح والنفس تيهان ، إلا أن تيهان الروح بحق ، وتيهان النفس بباطل ، كما فعل فرعون .

أقول : كل تالفة ابن الفارض الكبرى مشحونة بأحوال الحقيقة التي يصعب إدراك معناها ، وكان سيدنا نفع الله به ، لا يقرؤها في اللأ مع كثرة ما يقرأ عليه الديوان كله من أوله إلى آخره ، كلما فرغ منه أمر بإعادته ، وذلك عشية كل يوم ثلاثاء ، ويأمر القارئ بتجاوز التالفة الكبرى .

ما قال فيمن ينتسب لابن علوان والرفاعي

وذكر رضي الله عنه أقواماً يدعون أنهم فقراء للشيخ أحمد بن علوان ، وآخرين أنهم فقراء للشيخ أحمد الرفاعي ، يقال لهم الرفاعية ، يتعاطون أموراً^(١) ، فقال : إنهم دفاعية ، لا رفاعية ، والشيخ أحمد الرفاعي مناقبه عندنا ، ليس فيها هذه الأفعال ، وإنما هي بدعة ، وإذا رأيت بدعة فسُـقـرَب إلى الله بمخالفتها ، وكان^(٢) غاية ونهاية في التواضع ، وما سمعنا عن أحد في التواضع ما سمعنا عنه ، والتواضع هو التقليل من كل شيء من ملابس ومسكن ومركب وكلام ونوم ، وجميع ما يحتاج إليه يقتصر منه على الحاجة إلى القلة .

(١) أي منكراً للعلم .

(٢) أي الرفاعي للعلم .

ما قال في التواضع

وقال رضي الله عنه : الانطراح مع التواضع بحمد ، إذا خلى من الذلة والطمع ، وأما معهما فقد يفعل أشد من ذلك ولا يحمد للمؤمن ، ومن تكبر ترى الناس يشمتون به ، ويغضونه ويفرحون بمصيبته ، ويقولون يستاهل لذلك ، وما وقع عليه إلا بشؤم كبره ، والمتواضع يرحمونه ويرثون له ، وإذا نزل به مكروه توجعوا عليه ودعوا له ، فكم فرق بينهما.

قصة صاحب الشجرة

وقال رضي الله عنه : من تعلقت همته بالله ، حصل له مطلوبه ، ووقع في بحر ما له طرف ، وإن علت همته ، وضعف بدنه حصل له بها ما لا يقدر عليه بدنه ، وتعجز عنه قوته ، وذكر عند ذلك قصة صاحب الشجرة الذي أرسله ملك العرب إلى ملك الصين ، ليسأله ما سبب طول بقائكم في الدنيا وتمتعكم بالملك وأنتم كفار ، ونحن مسلمون لا يحصل لنا ذلك ، فجاء به إلى شجرة قوية راسخة ، وقال : لا أحبيك حتى تسقط هذه الشجرة ، فاستبطأ الجواب ، وأراد الرجوع بسرعة ، وتعلقت همته بسقوط الشجرة ، لما توقف جوابه على سقوطها ، فبقي أياما يتردد إليها ويتمنى سقوطها ، حتى إذا سقطت ، فقال له : هي جوابكم ، فسار إلى مرسله فأخبره بأمر الشجرة فأطرق مفكرا ، ثم قال : فأنله الله ، ما أحذقه ، فقال له رسوله : ما معنى ذلك ، قال : معناه يقول إنك رجل واحد ، تعلقت همتك بسقوط هذه الشجرة القوية ، حتى سقطت ، وأنتم تتعلق بكم هم الناس كثير^(١) ، تظلموهم ، كيف

(١) في (ع) : هم الناس كثير .

يطول بكم البقاء والتمتع بالملك ، هذا لا يكون ، أو كما قال.

ما قال في العقيدة

وقال رضي الله عنه : إذا كنت ماسك الجبل بيدك فَسَيِّبْتُ فاللوم عليك لا على الجبل ، فمن سَبَّ سَبَّ ، فإن الأولياء والصالحين يعتنون بك ، بقدر اعتنائك بهم ، حتى إن رجلاً قال لأبي عيسى المرسي^(١) : خاطرك معي ، فقال له : خاطرك أنت معي ، لأن أهل مراتب الولاية لهم نواب ، يقومون في مراتبهم عنهم من حيث يشعرون ، ومن حيث لا يشعرون ، ولا ينتفع إلا صاحب القلب القوي^(٢) للنور ، وذو القلب الضعيف^(٣) والقلب المظلم^(٤) ، لا ينتفع .

ثم ذكر نفع الله به قصصاً من كرامات الأولياء ، ثم قال : من قال لك إن عاد في هذا الزمان شيء من الكرامات ، إلا إن كان من نور النبوة ، فقد وهم أو كما قال. وذكر لي رجل من أهل الشجر عن جماعة من أهل الحِصَاء ، جاءوا من البصرة ، أنهم أصابهم في غبة فارس طوفان عظيم ، كاد البحر أن يستلهمهم بمراكبهم ، وهي ثلاثة مراكب ، وأنهم استغاثوا بسيدنا عبد الله نفع الله به ، ففي الحال طَفَرَتْ^(٥) سمكة من عند سكان^(٦) للمركب الذين استغاثوا ومرت كأغصانهم في

(١) في (ج) : لأبي العباس المرسي .

(٢) أي في العقيدة . اهـ .

(٣) أي في العقيدة . اهـ .

(٤) أي ليس له عقيدة بالكلية . اهـ .

(٥) قال في القاموس : الطفرة الزينة مع ارتفاع . اهـ . قاموس .

(٦) سكان المركب : موضع الهادة فيه .

وسط المركب ، بين الجبال من جانب الدقل^(١)، حتى وقعت في البحر من عند صدر المركب ، فعند ذلك في الحال انقطع عنهم الطوفان ، وسلموا بفضل الله ، فأخبرت سيدنا بهذه القصة. فقال رضي الله عنه : المراتب لها خدام، ولم يزد على هذه الكلمة.

وقال رضي الله عنه : الأمور الخارقة للعادة ، ما هي بعيدة في كرم الله وقهرته لمن أكرمه ، ولا هي بعيدة من أفعال الشياطين ، والعمدة على الاستقامة ، وإن ذكر عن أحد الطيران في الهواء ، فإن الشيطان يطير من المشرق إلى المغرب في لحظة ، ولا يفعلها من صبح له قدم في الولاية إلا لضرورة ، كتنوية مريد، كيف يفعلون ما فيه هوى النفوس ، وهم يجتهدون في قطع هوى نفوسهم .

ما قال فيمن له في العمل وجهان

وقال رضي الله عنه : إذا رأيت إنسانا يعمل عملا له وجهان ، وجه يدل على الخير^(٢) ، ووجه يدل على الشر^(٣) ، فسلم الأمر، وأحسن الظن ، وإن كان إنما له وجه واحد يدل على الشر ، فما لحسن الظن وجه إلا أن نظن أنه لا يصر عليه، بل يتوب عنه ويستغفر منه ، وأمر ، وأنه على حسب ما بلغك ، ولا تنقص عن مواطن أحوال الناس ، وإذا تبين لك بطلانه فاته ، وتركه للحياء أو إنهم حباينا ما نقول فيهم إلا خيرا ، ليس هذا بدين ، وهو معنى لا تأخذه في الله لومة لائم ، وخذ من الطاعات ما هو ظاهر من غير خلاف، وأنه طاعة ، واجتنب من المناهي ما هو ظاهر ،

(١) الدقل : السيرة التي تمسك الشراع .

(٢) كعمل الطاعات ، أعمال .

(٣) كمسبة للملاهي ، أعمال .

مع الاحتياط بما تقدر عليه في الأمرين، فبذلك تدرك درجة أصحاب اليمين ، إن لم تقدر أن تكون من السابقين .

ثم أكثر نفع الله به من ذكر اختلاف الأزمان ، واختلاف الأمرين والناهين فيها، فذكر : إن رجلاً دخل على سفيان الثوري ، فرآه يبكي والدم يخرج من حلقه ، فقال له في ذلك ، فقال : انفتحت في الدنيا^(١) قناة ، فأردت أن أسدها، فانفتحت منه أبصر ، هذا وهو في القرن الثاني ، وهو^(٢) قريب العهد برسول الله ﷺ والصحابه .

ما ذكره عن السيد عبدالرحمن بن محمد الجفري صاحب (تريس)

وذكر رضي الله عنه من أمر ولغى في القرون الماضية ، حتى وصل إلى ذكر القرن العاشر ، فذكر عن الشيخ عبدالرحمن بن محمد الجفري ، صاحب تريس^(٣)، فقال: إنه كان قد طلب العلم ، وعمل وسلك ، ولقي المشايخ ، وكان إذا أمر ولغى لا يبالي بمن يأمره أو ينهاه كائناً من كان ، وإنه رأى رجلاً في المسجد يقرأ القرآن ، وهو لا يحسن القراءة ، فبعد الصلاة سأل عنه، فقال له رجل من أصحاب الدولة : إنه أُلغى وهذا مقدوره ، فقال له : وأنت يوم تصلي ولا تطمئن ، يا فاعل ، يا تارك ، وبقي يصيح عليه ، حتى انهزموا من المسجد ، وكان يكتب لبعض سلاطين الجهة : إلى فليين مردم جهنم ، وأما زماننا هذا فما بقي للدين فيه ذكر ، ولا معول ، ولا نسبة بينه وبين ما قبله من الزمان ، أو كما قال مما ذكره في مجلس القراءة عشية يوم الاثنين حادي عشر شعبان سنة ١١٢٤ .

(١) في (خ) : في الدين .

(٢) أي القرن الثاني . اعصام .

(٣) وهو المعروف بصاحب العروة لوفى سنة ١٠٣٧ هـ النظر (الشرح الروي ٢ : ١٤٠) .

ما قال فيما هو في وقت السلف

وقال رضي الله عنه : ما مضى عليه السلف ، من قبل الشيخ عبدالله العبدروس ، إلى وقته ، ما يسعنا إلا تقليدهم والإتياع لما مضوا عليه ، وما كان من زمنه إلى وقتنا هذا فلا تتبع إلا ما مروا عليه ، ومن ابتدع شيئا فعلى مبتدعه .

وقد استأذنه رضي الله عنه للمعلم ياغريب^(١) بأن يجعل في الغيرة حاية كبيرة ، تجمع ماعا ليكون قاتنين فأكثر فأبى عليه ، وقال : شيء مضى عليه السلف الصالحون لا نغيره ، فاتبعوهم فليستم بأعرف ولا أروع ولا أتقى منهم .

وسمعه نفع الله به مرة يقول : قال لنا السيد أبو بكر بافقيه : إن هذه التكاثير لا ينبغي ، لأن فيها هتكاً للمروءة ، فقلنا له : لا نخوضوا لنا في الأمور التي مرت على السلف والأكابر ، والذي لا يحسن النظر في الجليات ، لا ينبغي له أن يخوض في الخفيات ، ثم ذكر قصة الذي قال للنبي ﷺ : علمني من دقائق العلوم ، الخ والسماية قد مرت على أكابر أيضاً^(٢) ، يقولون : إن السماية هتك للمروءة ، فلا فرق بينهما^(٣) .

وقال رضي الله عنه : وقد قالت بنت أعي السيد عمر بن أحمد للنفر : يا عم ترى شيابة يرقصون ، وسمى [أي سيدنا] أحدا منهم ، فقال لها : عمك ما عاد يقدر ، وإلا كان قام معهم ، ومثل هذا هو اللهو واللعب الذي كانوا يتنفسون به عند الملل والضجر .

وذكر رضي الله عنه زيارة النبي هود على نبينا وعليه السلام ، فقال : كل من

(١) هو الشيخ عبدالله بن أحمد ياغريب (انظر مجلة الزمان : ٢٧٢) .

(٢) أي يقول القائل أيضاً : لما هتك المروءة كما قال في التكاثير ، أي فلا حرة بكلامه . لأنها قد مرت على أكابر بالعمام .

(٣) أي السماية والتكاثير من أن كلا منهما فيه سؤال بالعمام .

روح^(١) ما له زيارة ، لأنه خالف ترتيب السادة وما درجوا عليه ، فكأنه مراغم لهم ، وما جعل الشيخ أبو بكر بن سالم الحضرة إلا ليحتمع الناس ساعة ، ويذكرون الله ، ويدعونه ، ويقرأون مولدا لحصول البركة بالاجتماع ، ومن سرح بعدما حضر الحضرة^(٢) فله نصف زيارة ، ومن نفر^(٣) فله زيارة تامة ، فرمما شيء من الأمور الإلهية ، مرتب على ما رتبته السادة .

وذكر رضي الله عنه شيئا من فتوح العارفين ، فقال : ومن دخل الأربعينية ، قد يرى لدوران الأفلاك وحركاتها لذة عظيمة ، فرمما رأى شيئا يفزعه ، ومثل هذه الأشياء لا ينبغي طلبها ، لأن في طلب تحصيلها خطرا ، بل الأحسن أن يتركها ، وهي تأتي من حيث هي تكون ، وقد أدركنا الناس متعلقين بهذه الأشياء ، فيقولون : فلان دخل الأربعينية ، وفلان خرج منها ، وفلان حصل له كذا ، وأما اليوم فصار الناس في عالم آخر ، إنما يقولون : فلان سافر إلى كذا ، وفلان جاء من المكان الفلاني .

وذكر رضي الله عنه ذات ليلة الناس وقلة حصول الغيث لهم ، مع كثرة دعائهم بذلك ، فقال : إنما منعوا الإجابة لكثرة ذنوبهم ، والأمر لا ينسجم إلا بالأمور الخلقية^(٤) ، والأمور الحقيقية^(٥) جميعا ، وإذا حصلت التي من الخلق ، حصلت التي من الحق ، وأمور الخلق أجسام ، وأمور الحق أرواح ، فهل تستقيم أجساد بلا أرواح ، ولما كان ذلك كذلك احتاج الخلق إلى الأكل والشرب ، ولم تحتج إلى ذلك الملائكة ،

(١) أي ليلة ١٤ في الشهر الحرام.

(٢) أي يوم ١٤ الحرام.

(٣) أي ليلة ١٥ الحرام.

(٤) وهي الأعمال الصالحة الحرام.

(٥) القنطرة الإلهية الحرام.

ثم قال نفع الله به : ومن عظيم لطف الله أن جعل الحسنه بعشر أمثالها ، والمسيئة مثلها ، وجعل كاتب الحسنات وكيلًا على الذين يكتبون السيئات ، وهذا من سر كون رحمته تعالى سبقت غضبه .

وذكر : إن سليمان عليه السلام أرسل بعض الشياطين إلى موضع ، وأمر آخر بأن يتبعه ويعلمه بما يقول ، فمضى معه ولم يسمعه يتكلم ، إلى أن مر بسوق ، وفيها كثرة من الناس ، ملتهين ببيعهم وشرائهم ، فوقف ورفع رأسه ، وقال : سبحان الله ، ووضعوه وقال : سبحان الله ، فأخبر سليمان بذلك فسأله عن ذلك ، فقال تعجبت من هؤلاء الفوقيين ، وسرعة ما يكتبون ، ومن هؤلاء التحتيين ، وسرعة ما يملسون ، وقد مرت هذه الحكاية في أول المجموع ، فانظر حال سليمان عليه السلام ، وما أعطي من الوحي والنبوة ، ما علم الحال من هذا ، حتى سأله عنه ، ليعلم أن علم الغيب مختص بالله تعالى ، ومن ادعى أنه يعلم الغيب ، يكذبه الله تعالى لأنه ادعى شيئاً لم يدعه الأنبياء ، وكذلك موسى عليه السلام ، عندما يكلمه الله ، إنما يحضي إلى طور سيناء فيغشيه عند ذلك بالمسكينة ، فيعلم خطاب الله ، إلا أن كلام الله له على قدره ، وليس خطاب الكلیم ، كخطاب الحبيب عليه الصلاة والسلام ، فإن الله كلم موسى عليه السلام في الأرض من الشجرة ، وكلم نبينا محمداً ﷺ في السماء بين قاب قوسين أو أدنى ، فانظر الفرق بينهما .

وقال رضي الله عنه : صاحب العادة لا بد فيه شيء من الحقيقة ، إلا إنه ضعيف ، والعادة فيه أقوى ، وصاحب الحقيقة لا بد أن تكون فيه عادة ، إلا إنها ضعيفة ، والحقيقة فيه أقوى ، وكلما قويت الحقيقة ضعفت العادة ، حتى ربما يتوهم فقدها ، ولا يمكن أن تفقد بالكلية ، وإنما تضعف ، فكلما قويت إحداها ضعفت الأخرى ، والإضافة إلى أحدهما بحسب الأغلب والأقوى ، لأن من أكثر من شيء

عرف به ، ومن عُرف بشيء نسب إليه .

وحضر بين يديه رضي الله عنه ذات ليلة رجل ، فبكى وكأنه متشمم لشيء ، فقال له : البكا إنما هو للنساء ، والرجال إنما تبكي قلوبهم ، والأحوال لا تحصل بالبكاء ، إنما تحصل بالمجاهدة .

ثم قال نفع الله به مخاطباً لجملة الحاضرين : لا بد للأولياء من أحد خصتين ، فممنهم من يحفر على كنز ، وممنهم من يتعلق روحه بالعرش ، لا بد من أحد هذين ، ومن الأولياء من لا يحمل حاله إلا أربعون رجلاً ، وممنهم من يقسم حاله على ستين ، ثم قال لذلك الرجل : ابق على حالك ، وهو يأتيك نصيبك من الكتاب .

وقال رضي الله عنه : الشيخ أبو يعزى المغربي ، والشيخ أحمد البدوي في المقام الموسوي ، عليهما هبة وجلالة ، حتى إن الشيخ أبا مدين لما أتى إلى أبي يعزى ليأخذ منه الطريق بمجرد رؤيته له غشي بصره ، وهذا معنى كون السولي في مقام النبي ، فيكون مشابهاً له في الدرجة الأولى ، وإلا فلا يقام الأولياء في مقام الأنبياء ، وأكملهم من يقام في المقام المحمدي ، ويكون كرامة كل ولي مثل معجزة ذلك النبي ، وأعظم معجزة لنبينا ﷺ القرآن فمن كان في مقامه ، فيكون قائماً على حكم الكتاب أو كما قال .

وقد ذكر الشيخ عبدالقادر^(١) باعشن ، لسيدنا نفع الله به رؤيا رآها وهي : إنه رأى أنه زار بعض الفضلاء ، فرآه متغشياً بغشاء ، وإنه كلمه أولاً ثم رفع غشاه ، فَعُشاه عند ذلك نور عظيم ، حتى لا يكاد يطيق فتح عينيه ، فانتبه وفي قلبه حلاوة لقائه ، فقال سيدنا في جوابه : والرجل هذا يكون في المقام الموسوي ، لأن النور

(١) هو الشيخ عبدالقادر بن عبدالله بن محمد بن أحمد باعشن انتظر مكاتبه الحبيب للمذكور في المكاتبات ٢ : ٢٣١ .

الظاهر كان يغلب على موسى عليه الصلاة والسلام ، حتى إنه بعد رجوعه من المناجاة يتبرقع من شدة نوره ، وقد أقيم في هذا المقام السيد الشريف ، أحمد البدوي شيخ مصر^(١).

وقال رضي الله عنه : ما تعرف الرجال إلا بالرجال ، حتى قال باهارون^(٢) : لو سمعت كرامات الأولياء ما صدقت بها ، حتى رأيت كرامات علي ، دحيم باهارون^(٣) فعرفت كراماته فصلقت بها من سائر الأولياء وكان الشيخ أحمد باجندب يقول : إن دحيم باهارون في مقام الجنيد .

وقال رضي الله عنه : الناس^(٤) يجعلون الصالحين حجة لهم على أنفسهم ، وأهل الزمان يجعلون الصالحين حجة لأنفسهم للذب عن دنياهم فيطلبوا منهم أن يذبوا لهم عنها.

وقال له رضي الله عنه بعض السادة : إن كل ما نقل عنكم من مصنف أو كلام، نقل على وجهه ، من غير اختلاف في ذلك، فقال : لأن صاحب الزمان ينطقه الله بما يوافق أهل زمانه ، ويباشرونه ويرونه ، ويأجلون عنه مشافهة ، لا كمن ينقل عنه ويروى ، وقد مضى أقوام من المشايخ أكبر وأقدم منا ، ما انتفع بهم إلا القليل ، ومن أفارهم أيضا فضلا عن غيرهم ، حتى إن الشيخ عبدالله العيسدروس مع مناداته على نفسه ، ما اشتهر^(٥) من أخذ عنه إلا السيد عمر صاحب

(١) انظر هذا الكلام في الكتابة إلى المذكور في الكتابات ٢ : ٢٢٢ .

(٢) هو صاحب كتاب " أنس السالكين " .

(٣) هو الخليل عبدالرحمن بن أحمد بن علي بن هارون بن حسن بن علي بن محمد جل الليل المشهور بدحيم توفي سنة ١٠٠٠ هـ انظر المشرح الروي ٢ : ٢٨ .

(٤) أي أهل الزمان الأول . اعسام .

(٥) قوله ما اشتهر : عرج به الانتفاع فقد انتفع به كثيرا . اعسام .

الحمر^(١) وكذلك الشيخ أبو بكر بن سالم ، مع أنه متأخر .

ما قال في كثرة من انتفع به

وسمعت سيدنا نفع الله به غير مرة يقول : الذين انتفعوا بنا أكثر ممن الذين انتفعوا بالشيخ عبدالله العبدروس ، فقيل : ولا أولادهم؟ ، فقال : ما عليك ، أما في الأولاد ، فيتبعون لا عذر لهم ، ولو في غير الحق ، لأجل القرابة ، ألا ترى إلى بني هاشم وبني المطلب ، كيف حبسوا أنفسهم مع النبي ﷺ في الشعب ، ولو حارب أحدا قاموا معه ، وهم مع ذلك على الكفر كل ذلك بسبب القرابة ، فاتباع الأولاد ونحوهم ما يستكثر ، فما الذي منع أن لا يكونوا نحو العشرين من آل باعلوي أخذوا عن الشيخ عبدالله أقل الحال .

ومرة ذكر مثل هذا ثم قال : ولو جلس مثلاً رجل من غير الأشراف للتدريس من آل بافضل أو غيرهم ، لما استنكف الأشراف من الحضور عنده^(٢) .

ما قال في باجابر

قلت : فلم كثر الملبسون والآخضون من باجابر لما دخل ترم ، في مدة ثلاثة أيام ، فأخذوا عنه ما لم يأخذوا من الأشراف . فقال نفع الله به : لأنه دخل بإشارة شيخ البلاد ، وبالضمانة ، يعني الشيخ أحمد بن علوي باجحدب ، وقوله بالضمانة :

(١) هو السيد عمر بن عبدالرحمن بن محمد بن علي بن محمد بن أبيه الطيب اللقب عرف بصاحب الحمراء لكونه بلدة تحت فتح لسمى الحمراء . توفي سنة ٨٨٩ (انظر المشرح ٢ : ٢٤٠) .

(٢) تكرر مثل هذه القولة فيما سبق .

إنه ضمن له اثنان من السادة ، أحدهما من أهل الظاهر ، السيد محمد بن حسن بن الشيخ علي بن أبي بكر ، والآخر من أهل الباطن ، السيد أحمد بن الحسين بن الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس ، وإنه لا يمكث أكثر من ثلاثة أيام ، لا يزيد عليها ، وأمره أن يبقى في مسجد بروم المدة المشروطة ، ثم عند تمامها خرج مسرعا إلى بلده عندل .

وقال رضي الله عنه : أهل الزمان إنما هم على التشبه والرسوم ، ومن تشبه ولا معه شيء من الدعاوي الكاذبة فهو على خير ، وإلا الأشياء التي تذكر عن الأولين قد طويت ، إلا إن كان في الزمان حيايا ، ولله تعالى أخلاف ، ما زال الدين قائما والبيت قائما لا بد منهم ، ولو أنهم حتى في القفار ، ما ترى هنا القرآن يرفع ، والدين يرفع ، فهذه مع البقايا وإن اختفوا ، وما المؤمنون إلا سابق ومسبق ، والمؤمنون على خير ، من لقي الله مؤمنا دخل الجنة ، أو عليه شيء من الذنوب أدخله الله النار بقدر ذنوبه ليظهره ، والناس بالنسبة إلى الله أهل تقصير كثير ، وإن فعلوا ما فعلوا ، فإذا كان النبي ﷺ يعترف فكيف بغيره ، وأنت أعبد الله بقدر ما عندك من العلم والنور ، واترك الاغترار والتعلق بصالحين قد مضوا كما يفعل كثيرون ، فالذين اعتمدوا عليهم ، لأي شيء لم يتركوا العمل ، وفي مجلس آخر قال : كأنهم يظنون بأنفسهم أنهم خير منهم ، فإنهم لم يبلغوا ما بلغوا إلا بالعمل ، وهؤلاء يريدون أن يبلغوا بلا عمل .

وقال رضي الله عنه يخاطب رجلا من الحاضرين : والإنسان ينهى ولا ينأى ، بل إذا نهيت وهناك خير إلزمه إلا من يرد الدين أو يعترض على أهل الدين فلا تخض فيه بل اتركه ، فإنه كالذي يريد أن يرمح ، ومن الناس من لا يمكنك أن تجذبه إلى الخير إلا بترغيب في الرياسة ، بأن تقول له : أنت فلان ، ومن رآك تفعل هذا

سقطت من عينه ، أو إن لم تفعل كذا استحقرك الناس ، قال ذلك الرجل : لا تسروا علينا ، فإن السكوت عن هذا أقرب إلى الأدب ، قال : لا بأس بذلك فإنك تحيي الذاكرة وأنت كالصائد ، ونحن ما نحاي ، إذا كان المجلس وقت فسحة ويحسن ذلك تكلمنا ، وإلا قلنا له : اترك الكلام إلى وقت آخر .

وقال رضي الله عنه : الزمان زمان نكد وتشويش ، لا تكاد تسمع إلا ما يسوء ، وقد كانوا^(١) إذا أبحروا بشيء تتقدمه أشياء ومقدمات تسهل ذلك ، وأما اليوم فيحك الأمر^(٢) ، وكان الصالحون في أحوالهم كلامهم إلا في الآخرة ، تشوقهم يتعاطون أموراً ما تدخل تحت طاقة البشر ، وانظروا في معرفة القضاء والقدر ، وهؤلاء لا يعرفون القضاء والقدر ، ولكنهم لا يسيرون كصبرهم ، طبع البشرية .

وقال رضي الله عنه : ما الإنسان إلا ضايق من الدنيا ، فإنه لا يرى ولا يسمع إلا ما يكره ، ولو كنت في صفا وطاعة ، شوشوها عليك ، وهذا زمان صبر ، القوي فيه ضعيف ، ولا مساعد هناك .

ما قال في الصغار وتربيتهم

وذكر رضي الله عنه الصغار يوماً فقال : الله الحافظ ، ولكنك مؤاخذ بالاستطاعة ، وعندنا^(٣) يقولون : الصغير إلى سبع سنين هو في رقة أمه ، وقد سقط صغار من سطوح عالية ، ولا يضرهم شيء بلطف الله ، والفصل في هذا أن تكلف ما كلفت على قدر وسع الدائرة ، وما دخل تحت الأقدار فذاك بحر واسع لا تدخله ، فلا

(١) أي : فيما سبق من الزمان بالهمز .

(٢) أي : من غير مقدمات له بالهمز .

(٣) أي : في تربيتهم بالهمز .

مدخل لك فيه .

وقد قال سيدنا علي : القَدَرُ بحر واسع فلا تلجه .

وقد سأل رجل بعضهم عن القَدَر ، فقال للسائل : هل خلقت لِمَا أَرَادَ أَوْ لِمَا أَرَدْتُ ؟ ، فقال : لِمَا أَرَادَ ، قال : فيستعملك أيضاً فيما أَرَادَ ، لا فيما أَرَدْتُ ، ولا يحصل للداعل فيه إلا الاحتجاج للنفس على الرب .

وأعبر رضي الله عنه بصبي صغير أنه يريد الحج في تلك السنة ، فقال له نفع الله به : لا نفع هذا العام ، وصحح أولاً أركان دينك التي هي عليك أَلَزَمُ من الحج ، فصحح صلاتك وزكاتك وصومك ، فإذا صححت هذه كما ينبغي ، فأتها بالحج ، لأن الحج إنما هو تكميل للأركان ، قال الله تعالى للنبي ﷺ وأصحابه ، بعد ما تمت حجتهم : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ }^(١) فمن لا يصحح الأركان الأول ، ولم يأت بها على الوجه الأكمل ، فما يصنع بإتمامها قبل إحكامها .

وقال رضي الله عنه لرجل شكاً إليه : لا تَدْعُ علي من ظلمك ، فإنك إذا دعوت عليه انتصرت لنفسك ، وإلا عاد دعاؤك عليك ، ولكنك ادع له بالصلاح والهداية للصواب ، وأن يؤمنهم في أوطانهم ، ليعود دعاؤك لك .

وذكر رضي الله عنه أحوال أهل الزمان في وضوئهم وصلاتهم ، فقال : لو أمسكت برأس الرجل في صلاته حتى يطمئن في الركوع والسجود القَدَرُ الذي لا يد له منه ، ما صلى الصلاة الثانية إلا باطلة ، فيأتي بها باطلة عمداً ، وسبب ذلك عدم الرغبة ، وإذا لم تكن رغبة ولا لذة ، كيف يأتي بها كما ينبغي ، فيبغي ويحتاج أن يُعَلِّمَ فضيلة الصلاة والوضوء ، ليرغب في ذلك ، فيحصل له في فعل ذلك

(١) سورة المائدة ، الآية ٣ .

رغبة ، وكانوا يأتون^(١) بذلك ، وقلوبهم مفتوحة راغبة في الخير ، ويربون صغارهم على ذلك ، يعلمونهم إياه ، وأما هؤلاء^(٢) ، فلا يعلمون صغارهم إلا الرغبة في الدنيا ومحبتها ، والصغير إذا فسد باطنه ، بأن تأمل أحوال الدنيا أو النساء أو نحو ذلك ، فلا^(٣) كالدمل إنما ينتظر افتتاحه^(٤) فلا ينبغي أن يكون في المجالس التي لا تنبغي من أسواق ، أو مجالسة المبطلين ، ويعود ثمر هذا شوكا ، وإنما ينبغي أن يكون ملازما لمجالس الخير كالمساجد وأماكن القراءات ومجالس الصالحين .

وقال رضي الله عنه لرجل : الله لله في الهمة والصبر ، فإذا لم تَج الدنيا إلا بالصبر ، فالأخيرة أولى .

وقال لأخر : عليك بالصدق ، واتباع الشريعة ، والشريعة كالبحر من طبعها الإغراق كالبحر ، فينبغي للإنسان أن يتطرف وإلا عشي عليه الفرق .

ما قال في الخمول

وقال رضي الله عنه : كانوا يحبون الخمول والخفا ، مع وجود الشيء ، وهؤلاء يحبون الظهور والشهرة بلا شيء ، لكن بماذا يظهر^(٥) ، أحبب الدنيا والتنافس عليها ، وكان سادتنا آل أبي علوي ما طريقهم إلا الخمول ، حتى إن الفقيه المقدم كان يحمل السمك من السوق ، فيمر به على المجالس ، فإذا تعدى عليهم أعطاه أول من يلقاه من الفقراء ، وأول من سمى منهم شيئا الشيخ عبدالله بن علوي ، وكان يقضب

(١) أي أهل الزمان السابق . اهـ .

(٢) أي أهل هذا الزمان . اهـ .

(٣) أي : فلا ترجوه . اهـ .

(٤) فمثل البضة : فضحها .

(٥) في (ج) : يظهرهون .

إذا قيل له يا شيخ ، ويقول للقائل الشيخ أبوك ، وكان شيخاً في الحقيقة ، شيخاً في العزم والنسب والسن .

وقال رضي الله عنه : كل الأشياء بَعَثَ ميزان ، ولهذا كثر ذكر الميزان في القرآن .

وذكر رضي الله عنه أقواماً سافروا ، فقال : فرحتهم عند سفرهم كفرحتهم عند مجيئهم ، لأن أمور الدنيا كنها موزونة ، ولهذا كثر ذكر الميزان في القرآن ، وهو معرفة مقادير الأشياء ، بأن تقابل الخير بالشر ، أو بالخير ، لتعرف قدره .

وتكلم رضي الله عنه ليلة الخميس في ١١ ربيع أول سنة ١١٢٥ ، فذكر أقواماً دخلوا في الطريق ، منهم من هو من أول عمره . وحصل له التجرد التام فنقد ، ومنهم من هو في آخر عمره ، ولم يحصل له هذا التجرد ، فلم يحصل له منها كالذي قبله ، وقد قال الإمام الغزالي بعد كمال حده واجتهاده وبعد ما سأل : لم يحصل لي منها مثل ما حصل لمن لم يتعلق بالعلوم الظاهرة ، لأن شرطه أن ينسأها ، ويتجرد القلب عنها ، ولهذا إن الإمام الرازي لما كان معنأ فيها لم يبلغ أقصى من هذا الأمر ، ولعدم التجرد الكلي من الدنيا لأنه كان صاحب ثروة . ثم قال نفع الله به : لا أحسن للإنسان في هذا الزمان إذا أراد سلوكها من تصحيح أصول التوحيد ، وفعل الواجبات وترك المحرمات ، والإتيان من السنن على مقتضى الكتاب والسنة ، من غير أن يتعداها ، فإذا ألمرت له هذه الأشياء حصل له خير كثير ، وأما أمور المكاشفات فلا تنبغي في هذا الوقت ، ولو ظهرت فيه على أحد تأسف عليها ، وممن أهلكا لم تكن ظهرت له ، لأنك لو كشف لك عن أحد مثلاً ، أنه يفضك ويشتمك ، كيف تفعل معه حل تقوم تضربه ، لا ، بل السر أحرص ، فقد كان بعض الصالحين ، ارتاض كثيراً فرأى جماعة واردين على ماء ، فرأى بعضهم على صورة كلب ، وبعضهم على

صورة خنزير ، وغور ذلك ، فأظهرهم الله له على صورهم للعنوة ، فسأل الله أن يستر ذلك عنه ، ومن لا يمكنه إذا أشرت إليه بكلمة سر أن يكتمها بل يضيق صدره منها ويفشيها ، لا تظهر عليه هذه الأشياء ، لأن سترها واجب ، وشرط من أكلها أن يسترها . قلت : فإن كان في غو طعام ، إنه حرام أو شبهة لتركه كان في هذا فائدة ، فقال : لست بمكلف بما لا تعلم ، فإذا كان كله حرام ، هل تجلس بلا أكل ، وفي هذا توسعة من الله تعالى .

وقال رضي الله عنه : مثل الإنسان في الدنيا ، كمثل رجل في بيت يُحذَفُ^(١) بالحجارة فيحاف عليه كل حين أن يرضخ رأسه ، فسبحان الله كيف يقر الإنسان وهو كل حين يشيع ميتاً ، وكل الناس مجمعون على أن الدنيا فانية ، وكل الملل مجمعة على ذمها ، وكل الأمم التي بعثت إليها الملل مجمعون على محبتها ، ولعل ثلث القرآن جاء في ذمها ، وأبلغ آية في الترهيد فيها ، قوله تعالى : { وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً } إلى قوله : { لِلْمُتَّقِينَ }^(٢).

حكاية الطبيب

ثم ذكر حكاية : إن رجلاً من أهل المشرق أصابته علة شديدة ، فطلب طبيباً ماهراً ، فدل على طبيب نصراني في جهة المغرب ، وإنه لا يمكنه أن يداويه إلا هو ، فمضى إليه ، وإذا به يعني الطبيب علة شديدة ، ولم يداو نفسه منها ، فقال: لو هذا

(١) يذف : يرمى .

(٢) الآية : { وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجِئْنَا بِهِنَ الْكَفُّرِ بِالْحَقِّ يُبَوِّغِهِمْ سَقًّا مِنْ فُسْجٍ وَسُجُجٍ فَلْيَسَّرْ لَهَا تَجَرُّبُونَ (٣٣) وَلِيُبَوِّغَهُمُ انْبَوَاءَ وَسُورٍ عَلَيْهِمْ يُكْتَلَبُونَ (٣٤) وَخَرَفُوا وَأَنْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا نَقَاحَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَشَدُّ رَمَقَهُ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥) } من سورة الزمر .

طبيب لداوى نفسه ، وأراد أن يرجع ، ثم قال : لما إني عنيت له أنظر ماذا عنده ، فذكر له علته ، فقال : لا أدأويك إلا بنصف مالك ، وكان ذا مال كثير سار به معه ، فأبى أولا ثم رضي لما لم يجد بدا من ذلك ، ولم يسأله الطبيب حينئذ عن اسمه ، فدأواه وصح لكن بقي أثر من تخشيف ، فقال : هات المال ، فقال : هذا ما طاب فقال : ليس هذا علي إنما دأويتك بقدر ما أعطيتني ، فإن أردت أن أدأوي هذا ، فأعطيني نصف ما بقي من مالك ، وهو الربع فأعطاه ودأواه ، وصح ، وأراد الانصراف فسأله الطبيب حينئذ عن اسمه ، ومن هو وما دينه فأعلمه ، وقال : ديني الإسلام ، فقال : من أعلمكم به ، فقال : بعث الله إلينا نبيا صفة كذا ، وعلمنا الدين والإسلام ، فقال : ما أغيركم نبيكم إنك ستموت ، فقال : بلى أخبرنا إن كلا ميت ، وإن الدنيا فانية ، وإن الآخرة باقية ، وهي خير وأبقى ، وكان هذا الطبيب عاقلا ، فقال له : أنت مع إيمانك وتصديقك بما أغيركم به نبيكم ، تحب الدنيا وتحب طول البقاء فيها ، وتحب المال ، حتى أتيتني من مسافة بعيدة تطلب صحة بدنك ، وبذلت فيها مالك ، وأراك حريصا ، وهو^(١) مع كفره لما جربت الدنيا ، وعرفت أنها زائلة زهدت فيها ، فهذا بدني عليل مادأوته ، وهذا مالك الذي أعطيتني خذه مني ، فلا أريده ، وسر عافاك الله ، إنما أردت أن أختبرك .

ثم قال سيدنا نفع الله به : والدنيا فانية بكل حال ، إما ولت عنك ، وإما وليت عنها ، وكثيرا ما سمعته نفع الله به يقول : من عرف الدنيا زهد فيها ، ولو كان ما يؤمن بيوم الحساب .

وقال رضي الله عنه : محبة الدنيا كلها سوء إن كان ذلك من مسلم أو من

(١) أي : نفسه .

كافر ، وإن اختلفت الزمة ، فالكل مذموم ، وهم سواء في الذم ، لأنهم اشتركوا في حجة العاجل وهو مذموم في جميع الشرائع .

وقال رضي الله عنه لرجل من أهل بلدة شيام حين استودع منه : الحذر تغبط أهل الدنيا ، وتودي أن تكون مثلهم ، فتحاسب في الآخرة حساب الأغنياء وأنست ما معك شيء ، وأنشد في لسان حال للولود في صياحه حين يوضع :

لما تؤذن الدنيا به من همومها يكون بكاء الطفل ساعة يوضع
وإلا فمما يكيه منها وإلها لأهون مما كان فيه وأوسع

ما قال في الذي يضيق من القراءة

وقال رضي الله عنه : إن أهل الزمان في قلوبهم شياطين ، ولهذا يضيقون من قراءة القرآن ، والجلوس في المساجد ، ولولا ذلك ما ضاقوا ، ألا ترى إلى المصروع الذي دخله الشيطان ، أو قال الذي فيه الجن ، إذا قرأت عليه القرآن كيف يصيح .
وقال رضي الله عنه : أهل الزمان ليس في أجسامهم قلوب ولا أرواح ، إنما فيها نفوس شيطانية ، ويعرف هذا بحركاتهم الظاهرة ، لأن الأمور الغيبية لا تعرف إلا بالحركات الحسية ، على مقتضى ما تدعو إليه ، وعلى لسانها ، كما يتكلم للدخول من الجنان على لسان الجن الذي فيه .

ما قال في العدل بعد المائتين

وقال رضي الله عنه : سئل بعض السلف عن شيء من العدل يكون بعد للمائتين؟ فغضب وقال : كيف يكون ذلك ، وقد قال النبي ﷺ : ((من استطاع منكم

بعد المائتين أن يموت فليمت)).

ثم قال سيدنا : رأينا في حديث مشهور ، أنه تخرج شياطين بعد المائتين كان حبسهم سليمان عليه السلام ، فيطلقون حينئذ ، ويحدثون الناس بما لا يعرفون ، فيأخذون بما يقولون لهم .

ما قال في النفس

وقال رضي الله عنه : لا تأمن نفسك وتطيعها ، وقدك معها على شفا ، فتهلك أنت معها ، ولا يدعي القوة عليها إلا مغرور . وما معنى قولهم ظلم نفسه مع أن نفسه هي التي ظلمته ، لكنه حيث يفعل الأسباب التي تقوده بها وتحبثها له .

ومرة قال : لا تأمن نفسك في الأمور التي بينك وبين الخلق حتى تتحقق صدقها في الأمور التي بينك وبين الله ، فإنها إذا لم تصلح وتصدق فيما بينها وبين الله ، فلا شك في عدم صدقها فيما بينها وبين الناس .

وقال رضي الله عنه في وصف الرجل من أهل هذا الزمان : إنه لا صدق فيه ولا تقوى ، فلا يصدق بوجود أحد فيه صدق وتقوى لعدم ذلك فيه ، وإقدامهم على الحرام بضاهي إعراض الأولين عن الحلال ، لأن الأولين أعرضوا عن الحلال احتياطاً للسلامة ولا بالوا ، وهؤلاء وقعوا بالقصد في الحرام ولا بالوا ، ومثلهم كالسهرار في بعض الأماكن إذا شمت ريح اللحم هاجت ولم تمتسك ما لم تأكل منه ، حتى يدهنوا فمها بقليل من السم ، فتسكن عند ذلك قليلاً .

وقال رضي الله عنه : الإفراط في محبة الدنيا يغير العقل والدين ، لأن طبعها الإسكار .

وقال رضي الله عنه : لو مكنتنا الناس من أموالهم ، أخرجنا منها ثلثها يرضاهم ،

لأنه لا يمكن دفع ما هم فيه عنهم من الشدائد والمصائب إلا بذلك ، لأنها لم تحصل عليهم إلا بسبب الأموال ، يتحاسدون عليها ويتنافسون فيها ، وتضعها في أرحامهم وأقاربهم ، إذ الإنسان منهم يبات قريبه جائعا وهو يقدر أن يشبعه فلا يفعل ، وإذا تأملت أفعال الفقراء ، رأيتها أحسن من أفعالهم ، وقد كان أهل الجاهلية إذا وقعوا في شدة ، جمعوا أموالا ، وقالوا دعونا نرضي ربنا ، فإنه سحق علينا ، حيث أوقع بنا ما وقع ، ثم يفرقونها على المحتاجين منهم والأقربين ، هذا وهم كفار ، وأما هؤلاء أهل الزمان ، إذا وقعوا في شيء تكالبوا على الدنيا وبخلوا ، وجعلوا يقبحون الأولياء والصالحين ، الأحياء منهم إن كان أحد ، والأموات ، وقالوا أصابنا ذلك فلم يحمونا منه .

وقال رضي الله عنه : سبحانه الله العظيم ، في صلة الأرحام عاصية في غما الأعداد ، وفي غما الأموال ، ولو كان ذلك من كافر .
وقال نفع الله به : هذا آخر الزمان ، والناس في دهليز القيامة ، إلا أنه سبحانه ، تفرد بعلمها ، والناس اليوم في علاماتها .

وقال رضي الله عنه : من الناس من أعطاه الله كمال الروح ، وهو الذي عليه العمل ، ومنهم من أعطاه الله كمال الجسم فقط ، وهذا ناقص ، ومنهم من جمع الله له كمال الروح والجسم ، وهو النهاية والغاية . وذلك لأن الله أراد أن يعمر بهم مراتب الوجود ، وكثر أهل الأجسام لعمارة الدنيا بهم ، ولا يتم الكمالان إلا لمن أهله الله للإرشاد ، وجعله داعيا إليه ولذلك لا يحصل إلا للأحاد من الناس .

وقال رضي الله عنه : أهل الحق لا يزالون يتوارثون ، أو قال يتواترون ويمسترون ، إلى أن يخرج المهدي ، وهم سر باطن إلى الله ، حتى منهم من يرى

كصفة المجانين وغيرهم بخلاف الجهال والعامة^(١) .

ما قال في الأمانة

وقال رضي الله عنه : من الحيانة في الأمانة ، أن يحدث بما وصاحبها لا يرضى بذلك ، وما زالت حيانة خفية فهو منافق ، فإذا ظهرت كان فاحرا ، فالخفاء نفاق ، والظهور فجور ، وعند عدم العدالة والأمانة تسقط الثقة به ، وبكذبه تسقط الثقة بقوله .

وقال رضي الله عنه : كثير من المنكرات العادية ، والمنكرات الدينية ، لو قدرنا على إزالته لأزلناه ، وما بقي من السنة مع ما حصل من الحوادث إلا كقدر الملح في الطعام .

وقال رضي الله عنه : ذكر الإمام الغزالي : إن العلم الذي هو نتيجة العمل ، وميراث التقوى أفضل من هذا العلم ، لأن ذاك هو الأصل ، وهذا وسيلة للعمل الذي يتجده ، والعالم بهذا العلم ربما جرى العامة على ارتكاب النهي ، إذا رأوه يعمل على خلاف علمه .

وقال رضي الله عنه : ذكر الإمام الغزالي رحمه الله : أنه لا فضل للعلوم العملية على العمل ، إلا من حيث التعدي ، فإن لم يتعد ، فالعمل أفضل منها ، وإنما يكون الفضل لجرد العلم فقط ، إنما هو في العلم بالله ، الذي يفيد العمل الصالح ، أي الذي يحصل بسببه .

وقال رضي الله عنه : أصلح الصالحين ، من لا يرى أنه من الصالحين^(٢) .

(١) أي الذين يشبهونهم فلا سواهم .

(٢) أي : مع أنه منهم .

وذكر رضي الله عنه أهل الغفلة ، فقال : من كان منهمكا في محبة الدنيا ، إذا وضع في قبره ، ومكث نحو ساعتين تنبه ، وقال : هل أنا مت؟ ، من شدة غفلته .
وقال رضي الله عنه في حديث^(١) : ((الرجل يطول السفر أشعث أغبر يمد يديه)) ، الخ : إن هذه للذكورة في الحديث كلها مما يقتضي إجابة الدعاء ، إذ ورد : ((أن دعاء للمسافر مستجاب)) ، و : ((كم من أشعث أغبر ذي طمرين ، لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبر قسمه)) ، ولكن مع أكل الحرام لم تنفعه تلك الأشياء في حصول الإجابة ، وإذا لم يستجب دعاؤه لذلك فكذلك صلاته .

وقال له رضي الله عنه رجل من السادة : ادعوا لنا ، فقال نفع الله به : أنتم ادعوا لنا فإنكم عادكم خفاف ، وأما صاحب القافلة المحملة والسقينة المشحونة ، فإنما يسأل الدعاء من غيره ، وقد كان المشايخ المتقدمون ، إذا بدت لأحدهم حاجة ، سأل الدعاء فيها أحدا من المريدين .

وذكر رضي الله عنه : صحيح البخاري ، فقال : إنه لم يعرف إلا من غيره ، فإن بعض العلوم يعرف من نفسه ، وبعضها إنما يعرف بمعرفة غيره ، كالإحياء حيث قال مصنفه ، إنما وضعت لسماسة العلماء ، من السمسرة ، التي تجمع الأمتعة ، وسمي الدلال سمسارا لما يجتمع عنده من الأمتعة .

المرأة لا تكون بدلا

وقال رضي الله عنه : الصالحات من النساء تكون في مرتبة الأبدال ولا تكون بدلا ، وقال مرة : لا تكون المرأة قطبا ولا بدلا ، وإنما امتنعت سلطنة الزبيدية من

(١) أخرجه مسلم كتاب البر والعبادة الباب ٤٠ رقم ١٣٠ .

الزواج بعدما عطيها أناس من السادة ، لأن الصالحين ما يحبون أن يدخلون^(١) في حكم
الملك والقهرة ، لأن في التزوج حقوق^(٢) كثيرة تصيرها كالمملوكة ، فلعل هذا هو
للمانع لها من ذلك.

ما قال في القرآن

وتكلم رضي الله عنه يوماً في الفهم في الكتاب العزيز ، فقال : إنه غبن فاحش
أن يموت الإنسان وما عرف شيئاً من أسرارهِ وعجائبهِ ، وهذه الأشياء إنما تحصل
لأقوام قد أعطاهم الله في أصل الفطرة قريحة وقادة ، وعقلاً صافياً ، ثم إنهم أزالوا
كلورات العقل باختيارهم^(٣).

وقال رضي الله عنه : إن اتسع لك النظر بنفسك فانظر أنت ، وكل أمر يشكل
عليك فهو في القرآن ، وإذا لم يظهر لك شيء ، فابق على الطريق المسلوكة لمن
قبلك ، ولا تَتَّبِعِ الطَّرِيقَ فَتَضِلَّ ، وهي السبل التي قال الله : { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي
مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ }^(٤) الآية ، فكل طريق ماتعرفها لا تبحثها ، إلا إذا تغلقت عليك
الطرق ، فإذا كان كذلك بقي في الحيرة ، ومثل ذلك يظهر للإنسان في القبور ،
فإذا قيل له : كيف ما علمت أحكام الصلاة ونحوها ، قال ما أحد علمني ، فيقال له
كيف والقرآن عندك ، وقد فصل النبي ﷺ الدين ، ولكن وسَّعَ العلماء بتطويل
الكلام فيه ، والإنسان متَّجِرٌ لنفسه ، وكل الأمور مشروحات في القرآن ، ولكنه
يحتاج إلى البيان .

(١) في (ج) : يدخلوا .

(٢) في (ج) : حقوقاً .

(٣) أي بالريضة بالهضم .

(٤) سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .

وقال رضي الله عنه وذكر العمل بالعلم : إن لم يمكنك تعمل به فتفعل الطاعات ، وتترك النهيات ، فافعل من الطاعات ما تيسر مع العزم على فعل الباقي ، واترك العمل ببعض المعاصي مع العزم على ترك الباقي ، فأنو ذلك فقد يحصل بالنية ما لا يحصل بالأعمال ، حتى يقل تحسره في الآخرة إذا رأى درجات العاملين ، إذ لو ترك جميع ذلك لطالت حسرته . ومعلوم أن من ترك العمل وجلس عاطلا باطلا طال في الآخرة حزنه ، ولا يكون فيه خير ولا بركة ، ولو أنك على أحد في صلاة أو زكاة أو غير ذلك ، وهو متلبس بما أنكره ، فماذا ينفعه علمه ، فتكثر حسرته ، سيما إن انتفع بعلمه غيره ، فهذه قاعدة : إن كل ما جاء به الشرع ، إذا لم يعمل به كله تكثر حسرته ، أو بعضه فأقل من ذلك ، ويجري مثله في أمور الدنيا ، فلو رأى من معه مال كثير فاستقل أن يتسبب ، مثل ما تسبب ، أو كان معه مال فضيعه أو أعطاه من لا يحمد ، فإنه يرجع يسأل أو يتعطل بلا شيء ، فيتأسف على ما صنع ، فما المراد أنه لا يدبر بالكلية ، فإن الزمان زمان سوء ، وهذا^(١) وصف للدبرين ، ولكن يكون مرة كلنا ومرة كنا .

وقال رضي الله عنه : إنما الدين بعد كتاب الله الحديث ، إلا إنه قل من يحفظه اليوم إلا في جهات بعيدة ، وأحد يطلبه لذلك الأمر .

ثم ذكر قول عمر رضي الله عنه ، حيث عني أنه سأل النبي ﷺ عن ثلاثة أشياء منها أبواب الربا والكلالة ، فقال نفع الله به : نعم ، لأن الميراث يصل إلى أفوام مع وجود أقرب منهم ، كما يرث ابن الابن مع وجود العممة ، وليس لها من الميراث شيء ، والأمور الإلهية ما هي على قياس عقول الناس ، ولها أوقعت أناسا قياسات

(١) أي عدم العمل بالعلم .م.م.

عقولهم ، حتى وقعوا في الربا باستحسانهم بيع القهال^(١) من الطعام بقهالين .
وقال رضي الله عنه لرجل : عادك في زمن التحصيل ، ولإتسان مرتبشان ،
إحداها أعلا من الأولى ، إذا وصلها كان ينتفع به ، ومادام في الأولى ، فهو طالس
الانتفاع ، ويمكنه أن يطلب ذلك في كل واحدة منهما .

وأمر رضي الله عنه بعض الزائرين بالتحول من مكان إلى مكان آخر ثم قال :
كانرا يكونون في الدار الواحدة خمس محال وأكثر ، وكانت عيولهم مغضوضة عن
النظر ، وآذانهم ممنوعة من الاستماع ، حتى إن الرجل لا يعرف زوجة أخيه وعمه ،
فأعضاؤهم ملحمة عن للعاصي ، وأما هؤلاء فيطلقون جوارحهم في للعاصي ، ثم
يحملون للعاصي ، ويحملون الشهوات ، بتعلمهم^(٢) من كبار الصالحين .

وقال رضي الله عنه : الشر كالنار ، أو كالبحر يجر بعضه بعضا ، فمن لم
يتورع عن النظر مثلا ، فلا يملك قلبه وفرجه ، وإن قال إنه يملكهما ولم يملك
عينه يكذب ، فمن عجز عن القليل يعجز عن الكثير لا محالة ومن لم يتورع عن
الدرهم الواحد ، فلا يتورع عن العشرة فأكثر .

وذكر رضي الله عنه يوما أهل الدنيا فقال : في هذا الزمان قد ذهبت الدنيا عن
أيدي الأخيار وصارت في أيدي الفجار ، أو قال الأشرار ، والفقراء كالنماع في
البيت ، هو الذي يحتاج أن يحفظ ، والأغنياء كالبحارة ، ولو أقبل الناس كلهم على
الدنيا ، ما استأهلوا أن يحفظوا ، وإنما يحفظ الله خلقه بفقراء وصغار وشبان ، قال
النبي ﷺ : ((إنما ترحون بضعتكم ، وأبغوني فيكم الضعفاء))^(٣) ، وفي أحد

(١) القهال ميكال معروف في حضرموت يقدر بنحو اثني عشر مدا .

(٢) لعل للمع تظهم .

(٣) الحديث في إلف السادة المتقين (شرح إحياء علوم الدين) ١٠ : ٤٣ .

الوجهين في قوله تعالى : { وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ }^(١)
 الآية ، ولولا الضعفاء رحم الله بهم الكافة لأصابهم العذاب .

ما قال في الحِطَاية

وكلمه رضي الله عنه إنسان حَقًّا^(٢)، فقال له : أتعلّم الناس الحِطَايَةَ ،
 وتحسّنون الدنيا ، والذي يحسّن الدنيا أسفل وأخس عند الله من الذين يعمرّون
 الدنيا ، لأن العمران لها قد تدعو إليه الحاجة كالحِطَاية ، وإذا قد ورد ذمّ عمران الدنيا
 فكيف بتحسينها .

وقال رضي الله عنه : يقال إذا أردت أن تعرف حال أحد ، فاسأل عنه أهل
 بيته وأهل خاصته ، لأنه ما يستحي منهم ، ويعاملهم بما يفعل في خلوته ، والولي
 ما يكون مستوراً إلا عند العامة والمحجوبين ، وإلا فهو ظاهر عند أمثاله ، وعند نفسه ،
 والولي ما هم ومطلوبه إلا الخفاء ، وإن أحب الظهور سُلِبَ ، ولا تتبع إلا إن رجوت
 خيراً ، ودع الناس تحت ستر الله ، والأولياء لا يحبون الاجتماع عليهم ، ومن أحسب
 ذلك فعنده شبهة رياء ، حتى إن من أحب كثرة الجمع في جنازته ، فهو مُرَائِي
 طالب شهرته بعد الموت .

وقال رضي الله عنه : لا تُعَدُّ شيئاً من يعدّ نفسه شيئاً ، وإنما الشيء من لا يعدّ
 نفسه شيئاً ، ومن قال : أنا أهل وإن كان كذلك ، قيل له : لست بأهل ، ومن قال :
 لست أهلاً وهو كما قال ، قيل له : أنت أهل ، والطريق الباطنة غمر الطرايق

(١) سورة الحج ، الآية ٤٠ .

(٢) أي يميل في حرفة الحِطَاية وقد سبق ذكرها .

الظاهرة ، هذه شيء وهذه شيء آخر ، كالذي قال : إن الشيخ عبدالقادر ما رأيت له في الملوك شيئا من الأمور ، وروحوا قولوا له ، فكوشف به الشيخ ، فقال له : أنت تدخل من الدرجات السفلى ، وأنا في الدرجات العليا ، فلم ترني ، وإنك ما وقع لك الأمر الفلاني إلا بشفاعتي ، فصدقه حينئذ ، وهذه أمور ينكرها الظاهر ، ولا هي منكورة .

وقال رضي الله عنه : قلة العناية بالشيء أمره مشكل جدا ، ولا يحصله ، وإن كان متأهلا له ، وإنما يدركه بالعناية ، إن ما أدركه في الزمن القليل ، أدركه في الزمن الطويل .

وقال رضي الله عنه : لولا فتنة تكون قبل خروج المهدي ، لأحببنا أن ندركه ، ولكننا نكره حضور الفتن .

ومرة قال : المتردد في الفتنة ، كالذي يتردد ماشيا في الرمضاء ، وسط النهار . وذكر رضي الله عنه رجلا كان بينه وبين آخر شيء ، فقال : إنه سليم بصدق بكل ما سمع ، والأحسن للإنسان اليوم الاحتياط ، خصوصا في هذا الزمان ، فلا يصدق من بمدح ، ولا من يذم ، فإنهم مفتونون ، يصلحون الفاسد ، ويفسدون الصالح^(١) .

وقال رضي الله عنه : لا يقال في النبي ﷺ : إنه انتقل من حالة نقص إلى كمال ، بل هو في الكمال في جميع أحواله ، ومسيرة كله في الكمال ، حتى إنه عند ولادته ولد رافعا بصره إلى السماء ، وحتى مات في الكمال .

(١) أي يذكرونه بالصالح وهو غير صالح . المعاصم . وفي (غ) : أي يذكرونها ضد ما فهمنا .

ما قال في الأمراء

وذكر رضي الله عنه الأمراء وأحوالهم ، فقال : معاد يقوم الأمر إلا بالسيف ، ولا السيف إلا بالعدد وللعاونين ، ولكن الحمد لله جعل الله في الأمر سعة ، فستدراً الحدود بالشبهات ، وإلا لو كان الحكم أن من عمل ما يوجب الحد ، فإذا علمت بفعله ذلك ، اسع في تحصيله وهاته كائنا ما كان ، وإلا فأنت مثله^(١) . ولا عاد تفتش ، فكان إذا فتشت لحقت جواهر ، واليوم إذا فتشت لحقت بعرا ، وهؤلاء البدو الذين يقتلون بالقتيل رجلا من قبيلة القاتل ، فما هم في طيب عيش ولا حياة ، ولو قتلوه بنفسه حصل الأمان ، ووافق الحق .

ما قال في عدم قبول الملوك والأغنياء الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر بخلاف الفقراء

وقال نفع الله به : اسمع ، لا عاد في أهل الملك ولا في أهل المال بركة ، إلا إن كان قليل ، فلا يستثنى إلا فيهم ، وأما الفقراء والمساكين فلو قلت لأحدهم تعال صل وأعشيك ، حاك ولا خالف ، إن لم ينج للصلاة جاء للعشا .

وقال رضي الله عنه : العلم مشتمل على أصول وفروع ، فالفروع ترجع إلى الأصول ، ولا عكس ، وأنت تعمل على ساقيتك وترك العمل على دجلة ، فإنك لا تصل في ذلك ، وإذا عملت على ساقيتك تيسر لك ، وإذا كان معها عشرون ساقية ، فلا تصل فيها كلها ، لأن فيها الكثرة والمالحة ، ولكن العمدة على الورع بالوسط من غير إفراط ولا تفريط ، إذ لا تحصل مع أحدهما ، والأمور تشعبت وتوسعت ،

(١) أي لكان في ذلك تضيق وجرح وملفة على المسلمين . انتهى .

فأين من وقتك إلى عهد رسول الله ﷺ فلا يمكنك أن تطلع إلى طالع الغيلة من هابط^(١) مرة واحدة ، حتى تفرقع مرتين ثلاثا ، ثم يفتحوا لك ، ثم تدخل الضيقة وتجلس ، ثم تطلع شيئا فشيئا حتى تصل إلى الغيلة .

وقال رضي الله عنه : ومن العلم العمل والاتصاف ، والاتصاف أشرف من العمل ، فإذا كنت مثلا تعلم أحكام الصبر وتفصيله ، ثم إنك إذا وقعت بك مصيبة قامت عليك القيامة وجزعت فما نفعتك ذلك ، وكأنك لم تعلم .

وقال رضي الله عنه لرجل يوصيه : لا تقدم على أمر حتى تتفكر فيه ، وآت الأمر الذي تطلبه من وجهه الذي يطلب منه ، فإن من دخل داره أو دارا فيها متاعه من غير بابه أنكر عليه في ذلك ، لا لكونه دخل داره أو أخذ متاعه ، بل لكونه دخل من غير الباب ، وقد تكون أمور مرتبة يقدم بعضها على بعض .

وقال رضي الله عنه : ما عاد للناس هوى في الطاعة ، ولو أنك علمت أحدا مقصرا في صلاته ، أو قراءته ، أو شيء من دينه ، ترك المكان الذي أنت فيه ، وإن علمته في مسجد ترك ذلك المسجد ، فما عاد معك إلا تقيس فعله ذلك بتركه ، أبهما أحسن وأولى ، فتطلب ذلك وتراعيه منه ، ولم يزل الناس يتناقصون ، حتى يبلغ الكتاب أجله ، ولو بقوا على حال واحدة ، لما قامت الساعة .

وقال رضي الله عنه : أمر الخير لا تخليه يضجر بك ، نخذ منه ما استطعت ، فإن النفس تمل حتى في أمور الدنيا إذا أكرت منها فكيف بأمور الدين ، ومن كلام سيدنا علي : إن القلوب إذا أكرهت عميت ، وعمائها عدم رغبتها في الخير .
وقال نفع الله به : الزهد في الدنيا والخلق عنوان الولاية .

(١) هابط يفتح الباب في كلام أهل حضرموت : أسفل .

وقال رضي الله عنه : ينبغي أن يُتوسط بين الخوف والرجا ، لأنه إذا اشتد خوفه انقطع ، ألا ترى لما ذكر النبي ﷺ بعث النار كيف حزع الصحابة ، حتى ذكر لهم ياحوج وياحوج ، ومن قد دعاه الله إلى الدين فهو على خير ، إذ لو لم يُرد له ذلك ، لما دعاه إليه ، ولكن لا يغتر ولا ينهمك في شهوات الدنيا ، فإن أقل الحال يشتد عليه الموت بسبب ذلك .

ما قال في كلام ابن الفارض وابن عربي

ومثل رضي الله عنه عن كلام ابن الفارض ، هل كان السادة متعلقين به ، فقال : نعم لأنه نظم ، والنظم سهل ولا عسر فيه ، وأين الحقائق الإلهية من يقين الموقنين ، فضلاً عن وهم الموهمين ، وهذه الأشياء المشككة تُنزل على الروح والنفس الزكية ، أو ما أُراده القائل ، وكم حد للمخلوق ، ولا بُد فيها ، فإن الإنسان قد يذهل في أمور الدنيا فيشطع ، فكيف بأمور الآخرة ، وأكثر ما يطلقون في تغرلهم على الروح المحمدية أو المقامات العلية ، لأنه عليه السلام مخلوق ، والخطر في المخلوق سهل ، وإن عظمت منزلته عليه السلام ، مع الغاية في تعظيمه واحترامه ، ومن اعترض عليهم فإنما الشيطان لقي له مجالاً في قلوبهم ، فلبس عليهم^(١) ، وألقى عليهم ما هو سبب في الاعتراض ، كما ألقى في قلوب الكفار لما رأى منهم آذاناً مفتوحة لقوله ، حين تلا النبي ﷺ سورة النجم ، فتمثل لهم بذلك القول ، حتى سمعوا من قراءته عليه السلام ، بلا شعور من النبي ﷺ لذلك ولا علم فاعترض لهم ما بين لسانه عليه السلام ، وآذانهم ، وقلوبهم التي أذعنوا بها لعبادة الأصنام أضل من قلوبهم

(١) أي للعرضين ، المعاصم.

التي كذبوا بها الأنبياء ، وكلام ابن الفارض أسلم خطرا من كلام ابن عربي ، لأن هذا نظم فيه تسامح وسلاسة تغطي ما فيه ، وذاك أكثره نثر وكلام غير منظوم ، والنظم فيه نادر بالنسبة إلى النثر .

وذكر رضي الله عنه ابن عربي فقال : شرط العارف ، أن يخضع بكل أضراسه ورحاه وشقيه ، كإبن عربي يتكلم في الحقائق مع مبالغته في تعظيم الشريعة ، ومعرفته في كل علم ، فإن من كان مثلاً يعرف الحرف كلها ، فهو حيك^(١) وصبان^(٢) وحرث وغير ذلك ، جامعاً للجميع ، فيحيته واحد ، ما معه منهن إلا واحدة ، فينكر عليه فكيف ينكر على من هو أعرف منه في فنه فضلاً عن غيره ومن أين يعلم النكر أنه في ذلك غير مغلوب ، ألا حملوا قوله على قول القاتل ، حيث قال لما وجد الراحلة : اللهم أنت الخ ، حيث أخطأ من شدة الفرح ، كما في الحديث^(٣) ، وهذا أيضاً في القول إن صح عنه ، وإلا ففي باطن الإنسان عواطر هي كفر صريح ، والرجل مستقيم في فعله غير مستقيم في قوله ، لأنه إذا سب سبب كالدفع .

ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

وعقيدته وفعله على غاية الاستقامة دون كلامه ، وكلامه أقرب إلى السلامة من كلام ابن الفارض ، لأنه ما يذكر حقيقة إلا ويذكر لها عشر كلمات في الاستقامة ، والخاصل : أن الضعيف لا ينبغي له أن يتعرض للبحور لئلا يغرق فيها .

وأمرني سيدي رضي الله عنه بقراءة "رسالة القدس في مناصحة النفس"^(٤) عليه نفع الله به لابن عربي ، فلما أتممتها قال لي : لا تعد تمر نظرك فيها ، لأن كلامه

(١) أي حائك : نساج .

(٢) أي قصار العساكر .

(٣) البخاري ٨ : ٨٤ ، ابن ماجه ٤٢٤٩ ، أحمد بن حنبل ٢ : ٥٠٠ .

(٤) رسالة في التصوف طبع سنة ١٢٨١ هـ ثم تكررت طبعاً .

مظنة الفتنة ، وإن كان في نفسه في غاية الاستقامة .

وقد سئل بعضهم عن من ينكر على ابن عربي ، فقال : هو جدير بالإنتكار عليه لكن ممن هو فوقه ، لا ممن هو في السناديس ، ولكن النفس تميل إلى كلامه ، وتنفر من الكلام الذي فيه دواؤها ، وبه يحصل لها شفاؤها ، وهو كلام الإمام الغزالي ، لأن من طبع النفس أنها تنفر عما ينفعها ، وتميل إلى ما يضرها ، كما تنفر من قول الطبيب الحاذق الناصح إذا وصف لها الدواء .

أقول : هذا مع ما كان نفع الله به بمدح هذه الرسالة ، ويأمر بمطالعتها ، ويقول : ما في كتبه أوضح منها ، ولا أسلم من الشبه ، ولا أبين للصواب مثلها ، ومع ذلك قال فيها ما قال شفقة منه رضي الله عنه .

ما قال في تنزيل الغزل

وقال رضي الله عنه : لا تعد في تنزيل ما تسمعه من الغزل نفسك ، بل تنزله على روحك أو على الكعبة ، لأنه لا خطر في ذلك ، ولا تتجاوزها إلى النبوة ، فضلاً عن الملائكة ، فضلاً عن الأمور الإلهية ، فإن حد ما ينتهي إليه علم الملائكة سدرة المنتهى ، فيجدون أمر الله عندها ، ولا يتجاوزونها . وقد ورد : إن على جوانب العرش مائتي شمس ، أو قال : مائتي قمر ، ينظمس في كل واحد منها نور الشمس والقمر ، لا يستطيع أكابر الملائكة كجبريل ، أن ينظر إليه ، وهو صورة العرش ، فما ظنك بغير ذلك ، وهذه الملائكة فكيف بالآدمي مع ضعفه .

وقد قالت سيدتنا عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ : كيف رأيت ربك ليلة المعراج يا رسول الله فقال : نور أنسى أراه^(١) .

(١) أخرجه مسلم : ١٦١ والترمذي ٣٢٨٢ وأحمد بن حنبل ١٥٧ .

وذكر رضي الله عنه أناسا صحبوه أول العمر، وقرأوا عليه، منهم من قرأ
 الإحياء، ومنهم غيره، ثم تنفس الصعداء وقال سبحان الله، ما أطول الدنيا وما أقصرها.
 وقال نفع الله به : ما عمدة الإنسان إلا اليقين والصبر ، فإذا حصل له تحمل من
 الشدائد ما لا يتوهم أنه يحمله .
 وقال رضي الله عنه : أمر الياطين إنما هو في لحظة .

ما قال في علماء الزمان

وتكلم رضي الله عنه في علماء الزمان ، فقال : علماء الزمان ضحضاح ،
 وضحضاح من نار أيضا، وعلماء الزمان كحجاج الزمان ، إذ يحجون للصالح
 للأجرة ، فرما حخته للإسلام على هذه النية لا تصح ، ولم يتعلم العلماء العلم إلا
 للدنيا . قال بعضهم في علماء السوء : يوم يذمون الدنيا ويرغبون في تركها، ويرغبون
 فيها ، كأنهم يقولون للناس ، اتركوا الدنيا لنا، نأخذها نحن وحدنا، ومن تعلم علما لا
 يحتاج إليه ولا ينتفع به هو ولا غيره ، فكأن العلم مات في صدره ، فينبغي أن ينظر
 من أول أمره العلم الذي ينتفع به ، وينتفع به غيره ، فيحصله ، ويدع ما سواه، ولا
 أقل في العلم الظاهر من العمل به ، وما مرادنا ممن يقرأ علينا إلا الاستعمال ،
 والانتفاع ، والدعاء ، ونحن ندعو لهم بالاستعمال والانتفاع ، فإن من توضحاً غير
 مرتب ما انتفع بالعلم ، وإن عرف ذلك .

أخذ العلم من المتأهل

وقال رضي الله عنه : يحتاج أن لا يأخذ الإنسان العلم إلا من المتأهل للتعليم ،

ومن أخذ من غير متأهل ، له أن يعمل به في نفسه ، ولا يعلمه الناس ، لأنه يحتاج في تعليمه إلى قواعد ، ولا يمكن إيرادها إلا بالتأهل ، ولا يتأهل له من لم يكن شيخه متأهلاً ، وإن تأهل لبعض العلم دون بعض علمه^(١).

ولما مر وقت الدرس في قراءة الإحياء ذكر أركان المجاهدة والرياضة الأربعة التي بها صار الأبدال أبدالاً ، قال نفع الله به عند ذلك : إن الصوفية أجمعوا فيها ، وأحسنوا بالخط الأوفر منها ، بحيث لا يكاد من يسمع ما نقل عنهم فيه أن يصدق به ، ومن دخل طريقتهم فليأخذ منها بحظ على قدره ، بحسب قوته واستطاعته ، فمن مغل من ذلك ومن مكتر ، وإلا فليكن إلى وصفهم أقرب من غيره .

انظر طلبه أيام بدايته

وقال رضي الله عنه : قد أدركنا في جهة حضرموت من أهل الفضل الأخيار ، أناساً كثيراً أدركناهم ، وتبركنا بهم وزرناهم ، من أشراف وغيرهم ، وأدركنا منهم في كل قرية من قرى حضرموت جماعة ، كشباب والغرفة وسوون ، حتى المسفلة وعينات واللسك والواسطة ، وكنا نتردد لزيارة أهل الفضل ، الأحياء والأموات ، وكان يتبعنا ناس كثير ، فإذا جئنا إلى بلدة طلبونا أي للضيافة ومن لحقنا ، فيلزم من هذا التثقیل على الناس ، حتى وصلنا مرة إلى المجرين ، ومعنا نحو ستين رجلاً ، لكننا بعد قلنا : إن كان أذن لنا في التردد للزيارة ، مثل الشيخ عمر العطاس ، لأنه كان كثير التردد لنا ، تخلينا من جميع من يلحقنا ، وبقيت أنا وواحد الذي بمسك الدابة فقط ، لأجل التخفيف ، ولو تركونا ولم يتعرض لنا أحد بالدعوة^(٢) لما فعلت ذلك .

(١) أي علم من البعض الذي تأهل له . اهـ .

(٢) أي الضيافة . اهـ .

وقال رضي الله عنه : ارفع رأسك إلى ربك ، وعامله ولا تقصر إذا قصر عنك الخلق ، فتكون إنما أنت معامل لهم ، واصفح عن تقصيرهم ، وإن كان يجوز لك مقابلتهم بذلك ، فقد سماه تعالى سيئة بقوله : { وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا }^(١) .

وقال رضي الله عنه : قُوْ همتك وارفعها، واجعلها لله تعالى ، وأخلص نيتك ، وأصلح عملك ، واقصر نيتك على أمرين ، لا تتعداهما : الأول أن تكون جميع أفعالك وحرركاتك وسكناتك وأحوالك ظاهراً وباطناً لله تعالى ، أو فيما هو وسيلة إلى ذلك ، والثاني : اجعل ميزانك في الآخرة ، برجح بما هو لله تعالى على ما هو لنفسك ، لتكون ممن ثقلت موازينه ، فأولئك هم المفلحون ، ومن ثقلت أمور نفسه على ما هو لله ، فأولئك الذين خسروا أنفسهم .

ما قال في طبع النفس

والنفس طبعها طبع اللاء ، إذا سببت إنما تسير إلى أسفل ، لا إلى أعلى ، لكن يمضي عمر الواحد، ما قهر نفسه لله ، ولا قام بحقه كما ينبغي منهم ، بل تركوا حقه وراحوا إلى أمور لا فائدة فيها، لأن الشيطان قعد لهم على الصراط المستقيم ، فلا يصلون إلى الله إلا منه ، ولكن منعهم منه الشيطان ، فإذا كان لا يدخل الجنة داخلها، ولا يدخل النار داخلها ، إلا بالصكاك لهم في ذلك ، أفيحسبون الأمور سائلة؟، ومعرفة الله خصوصاً لخصوص. والشيطان لما لعب بنفسه ، وعلم أنه ليس له توبة ، رجع يلعب ببني آدم حتى إنه لم يسأل الله إلا أن يُنظرَه لذلك يلعبُ بهم ، حتى يحرمهم الخير ، ويُلقِيَهُم في الشر، فلما لعب بأبيهم آدم حتى أخرجه من الجنة جعل

(١) سورة الشورى ، الآية ٤٠ .

يلعب كذلك بنيه ، وإبليس ينتقل في سخط الله ، فيخرج من سخط إلى سخط ، من كبر إلى حسد ، إلى غير ذلك ، حتى إنه سأل من الله الإنظار ، ليعمل في ذلك ، فأجابه الله لذلك زيادة في نكاله ، واستكثارا من غضبه ، فإنه قد آيسه من رحمته ، فلا مطمع له فيها، فلما علم أنه كذلك جد فيما يقربه إلى غضب الله ، ويدعو من اتبعه إلى ذلك ، وأما آدم فإنه لا يزال ينتقل من رضى إلى رضى ، من بكاء على خطيئته ، ثم إلى إجابات ثم إلى تواضع .

وقال رضي الله عنه : غلبت الغفلة على أهل الزمان ، حتى عميت في أمر دينهم وديناهم وصلواتهم ، وسائر أفعالهم ، مع أنهم يسمعون الكتب ، ويقرأونها، لكن إذا فتح أحدهم كتابا كحجاب ، يريد أن يرفعه .

ما قال في حديث النفس في رمضان والسجود

وذكر رضي الله عنه معنى حديث^(١): ((إن مردة الشياطين ، تسفل في شهر رمضان))، فقال : ولكن هذه الخواطر التي تعرض ، قد كانت معجونة في الإنسان من الشيطان قبل دخول رمضان ، وذكر ابن عربي : إنها من النفس ، وذكر : إن خواطر السجود في كل وقت من النفس وإن الشيطان إذا سجد ابن آدم يشتغل بنفسه ويعتزل يبكي .

ما قال في سهر كل الليل في رمضان

وقال رضي الله عنه : سهر كل الليل في رمضان بدعة لم يفعله السلف الصالح.

(١) أخرجه البخاري ٢ : ٢٠٩ ، كتاب الصوم ب ، ٥٠ ، ومسلم ١ : ٢٩٧ ، كتاب الصيام ب ١ ، وأحمد بن حنبل ٢ : ٣٥٧ ، والبيهقي ٣ : ٣٠٣ .

ودعاني رضي الله عنه يوما في رمضان بعد صلاة الظهر ، لكتابة ورقة ، وكنت نائما فقممت وتوضأت وأتيت وصافحته ، فقال : توضأت؟ قلت : نعم ، قال : ثمت بعد الظهر؟ قلت : نعم ، قال : وثمت أيضا قبل صلاة الظهر؟ قلت : نعم ، فقال : إن الله يمقت على نومتين في اليوم ، إلا إن كان من شدة سهر ، ولم يحصل له قرار نوم في الأولى من تشويش . وكان الأمر كذلك .

وقال رضي الله عنه : لا يطالب العبد في العبادات بإقامتها في الباطن ، حتى يقيم الصورة الظاهرة، فإذا أقامها وأحسنها فحضر معه في الباطن ، ولا يمكن إقامتها باطنا إلا بمقلعات ، ورياضات ، وترك الخوض في شيء^(١) قبل فعلها ، ولولا فضل الجماعة ما صلينا صلاتنا هذه^(٢) ، لكننا نصلي في الخلوة^(٣) .

وكان رضي الله عنه يبالغ جدا في النهي عن الكلام حال انتظار الصلاة ، ويتكرر أشد الإنكار على من يفعله، حتى إن سلمت عليه يوما وهو خارج للصلاة ، من رجل أوصاني له بالسلام ، فنهاني عن ذلك بعد الصلاة ، فقال : لا قط تسلم علي من أحد حال غروحي للصلاة ، فإننا نخرج للصلاة باجتماع وحضور ، وقطع المهم عما سواها .

مسئلة فقهية

وقال رضي الله عنه : ينبغي أن يقرأ المأموم الفاتحة بعد ما يؤمن على قراءة الإمام الفاتحة في الحال من غير تخلف ، فإن أتى بها تامة في سكتة الإمام فهو الأحسن ،

(١) أي من الكلام . اعسام .

(٢) قوله هذه أي من التحليل السي لأهل المأمومين لكراة التطويل عليهم . اعسام .

(٣) أي قطول فيها جئا . اعسام .

وإن بقي منها قليل ، يتمها بعد ما يشرع^(١) في السورة ، ثم يستمع قراءة الإمام ، ولا يعطلها حتى يبطئ ولا يمكنه سماع قراءته السورة ، فمن فعل ذلك فهو عامي مخالف ، وقد كنا أردنا أن نفعل نبذة في الصلاة للمصلين ، لكن رأيناهم معرضين عن الصلاة فتركنا^(٢) .

أقول : وكثيراً ما ينهى نفع الله به ، عن الجهر بالقراءة خلف الإمام ، ويذم من يفعله ، وعن الجهر البالغ في تكبيرة الإحرام ، وعن التطويل والبطء بالنية ، سيما عندما يدرك الإمام رакعاً ، وعن الكلام وقت الجلوس للحزب^(٣) ، أو بين الأذنين ، لا انتظار الجماعة ، وعن التلهي حال الحزب بذكر أو غيره ، حتى لا يشعر بالغفلة ليرده ، ويقول إنه لا يمكنه الاجتماع في واحد منهما ، لا ذكره ، ولا الحزب ، فاشتغاله إذ ذاك ضائع .

ما كان يقرأ في السكنة

وأسمعه رضي الله عنه دائماً يقرأ في السكنة بين الفاشحة والسورة ، في الصلاة الجهرية ، في الركعة الأولى : { رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ } إلى : { وَأَذِلِّجْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ }^(٤) ، وفي الثانية : { رَبِّ أَوْزِعْنِي } إلى : { وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُثُتُّ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ

(١) في (ع) : بعدما يشرع الإمام في السورة .

(٢) في (ع) : فتركناها .

(٣) الحزب ينكر الحاء المهملة وإسكان الزاي المتحمة : يطلق في عرف أهل حضرموت على مجلس تدارس القرآن .

(٤) سورة النمل الآية رقم : ١٩ - { رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ آبَائِي وَإِنِّي أَخْشَىٰ مُصَاحَبًا لِرُحْمَاءٍ وَأَذِلِّجْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ } .

المُسْلِمِينَ^(١) ، كما سيأتي في الخاتمة من ذكر السور والآيات التي كان يواظب عليها في الصلوات .

ما قال في المواساة

وقال رضي الله عنه : لبعض السادة^(٢) وكان صاحب ثروة : لا تشذ واتبع طريقة أهلك ، فمن شذَّ عما هم عليه شذَّ إلى النار ، وترجم كانت مؤسسة على السنة ، وإنما تغفرت الأمور بسبب الحوادث القريبة ، فلا تشك في ذلك ، وسر على الطريقة ، ودع السبل وهي تتبع الرخص ، وما يسهل ، أهو يصح أن يأكل اللحم ثلاث لبال وصاحبه أو جاره لم يذقه ، سبروا مثل سورة عبد الله^(٣) باعلوي ، هذا هو العيش ، لا غير ذلك ، وكان يلتبس^(٤) بطون المساكين ، يتحسس إن كان هم جوع فيواسيهم ، وكان جيرانه من شدة حياهم منه ، لكثرة عطائه لهم ، يوقدون التنور وهم طاوين ، يوهونه أن عندهم عشاء ، وكان إذا علم هم كذلك يغضب كثيراً ، ويقول : تريدون أن يخسف الله بنا ، الله يملككم^(٥) يوم تياتون بلا عشاء ولا تخبرونا وهؤلاء^(٦) يحبون ما معهم ويحبونك يطلبون .

وذكر رضي الله عنه أحوال الناس في طلب الدنيا وكثرة سعيهم لتحصيلها ، فقال : أحسن أحوالهم بعد الصدقة الراحة من متاعب الدنيا ، فإنه ليس لهم منها إلا

(١) سورة الأحزاب الآية ١٥ . - رَبِّ ارْزُقْنِي إِنِ اشْكُرْتُ يَفْتَقِدْ أَتَى التَّعَمُّتَ قَلْبِي وَتَغْلَى وَيَدْيُ وَإِنْ اغْتَلَّ صَاحِبُكَ لِرُطْنِهِ وَأَصْبَحَ بِي فِي ذُرِّيَّتِي إِلَى ثَبْتِ إِيَّكَ وَإِلَى مِنَ الْمُكْمِينَ } .

(٢) وهو السيد أحمد بارقة . اعسام .

(٣) هو من أعيان السيد المذكور . اعسام .

(٤) في (خ) : يلمس .

(٥) في (ج) : لا يملككم .

(٦) أي أهل هذا الزمان . اعسام .

فائدتان ، إحداهما التصديق في سبيل الله تعالى ، خالصين في ذلك لله ، والثانية الراحة فيها ، وأهل الزمان خالفوا الله ورسوله ، ولا عدلوا في أنفسهم وأهلهم وجيرانهم ، وهم على هذا ، ويطلبون والياً عادلاً فمن أين لهم ذلك ، لو طلبوه^(١) في النار ما وجدوه ، لكن سلط الله ، عليهم ظالماً بلا كيل ، لأن والي الأمر لا بد له من نظير ، إن لم يكن نظر دين كان نظر دنيا .

وقال رضي الله عنه : من العجائب أن يتمنى الإنسان أهل الخير ، وهو ليس فيه خير ، وقد مضى جميع الناس إلا يتأسفون عليهم ، ومن تأمل الكلام وأشعار العرب ، عرف ذلك ، وإذا رأيت الإنسان قائماً بنفسه لك فلا تطالبه بحقك .

وقال رضي الله عنه : تحبب ، ولا تخلي الأمور الباطنة تظهر عليك ، وإذا وقعت في مصيبة ، فاذكر النعمة تسهل عليك ، والأمور الباطنة هي كالغضب ، والحقد ، والحسد ، والعجب ، وغيرها .

وقال رضي الله عنه : الدنيا ما هي إلا كأس بكس ، والدنيا منذ عخرت من بطن أمك وهي وراءك وأنت مدير عنها ، والآخرة أمامك وأنت مقبل عليها ، ولا أحسن للإنسان في هذا الزمان من سلامة الطبع^(٢) والسميلة^(٣) فينبغي له أن يأخذ بذلك.

وقال رضي الله عنه : بلغنا أن بعض الناس قال : ما في ترم إلا الفقيه المقدم في الثروة ، والسيد عبدالله الحداد في الأحياء ، فنعم الفقيه المقدم ، إنما هو فقير ، والسدي

(١) قوله لو طلبوه الخ : الذي يظهر من هذا أن أهلهم حارجه من سنن العدل ، فكيف يطلبون سلطاناً عادلاً وقد قال عليه الصلاة والسلام : « كما تكونوا يولى عليكم » ، فلا تطلب الجنة بأعمال أهل النار ، فالوالم العدل لا يوجد إلا في الجنة لا في النار ، والله أعلم بالصواب .
 (٢) هو حسن الخلق بالصواب .
 (٣) أي : تحبب للمخالطة بالصواب .

هنا^(١) هو الباب ، وليس الباب كالقبر ، ولا يعرفون الباب حتى يفارقهم ويصير قبرا ،
وبعدما تفتتح عليهم الأمور^(٢) ، فإذا رأوه قالوا : هذا هو الباب الذي كانت تفتتح
علينا الأمور^(٣) منه .

أقول : مراده بالأمور المذكورة أولا التي تضرهم وتكرهم ، والمذكورة ثانيا هي
التي تنفعهم وتفرج لهم من الأولى ، ولكن لا يعرفون الباب الذي هو باب القصر ،
حتى يصير قبرا ، فلا عاد يبقى متلق للأمور النازلة عليهم ، وكان الأمر بعده كما قال
نفع الله به .

ما أشار به إلى وفاته

وقد أشار رضي الله عنه في مجالس كثيرة إلى وفاته ، قبلها بأربع سنين ، وتغير
الحال بعده ونسينا ما أشار إليه ، وما ذكرنا إلا لما رأينا للمعانيبة كالخبر ، وذلك سنة
١١٢٨ كقوله لي في ربيع الأول منها ، في كلام كثير : لو قد سافرنا إلى مكان ،
وقلنا لك اجلس أنت في ترم ، لا تسافر أنجلس؟ ، قلت : لا بد لي من امتثال أمركم ،
فأجلس بمشقة وتكلف ، قال : فإن قلنا لك سافر أنت؟ ، قلت : أسافر أيضا بمشقة
وكلفة ، قال : فلو سافرت تكاتبتنا؟ ، قلت : نعم ، ولكني لا أحب أن أسافر إلا إن
عشت بعدكم ، لأنني لو مكثت غائبا عنكم نحو سنة أو ستة أشهر ، اشتغل عاظمي
بألم الفراق ، قال : نعم ، لكن ليس الصادر كالوارد ، فسفر الآخرة مثل سفر الدنيا
فلو قد متنا تسافر؟ ، قلت : نعم ، ولا أجلس يوما واحدا إلا لعجز ، قال : فإن قلنا

(١) أي الذي قال إنه في الأحيا . إمام .

(٢) أي الأمور المكرية . إمام .

(٣) أي الأمور المفرجة . إمام .

لك ابق ولا تسافر؟ قلت : امتثلت ولا بد ، قال : فإن عينا لك مدة؟ قلت : لا علم منها، قال : نعم ، لا تأذن لك في السفر حتى يستقل من معك ، فلا تأذن لك في السفر حتى يستقل أحد من العيال ، ثم بعد ذلك تأذن لك ، وقد استقلوا حينئذ بحمد الله وعقاب سعي من ناوهم .

وكذلك في شعبان منها قال لي في المدرس ، عشية يوم ٢٧ منه : أتخفظ آياتنا لأي ثمام ، ذكرها الشرحي في "طبقات الخواص" في ترجمة شيخه ، فلم أحفظها، فسأل عنها الحاضرين في المدرس ، فما منهم من يحفظها، فقال نفع الله به : احفظوا وعوا، وإلا فما ينفع رفع كتاب ، وحط كتاب ، وتسويد الأوراق ، فترى الأوراق مملوءة سوادا كثيرا ، فقد جاء في الخير : إلهم^(١) كانوا يتعلمون القرآن على أربع آيات ، يلقنها الرجل ، ولا يلقن غيرها حتى يتقنها حفظا وعلمًا وعملا ، ففتحت الخزانة ، وأخذت طبقات الخواص ، واستخرجت ترجمة شيخه أبي بكر بن محمد العسقلاني^(٢) ، قال وكانت أيامه كلها حضرة ، وأوقاته كلها نضرة ، فالله المستعان على تلك الأيام كما قال أبو ثمام^(٣) :

كانت لنا أعوام وصل بالحمى	فكأنها من طيبها أيام ^(٤)
ثم أعقبت أيام صد بعدها	فكأنها من طولها أعوام ^(٥)
ثم انقضت تلك السنون وأهلها	فكأنها وكأنهم أحلام

فانظر إلى هذه الإشارة القاطعة ، الجامعة الشك يقينا، والخبر عيانا، وغير ذلك

(١) أي : الصحابة .

(٢) انظر طبقات الخواص : ٤٠٠ ط ثانية .

(٣) ديوان أبي ثمام بشرح الخطيب البكري ٣ : ١٥١ .

(٤) ديوان أبي ثمام : أعوام وصل كان ينسى طولها

(٥) اللـيـوان : لم انزل أيام هجر أردفت بحوى أسي فكأنها أعوام

كثيرا ، حتى إن لما رأيت ما دهم بعد وفاته من المغموم ، لم أطلق الجلوس في مكان ألفتة معه في حياته ، فأزعجني ذلك للسفر إزعاجا لم أطلق أخالفه ، وأرجو من حباينا العذر والدعاء لي بصلاح الحال والمآل .

ومن تلك الإشارات ، أنه رضي الله عنه قال يوما في مجلس القراءة عشية : من منكم يحفظ الآيات التي سمعت في عمر بن الخطاب ، ويقال إن منشدتها كان من الجن ، فلم يستحضرها أحد من الحاضرين ، فقرأنا يوما عليه من كتاب "حياة الحيوان"^(١) وذلك عندما خرج لصلاة العصر يوم الثلاثاء في ٢٦ ذي القعدة من سنة ١١٢٨ في الضيقة ، قال في ذلك الكتاب: أنشدنا منشد من الجن ، في أيام مني فعما لبث بعدما رجع إلى المدينة أن ضربه العليج وهي :

عليك سلام من أمير وباركت^(٢) يد الله في ذاك الأدم الممزق
فمن يسع أو يركب جناحي نعامه ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها سوابق في أكمامها لم تفتق

فلما قرأنا عليه من الكتاب قال نفع الله به : ما مرادنا إلا نعلمك الاستحضار عند المذاكرة ، وأما أنك نجيتها في الكتاب فذاك سهل ، وكل يعرفه ، فقال السيد عبدالرحمن بن حمده عبيد ، وكان حاضرا : ما أحسن فلانا ، لو كان حاضرا لفهم ، يعني به سالم بأفضل بلحاج ، فقال سيدنا نفع الله به : ما عليك لكن من ربيته يثوق غيره ، إلا أنه لا يظهر أثره مع من ربه ، كالمسراج في النهار ، لأننا نربيته تربية لا يعلم بها ، وإن كانوا أحسن منه بديهة ، فهو أحسن منهم بذلك^(٣) ، وإن

(١) انظر حياة الحيوان ٢ : ٣٥٩ وانظر هذه الآيات في طبقات ابن سعد ٣ : ٢٣٦ وسورة عمر بن الخطاب لابن الجوزي : ٢١٢ ط العلية .

(٢) حياة الحيوان : جرى الله بحرا من إمام وباركته .

(٣) أي بالتربية .

كانوا خيراً منه في الكلام ، فهو خير منهم بالأمراد ، والكلام فيه إظهار للنفس ، ثم إن التعلم ممكن ، ولكن إنما العلم بالعمل ، فإذا علمت شيئاً فأجهد نفسك في العمل به ، لتعرف النفس أن العلم بلا عمل لا ينفع ، وأن ذلك هو المقصود منه ، انظر إلى ابن علوان كيف لما اجتهد في تعلم العلم والأدب ، حتى أحكمه ليكون في منزلة أبيه عند السلطان ، وما نفعه إلا لما حصلت له من الله العناية ، رجع إلى العمل بعلمه ، فأنشفع به ، فقال السيد عبدالرحمن : نعم هكذا مليح ، إذا حصل بالقرء من غير كد ، فقال سيدنا : نعم ، ولكن أصلح وعاك من أسفله ، وغطه من فوقه ، لئلا يسقط ما فيه أو يتأثر^(١) ، فيسلم لك ما فيه ويحفظ حتى إن احتجت إليه تفعلك ، وإلا بقي لث غدة كالحزنة ، ثم قام نفع الله به إلى الصلاة ، وهكذا كلامه علي عاداته ، إذا جلس في الضيقة خارجاً للصلاة ، فإذا نهض منها داخلاً إلى الصلاة ، فلا عاد يقبل الكلام ، ولا يحب إن أحداً يكلمه حتى يرد السلام ، اهـ ما أردنا ذكره من تلك الإشارات الحاصلة منه نفع الله به بالتعريض في هذه السنة ، وإلا فهي كثيرة فيها ، وفي غيرها لكن أكثرها فيها ، حتى إنه رضي الله عنه قال لي في شعبان منها : إذا حججت فلا تجاور ، وسر إلى بلادك برأ ، فكتب ذلك في ورقة كالأصبع خوف النسيان ، ومن حين كتبها لم أدر أين وضعتها ، وضاعت علي فلما كنت عشي يوم بالمدينة المنورة ، والحاج العقيلي يريد للمسي بعد صلاة الصبح ، وفي عزمي الإقامة بالمدينة أربعين يوماً ، وكنت ناسياً أمره لي بالسفر برأ ، فينت^(٢) إذ ذاك أقلب أوراقاً ، والشمس قد اصفرت ، وإذا بتلك الورقة واقعة في يدي من غير قصد مني لها ، فلما رأيت فيها ذلك ، ولا يمكن إلا مع الحاج العقيلي المذكور ، عزمت على المسير معه .

(١) مكر الله في كلام أهل حضرموت بمن سخه .

(٢) في (خ) : فيها أنا إذ ذاك .

وقد مرض سيدنا نفع الله به سنة ١١٣٠ وابتدأ به للرض في ٢٧ شهر رمضان، وبقي يتزايد عليه إلى ليلة ثامن ذي القعدة منها ثم جعل يخف قليلا قليلا إلى ليلة عيد النحر، فخرج رضي الله عنه ليلة العيد إلى المصلى وصلى فيه وحضر حلقة قراءة القرآن، وقرأ معنا من أول الأعراف إلى وما تكون في شأن من سورة يونس، ثم دخل، وبقي مدة الستين متعافيا فلما كان يوم ٢٧ من رمضان من سنة ١١٣٢ ابتدأ به المرض وبقي يتزايد ويختلف عليه أنواع من المرض، كما سيأتي تفصيله عند ذكر وفاته نفع الله به، إلى ليلة ثامن ذي القعدة منها، فانتقل إلى رحمة الله ورضوانه وقربه، فقال لي ابنه السيد الحسين: لعل هذه الستين هما اللتان، أعطاهما لحسين بافضل^(١)، لما استوهب له من أعمارهم، فكل من أصحابه أعطاه شيئا، وإن سيدنا أعطاه هاتين الستين، فعاش حسين للمدة التي وهبها، وإن مرض سيدنا الأول هو مرض الموت، ثم رد الله تعالى عليه تلك الستين كرمًا منه ورحمة للعباد، فعاشهما سيدنا والحمد لله، ويشهد لما قال السيد حسين: كون المرض في المرتين بسابع وعشرين رمضان، وأنه يتزايد إلى ثامن ذي القعدة، ثم جعل يخف المرض في الأول قليلا قليلا، إلى أن برئ منه، وفي الثاني جعل يتزايد كذلك إلى ليلة ثامن ذي القعدة، ثم انتقل فيها، والله أعلم بحقيقة ذلك.

وطلبه رضي الله عنه صهر له أن يمر عليه، فقال نفع الله به: لا، ما عاد نقدر على ذلك، ففعالوا أنتم إلى عندنا لأنكم أخف منا، فأنا اليوم في فيء العشوة، فاسأل فلانا كيف كنا أولا في مراحلنا وبجيتنا، وهذه الأمور قد مضى حلها^(٢)،

(١) هو الشيخ حسين بن محمد بافضل، عاش بمكة، ولما سمع الحبيب عبدالله لازمه وضممه لسوي سنة ١٠٨٧، هجـ
الزمان: ٨٠.

(٢) حلها بكسر الحاء وتشديد اللام في كلام أهل حضرموت ممن وقفها.

وقد شيعنا من كل شيء إلا من أمور الدين ، وأما أمور الدنيا فلا رغبة لنا فيها ،
ولكننا أيضا قد شيعنا منها ، وما نحب اليوم من يتردد إلينا إلا لأجل أن يسمع كلمة
يتنفع بها في دينه ، أو كلمة عظيمة أو عبرة تنفعه .

وقال رضي الله عنه : بلغنا أن رجلا قال للسيد أحمد الهندوان^(١) : إن فلانا [أي
سيدنا] سلبك^(٢) ، فقال : إذا لم يسلبني إلا فلان فبركة ، حيث لم يكن غيره ، وإذا كان
إلا هو ، الحمد لله ، فحقنا عنده محفوظ ، ونحن [أي سيدنا] ما معنا إلا ما قاله
اليافعي في قصيدة يصف نفسه : (فقير ضعيف يافعي غلط) وكل أهل الله يسرون
أنفسهم كذلك ، ومعنا محبة النبي ﷺ وأصحابه وأهل البيت والأولياء الصالحين ، وليس
معنا ما نسلب به ، إذ لا يسلب صاحب السيف^(٣) إلا من معه سيف أقوى منه .
وسألته رضي الله عنه عن سبب تكرير الشيخ علي في الورقة^(٤) إلbas الخرقه
لعياله وأهله ، ومن ذكر معهم ، فقال نفع الله به : لا بد في كل موضع من معنى ،
لكن البليد لا يتنبه للمعاني ، فقد ذكر الإمام الغزالي ، إن البليد إذا أكد نفسه فقد
يدرك القليل في الزمن الطويل مع التعب الكثير .

ما قال في محمل كلمة الصالحين

وإذا سمعت كلام أهل الخير ، فما دمت تعد له محملا في الخير ، لا تخرجه منه ،

(١) هو الحبيب أحمد بن عمر الهندوان من أفاضل أصحاب الحبيب عبدالله وقد سبق ذكره .

(٢) السلب هنا هو اعتناء الصوري ، وهو بمن سلب حال ذلك الولي واحتصاصه .

(٣) أقول : أنهم قوله : صاحب السيف الخ. أنه لا يسلب إلا من أقامه الله مقام الغيرة الموسوية والجلال ، وأما من هو في
مقام الجلال والرحمة ، الذي هو مقام الورثة الحمديّة — سيدتنا نفع الله به — فلا يفعل ذلك وإنما هو رحمة للمؤمنين
ولذلك قال السيد أحمد : فحقنا عنده محفوظ . اهـ .

(٤) هو كتاب الورقة المشقة في لبس الخرقه الأنيقة تأليف الشيخ علي بن أبي بكر بن عبدالرحمن السقاف النشوي سنة ٨٩٥
(طبع) .

حتى إلى اللباس ، ونحن لو جاءنا رجل من أهل النفوس ، وصافحنا وكلمنا كلمناه ، ومررنا على حالنا ، ولكن لا بد ما يخطر في باله شيء فيقول ما دراي ، أو ما بالي بي ، وربما يعزم على عدم الاجتماع بعد ذلك ، فلا بد ما يخطر في بال الرائي شيء من هذا ، وكل ينفق مما عنده ، مثل الأسواق والمخازن ، منها ما يباع فيه المسك ، ومنها ما يباع فيه غيره ، فلا يستوي العطار والبيطار ، والكلام يتفاوت بتفاوت الناس ، وتفاوت الحال ، وتفاوت المجلس ، وتفاوت حال المخاطب ، وتفاوت الزمان .

ما قال في طبع الصغر

وقال رضي الله عنه : من وقت صغر الإنسان يظهر عليه خلقه المطبوع عليه ، وطبع الإنسان الذي ينسب إليه هو ما غلب عليه .

ثم ذكر قصة الشيخ أبي بكر بن سالم ، ودفعه القروش إلى أولاده ، يخسروهم ، وأن ولده الحسين من دون إخوانه ، ربط ما أعطاه إياه في ثوبه ، والبقية لعبوا بها حتى راحت عليهم ، وفي اليوم الثاني سألمهم عن ذلك فأخبروه والحسين قال : هاهو مربوط في الثوب ، فقال له : تضم الدنيا ، ستقع عليك الدنيا من السقف ، ثم بعدما كبر وقام في مجلس أبيه ، فبينما هو جالس مع أصحابه ، إذ وقع في المجلس وجب^(١) تمر من أوجاب مصفوفة في الدار ، فقال الحسين: اليوم تم علينا ما وعدنا به الوالد ، إنه ستقع عليك الدنيا من السقف .

وقال رضي الله عنه : لا تعد علما إلا ما كان محفوظا ، وما لم تحفظه فهو علم غيرك ، لأنك تنقله عنه ، وإنما يري الناس علماءهم ، وتربيههم ملوكهم ، وتربيههم

(١) الوجب : ظرف مملوء من النمر يتجمع من خوص النخل .

شبابهم ، واليوم ما شيء من هذا ، وأكثر العلوم ما تلقيناها إلا من الأولين على ألسنتهم ، كحضور المجالس ، وإتيان الصلوات ، وإجابة الدعوات ، ونحو ذلك ، والتأدب مع الجلساء ، ومعرفة منازل الناس ، ومراعاة حقوقهم ومعرفتها ، وتزويل كل إنسان منزلته .

وذكر رضي الله عنه حضور المساجد ، مع أكل ذي الريح الكريه ، فذمه جدا وأنكره ، وأنكر وذم من يتسبب في ظهور رائحة كريهة في الجابية ، وذم أيضا من يجهر خلف الإمام ، ثم قال : هذه العلوم التي على الألسنة ، وإن كان في طاعة فيحصل بسوء أدبه ما لا تقابله طاعته ، والأدب ما هو إلا ما تربي عليه الإنسان من صغره ، وأخذة قليلا قليلا حتى يتربي عليه ويتقنه ، ثم يقيس عليه ما في معناه .
والحاصل : إن التغافل والتجاهل في هذا الزمان ما أمكن^(١) هو الذي ينبغي وتحسن ، لئلا يتربوا ويخرجوا إلى الباطل .

وقال رضي الله عنه : الأدب أن لا تؤذي أحدا ، وإن أوديت صيرت ، وحسن الصحبة والمخالسة بما أمكن^(٢) ، ثم أنشد هذا البيت :
إذا جلست مجلسا بلا أدب صيرت ذاك المجلس صف النعال

ما قال في إنكار بعض العوائد

وقال رضي الله عنه : علوم الأولين كلها سهلة ، إنما هي حديث وأثر وكلام السابقين ، فهذه كانت علومهم ، والعلم يزكو إذا كان من الطرفين ، وهو أن يسأخذ ذو العلم القليل ، من صاحب العلم الكثير ، وهو أيضا يعلمه ولا يمتنع من تعليمه ،

(١) أي الذي يمكنك فيه السكوت ولا يترجك الشرع عنه . اهـ . ام .

(٢) أي بما يمكن على وجه الشرع والروية . اهـ . ام .

وما عاد اليوم إلا عد النخيل والنخاض والتقصيف يسمى تقصيف الأظافر ، وهو إخراج الثمرة من النحر ، ولو بقيت أكلها طير فكانت من رزقه ، ولو وليت أمر البلاد أو أطاعني الولي لطريت^(١) على أشياء من العبادات، وأشياء من العادات ، أن لا تفعل إلا في بعض الأوقات، كالسرعة بتخير^(٢) النخل ، وأن يكونوا فيه كعادة السلف ، فإن المال مال الله مستخلف عندهم، ويريدون بمنعونه الفقراء والمساكين ، بل حتى الطيور ، ويجمع الإنسان ما يكفي جماعة ، ويجعله عند امرأة ، ونحت نظرها ، وما عاد الدين إلا لازق، كالأطينة تلتزقها في الحائط ، فعسى حسن الخاتمة ، وأنا مؤمل مثل هذا يحصل من بعض من يلي أن يساعدنا عليه، والناس اليوم إنما هم عيد العصا ، وما معهم سيوف ورماح يقاتلون بها ، فيحصل منهم الرجوع إلى الصواب قهرا ، كما أطاعوا في أخذ أموالهم قهرا، وكنا مؤملين مثل هذا لكن هذا الرجل^(٣) ما لزم ، فإذا كان الولاية بأنفسهم يتعاطون الربا ، ويفتيهم في ذلك علماء السوء ، كيف الحال؟، وهؤلاء إنما هم أعداء الدين لا ممن ينصر الدين ، فالولاية طليبا الولاية ليظلموا ، والعلماء تعلموا العلم ليتولوا على الأوقاف وأموال اليتامى ، فبأكلوها ، ويفتوهم بحيل يستحلون بها الربا ونحوه مما حرم الله عليهم .

وقال رضي الله عنه : إن أهل الزمان نسوا الله بترك حقوقه ، فسلط الله عليهم ما يشغلهم ، حتى لو دعوا لم يستجب لهم، وتنكر أصواتهم لللائكة ، لأنهم لم يألفوها بسماع ذكر أو غيره من أمور الطاعة ، كما ورد في حديث : ((فأني يستجاب لذلك)) .

(١) أي تالبت بالهجوم .

(٢) لخبر النخل: ضم عنق الحقة بشيء كالزئيل يصعب من عوص النخل يسمى الخيرة يضم الحاء المنحمة.

(٣) يريد به بعض الولاية ، الهام.

ما قال في المضطرب في المحنة

وقال رضي الله عنه : قيل إن المضطرب في المحنة كالمضطرب في الحبل ، كلما تحرك ازداد شتى رقبته ، وأنشد هذا البيت :

ليس لذي محنة مؤذبة
مُتَعَبَةٍ خَيْرٌ من الصبر

ما قال في الماء المسخن على النار

وقال رضي الله عنه : إنه لم يبلغنا عن رسول الله ﷺ ، فيما بلغنا أنه توضأ بماء سخن على النار .

وقال رضي الله عنه : لا ينبغي أن يُترك دخول السوق تكرراً ، لأن الله تعالى ذكر الأنبياء بدخول الأسواق ، وذكر الكفار بإنكارهم ذلك عليهم ، فدخله لقتضاء حاجته ، أو كان طريقه عليه ، وإنما تركوه تجنباً وتنزهاً من أماكن الشياطين واللغو . وقد كان السلف يدخلونه يأخذون حوائجهم منه ، واشترى سيدنا علي منه قميصاً وسروالاً .

وقال رضي الله عنه : متى فرحت بشيء من أمور الدنيا ، واطمأنت به ، فانت ناقص عقل ودين ، وزيادة أحدهما أو نقصه يستلزم مثله في الآخر ، ولا أحسن أهل الزمان تدبير دينهم ولا دنياهم ، بل هم في دنياهم كالعين العوراء ضعيفة النظر ، وفي دينهم كالعين العمياء ليس تُبصر أبداً ، فكلما دار الزمان قليلاً تغير أهله ، فترى الإنسان يُقصر عن مماثلة أبيه ، ويعجز في دينه ودنياه ، حتى في القوة والمهنة ، ويعرف الإنسان مرض قلبه ، ونقص دينه وعقله ، وهو أعرف به من غيره ، ثم لا يهجمه ذلك أن يقصد طبيباً من أطباء القلوب يداويه ، ويُسلم الأمر إليه ، ولو وقع له

أدنى مرض في بدنه لاهتم له ، وطلب المداوي ، ويقال: إن المريض أعرف بالعلة من الطبيب ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : لا ينبغي للطلاب أن يقول مروني بكذا أو أعطوني كذا ، فإن هذا طالب لمطلوب نفسه ، بل يكون ككليت بين يدي العاسل ، إن أقاموه في شيء ابتداء منهم فليعتل ، وإلا فليقف ، فإنه لا يدري بما يصلح له ، وهم أعرف بذلك منه ، فإن الناس مختلفون ، أحد لا يصلح له إلا خدمة الشيخ ، وأحد لا يصلح له إلا خدمة الفقراء ، وأحد يصلح له غير ذلك ، على حسب اختلاف غرائزهم وفطرهم . فقلت له : فإن أقام الطالب عند الشيخ ، وطالت اللدة ولم يقمه في شيء ، فقال : في الطاعة بركة ، ولكن يمتل فإنه مادام يطلب شيئا بنفسه ، لم يحصل له ، فإن الأشياء موزعة لكل ما يصلح له ، ثم ذكر قصة الإمام الغزالي حين مضى يطلب^(١) ، ف جاء إلى بعض الشايخ فقال: أريد عندكم خدمة، فقال : ما عندنا لك إلا حجر الاستجاء تغسله كل يوم.

وقال رضي الله عنه : أكابر الأولياء كالشمس ، وقاس النار ، إذا أتاهم الطالب ، فإن كان متأهلا للشيء ، أفدحوه في لحظة ، وإلا أقاموه حتى يتأهل ، ثم إغم مختلفوا الأحوال ، فمعتهم من هو كالقيس الصالح العامل يوري من أول مرة ، ويؤثر معه ذلك ، ولكنه لا يظهر عليه له أثر في حياقم ، كما إنه لا أثر للسراج مع طلوع الشمس ، ومنهم من لا يوري إلا بعد مرار متعددة ، ومنهم من لا يوري بحال كالعطب الدويل الذي ما فيه رائحة الدوى ، ثم بعد الإبراء ، منهم من يثبت فيه ذلك كما تقدم ، ومنهم من ينطفئ في الحال ، ومنهم من يقيم معه ثم ينطفئ على

(١) أي : يطلب شيئا بعينه .

حسب الصلاحية لذلك وعدمها، وقد سمعت سيدنا الحبيب نفع الله به يوماً بعد ما فرغ القارئ من قراءته في رسالة للمريد ، يقول : إنا لم نُسمِّ من ألقناها بسببه ، لأنه رجع بعد ذلك عن الإرادة .

وقال لي الأخ العزيز عوض بن صباح^(١) : سمعت سيدنا الحبيب نفع الله به يقول : من جاءنا ومعه السراج والعشمة^(٢) ، ما علينا إلا نُعلّق له لا غير .

وقال لي رضي الله عنه يوماً : أوصيك بهذه الوصية ، وأوص بها أنت : إذا دخلت في أمر ديني أو دنيوي فاجتمع عليه .

وقال لي يوماً أيضاً نفع الله به : الرجل الصالح لا يكلف أحداً إلا بما وافق عنده ، ما لم يكن إثماً ، أما سمعت قول شيعب لموسى عليهما السلام : { وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلَأَ جَوْفَكَ مِنْ ثَمَرِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ }^(٣) ، إذ لم يُعِن على موسى ما شق عليه بل ما هان وحف ، ولو قال من الصابرين ، لدل على أنه ما يراعسي في الأمر أحداً .

ما قال في شدة الشوق مع البعد بخلافه مع القرب

ثم ما قال في العراق

وقلت له رضي الله عنه يوماً ، وذلك يوم للمولد الشريف ، بعد الظهر سنة ١١٢٥ وكان مجلس أنس وبسط : ما لنا في البعد عنكم نحس لنقلب إليكم ميلاً كثيراً ، فإذا كنا عندكم لم يبق لذلك أثر ، فقال نفع الله به : إن الصالحين يحبون قلعة تعلق الناس بهم ، أو قال بهم ، ويريدون منهم أن يجتمعوا لله ورسوله ، لأن الله

(١) سبق ذكره .

(٢) أي : الفيلة والعصا .

(٣) سورة القصص : الآية ٢٧ .

تعالى يغار إذا رأى عبده متعلقا بغيره ، وكذلك الرسول ﷺ ، وقد ذكر أهل الاعتقاد : إن للمتعلق مع المتعلق به كالشمس ، يتمكن من النظر إليها مع البعد أكثر منه في القرب ، ثم ذكر آياتنا من قصيدة ابن بنت الملق :

والمرء إن يعتقد شيئا وليس كما يظنه لم يحب والله يعطيه
وليس ينفع قطب الوقت ذا خلل في الاعتقاد ولا من لا يواليه

فقلت : فغسى إن بعدنا عنكم يحصل الاجتماع بعد ذلك ، فقال نفع الله به :
إن الجسد قبر الروح ، والقبر قبر الروح والجسد ، الجسد ماكن فيه ، والروح يتعهد ، فإن رأينا في القبر الأول ، وإلا ففي القبر الثاني ، والسادة آل أبي علوي يحبون تلك الجبهات ، لأنها كانت أصل موطنهم ومهاجرهم ، وهم هنا أغراب ، حتى إن الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس ، في أوقات غيابه حالة السماع ، يذكرها يقول : حضرت في المكان الفلاني منها ، وأسألوا فلانا اجتمعت به في المحل الفلاني ، وبدن عنكم ، وقلب عندهم في العراقات والشامات ، وفي أهل تلك الجهة من أصحاب سيدنا علي رضي الله عنه ، وهم الذين صبروا معه ، ونحن نطرح الأمور على النبي ﷺ ، وهو يجعلها إلى الله ، قلت : ونحن نجعلها عليكم ، قال : إن شاء الله .

وقال رضي الله عنه : نود أن ننفع حيرتنا وأصحابنا ونحوهم بما أمكن ، ولكن خالفت الظنون اليوم ، ومن نعرفه لا نسمح به للنار والعار ، والزمان زمان حيرة ، فينبغي أن يسمى : مخيب الظنون ، وهذا بسبب أهله ، وأما الزمان فهو ليل ونهار ، والميزان موحود بلا شوكة ، وكل يطرح من الكفة هذه ، ومن الكفة هذه^(١) ، ولو

(١) أي : من إرطاط وتربط من غير عدل ، اهـ .

تركوه من غير طرح عرف الوزن ، فعسى الله أن يُلطف ، والله من ورثهم محبط .
وقيل له نفع الله به : إن الناس اليوم لا يسمعون كلام الأخيار ، فقال : لأهم ما هم أخيار ، وهل الحمار يسير الخيل . وقال : طرق التصوف وإن تعددت ، فهي طريقة واحدة وهي بمعاملة النفس ، والخروج من كل ما تدعو إليه ، وهذا أمر عسر ، ولكن ربما تكلم بعضهم في مسألة وأكثر فيها الكلام ، فنسبت إليه .

ومر في القراءة في "قوت القلوب"^(١) وقت الدرس ذكر التوكل ، وأحوال المتوكلين ، فقال : مثل هذا يتيسر للمتحردين^(٢) عن العلائق كلها . وما ذلك بيعيد في حقه ، ويمكنه أن يكون بحيث لو مر على وادي ذهب لم يأخذ منه إلا قدر حاجته ، وأما من ورط نفسه في العلائق ، فلا يمكنه ذلك ، وإن حدث نفسه به كان مطالباً بأشياء دوغها نزع الروح ، فليرض بدرجة أصحاب اليمين ، والغالب إن الرجل للمصلح اليوم في أول درجة أصحاب اليمين ، إلا إن كان أحد حامل مضمر للصبر واليقين وحسن الافتقار .

وقال رضي الله عنه : في قولهم في المتوكل : أن يكون بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل ، قال : أي يكون كذلك في الباطن لا في الظاهر .

وقال رضي الله عنه : أمور الدين وأمور الدنيا كلها إذا رخصت هانت ، وقد ضعفت كلها ، ولا عاد بقي منها إلا رسوم كالزراع الذي صرب^(٣) وبقي أصوله .
وقال رضي الله عنه : السهل مع الفقر عيب ، كالبطر مع الغنى ، وينبغي لفقر

(١) كتاب في التصوف من تأليف أبي طالب المكي المتوفى سنة ٣٨٦هـ طبع سنة ١٣١٠هـ ثم تكررت طبعاته .
(٢) قوله : للمتحردين ، هكذا في الأم بآيات الياء والنون . ولعله سبق قلم ، إذ الضمير في حقه وما بعده عائد على مفرد . فتأمل ذلك باهتمام .
(٣) صرب : أي حصد باهتمام .

ما قال في الروح والتقل

وقال رضي الله عنه : كانوا إذا دخل آذر^(١) ، يحبون الثفرج والخروج من الديار ، إلى الحلا والقفار ، تنزيهاً للحواطر ، وترويحاً للقلوب ، لأن الروح في الجسم محصور ، فإن انحصر الجسم أيضاً اجتمع حصران ، فيتولد من ذلك ضعف الزاج ، وهذا طبعنا نحن ، والذي نحبه ونفعله ، إلا إن حصل مانع منه ، وينبغي للإنسان أن لا يستقر به مكان ، بل يسير في أرض الله ، لعله أن يرى أكمل منه فيقتدي به إن قدر على ذلك، وساعده الحال والوقت ، أو يرى معبراً فيعتبر ، أو يفيد أو يستفيد ، ثم أشار إلى أبيات^(٢) :

تغرب عن الأوطان في طلب العلى	وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تسفرجُ هم واكتسابُ معيشة	وعلمٌ وآدابٌ وصحبةُ ماجد
فلن قيل في الأسفار ذل ومحنة	وقطع النياقي وارثكاب الشدايد
فموت الفتي خير له من حياته	يعيش بها ما بين واث وحاسد

وأهل الزمان لو تعب أحدهم في شيء من أمور الدنيا غاية التعب ، وغرق فيه عشرين عرقه ما عدَّ هذا تعباً ، ولا يبالي بذلك ، ولو كان شيء من أمور الدين ، رأى السهل عسراً ، والقليل كثيراً ، وقال : من يقدر على هذا.

وذكر رضي الله عنه : بعض الأشياء من علم الفلك واختلاف الزمان على الإنسان ، واختلاف الأحوال عليه بسبب ذلك ، ومعرفة شهور الروم ، وما تدخل به من نجوم الشامي ، وما يناسب في كل شهر منها من مأكول وغيره ، ثم قال: أردنا

(١) قوله آذر يعني يدخل آذر يوم ست في اسم البررة لعله وفي مثل: إذا دخل آذر، طابت الثمار، وحل الانتشار. لعله من (ح).

(٢) نسب هذه الأبيات للإمام الشافعي نظر ديوانه : ٧٤ ط الحفافي ونسبها إليه صاحب سرقة الجنان ، الإمام الشافعي ٢ : ٢٦٦ ، وكذا وحدها في ديوان الإمام علي بن أبي طالب : ٤٥ جمع من الغرر الكرم .

فلانا يحفظ هذه الأشياء ، فما أمكنه ، والإنسان إذا حفظ في صغره ، يرجع ينتفع بمحفوظه في كبره ، سيما إذا صار له مظهر ، وقد جعل الله للإنسان بداية ونهاية ووسطا ، فيحفظ الإنسان اللهم ويذاكر بغيره .

وقال رضي الله عنه : الأشياء لها عسر ويسر ، فخذ باليسر في الأمور التي تعرفها ، حتى يساعدك الناس ، لأن الطريق معك فساير أهلك وأصحابك بما يمكنك ، وفيما لا لوم عليك فيه^(١).

ما قال في السادة آل باعلوي

والسادة إلا طاهرين فلا تنجس نفسك^(٢) ، وهم عاملون ما يظهر أحد منهم إلا بالدين والزهد وأصل الإقبال والتوجه ، وبيتهم معمور ، وليس المعمور كالحارب ، وقد قال السقاف: أولادنا كمن يحفر في طينة طيبة قريبة الماء ، وغيرهم كمن يحفر في أصل جبل ، أو قال سيخة ، أو نحو هذا .

فتن آخر الزمان

وقال رضي الله عنه : إن فتن آخر الزمان مثل النار تحت الرماد ، فليفرح الإنسان مادامت منلغة تحته ، ولا يحركها فتظهر ، وقد قال النبي ﷺ : ((الفتنة نائمة ، لعن الله من أيقظها)) ، والفتن موعود بها في آخر الزمان ، وآخر ما تأتیه جزيرة العرب .

(١) أي من جهة الشرع والرواية الحسن .

(٢) أي بالعلم الحسن .

(٣) لورده مشحوم في التواريخ العطرة : ٢١٨ ، وقال : أمر به الزاقي عن أبيه . كما لورده السيوطي في الجامع الصغير .

وقال رضي الله عنه : إنما يُستدل على كمال الشخص بتأديته الفرائض على كمالها ، لأنها عمود الدين ، فمن أقامها بواجباتها وسنها ، وحضورها من غير وسوسة ، دل ذلك على كماله ، وحسن عناية ربه به ، وإن عكس دل ذلك على عكس ما ذكر .

وقال رضي الله عنه : ثلاث مقامات الدين مُرتَّبة ، لا يحصل للإنسان الثاني حتى يُحكّم الأول ، مقام الإسلام ، ومقام الإيمان ، ومقام الإحسان ، ولا تكلّم أهل الزمان حتى في التوكل والزهد ، إلا إن كان مر ذلك في كتاب ، ومن لا يحسن الإسلام ولا قام بواجب صلاة ولا زكاة ، كيف يمكن معه ذلك ، ومن لم يكن معه لبن ، من أين يستخرج الزبد والسمن ، وتراهم يقصرون في إخراج الزكاة ، أحسد يعطيها للأشراف ، وأحد يجعلها ضيافات ، يتحمل بها ، ويحسبها من الزكاة ، ولا تحرك من رأيه في هذا الزمان يسبب^(١) ، أو ساكتاً فقد كانوا إذا حُرّكوا يخرج من تحريكهم قطعة الذهب والجواهر ، وأما هؤلاء إذا حُرّكوا لم يخرج إلا العظام ، أو جهوممة الشاة .

وقال رضي الله عنه : لا يَهَابُ أو لا يَحِينُ مِنْ أُمُورِ^(٢) الآخرة والكرم إلا حسيبُ الأصل ، والبخيل هو الذي لا يتصدق مما في يده ويقول : لو جاءني كذا وكذا من المال لتصدقت ، فإنه كاذب ، لو جاءه ما أرادته مَنَعَهُ منه ما مَنَعَهُ مما عنده الآن من وساوس النفس ، وتقدير الحاجة إلى كذا ، وإلى كذا ، ويعزم على أمور لم يعزم عليها قبل ذلك .

(١) أي يخرج الزكاة أو الصدقة على غير الوجه الشرعي فهو أولى من عدم الإخراج رأساً ولهذا معناه نسبياً لأنه على غير الوجه الشرعي . اهـ .

(٢) أُمُورٌ مصدر أَمَّ أي قصد ، أي من قصد الآخرة . اهـ .

وقال رضي الله عنه : لم يتأسف الإنسان إلا على عمره إذا ضاع بلا فائدة دينية ، وأما أمور الدنيا فكلما أقل منها كان أحسن ، وأنشد هذا البيت :

يا ولردا سور عيش كله كدر ضيعت صفوك في أيامك الأول

وإذا رأيت الشمس على الجبل عادك تقول : أسير إلى الوادي ، لا ، إنما تقول : غلوة ، والموت ما له غلوة ، وما غلوته إلا القيامة وليلة الرزخ .

ودخل عليه رضي الله عنه بعض السادة فسأله : كيف حالك وقـوتك ، ثم قال : نعم أيام القوة والراحة ما هي مثل أيام الشدة والضعف ، فترك إذا حصل لك قبض في باطنك ، نحس أعضائك ضعيفة ، وما فائدة العمر إلا الطاعة ، والشريف أدنى شيء يؤثر فيه ، فينبغي أن يبقى على طهارته ، ولا يتدنس بشيء من الأمور ، وكانت الأوقات مضبوطة ، وكل لازم طوره ولا يتعداه ، واليوم كل متعد ، وكل غير مضبوط .

ثم ذكر نفع الله به الورد ، وإنه حصل به بعض منفعة لزرع البر ، فقال : إن الله سبحانه لم يدبر شيئا إلا وفيه صلاح ، يدبر الأمر ، يدبر الأمر^(١) ، فإذا دبر الأشياء هو سبحانه ، فما لك أنت والتدبير .

ما قال في الأدب مع المرموقين بالخير

وقيل له رضي الله عنه : قد جاء إلى هنا السيد فلان . وقيل^(٢) له : إجلس إلى الظهر ، فضحك ، وسكت قليلا ، كذا عادته إذا لم يستحسن كلام المتكلم ، ثم قال : لا عاد تمصع النصاب للبلولة ، وإلا قيل لك : إفتلها ، وكل من كان عنده أحد من

(١) أي : كثره في آيات كثيرة .

(٢) فقال له بن فلاح : نعم .

للمرئوقين في الدين أو في الدنيا يحتاج إلى أدب ، وإلا ما حصل شيئا ، ونحن نعرف أهل الزمان ، وأنهم مثل الدابة ، إذا وردت للماء ظمأنة ما تلبث إذا رويت أن تقول فيه ، وأنت إيش لك في الفضول ، تقول للناس : إجلسوا ، وماذا عليك منهم ، اتركهم وما أرادوا ، ومن جاء عند أحد من أهل التصوف مستفيدا أو قال زائرا ، فجلس إليه يحادثه بطلت فائدته ، قال ذلك الفقير : فأعلمونا أنتم بالأدب . وإلا ففعلونا ما تقتدي إليه ، فقال نفع الله به : اترك كل ما لا يعنيك ، ولا تسأل عما لا يتعلق بك ، فإن جاء أحد من جهة أحد تعرفه ، فاسأله عنه ، والزيادة على ذلك فضول ، قال : فإذا جاء أحد نجب له الاجتماع بكم ، ما نقول له؟ ، قال : قل له تعال العصر ، وقد جعلنا هم مجالس ، الله يبارك لنا ولهم فيها ، ونحن نبتا فيهم رجاء أن ينفعنا الله بهم ، خير من نبتهم فينا ، ومجالسنا مع الناس يلزمنا فيها أمور ليست تلزمكم ، أقل الحال نسأله هل تزوج ، وهل جاءه أولاد ، وكيف هم ، ومثل ذلك تضيق وقت ، وقد قال لنا بعض مشايخنا الذين أخذنا عنهم : إذا صافحك أحد ، فلا تسأله عنه ، فقلنا : إذا جاء إنسان من بعد يحتاج إلى السؤال عنه ، وكل أحد يريد منا كلاما ، والشيخ عبدالله العيدروس ، مع أنه ما عاش في الناس إلا خمسا وخمسين سنة ، ما مات حتى ترك زيارة التربة بسبب الناس ، وكثرة شاغلهم ، حتى إنه يصل إلى طرف التربة ، ويقرأ الفاتحة ثم يرجع ، فهل سمعتم عن بلغ سننا هذا كان يجالس الناس كثيرا ، ويخالطهم مثلنا ، فقليل له : هذا أمر قد احتاره الله لكم ، قال : فالله يبارك لنا فيما احتاره لنا ، قال ذلك وهو جالس في الضيقة ، خارجا لصلاة الظهر ، يوم الخميس حادي عشرين ذي القعدة سنة ١١٢٨ ، وسنه إذ ذاك نفع الله به ٨٥ سنة ، تنقص شهرين وستة أيام .

ونوول يوما رضي الله عنه ماء ، وكان الوقت شتاء ، فقال : سبحان الله ، أين

تلك الخلاوة التي كانت في الماء أيام الصيف ، الجنة ليس فيها برد ولا حر ، البرد والحر في النار ، الحر في منمها ، والبرد في أوديتها ، ولا تلك الخلاوة فيه إلا إذا كان باردا ، ويمثل به في شدة الخلاوة ، فيقال : أحلى من الماء البارد للظمآن ، ثم لا يقيد بكون ذلك في الصيف ، لكون المطلق في كلام العرب ، يحمل على المقيد عرفا وعادة مفهوما عندهم في لغتهم في كثير من الإطلاقات .

ما قال في الصبر

وقال له نفع الله به رجل من السادة : أخي يسلم عليكم ، وادعوا له ، وكان ضعيف الحال ، وابتلى في ماله من بعض ظلمة الجهة ، فقال سيدنا في حقه : ما عاد ينفعه إلا الصبر ، وهو عماد المؤمن ، ويقدر ما وقع عليه ، أنه وقع بعد موته ، فإنه لا علم له منه ، ولا شغل ولا تعب ، ولو كان له ترم بأطرفها ، لا يبالي بذلك ، فلما أن حصل له ذلك وهو في الحياة ، فإنما ذلك ليثاب عليه ، لأن حصول الثواب إنما يكون في الحياة ، ولو كان ذلك بعد موته لم يحصل له الثواب ، ويقدر كل شيء نزل به أنه ما نزل ، كما قيل لحاتم طي ، وكان مشهورا بالسماحة والكرم : ما الذي يسهل عليك الكرم ، فقال: أقدر الشيء أنه ما كان ، وبلغ من كرمه ، أنه أصابته سنة مقحطة ، أذهبت الخف والظلف ، ولم يبق معه إلا فرسه ، فورد عليه ضيف فلم يجد له ما ينحصر له ، فذبح له الفرس ، فقالت له زوجته في ذلك فقال : وما نكرم به ضيفنا ، فلم يأل بذبح الفرس لإكرام الضيف ، مع أنه ليس معه غيرها ، وكان يضرب به للمثل في الكرم ، ثم انخر الكلام إلى ذكر علو الهمة ، فقال نفع الله به : مع علو الهمة تصغر في عين الإنسان جميع الأشياء الدنية ، ولا يهمه إلا المقصود الأعظم ، وذلك كالشجاعة فإن الشجاع لا يبالي بما يعرض له ، ويحتاج كثيرا إلى

سعة الصدر ، فمع ضيق الصدر قل ما يحصل على شيء ، وكان الشيخ عبدالله العبدروس كثيرا ما ينشد هذين البيتين^(١) :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

وقال رضي الله عنه : الفرق بين التأيي والتواني : أن التأيي التوقف حتى يتبين الأمر ، والتواني مع تبينه يقف عنه ، ويتساهل فيه ويتركه ، والتأيي في الخير محمود ، والتواني فيه مذموم ، وقد يتبين لك الأمر ولكنك غير مستعد له عدته ، فلا ينبغي لك الإقدام عليه .

ما قال في القاضي

ودخل عليه رضي الله عنه قاضي البلد ، فبعد السلام والتحية كلمه بكلام يؤنس ، فقال له : لا بد للإنسان من أمرين : الصبر والتقوى ، لأنه ما يجيء عند القاضي إلا متخاصمون ، ولو تبين لهم الحق^(٢) ، لأنه لو كان فيهم تقوى ما احتاجوا إلى الترافع للقاضي ، فلا يرفع إليه إلا من بينهم مشاقة وخصومة ، فالعمدة لك إنما هو الإصلاح ، فاعتمد ذلك وتجنب الحكم ما استطعت ، لأن الحكم عسر ، فأصلح بين المتخاصمين ، واصرفهما عنك متراضين ، وقد كان القاضي باهارون في وقته ، جميع أحكامه إلا إصلاح بين الناس ، وقد قال من تتبع قضايا سنة كاملة : ما رأيت فيها حكما واحدا ، وإنما كلها إصلاح ، وأين أنت اليوم وحكم الشرع ، وقد قال الشيخ علي بن أبي بكر في وقته : لا يغرك قول من قال امش بنا إلى الشرع ،

(١) للنسي ديوانه ٤٠٦ .

(٢) أي وإن تبين لهم الحق لا بد لهم من الخصومة إذا وصلوا إلى القاضي - اعلم .

فإنهم أخرجوا من الشرع عنه ، فبقي شر بلا عين ، فإذا أريت الله تعالى من نفسك الصبر ، والورع ، والتقوى ، يرجى لك السلامة ونحر ما استطعت . وذكر قصة : إن رجلا كان يحشي في طين ووحل على طرف نحر ، وهو متحفظ على ثيابه ، ورافعها خوفا عليها من النجاسة ، فزلقت رجله فسقط ، ووقع طرف ثيابه على الماء ، فسيبها كلها ، وجعل يجرها في الماء والطين ، وهو يبكي ، وقال : هكذا الإنسان ما يزال يتحفظ في دينه ، حتى يقع في أمر ثم يفرق فيه ب كله ، فينبغي أن يكون القاضي من حين يجلس على نية صالحة ، من إكشاف الحق وتبيينه ، وإصلاح بين المسلمين ، وما لم يظهر لك تركه على غيرك ، كما كان بعض قضاة ترم يخلي واحدا يقوم عنه بسببون .

ما قال في ذم تمني البلاء

وقال رضي الله عنه : لا تقل وأنت في عافية : لو ابتليت صبرت ، فإن الغالب إن من يدعي الصبر مع الله يتلى ، ولكن أسأل الله تعالى العافية ، فإذا ابتليت فاصبر ، ولا تغتر في نفسك بأحوال أقوام بلغ بهم البلاء كل مبلغ ، فصبروا ، فلعلك لو ابتليت لم تصبر ، فكم من قائل: لو ابتلاني الله لصبرت ، فلما حل به البلاء لم يصبر ، فتراه إذا تحرك له ضرر ، أو ضرب عليه عرق ، بات سهرانا ، وأما أولئك الذين صبروا ، فإنهم انكشفت لهم الآخرة فشاهدوها ، فلم يبالوا بالبلاء ، ودانوا أنفسهم فلم يعابوا بالرفاهية واستوت هي والشدة عندهم .

واعتذر إليه رضي الله عنه بعض الفقهاء ، ظن أنه رأى عليه في شيء ، فقال نفع الله به : لا عاد يقع في خواطرهم إن في خواطرنا عليكم شيئا ، لأننا أصبر منكم ، وأوسع أخلاقا منكم ، وقد جربنا الزمان ، وجربنا الناس ، فمن فيه عشرة أخلاق

وفيه خلقتان تعجبنا منه عفونا عنه الباقي ، قيل له : فإن لم يكن في الإنسان شيء يحمد ، قال : نرضى منه بقضاء حاجة ، أو فتح كتاب ، ونحو ذلك ، ولو علم الناس بصبرنا على فلان ، في قضاء الحوائج ، لكان تعجبوا منا ، فالخبر تظنون أنه يقع في خواطرنا على أحد شيء .

ما قال في كلمة لا إله إلا الله

وقيل له رضي الله عنه : خاطركم بالدعاء لفلان بالثبات وهو شخص كبير السن ، فقال : إذا أراد الثبات فليعض على قول لا إله إلا الله ، ويلزمها ، فإن الطريق قريب جدا ، وإن كان فيه مشقة ، كطريق العقبة ، تشق مع قربه ، وإنما البعد على من دار عن الطريق ، ولا ترى أحدا يفتن أحدا في دينه ، إنما يفتن من فتن أحدا في دنياه ، فلا يكاد أحد من الرافضة ، ونحوهم من المبتدعة ، أن تسمعه يتعرض لأحد لينمعه عن دينه ليدخله في مذهبه ، وهذه الكلمة [أي لا إله إلا الله] سهلة قريبة ، فإذا رضي الله ورسوله بقولها مرة واحدة ، بعد كفر كذا كذا سنة ، فأحرى أن يقبلها ممن لازمها مدة عمره ، وإن كان عليه شيء من الكيثر ، فمن لقي الله بها يرحى منه تعالى له المغفرة ببركتها ، وهي التي يشاغب الشيطان عليها ، ويحرص أن يقطع الإنسان منها ، وقد طلب النبي ﷺ من عمه أبي طالب أن يقولها مرة واحدة يشهد له^(١) بها ، وكذلك الدجال لعنه الله ، إذا جاء يدعي الربوبية ، مع كثرة ما يجيء به من الفتن ، إنما يرضى ممن تبعه أن يقول له بكلمة واحدة ، بأن يقر له بالربوبية ، فكذلك جميع الفتن وإن كثرت ، ففي كلمة التوحيد للإتسان مخلص كاف

(١) وسببه كلام يتعلق به في الجزء التالي خمسة (٧٩-٨٠) فأنظره .

من جميع الفتن .

وسمعه رضي الله عنه يوصي بعض السادة فقال : إن أردت تنوير قلبك فعليك
بلا إله إلا الله في جميع أوقاتك ، واجعلها شغلك ، ولا تخرج منها إلا إلى قراءة
القرآن ، أو قول : الله الله .

ما قال في المهدي

وأمرني رضي الله عنه أنشد ، فأنشدت بقصيدته على ريم وادي الرقمتين
سلامي^(١) ، وفيها ذكر للمهدي ، وذلك في مسجده الأوابين، يوم الثلاثاء ٢١ صفر
سنة ١١٢٨ ، فقال نفع الله به : هذه الأخبار التي وردت في للمهدي ، وتقريب
وقوعها ، معنى إنما واقعة لا محالة ، وإن بعدت ، ولما ذكر النبي ﷺ من أمر الدجال
وقرب فيه وبالغ في قرب خروجه ، ظن من سمعه أنه خارج في وقتهم ، بسبب تقريبه
لهم ، وكذلك ما أخبر الله تعالى من قرب الساعة ، وتفصيل ذلك وتقريبه ، وإخبار
الله تعالى على قدره لا على قدر الخلق .

وأنشدت بها أيضا بأمره بين يديه ، يوم الثلاثاء في دار آل فقيه في ٢٤ محرم سنة
١١٢٩ فقال نفع الله به لأحد الحاضرين: أسمعت ما فيها من البشارة بالمهدي ، وقد
بشر به من قديم ، ولكن أمر الله تعالى على قدره ، والزمان قد كثر فيه الظلم
وتفاحش ، وسنة كثر الخريف^(٢) قلنا لولا أن في الخير تقدمه فتن كثيرة ، لقلنا إنما
من سنين المهدي، ولكنه خارج ولا بد ، وإذا ظهرت الشمس ذهب الظلال أو قال

(١) ديوان الحبيب عبدالله : ٢٩٦ .

(٢) أول سنة كثر الخريف أي غر السيل وهي سنة ١١٢٧ كثر كثرة عارضة عن العادة حتى إن غلظة أحرق نحرها ولم يسق
فيها سدف لميلت كغرها ، بعد ام .

الظلام، وناس يتمنونه ، ويدعون بخروجه ، كل ذلك لأجل الدنيا ، ولو كان يعطي الناس حق الناس ، ما كان عادلا ، وكان جائرا ، وإنما هو يقسم بيت المال بين الناس بالسوية ، ولا يعطي أحدا حق أحد ، ولا أحسن من سؤال العاقبة ، مع ملازمة أمور التوحيد ، الخاص للخصوص ، والعام للعموم ، والمهدي جامع بين القطيعة والخلافة كما سيدنا علي على مقتضى الظاهر والباطن ، وهو مجدد لهذا الدين ، ومعنى التجديد تقرير أمور من الدين بين أيدي الناس ، طال بما العهد فيهم حتى اختلف فيها اجتهداهم ، فيقررها على الحق ، لا أنه يخترع من الكتاب والسنة أمرا لم يكن. قيل فيحتاج إلى إلهام من الحق ، يعرف به الحق من الباطل ، أو تقرير الصواب ، قال : لكن كشف الأولياء لا يعمل به في الشرع ، قيل : فاللهدي. قال : أما اللهدي فيلزم العمل بقوله ، لأنه مقرر من الشارع ، وعلومه كلها وهبة ، يفتح الله عليه معاني الكتاب والسنة ، فيقرر الأحكام الشرعية على أكمل وجوها ، وعلى الوجه المحبوب عند الله ورسوله ، وهذا هو علم أهل البيت النبوي ، كما قيل لسيدنا علي رضي الله عنه : هل خصكم رسول الله ﷺ بعلم دون غيركم ، قال : لا ، إلا فهم في كتاب الله .

وحضر عنده رضي الله عنه جماعة جاءوا من الحج ، فقال : الناس مشتاقون إلى النبي ﷺ أكثر من شوقهم إلى البيت ، ولكن يمنع من ذلك الضعف ، وقلة الطاقة ، وذكروا من رخص أسعار الحرمين ، فقال : إذا صلحت أمور الحرمين ، صلحت جميع الجهات ، لأن جميع الناس إنما هم على الله ورسوله .

وذكر رضي الله عنه أشياء من أمور الأولين ، خلفاء وغيرهم ، فقال نفع الله به : أمور التواريخ لا تحتلها ذو العقل الضعيف ، لأنه يحصل له من ذلك عبر ومذكرات ، فلا يبلغه عن أحد فاضل ولا مفضول ، إلا وله حساد ، وعليه غامين ،

وناس يريدون الغدر به، مع أن الزمان صالح ، والناس أهل دين ، والخير ظاهر أظهر من الشر ، فكيف في زماننا هذا .

أقول : فلهذا كان سيدنا نفع الله به ، لا يتق بأحد من أهل الزمان ، حتى يأخذ حذره منه ، وقد قال رضي الله عنه: حصل لي مرة بعض مرض في الدماغ والرأس، فجاءني فلان بدهن الورد، فلم أقبله منه ، وهو لنا صديق ، غير كرهته لِمَا نعلم من ضعف عقله ، فلم نتق به ، ونحن لا نقبل من أحد دواء إلا أن يكون فيه حصصتان : العقل والنصيحة ، فلا ينبغي أن يأمن كُلُّ أحد ، لأن الطوائع تختلف ، والجهات تختلف ، والأدوية تختلف ، والمقاصد تختلف ، وقد حصل بيننا كلام وبين رجل ركب معنا في البحر ، عندما سرنا إلى الحج بسبب الماء ، لما رأنا نأخذ منه ، ويعطونا أكثر مما يعطونه ، فقال للنوخدا^(١) له : هذا ماء حملوه معهم ، وقد حملنا معنا مَاءَ رحلة^(٢)، أو قال أكثر ، فقال : أريد النزول ، ولا صبر لي على هذا ، فنزل ليلاً ، فلما كان الصبح جاءنا رجل في المركب ، بقدر فيه ماء مذاب فيه سكر أبيض، وكان الوقت صيفاً ، وقال: هذا لكم هدية من بعض المحبين ، يرد عليكم ، فقلنا : لعله أن يكون من ذلك الرجل ، فأخذت منه قليلاً ، ثم تناولته لآخر لعدم تقني به ، لما وقع بيننا وبينه فسألت عنه. فتيل : قد نزل من الليل ، وكان ذلك من غيره ، وكذلك الملوك لا يأكلون طعاماً ، ولا يشربون ماء ، حتى يأخذ منه الذي أتى به خوفاً من وقوع شيء ، وهذا في مقابلة ما يأخذونه من نعيم الدنيا، فإنما منغصة، وأيضاً فَأَلَوْهُمْ قد يعمل مع الإنسان في شيء ما منه شيء.

(١) النوخدا : ريان السفينة واللغة فارسية .

(٢) الرحلة في عرف أهل حضرموت هو الزير الكبير .

تحري النية في الأمور المباحة

وقال رضي الله عنه : الأمور المباحة ينبغي أن يتحرى لها الإنسان نية ، فإن لم يجدها من نفسه ، فليسأل عنها أهل العلم للمؤمنين ، وأخبره بأمرك الذي تريد فعله ، من بناء دار أو طلع^(١) نخل ، وغير ذلك ، وكانوا يتحرون النية ، ويتعلمونها كما يتعلم الصغار القرآن ، وقد أدر كنا منهم جماعة ، بنوا غرفاً بقدر حاجتهم إليها ، يبنون قدر ما يحتاج إليه في الحال الحاضر ، فإذا تزوج أحد من العيال ، واحتاج إلى منزل وحده ، بنى ذلك ، فإذا تزوج آخر فكذا ذلك ، وعلى هذا تصير الدار كبيرة ، بتكرار الاحتياج .

ما قاساه من أهل تريم ، وقصة آل باكثير

وذم رضي الله عنه ما يتعاطاه بعض الناس ، من التهاون بالصلاة والزكاة ، ثم قال: قد قاسينا من أهل تريم من شرارهم مقاساة شديدة ، لأننا جلسنا لهم بحال لم يعرفوها ولو رأينا منهم قابلية ، بانتفاع في دينهم ، كنا جئناهم إلى بيوتهم ، وما معنا ومعهم شيء إلا إن كان بالعناية ، نحن وإياهم ، وإلا فقراءة الكتب ومطالعنها ، قد فعلنا من ذلك^(٢) ما شاء الله ، وما جئنا بشيء^(٣) ، وما عاد مثلنا ومثلهم إلا مثل حكاية عن أحد من آل باكثير ، ناموا في بيوتهم ليلاً وتركوا الباب مفتوحاً ، فدخل سارق يدور^(٤) في البيت شيئاً يسرقه ، فلم يجد شيئاً ، فأحس به بعضهم ، فقال له: ماذا تريد ، نحن أعرف ببيتنا منك ، وقد دورنا فيه نحن قبلك في النهار ، فما وجدنا

(١) طلع النخل : غرسها .

(٢) أي معهم اهتمام .

(٣) أي ما جعل منهم اقرباء والباح . اهتمام .

(٤) يدور : يبحث .

شيئاً ، فلا عاد تتعب نفسك بلائش ، فقال السارق : أسحقكم الله فلأني شيء جلوسكم في هذه الخرابة ، فهذا مثلنا نحن وهم ، وما رأيانهم إلا مختلين بصلواتهم ، وزكواتهم ، ومن أحل بذلك فهو ظالم ، ورأيانهم مرآتين ، ومن لا ينتفع بما يسمع من العلم فلا عاد يروح يدور علماً ينتفع به ، ويوم يتبنون عليهم حتى يأخذوا منهم زكاة عشرة أربطال ، فمن أي شيء هذا إلا من ظلمهم ، فإن الله سبحانه لم يطرح حجره على بعة^(١) ، وستر الله جميل ، ولكن من لا عرف نفسه ما يعرفه أحد ، أو كما قال .

ودخل عليه رضي الله عنه بعض السادة ثامن نعم النطح ، فقال سيدنا نفع الله به : في الوقت يُريد ، وفيه فائدة ، ولو لم يكن من فائدته إلا أنه يذكرك نعماً تحصل لك ، وقد كنتَ فيها ، والفكر أفضل الأعمال ، ولا محل الفكر إلا الدنيا ، وأما الآخرة فلا محل له ، وإن وجد فيها فما هو إلا حسرات ، كما حكى الله عنهم : {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} ^(٢) ، لأغم ضيعوا الفكر في وقته ، والقرآن فيه كل شيء ، إلا إنه ما يعقله إلا العالمون ، وعهدة بيانه إلى النبي ﷺ على الإجمال ، وتفصيله^(٣) إلى العلماء وهو الاستنباط ، وشيء يئس للناس هذا البيان ، لأن الاستنباط ليس كالوحي ، والإنسان مأمور بالتفرغ للدينيات ، ويصطفي منها ما هو الأحسن ، لأن أمور الدين مختلطة ، تستخلص بالفكر ، والأمور ما تيقا إلا همه وفكر وفراغ .

(١) هذا مثل يضرب به في جهة حضرموت أي ما يسلط قوتاً على ضعيف إلا يذنب . اعسام .

(٢) سورة الملك : الآية ١٠ .

(٣) أي تفصيل ما أجمله . اعسام .

ما قال في قوله تعالى : سَتَقَرُّغُ لَكُمْ ، الآية

وما قال تعالى : { سَتَقَرُّغُ لَكُمْ أَيْسَةُ الثَّقَلَانِ } (١) ، إلا أنه سبحانه أمرهم بأشياء، وطلب منهم أن يتفرغوا لها، فلما لم يتفرغوا كافأهم الله بما يناسب حالهم ، أو قال مثل عملهم.

ما قال في عقائد أهل حضرموت

وذكر رضي الله عنه ما يُتعارف بين الناس في لغاتهم وعقائدهم ، مما لا يخالفه فيه للشرع ، فقال : اعمل على الأمر المعتاد بين الناس ، ولا تشذ عنهم حتى يتبين لك بطلانه ، فحينئذ اتبع الحق ولا تشذ ، فإن من شذَّ شذَّ إلى النار ، لأنك ما عندك علم تُعَوِّل عليه ، ومثل هذا يحتاج إلى علم ، وأهل الجهة قلدتهم مؤدبين في عقائدهم فقد كان فيها علماء ، والعلم فيهم ظاهر ، ألا ترى العامي يقول لخصمه : حسيبك الله ، والله مُطَّلَع عليك ، والنصيف الله منك ، ونحو ذلك ، فهذا هو الاعتقاد فيكتفى منهم بما اكْتَفَى به النبي ﷺ من العامة وأجلاف العرب ، فلا تذكر لهم البرهان (٢) ، وكلام أهل الكلام ، فإن ذلك يُشَكِّكُهُمْ ، وأبين الناس اليوم ، فإنهم موتى ، لو حُرِّيت برجل أحدهم ما علم ، فلا نخض مع الناس في أمور الاعتقاد وأمور الآخرة ، إلا فيما يوجب الخوف وتأكيد الاعتقاد .

وقال رضي الله عنه : اليوم ما ينوق بالفضائل إلا من هو من أهلها ، أو قريب من أهلها ، أعني الفضائل الظاهرة ، نحل الباطنة فما فيها خوض ، والأشياء إلا بالخطوِظ ، حتى إن رجلاً من أهل الكشف ، ذكره الشعراوي اسمه الفرغل ، وهو

(١) سورة الرحمن : الآية ٣١ .

(٢) أي الحجعة اعصام .

عامي لم يقرأ، فسمع قارئاً يقرأ ، فبعد ساعة قال له : غلطت ، قال : وما علمك؟، قال : كان يخرج من فيك نور ، ثم بعد لم أره يخرج ، فنظر فإذا هو قد انتقل من مقرأ إلى مقرأ ، وهذه أمور السماع ، ما يذوق بها إلا من يعرف ، إن ما ذاق بالصوت ، ذاق بالمعنى .

ما قال في باخرمة

وذكر رضي الله عنه باخرمة ، وقال : في كلامه حكم ، ولو هو على هيئة كلام العامة ، فإنه عالم صوفي ، صاحب رياضة ، ما هو صوفي جاهل ، قلت : هل كان في عسكر فلان^(١) الكثيري لما دخل ترم؟، قال : نعم ، وقد قيل له في ذلك ، فقال : ما تبعته ، إنما تبع السعد وهو معه ، كما إن الشيخ عبدالرحمن^(٢) كان من حيث الغيب في عسكر فلان الكثيري ، لما دخل شبام ، حتى قال الشيخ معروف بأعباد ، لبعض جماعته : انظر من معه من الصالحين ، فنظر فقال : معه الشيخ عبدالرحمن ، فأهل الباطن لهم أحوال ، تعرف من قصة الخضر فاستمد منها .

ما قال في طلب العلم

وقال رضي الله عنه : ينبغي للإنسان أن يتبحر في فن من العلوم ، حتى ينسب إليه ويعرف به ، قال سيدنا علي كرم الله وجهه : من أكثر من شيء عرف به ، ويتطرق في البقية من كل فن ، ويأخذ بجامعها وجملةا ، حتى إذا سئل عن شيء ،

(١) يعني السلطان بدر المعروف بأبي طويرق في القرن العاشر .

(٢) يعني الحبيب عبدالرحمن بن محمد السلاف المتوفى سنة ٨١٩ .

فإذا هو معه فيه معرفة ، ولا يكون جاهلاً ، ولهذا صنف الإمام السيوطي النفاية^(١) وشرحها ، وإذا حفظ علماً حفظ جميع العلوم المتعلقة به ، بحيث إذا اقتصدت واقتصرت فيه كنت فيها كذلك مقتصدًا ومقتصراً .

وقاعدة : من كان عارفاً يعلم ومتحققاً فيه ، إذا سمع من يتكلم في ذلك العلم الذي يحسنه ينبغي له أن يسكت ولا يتكلم ، فيظهر نفسه ، فإذا تكلم فإن ذلك يُعَدُّ منه سخافة ، وكثير ممن معه باب أو عشر مسائل يتكلم مع كل من سمعه يتكلم في شيء من المذاكرة ، وخير لك أن تحسن عشر مسائل وتتنقها من أن تقرأ كتاباً تاماً لا تنتقه ، وقد جاءنا رجل وكان يغلب عليه السكوت ، لا يكاد يتكلم ، مع أنه يسمع للمذاكرات فلا عُرِفَ ، فإذا هو يدرس في المذاهب الأربعة .

وقال رضي الله عنه لرجل من السادة يريد السفر : آل باعلوي ما هم إلا بالمسابع والأوراد ، وما هذا ، يعني الأسباب^(٢) إلا حق الضرورة ، الذي لا بد منه ، ومن خرَّج عن طريقة أهله ، صار مثل الغراب ، أعجبه مشي القطاة ، فأراد أن يمشي مثلها فلم يحسن ، ثم رجع إلى مشيته ، فلم يعرفها ونسيها ، وما يحسن بالإتقان إلا طريق أهله ، فقال ذلك السيد : قد بُعِدنا منها ، قال سيدنا : مازلت قريباً منها ، فأنت عليها ، ومن تركها بالكلية ، فهو الخارج منها والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وما على الإنسان أن يحفظ إلا دينه وطريقته ، والطريقة ما هي إلا القراءة والتسبيح والصلاة الجائزة ، ما هو إذا نزل المنزل غفل ولها ، وجعل يهذي ، ويصلي صلاة غير جائزة ، أو أخرجها عن وقتها ، وأُعيد (يس) لكل مهم ، وفيها

(١) النفاية اسم كتاب للسيوطي جعله في أربعة عشر علماً ، طبع مع شرحه إمام الدراية في الحنف سنة ١٣٠٩ هـ في مصر سنة ١٣١٧ .

(٢) أي في أمر العاش . اعظام .

سر عظيم ، وعليها مدار كبير ، حتى على السنة الناس ، والسادة آل باعلوي ما يحسنون يربون الجاه ، لأن أصلهم الفقر والسكنة ، وأهل الجهة لا يعرفون أمور الجاه ، وإن حصل شيء منه أتلفوه ، والجاه ما يكون إلا على جماعة مقتربة ، فإن قوي عنها ، كان على بلدان ، فما هو إلا ولاية ، ما يقوم بها إلا ولاية الأمور ، والأمور اليوم تفلتت عن قواعدها المعتادة ، فالجاه يغى عرف ، والمال يغى عرف ، فإن فاتت العرف فاتت الأمور ، وقاعدة : أوائل الأمور تكون سهلة ثم يكون الإشكال في أوسطها ، كالبحر أول ما تدخله يصل إلى الكعب ، ثم إلى الركبة ، ثم إلى الوسط ، ثم تحتاج بعد ذلك إلى السنبوق ، ثم إلى المركب الكبير ، إذا توسطت فيه ^(١) الغبة ، والغريق لا ينجي الغريق ، فإن طلب منه أن ينحيه راح هو وإياه ، قيل : فعسى ببركاتكم تنيسر الأمور ، فقال: بركات الفقيه خير ، وذاك مع انتظام الأمور ، وأما حكاية من يقول أنا أمير ، وأنت أمير ، فمن يرعى الحمر ، والاستعجال ما يحسن ، ومن في نفسه شيء ينبغي أن يطويه ، ومن كذب في شيء لغير غرض فأحرى أن يكذب إذا كان له غرض ، وإن الله ليستقم بالظالم من الظالم ، ثم يرجع ينتقم منهما ، كما قال الشيخ عمر بن أحمد : هي تقع إلا ما بين عاجل وآجل ، فقد كان آل باغوث خيرا من هؤلاء ، ولا فعلوا عشر فعلهم ، فجعلهم الله عمرة ، حتى صاروا سوالا ، يطلبون على الأبواب ، ولا أحد يرثي لهم ، والعقوبة ما شرطها أن تقع على يد من تسلط بسبيه ، ولكن يكون ذلك لا محالة ، على يده أو على يد غيره ، ونحن ما بيننا وبين آل فلان وحشة ، حتى في كلمة واحدة ، وما نسير معهم إلا على ما يريدون ونغلبهم وما أرادوا ، ولكن طريقهم إلى النار ، حتى إذا كتبنا لهم نكتب

(١) في (ج) : في الغبة .

فلان الفاعل التارك^(١)، وليس طريقنا الحتك والعنف ، وإنما طريقنا الرفق واللطيف ، وما سلكتنا مع أهل الزمان إلا بالرفق واللطيف ، لا بالشدّة والعنف ، وإلا لكتنا خر حنا من بيوتنا ، بسبب ضيقنا منهم ، لا بسببهم .

ما قال في الفنة الطاغية في الجهة

ثم قال نفع الله به : وحكاية هؤلاء^(٢) في الجهة مثل حكاية بخت نصر في بيت المقدس مع بني إسرائيل ، إلا كل شيء على قدره ، من حيث الزمان والمكان والناس ، وإن كان الأمور لا بد فيها من التقدير ، فلما حصلت منهم تقصيرات وذنوب ، حصلت لهم العقوبات ، وإن كان أولئك كفارا ، وفي تلك الأرض أولاد الأنبياء ، فهؤلاء يقولون : لا إله إلا الله بألستهم ، وقلوبهم خلية منها ، وبين أظهرهم الأشراف ، وأولئك قد حاسوا حلال الديار ، فكنذك هؤلاء بل نزلوا في الديار ، فزادوا عليهم بهذه ، ثم أنشد هذا البيت :

ولا تيأس أن ترى فرجا فأيسن الله والقدر

والدنيا كلها إلى نقص ، ولكن قد ينقص في بعض الزمان الدين والدنيا ، فانظر كيف صار أهل البدعة من الزيدية وأهل عمان في هذا الوقت خيرا من أهل السنة ، لما في أرضهم من الأمان ، وشفتهم على الرعية .

كثرة الظلم في حضرموت

فأجل ذهنت ، هل ترى اليوم أظلم ولا أجور ، ولا أزعل من حضرموت ، ولا

(١) أي ليس نكتب لهم ذلك ، بل نأخذهم بالرفق رضي الله عنه . اعـسام .

(٢) يعني بالغ . اعـسام .

عاد تقول إلا عيراً ، فإن هذه الأعبار قد سارت بها الركبان ، وانتشرت في كل البلاد ، فلا عاد تصيح إلا إلى ربك ، فقم له في آخر الليل لا تنام ، ولا عاد تنفع الشكوى من ظالم إلى ظالم ، فترك إذا اشتكى إليه ، جعل يستهزئ بك ، ولا يبالي بك ، وهذه أمور لو رآها الإنسان في النوم استبعدها حدثاً ولو فعلَ مَنْ قَبْلَ هؤلاء بعضها لانقلب عليهم البلاد ، فكيف ناس من ضُغْفهم لا يعرفون الدراهم ، يُدْفَعُونهم قروشاً ، لكن عسى رحمة من الله ، لا تيأس من الله ، ما هو إلا إذا جاءك ما يسخطك من الخلق ، فافعل ما يرضي الله ، وابقوا على فقركم وهجرتكم حتى إن راح قليل من الدنيا ، بقي الدين سالماً أو كما قال .

وذكر رضي الله عنه امتداد مدة الظلمة في الجهة ، ولم يصبه شيء ، فقال : هم مع ظلمهم ، وهؤلاء مظلومون يدعون عليهم وإنما زادهم الدعاء عليهم حسارة ، ولو أن دعاء المظلوم مستجاب ، لكن الله سبحانه حلیم لا يعجل ، فإذا أخذ أحد عمرة واحدة ، فعسى يحصل للناس فرج من السماء ، وقد أفرط بهم^(١) الطمع ، حتى غيروا على أنفسهم وانعزَّ الغيارُ على الناس ، وما هذه صفة من له عقل ، لأن العاقل يجر لنفسه ما ينفعها ، وهؤلاء نفروا الناس وأضعفوه ، وما عاد أهل الزمان إلا كحيثان البحر ، يأكل الكبير منها الصغير ، والوعد القيامة قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نُوَعِدُونَ لَأَتِيَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾^(٢) ، وما عاد لهم وعد إلا القيامة ، ولم يبلغنا فيما سمعنا إن حضرموت صارت إلى هذه الأمور في وقت من الأوقات ، وكثرة الحركات وشدها على الضعفاء والمساكين ، وهي حركة الفعل أفعال الخلق ، لا حركة الباطن حركة المقادير .

(١) أي يقع بالعام.

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٣٤ .

وقال رضي الله عنه : حصلت في نحو خمس سنين ، أو ست سنين مصائب ، ولم نرها إلا مختصة بأهل البيت ، وإن تمت هذه فهي آخرهن^(١) .

وذكر له رضي الله عنه وهو خارج من البلاد إلى الحواوي : أن عمر بن جعفر أتى محطة من القبلية على يافع ، فخرج يافع إليهم ، فالتقوا معهم ، أو مع بعضهم بطرف حدية^(٢) ، فاتكسر أهل القبلية ، فقال لي : أتخفظ هذا البيت :

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب
قال : وسخينة لقب لقريش .

وقيل له : إن فلانا تولى وتفاسل^(٣) معهم ، فقال : فلم يدخل العار وقد حرب ، والعار هو نار الدنيا ، ولم يحسن ، ودخول الأمور من غير أبوابها عسر تريد تدبيرا أولا .

وقال رضي الله عنه : لا تحسب أن الزمان كان صافيا فتكدر ، بل كان متكدرا من قديم ، وإنما زاد كدوره الآن .

وقال رضي الله عنه : هكذا الدنيا يستولي إدارها على إقبالها ، وأحسن ما ينبغي في هذا الزمان قطع العلائق ، لأن الزمان مظلم ، وخرجت فيه ظلمات الساعة . وقال رضي الله عنه : الزمان هكذا كلما ابتنى فيه الأمر من جانب ، الهدم من جانب ، حتى إن بعض ملوك الجهة سألنا ، وقال : ما أراكم قمتم بنا على سيرة الخلفاء الراشدين ، فقلنا: إن هذا بسبب الزمان ، لا لتقصير حصل ، فإذا كان عمر بن عبدالعزيز رحمه الله لم يمكنه أن يسير بسيرتهم من كل الوجوه ، بل قُرب من

(١) وهم المشار إليهم آنفا ، أعوام .

(٢) قرية بمضرمات .

(٣) تفاسل : أظهر التسلية (معروف) .

سرقهم جدا ، فكيف يمكن في هذا الزمان .

وقال رضي الله عنه : أهل الزمان فيهم تشيخ ، ومن لم يتشيخ تشيخوا لله ،
وعاد ضرر ذلك عليه .

ما قال في من قال من أهل الشطح

وقال رضي الله عنه : اعمل لله خالصا ، لا شيء آخر ، ثم إن أعطاك بعد ذلك شيئا ، فهو من باب الفضل والمنة ، ولا يسع أمور الآخرة إلا هذا ، ومن خالفه ممن قال من أهل الشطح : بنقص من عمل رجا الجنة أو خوف النار ، ونقله الناس عنهم ، وسموهم لذلك زنادقة ، لأن هذا مذهب الزنادقة^(١) ، وكلما كثر الشطح كثر الاعتراض ، والإخلاص ما يتبين إلا بالامتحان ، ولو هو يسمع الكتب وما يذكر فيها ، فإن الهوى لا يذهب ، إنما هو يختفي كاللص ، ولا يموت ، وإن احتفى قليلا فما تحس به إلا وقد ظهر عند مقتضاه ، انظر قصة الذي دعت نفسه إلى الجهاد ، فخالفها حتى تبين له أن موجب داعيتها ، أن يموت قتلا في الجهاد ، فيتحدث الناس أنه استشهد . ما هو إلا كن لربك على نفسك ، حتى يكون لك ، ولا تكن لنفسك فلا يكون لك ، وقد دخل الرياء وغلب الهوى على الناس حتى في العبادات ، أو كما قال .

ومر في القراءة في شرح الحكم ، في قراءة السيد زين العابدين ، كلام يتعلق بحبة المدح وكرامة الذم ، فقال نفع الله به : المقصود من ذم النفس الذي يذكرونه ، أن يكون الإنسان أجنبيا من نفسه ، حتى لا يتبعها في باطل ، كالعنق لا يؤمن ، وإلا

(١) أي فلا حرة به . خلا قوله : (ومن خالفه) . اعلم كاتبه ، فتأمل أيها الناظر بالحسام .

فلا حاجة إلى أن يذم نفسه ، أو يذمه غيره ، بل إن كان ذا علم وصلاح ، فمدحه قربة ، ولا عيرة بذمه لنفسه، بل الشأن إذا جاءه الذم من غيره بديهية^(١) ، وإلا فكم إنسان يذم نفسه إظهاراً^(٢) ، ثم لو ذمته بما ذم به نفسه ، قامت عليه القيامة ، ثم قال : التواضع والخمول نعمتان ، ما يغبط عليهما أحد .

وذكر عنده رضي الله عنه بعض الناس بأدب ، فقال : أكثر هذه الآداب تكون عند الملوك ومن يتصل بهم ، وإنما يكون الشيء عند ظهور مقتضاه ، فقد يغلب الطبع الأدب عند ظهور مقتضاه ، فإذا ظهر ما يقتضي أحدهما^(٣) ، ظهر كما في قصة هر بعض الملوك ، لما أدبه فتأدب ، حتى صار يطرح الشمعة على رأسه ، فلما رأى في بعض الأيام لحماً مطروحاً ، أو فاراً مر به طفر^(٤) له ، ورمى بالشمعة ، فقبل لصاحبه في ذلك ، فقال : غلب طبعه أدبه.

ترك الأدب في محله

ودخل عليه رضي الله عنه بعض طلبة العلم من السادة ، وكان صغير السن ، وعنده رجل من السادة شبية ، فجعله بينه وبين ذلك الشبية ، فقال له : اجلس ، وفلان ما نحاذره ، قال هو : لكن تقلدكم الكبير في المجلس من الأدب ، وإن كنت أريد القرب من مجلسكم ، فقال سيدنا نفع الله به : الأدب يعفى عنه في بعض الأوقات ، وفي بعض المجالس ، إذا عرف عند ذلك من أهل الأدب أنهم يؤثرون منه ترك الأدب ، فترك الأدب مع المحبة من حسن الأدب ، فقد قال ابن عربي: جلست

(١) أي لا يرعاه . اهـ .

(٢) أي إظهاراً لتفضيلها . اهـ .

(٣) أي الأدب وعلمه . اهـ .

(٤) أي طفر ووثب . ولقد مثل . اهـ .

مرة مع جماعة، وبقوا متأدبين ، حتى ضيقت من تأديهم معي ، وكنت أريد منهم الانبساط ، فلم يفعلوا ، فصنفت كتاباً سميت كتاب "الإرشاد في خرق الأدب المعتاد". فذكرته يوماً لجماعة كانوا جالسين معي في بعض الأيام ، فقالوا : أرناهُ ، قلت : ما هو حاضر الآن ، ولكنني أحفظ منه الآن باباً ، قالوا : أرؤهُ لنا ، قال : فنأولت رجلي أكبرهم ، وقلت له : فصها^(١) ، ولذلك شاهد من السنة وهو إن النبي ﷺ ، لما كان جالساً في بعض الأيام ، في بعض الأماكن ، وكان كاشفاً عن فخذيه ، فدخل عليه أبو بكر ، ثم عمر ، وهو كذلك حتى دخل عليه عثمان ، فغطى فخذيه ، وكان لأبي بكر وعمر منه من الانبساط إلى هذا الحد ، ولعثمان من الحياء كذلك ، وفي ذلك شاهد ، ثم لما دخل سيدنا علي والمكان غاص ، فلم يجد له محلاً ، فقام له أبو بكر وأجلسه بينه وبين رسول الله ﷺ ، فشكر ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه ذلك ، وقال : يا أبا بكر أنت من أهل الفضل ، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل أهل الفضل ، وإنما نزلت آية : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا }^(٢) في أهل بدر ، يتفصح لهم من ليس من أهل بدر ، لأنه كان عليه السلام ، إذا جلس يسبق إلى مجلسه من يحضره من غيرهم ، فإذا أتوا إذ المجلس ملآن من غيرهم ، فأمرؤا بالتفصح لهم ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : كانوا ينظرون لمن يتولى شيئاً من الأمور ، من قضاء أو صدقة مسجد وغير ذلك ، ويعينونه ، فصاروا اليوم ينظرون ويتبعون له الزلات ، فغلبت العمومية .

(١) عند أهل حرم موت هو ما يعرف عند بعضهم بالتكيس .

(٢) سورة المائدة : الآية ١١ .

ذم من يدخل وسط الجاية

ثم ذم نفع الله به من يدخل وسط الجاية يغتسل ، وقال : إذا روي الماء بعد الدخول متغيرا تغيرا فاحشا حكم بنجاسته ، كمسئلة الظبية ، مع أن الإنسان لا يخلو في بدنه وعورته من نجاسة في الغالب ، خصوصا في العوام ، والمحترفين كالضعفاء^(١) ولخوهم ، ولكن إذا ضاق الأمر اتسع ، قيل : وأيضا فيه إسراف ، فقال: نعم ، والله لا يحب المرففين ، وإذا قال الله في شيء إنه لا يحبه ، فابحث عنه ما هو لتعرفه .

معرفة موازين القرآن

وقد ضاعت من أيديهم الموازين ، حتى يقرأ الإنسان القرآن من أوله إلى آخره ، ما يعرف الآية معنى ولا يهمه أن يعرفه ، وأعجب من ذلك إن رجلا لا يقرأون القرآن ، يملكون من سماعه ويضيقون منه ، وكان ينبغي لمثل هؤلاء أن يشتاقوا لسماعه ، لعدم ممارستهم ، إذ من يقرأه فرمما به ملل ، وأما هؤلاء فما عذرهم ، ثم قال: وما هو لميزان المذكور في القرآن ، أهو^(٢) الفقان أو موازين البيع^(٣) . إنما هو تقدير الأمور ومقايستها ، ونسبة الشيء إلى مثله ومقابلته بضده ، وأول ما حصل الغيار من مجيء الزيدية ، وبقيت كالنار تزيد ، ولا يدرون ، وكان حصوله باختيار أهل الجهة واختيار الزيدية^(٤) ، وكان في الجهة عسف والزيدية مظهرين الدين ، وما

(١) أي الحرث الضالعين بالهم .

(٢) استفهام إنكار أي ليس هو بالهم .

(٣) أي ليس هو ذلك بالهم .

(٤) كان مجيء الزيدية إلى حضرموت سنة ١٠٧٠ بقيادة أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم ، ومن الحبيب هذا الله الخلد نحو

ست وعشرين سنة .

كانوا أهل دهاء ، وأرادوا أن يولوا أحدا منهم ، فغلبوا عليهم ثلثا يصير في الجهة ظلمان ، أو قال ظلمان ، وأما اليوم فما هو إلا شفق^(١) ، تلف الشيء بالكلية ، وما مثله إلا مثل الرضة^(٢) ، أو مثل الفار ، فما عاد إلا لا تأس من الله أن يأتي منه فرج كما قيل: إن أبا عمرو القاري^(٣) خرج من بلاده فارا من الحجاج ، فصرج إلى مكة ، فبينما هو يطوف أو يسعى سمع رجلا ينشد^(٤):

صير النفس عند كل ملم إن في الصبر حيلة المحتال
رعا تخرج النفوس من الأم — رر له فرجة كحل العقال
لا تضق^(٥) في أمورك ذرعا رب أمر أتى بغير احتيال

وذكر رضي الله عنه : الاقتداء عندما مر في القراء ، الأسرار الثلاثة في الأربعين^(٦) ، فقال : الاقتداء على درجات وكل درجة فيها أعلا وأدنى ، وعموم وخصوص ، حتى ينتهي إلى أن يصير كالميت بين يدي الغاسل ، ودون ذلك درجات كثيرة ، ولو أن يشاور في أمر أراد فعله . ومن بقي يفعل كلما أراد من غير توقف على رأي أحد غيره ما يمنعه إلا العجز وعدم التمكن فهذا قلبه خارب .

ما قال في الذهن

وقال رضي الله عنه : ذهن الإنسان كالماء ، إن كثر صرف في أماكن كثيرة ،

(١) الشفق بضم الشين والعين هو في كلام أهل حضرموت هو شق يكون في الثوب .

(٢) الرضة : تشديد الراء وفتح الصاد هي الأرضة الدوية المعروفة .

(٣) هو أبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ .

(٤) انظر الأبيات في ابن خلكان ٣ : ٤٦٩ .

(٥) في (ج) : لا تضيق .

(٦) أي كتاب الأربعين الأصل للإمام الغزالي .

وإن قل لا يحتمل إلا دون ذلك .

وذكر رضي الله عنه بعض المصنفين ، لما ذكر كتابه ، فقال : إنه لم يتم له مقصوده في كتابه لأنه تبجح به ، والعجب ما يحصل معه شيء ، سواء كان من عالم أو من عامي ، فينبغي لمن أعجب بنفسه ، أو بشيء مما يخصه ولو ثوبه ، أن يخفض من نفسه .

وقرئ عليه أول الورد الذي فيه يا بأسط عشرا ، فقال : هذا ، يعني المكرر ثلاثا وعشرا ، إنه من أذكارنا السرية ، التي لم نظهرها ، وإنما استرقه منا بعض الناس ، فلان أو غيره ، ولكن من أخذ شيئا من الأمور السرية ، لا يبارك له فيها ، حتى يأخذه من صاحبه ، وأما قوله بأسط علينا الخير إلى آخره ، فهو من أذكارنا^(١) .

وقال رضي الله عنه : استكثر من أعمال الخير ما استطعت ، وعذ منها ما تطيق للداومة عليه ، ولا تحقر منها شيئا . فقد روي الإمام الغزالي في النوم بعد موته ، ف قيل له : ما فعل الله بك؟ ، فقال : غفر لي ، ف قيل : بم ذلك؟ ، قال : بذياب برح^(٢) على القلم وأنا أكتب فتركته حتى روي ، فإن الخير كله في أمور الخير السهلة ، التي لا تراها النفس ولا تعدها شيئا ، وأما التي تراها وتعتد بها فإنما يتطرق إليها البطلان ، إما من جهة الفاعل أو للمفعول معه ، أو الحاضر بينهما .

تعزية وتسلية

وذكر عنده رضي الله عنه رجل مات له ابن ، فتعب عليه كثيرا ، فقال تفعل الله به : لا بد للإنسان من الصبر ، وإن لم يصبر رجع إلى التسلية ، فإن الإنسان يتسلى

(١) أي الظاهرة . اعصاب .

(٢) برح بتشديد الزاء المهملة في كلام أهل حضرموت بمعنى حظ ، للطار .

كما تتسلى البهائم ، فقد مات آباء الإنسان والأعزة عليه ، والناس مع السموت إلا مثل القافلة ، هذا قد حط ، وهذا يسر ، وهذا يحمل ، ومن مات ما عاد عرف له خبر ، وغفل الناس عنه ، كأن لم يكن ، فإن الناس في دعوة الملائكة ، فإنه ورد : ((إذا وضع الميت في قبره قالت الملائكة لمن حضر : إرجعوا إلى دنياكم ، أنساكم الله موتاكم)) ، والمصائب أول ما تبدو عظيمة ، ثم لم تزل تضمحل ، حتى تفنى كلها . وهذه الدنيا كثرة اليلايا والمصائب ، ولهذا زهد الصالحون فيها .

وكلم رضي الله عنه رجلا ذهب بصره ، رأى عليه أثر الجزع ، فصوره وذكر له قصة عروة بن الزبير ، ثم قال : إن الله يعطي عبده الكثير ، وقد يأخذ منه القليل ، ليدخره له عنده ، وتذكر في نعم الله الماضية عندك والموجودة ، وذكر أن ابن عباس لما ذهب بصره أنشد :

إن يذهب الله من عيني نورهما ففني لساني وقلبي للهدى نور
عقل زكي وقول غير ذي خطئ وفي فمي صارم كالسيف مأثور
وقال رضي الله عنه : من طبع النفس لها إذا ألفت الراحة ثم حصلت لها مصيبة ، ألما تجزع ، وهذا الطبع موجود حتى في الأكابر ، إلا إنه فيهم ضعيف ، وفي غيرهم قوي ، وأصل الإيمان موجود في الكل ، إلا إنه عند ذلك يفتقر في الأكابر قويا ، وفي غيرهم ضعيفا .

ما قال في حديث أن لا تغضب

وقال رضي الله عنه في حديث^(١) : ((أن لا تغضب)) : أنه عليه السلام قال

(١) أخرجه البخاري ٨ : ٣٥ والترمذي ٢٠٢٠ وأحمد بن حنبل ٢ : ١٧٥ والبيهقي ١٠ : ١٠٥ والحاكم ٣ : ٦١٥ وابن حبان ١٩٧١ . ونسبه في البخاري : « عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال لابي ﷺ : أوصني ، قال : لا تغضب ، فردد مرارا ، قال : لا تغضب » .

ذلك لرجل كان كثير الغضب ، وكانوا^(١) يغضبون غضباً شديداً ، حتى يفعل أحدهم أموراً ، ويقول أقوالاً مذمومة من غير ضبط ، وفي الحديث^(٢) : ((إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)) ، أي لا يملكها إذ ذاك إلا توي ، أعني قوي الإيمان والعقل ، فلا يقول ولا يفعل إلا ما ينبغي له .

ما قال في معنى حديث : ((ما جلس قوم .. الخ))

وفي حديث^(٣) : ((ما جلس قوم مجلساً — الخ)) ، يعني : أن المجلس لا يخلو أن يكون معموراً بحرام أو فضول في الغالب ، فإذا لم يحصل ذكر يكفر ذلك كان عليهم تَرَهُ وحسرة على فعلهم.

بركة لا إله إلا الله . وذكر العمود

وأوصى رضي الله عنه رجلاً ، فقال له : الله الله في الهمة ، وفي الذكر بلا إله إلا الله ، فإذا خرجت هذه الكلمة من الصادق مع الهمة ، يكون لها عمود ، حتى تبلغ إلى عند العرض ، قال الله تعالى : { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ }^(٤) ، وهو لا إله إلا الله : { وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } وهي الهمة ترفعها إلى أن تبلغ بها إلى عند الحق تعالى .

(١) أي قريب وغيرهم من أهل الجماعة. الله أم .

(٢) حديث : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » أخرجه البخاري ٨ : ٣٤ ومسلم : ١٠٧ .
وأحمد بن حنبل ٢ : ٢٣٦ والبيهقي ١٠ : ٢٣٥ .

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٥١٥ .

(٤) سورة غافر : الآية ١٠ .

أقول : ومما هو شاهد لكلام سيدنا نفع الله به ، ما رأيته في تاريخ بغداد^(١) للخطيب أحمد بن علي بن ثابت بن عساكر ، من رواية أحمد بن محمد السمرقندي ، بإسناده إلى ابن عباس ، في قوله تعالى : { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ }^(٢) ، قال : إن لله عموداً أحمر ، رأسه ملوَّى على قائمة من قوائم العرش ، وأسفله تحسّت الأرض السابعة على ظهر الخوت ، فإذا قال العبد : لا إله إلا الله ، تحرك الخوت ، تحرك العمود ، تحرك العرش ، فيقول الله تعالى للعرش : اسكن ، فيقول : لا وعزتك لا أسكن حتى تغفر لقاتلها ما أصاب قبلها من ذنب ، فيغفر الله له . وقال رضي الله عنه في معنى : ((ووسعني قلب عبي المؤمن))^(٣) : أي وسع معرفة ، وحمل الأمانة .

ما قال في حديث الأئمة من قریش

وفي حديث^(٤) : ((الأئمة من قریش)) ، قال : الأئمة في الدين والعلم ، ومن كان منهم ضعيف الدين جاهلاً ، بأي وجه يستحق التقدّم ، بل يتعز عليه يجتهد أن يصير علماً تقياً ، ليصير أهلاً للتقدم . وقد قال الشيخ علي بن أبي بكر رضي الله عنه : تفحسس^(٥) تسلم ، لا تكن عقرباً تقتل ، كن ذنباً في الخير ، ولا تكن رأساً في الشر ، فإن الرأس أول ما يقطع .

(١) انظر تاريخ بغداد ١٠ : ٣٦ .

(٢) سورة الرحمن ، الآية ٦٠ .

(٣) حديث : « ما وسعني أرضي ولا سمائي ، ولكن وسعني قلب عبي المؤمن » . ذكره الزبيدي في شرح الإحياء ٧ : ٢٣٤ . والأسرار المرفوعة للقراري : ٢٦٠ .

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ٣ : ١٨٣ والبيهقي ٣ : ١٢١ والحاكم ٤ : ٧٦ والطبراني ١ : ٣٢٤ وجمع الزوائد : ١٩٢ .

(٥) فعل من فحسس على وزن فعلول في كلام أهل حضرموت صنف من الخبثات تألف الجهور الرطبة .

وقال رضي الله عنه : أهل الزمان عليموا الصبر والإحسان ، فإن عذبوا اليقين والعباد بالله فقدت ثلاث أناشيء^(١) الدين ، فأنكفأت برؤيته^(٢).

وقال رضي الله عنه : طريقتنا إذا أردنا شيئا فغالينا فيه أحد ، تركناه له .

وقال رضي الله عنه : الأولاد في هذا الزمان ، بغوا^(٣) منك صبرا ، وإلا حرمتهم وأشغلتهم ، والولد في هذا الزمان ، لا يؤمن على الأهل ، فكيف بالأجانب ، لأن الدين ضعف جدا ، ومن لا دين فيه كيف يصح منه الورع ، والورع إنما هو خوف من الله ، ومن يفرق بين الثمرة والجوهر^(٤) ، فلا تأمنه على الورع .

وعتب رضي الله عنه على رجل في تركه أهله من غير مراعاة لهم في أمر المعيشة وغيرها . فقال نفع الله به : فلان صالح^(٥) يتزوج ويترك أهله ، ويقول : الله الرزاق . وكل عارف بهذا ، حتى البهائم لو تكلمت أخبرت به ، والله سبحانه ما يعامل الناس بمقتضى الحقيقة ، ولو عاملهم بمقتضاها ، ما كان حراث يحرت ، أو تاجر يتجر ، ثم إنه لو عاملهم بذلك ، إنما يريدون يتفرغون لعبادته ، أيرزقهم ويتركهم يأكلون ويشربون وهم جلوس ؟ ، ما يتركهم كذلك .

وقال رضي الله عنه : كل من أعمال الطاعة ، إذا كان فيه شيء من الهوى ، يخف على النفس ، ويسهل عليها ، إن قل الهوى قلت رغبتها ، أو كثر كثر حتى يتجرد للحق فقط دون هوى ، فحينئذ ينقل عليها وتشمئز منه .

وقال رضي الله عنه : ليس مع الله ومع أوليائه غربة ، إنما الغربة مع النفس

(١) أناس الذين الثلاث هي : الثبة والعلم والعمل ، كما سيأتي في كلام سيدنا في الجزء الثاني .

(٢) الرمة : إزاء من الخرف يطبخ فيه .

(٣) بغوا . من الانتفاء : ضلوا .

(٤) أي تكون الجوهر من الحرام والنسبة أحب إليه من الثمرة من الخلال لعدم .

(٥) أي جميل الطفل ، وهي كلمة تقال عند أهل حضرموت ولا يراد منها معناه المعوي كما يقال للملغوغ : سليم الجسم .

والهوى.

وقال رضي الله عنه : إنما تم النعيم لأهل الجنة ، لتمكن الأرواح منهم ، كما تمكنت الأجسام في الدنيا ، لأن النعيم والراحة مع تمكن الأرواح ، والتعب والشدة مع تمكن الأجسام ، ولهذا كانت الدنيا سجن للمؤمن .

وقال رضي الله عنه : الزمان زمان ظلمة وحجاب ، الطالب والمطلوب ، لأن الطالب محجوب بالظلمة ، ظلمة النفس والهوى ، والمطلوب محجوب بالنور ، العبادة والأذكار ، وليس الأول كالثاني .

أقول : وفي معنى هذا شرح لأبيات من قصيدة من نظمته الشريف ، وهو قوله فيها^(١) :

فأقطع الحجب الكثيفة بالسمر	عنها غير مقتصر
واقطع الحجب اللطيفة بالسمر	فيها غير مقرر ^(٢)
فإذا جاوزت مرتقيا	سيرة الأمرار والقصر
فتوقف وانسظر علما	من علوم الأمر وادكر

معنى الحرفان المهملان

وقد سأله رضي الله عنه عن بيت في هذه القصيدة مرارا ، وهو يشير لي بالسكوت ، وهو قوله :

(١) ديوانه ٢٠٣ ، من قصيدته رضي الله عنه : أتمّ للعين والأثر متبهي الآمال والوتر .
(٢) ومن كلام الحبيب حامد بن عمر حامد ، قال رضي الله عنه : قول الحبيب عينا لله الخداد تقع القصة به في بعض قصائده : فأقطع الحجب الكثيفة بالسمر * عنها غير مقتصر . وأقطع الحجب اللطيفة بالسمر * فيها غير مقرر . فالحجب الكثيفة : حجب البشرية ، فأقطعها ولا تلف مع شيء منها . والحجب اللطيفة هي : توحيد القلب من التوكل والرضا والقصر والهمة للموتى ، فأقطعها بالسمر فيها ، فلما هي قوالب عبودية موصلة إلى المقصود ، فاحذر الوقوف مع شيء من ذلك وترك السمر والعبور إلى ما وراءه .

أين أين للمهلان عُللاً وانخفاضاً فارم بالبصر

قلت : ما هما للمهلان؟، فقال في جوابه بعد الثالثة أو الرابعة : المهلان حرفان مهملان من النقط ، هاء مهملة أول حرف من اسم الحوت ، الذي هو الهموت ، الذي عليه الأرض ، وعين مهملة أول حرف من اسم العرش ، وهو إشارة إلى أن هذا: الغاية في السفلى ، والآخر : الغاية في العلو . وقد أشار رضي الله عنه إلى ذلك في مواضع من الديوان كقوله^(١) : شاهدت من عرش إلى هموت ، وفي أخرى^(٢) :

وسرت^(٣) وقلبي فيه أي عزيمة تطالع أحوال الذرا والمراكر

ولعل أمثال هذه المعاني من الديوان هي الأسرار التي قال نفع الله به : إنا أودعنا فيه من الأسرار ما لم نودعه في غيره من المؤلفات .

ذم الدعوى

وقال رضي الله عنه : كل مدّع مخفول ، ولا بُدَّ أن يَقِيضَ الله له من يُفَحِّضَهُ فَيَتَحَذَّلَ عند ذلك ، ولو كان كثير العلم ، وما نرى أحسن للإنسان من الاعتراف ، وطرح نفسه في الأرض ، فإن كان عنده فضل فما يزيده ذلك إلا رفعة ، وإن كان غير ذلك فقد خُلِقَ من التراب فلا لوم عليه إذا صار فيما خُلِقَ منه ، وقد ذكر الشعراوي : إن رجلاً من العلماء قال : لا أعلم في هذه الأمة بعد أبي بكر الصديق أعلم مني ، فقال له آخر : صدق الأستاذ ، فكم في لحيتك من شعرة ، فلم يجد جواباً ، احتذل بسبب دَعْوَاهُ ، وكذا وقع لابن عربي في قصته مع دابة البحر ، ثم

(١) الديوان : ١٥٠

(٢) الديوان : ٢٤٥ .

(٣) الديوان : فُسُكُت .

قال سيدنا نفع الله به : من طَبَعَ ابن آدم الطغيان إن وجد له مَحَلًّا ، سواء كان مُحِقًّا أو مبطلًا ، إلا إن قُرِع بالخوف ، فإذا كان النبي ﷺ مع كماله المطلق ، استعاذ وقال: ((أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مَالٍ يَطْغِي)) الحديث ، فما ظنك بغيره : { كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى } (١) .

وقال رضي الله عنه : الدُّعْوَى عَلَى خَالَتَيْنِ ، مُدَّعٍ مَتَكَلِّمَ بَأَن يَقُول : أَنَا كَذَا وكذا، ومُدَّعٍ سَاكِتٍ ، وَلَمْ يَذْكُرْ نَفْسَهُ شَيْئًا ، وَلَكِنَّهُ إِذَا قِيلَ لَهُ : إِنَّكَ جَاهِلٌ ، أَوْ لَمْ تَعْرِفْ شَيْئًا أَوْ وُصِفَ بِأَيِّ شَيْءٍ فِيهِ نَقْصٌ يَغْضَبُ ، فَهَذَا مُدَّعٍ أَيْضًا ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ الْأَوَّلِ .

ثم قال نفع الله به : إذا حمد الإنسان نفسه ، وأثنى عليها، بقوله : نحن ، وأنا ، وكان أبي ، سقط من العين ، ولم يكن لنا فيه نظر واعتقاد ، لأن إبليس مَقَتَهُ اللَّهُ وأُخْرِجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَقُولُهُ : أَنَا خَيْرُ مَنْهُ ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِعِبَادَةٍ ، بَلْ تَكْبِيرٌ وَتَجَبُّرٌ ، فَلَيْتَ شِعْرِي لَوْ مَرَّ عَلَى هَذَا الْقَائِلِ أَحَدٌ مِنْ عَجِيْبِهِ مِنْ قَرَابَتِهِ وَغَيْرِهِمْ ، وَهُوَ مُوَضَّوعٌ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ مَيِّتًا ، وَرَأَى قَبْرَهُ إِلَّا قَدْرَ ذِرَاعٍ فَقَطْ ، فَمَا يَقُولُ ؟ ، أَلَا يَقُولُ : غَوَّطُوا (٢) قَبْرَهُ ، فَأَيْنَ كِبْرُهُ وَنَفْسُهُ وَافْتِحَارُهُ ، وَالْمُسْتَفْهِقُونَ عَلَيْهِ .

المتخفي بكبره

وقال رضي الله عنه : صاحب النفس المُسْتَبْرَةِ أَحْسَنُ وَأَشْنَعُ مِنْ صَاحِبِ النَّفْسِ الظَّاهِرَةِ ، لِأَنَّ هَذَا ظَاهِرٌ لِلنَّاسِ يَحْتَرِزُونَ مِنْهُ وَيَحْشَوْنَ ، وَالْأَوَّلُ يَظُنُّونَهُ عَلَى

(١) سورة العلق ، الآية ٦ ، ٧ .

(٢) غَوَّطُوا الحفرة : أبعاد قبرها .

ظاهره ، فينشبون^(١) به . ومثاله كالذي يقول لِذِي فَضِيلَةٍ : إِنْ لِي فِيكَ اعْتِقَادٌ ، وَإِنِّي أَتَيْتُكَ قَاصِدًا ، وَنَحْوُ ذَلِكَ فِي الظَّاهِرِ ، وَهُوَ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ ، وَمِثَالُ الْآخَرِ كَالَّذِي يُظْهِرُ الْعِدَاوَةَ وَغَدَمَ الْمَحَبَّةِ وَالْإِعْتِقَادَ ، فَيَفْهَمُ حَالَهُ ، وَيُعَامَلُ بِمُقْتَضَاهُ .

ما قال في معنى حديث : الناس معادن .. الخ

وقال رضي الله عنه في قوله ﷺ : ((الناس معادن الخ))^(٢) ، فقال : إذا كان هذا يجري في العموم ، ففي الخصوص أولى ، فمن عَمِلَ في صغره شيئاً من مكارم الأخلاق المحمودّة شرعاً قبل أن يعلم كونه محموداً ، ولم يصدر منه عن قصد ، فهذا دليل على طيب معدنه ، فإذا كبر كان من ذلك في زيادة وغاية ، ومن عَمِلَ في صغره خلاف ذلك على الوجه المذكور^(٣) ، دلّ ذلك على خُبث معدنه ، فكان في كِبَرِهِ في زيادة من السُّخْبِ ، وغاية من الشر ، فمثال الأول من ظَهَرَ من أول نشأته يحب الإحسان وصلة الأرحام ، وغير ذلك ، فكلما كبر كثر منه ذلك ، وازداد معه تَمَكُّنًا ، ومثال الثاني من هو من أول بُلُوهِه ، متعلق بحب الدنيا ومنهزم بجمعها مع تكاليفها ، ولم يسمح بإخراج شيء منها ، فهذا كلما كبر ازداد سُخْبًا وقساوة ونحو ذلك .

وقال رضي الله عنه : كلما ازداد الإنسان خسة ودناءة ، ازداد تَكَبُّراً وافتخاراً ، ووجود أحد هذين ، يدلّ على انصاف الشخص بما ذُكِرَ .

(١) ينشبون : يعلقون معه ، ناسب العظم في الخلق ، خلق ولم يخرج ، وهو من غلبة أهل حضرموت للصحة ، انظر القاموس (نصيب) .

(٢) حديث : ((النبي معادن)) ، أخرجه أحمد بن حنبل ٤٩٨ : ٢ والحاكم ٣ : ٢٤٣ .

(٣) أي قبل أن يعلم كونه مقبوماً ، ولم يصدر منه عن قصد . اهـ .

وقال رضي الله عنه : الدين كالطريق ، فمن رأى طريقاً متسعاً سلكه أحد من الأعيار فيسلكه ، أو ضيقة فذاك مشكل ، وفي الحديث : اضطروهم ، أي اليهود والمنافقين ، إلى أضيق الطرق^(١) .

قوله : نصلي خلف كل بر وفاجر

وقال رضي الله عنه : نصلي خلف كل بر وفاجر، كما في الحديث^(٢) ، ولا نعيد ، لأن هذا تعنت وغلو في الدين ، وقد صلى الأئمة خلف الذّول الظالمين والمبتدعين ، كدول بني العباس وغيرهم ، وإذا صلينا جمعة لا نعيد ظهراً .
وقال رضي الله عنه : اجتماعات الخير يحضرها ناس على مقتضيات نياهم ، بخلاف اجتماعات الشر ، فلا يحضرها من حضر تلك .

تأويل تبجح الأكابر

وقال رضي الله عنه : كل ما^(٣) ذكر عن الأكابر من الكلام ، الذي ظاهره التبحر ، كقول الشيخ أبي الحسن الشاذلي : منذ أربعين سنة ما حُجِبْتُ عن الله ، وقول أبي العباس : لو حُجِبْتُ عني جنة عدن لحظة ما عدت نفسي من المؤمنين ، كل هذا مؤول وليس على ظاهره .

(١) أخرجه مسلم ك ٣٩ ح ١٣ وأبو داود ك ٢٧ ب ١٣٧ والترمذي ك ٤٠ ب ١٢ وأحمد بن حنبل ٢ : ٢٦٦ والروطأ الحديث : ٢٤٢٤ .

(٢) حديث : « صلو خلف كل بر وفاجر » أخرجه البيهقي ٤ : ١٩ .

(٣) في الأصل : كلمة .

ما قال في الإحسان

وقال رضي الله عنه : إحسانك إلى من أساء إليك أكمل منه إلى من أحسن إليك ، وتقديرك الإحسان إلى المحسن أولى وأكد .

وقال : لو شرحنا بعض الرسائل ، بلغ ذلك كرايس ، لأن أكثرها حقائق وحكم وأسرار ، وقد قيل : إن أسرار أهل هذا الشأن في مراسلاتهم ، وقد فني للتحقق بذلك من زمان بعيد ، ولم يبق إلا العلم بما لبعض الناس ، وهو النادر ، وأحوال المهتدين مختلفة ، يشير بذلك إلى من ذكر .

وقال رضي الله عنه : الأكابر في آخر أعمارهم يخلون بأنفسهم ، لأن أمور الحق ما يسعها الخلق ، ويترحون من ذلك بالمباحات إذا أحسوا غلبة ، وفي المباح لهم راحة ، ثم ذكر قصة موسى عليه السلام ، بعد اللجاجة وضيقه من الخلق ، وإذا كان صاحب تمكين لا بد له من تلوين مع الناس .

وقال رضي الله عنه : مدة ما كنا في المدينة ، عزمنا على ثلاثة أشياء أن لا نستعملها : سماع الملاهي ، واستعمال الطيب الأحمر ، وأكل الكراث ، ولما خرجنا إلى الحرمين بحينا ذكر الأوطان ، وأن لا نخطر لنا ببال ، ولا نسمع القصائد التي نذكر نساءها ، ولكن الخواطر التي يخطرها الله على القلب فما عاد ذلك إلينا ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : أول كتاب كتبه إلينا الشيخ أحمد القشاشي^(١) كان أول خطبته : بسم الله مجراها ومرساها ، من الله مبتدأها ، وإلى الله منتهاها ، قال : وأجازنا في أشياء مخصوصة ، ونجيز فيها أناساً مخصوصين ، وسمعت رضي الله عنه يقول : مما

(١) سبق ذكره (صفحة ٢٠١) ، وهو من علماء المدينة توفي سنة ١٠٧٦ هـ .

أخذنا عنه من الأوراد، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ للمؤمنين والمؤمنات سبعاً وعشرين مرة بعد كل صلاة من الخمس.

قال : وأما الشيخ محمد بن علوي^(١)، فهو في كل كتاب يكتبه إلينا يقول في أوله: من الداعي بطول البقاء ، وعُلُوّ الارتقاء ، محمد بن علوي ، إلى السيد الفاضل فلان ، قال : وأجازنا إجازة عامة ، في الخرقه وغيرها ، ولجيز فيها عموماً، وأرسل إلينا يأمرنا بالخممول ، وعدم الشهرة ، وذكر إنه حصل عليه من ذلك تعب كثير^(٢) .

ذكر حجه نفع الله به

وقال رضي الله عنه : مرادنا عام حَمَحَمْنَا، أن نجتمع برجلين ، أحدهما متبحر في العلوم الظاهرة ، والآخر متبحر في علوم الحقائق ، فنسألهما عن أشياء إختلفت في الصدر ، ولم نعد من يبيننا عنها ، وكل من وَصَفَ لنا من هو معروف بعلم الحديث ، وسألناه ، قال : نحن نستمد منكم ونطلب الإفادة من لدنكم ، فلم نر من يَشْفِي الغليل ، وكلما رأينا أحداً ممن يُنسب إلى العلوم الظاهرة ، وسألناه ، قال : أنا مستمد ، وطلب القراءة علينا ، فتركه يقرأ على نيته ، ومن رأيناه ممن ينسب إلى العلوم الباطنة ، وسألناه عن شيء ، انخفض وقال : أنا أريد أن تعطوني الطريق وتلبسوني ، حتى إن رجلاً كان من أهل الخطوة ، اجتمعنا به في عرفة ، وطلبنا منه الاجتماع في حلوة فقال : إن طلعت الليلة إلى مكة حصل ذلك ، وإلا الوعد في المدينة ، فلم يتفق لنا الطلوع إلى مكة تلك الليلة ، وهي ليلة العيد ، فلم تنفق به إلا في

(١) هو الحبيب محمد بن علوي بن أبي بكر السلاف نزيل مكة من شيوخ الحبيب عبد الله ترواي سنة ١٠٧١ هـ ص ٩٠
الزمان : ٩ هـ .

(٢) مر هذا البحث قبل هذا (صفحة ١١٧ - ١١٨) .

للمدينة ، فاستضافنا وطلب منا الإلباس ، فألبسناه ، وإذا له بيت وحاشية ، وكنا ظنناه متحرراً .

ومرة قال : وكل من سألنا عن من هذا وصفه قال : ما يكون هذا إلا أنتم .

وقال رضي الله عنه : عام حجبنا وهي سنة شلهام سنة قحط ، كثيرة الجوع ، فقلنا : إن كان الوقت إلى أشر منه الآن من الزمان والقحط ، فقد الآن أسهل مما بعده ، وإن رجع إلى خير منه من الرخص والخصب ، فأحسن ما ينهض الإنسان لأمر الله ، حيث يشق على النفس .

وقال رضي الله عنه في مجلس آخر : ولَمَّا حَجَّجْنَا ، كان نيتنا بالمسير إلى مكة بعد نية أداء فريضة الله من الحج وإقامة مناسكه ، لطلب بحرين : بحر في العلم الظاهر ، عالم بالكتاب والسنة على الإطلاق ، وبحر في العلم الباطن متبحر فيه ، لأن في باطننا إذ ذاك سوالات كثيرة في هذين العلمين ، فلم نر في الحرمين أحداً منهما ، ولم نعلم أهما احتفيا في تلك السنة أم قيدا ؟ ، لكننا رأينا آثاراً يسيرة ، كالشيخ أحمد القشاشي ، والشيخ عبدالحق المغربي ، وكان يقال إنه من أهل الخطوة ، وقلت له : أنت من رجال السر الذين سألت الله أن يرينهم ، فأراني ثلاثة أنت منهم ، قال : أجل ، وكان جاء إلى حضرموت ولنا به بسبب ذلك معرفة . وقال : إنه حج بالخطوة ، وقضى مناسكه ، وأصبح سائراً من يومه إلى المدينة ، فلم تنفق به إلا بالمدينة ، وكنا ظنناه متحرراً ، وإذا به له بيت وحاشية ، وطلب منا الإلباس ، فألبسناه ، وكان من أهل البيوتات ، وقال لي : إيش مذهبكم ؟ ، وكنت أعتقد وأرى إنما مذهب الكتاب والسنة ، وأردت أن أقول له ذلك ، فحشيت من الإنكار ، فقلت : مذهبي شافعي ، فقال : لا ، إنما مذهبك الكتاب والسنة ، فقلت : أسلافنا كلهم على مذهب الإمام

الشافعي ، فقال لي : وَلَيْمَ تقول إنك شافعي ، وإنما مذهبك الكتاب والسنة ، ولم يكتشفنا أحد إلا هذا ، وآخر في المحرمين من أهلها من آل بن نعمان ، أضمرت بحضرته هل لنا عودة إلى المحرمين غير الأولى التي حجبنا فيها الفرض ، فكاشفني ، وقال : يكون ذلك بعد مدة طويلة ، وكثيراً ما يقول سيدنا : نحن موعودون بعودة إلى المحرمين ، يشير إلى هذا .

قال : وكاشفه رجل في تعز عام سار إلى الحج ، قال : وذلك إنه كان معنا رجل يدعى الشرف ، وفي نقسي من دعواه الشرف شيء ، فاتفق إنا كنا عند هذا الرجل ، وكان يُذكر بالكشف ، فقال : ليس الرجل بشريف ، قال نفع الله به : ولم يكتشفنا أحد إلا هؤلاء الثلاثة .

أقول : إن من مسائله الباطنة ثلاث ، وإته سأل عنها كثيراً من أهل الباطن ، وكانوا كثيراً متوافرين في قرى حضرموت ، فلم يشفوا له غليلاً ، حتى رأى الحكم باقشمر^(١) ، فسأله عنها ، فأجابه عن اثنين جواباً شافياً ، وقال له : أما الثالثة فلا يجيبك عنها إلا السقاف ، فخطر بباله إذ ذاك أن المراد من هو من أهل تسليك المريرين في هذا الوقت من آل السقاف ، فسأل عمن هو كذلك اليوم من آل السقاف ، فذكر له السيد محمد بن علوي ، فكتب إليه يسأله عن المسألة ، ويطلب منه الإلباس ، فكتب إلى سيدنا يعتذر ، ويقول : لا يمكنني ذلك حتى يأمرني النبي ﷺ ، ثم بعدما أرسل الاعتذار بأيام ، حصلت له^(٢) المهمة على الزيارة ، فصار إلى المدينة ، فلما وقف في المواجهة تلقاء النبي ﷺ ، حصل عليه حال عظيم وغيبة ، وجعل العرق يصب من جسده ، ورمى ثيابه كلها ، وما بقي عليه إلا سروال ، حتى

(١) ط الحسن باشعيب . هكنا من هاشم الأم .

(٢) يعني الحبيب محمد بن علوي .

رأسه مكشوف ، ثم سُرِّي عنه قلبس ثيابه ، ثم قال للسيد أحمد بن هاشم الحبشي ، وكان حاضراً ذلك : هات دواة وقرطاساً نكتب للسيد عبدالله كتاباً غير ذلك .

فذكر في هذا الكتاب : إنك كتبت تطلب إلياس الخزقة ، وإنا اعتذرنا عن ذلك إلى أن يأذن لنا النبي ﷺ ، وإن النبي ﷺ قد أمرنا بذلك ، وها هي واصلت إليك ، وأرسلها وأظن قال : معها جواب المسألة ، فاتفق وصورها إليه يوم وفاة السيد محمد المذكور ، وفيه إشارة إلى أنه خليفته ، كما قال سيدنا في مرثاته للسيد محمد المذكور :

بقية قوم قد مضوا وخلفتهم وهم تخلفوني في الحمى عندما ساروا
وهذا الكلام ، حفظت بعضه عن سيدنا نفع الله به ، وبعضه عن السيد أحمد بن هاشم بنفسه، وذكر إنه حصلت معه بعض غيرة ، لما أمره السيد محمد بن علوي بكتابة الورقة مع الخزقة .

وسمعت سيدنا مرة قال : رأيت في النوم : كأني قابض بتلايب السيد أحمد بن هاشم ، وأقول له : امش بنا نتحاكم أو قال أحاكمك إلى النبي ﷺ .

أقول : لعل ذلك بسبب الغيرة التي حصلت له ، ولم يجتمع سيدنا بالسيد محمد ، فإنه توفي قبل مسير سيدنا إلى مكة بنحو ثمان سنين ، لأنه توفي في ١٤ ربيع ثنائي سنة ١٠٧١ ، وسيدنا حج سنة ١٠٧٩ .

قال سيدنا رضي الله عنه : يقال إن السيد محمد بن علوي لما جاء طالباً إلى السيد عبدالله بن علي صاحب الوهظ^(١) ، قال له السيد عبدالله : متى ولدت؟ قال : سنة ١٠٠٢ ، قال : لو عادك أدركت من القرن العاشر لحظة لحصل لك مطلوبك

(١) هو السيد الخليل عبدالله بن علي بن حسن بن الشيخ علي بن أبي بكر السكران ، من الأفاضل العلماء ، وله بحمدية تسميم ورحل إلى الشحر والحند ، وتوفي بقرية الوهظ سنة ١٠٣٧ انظر الشرح الروي ٢ : ١٩٣ .

وأنت قائم في لحظة ، لكنه تركه عنده مدة طويلة ، يروح عليه إذا نام ، وعلاً الحوض ، وفي ثياب خَلَقَة ، ونحو ذلك حتى حصلت له الرياضة ، ثم بعد ذلك كان من أمره ما كان .

ومن جملة مسائله التي أراد أن يسأل عنها في الحرمين من هو متبحر في علم الحديث ، كما سمعته من لفظه : عن كيفية صلاته ﷺ في مرضه؟ ، قال : وكانت ١٧ صلاة ، وعن من صلى وخطب بهم الجمعة التي مَرَّت عليهم في مرضه؟ ، وكيف صلوا تلك الجمعة؟ ، لأنه ﷺ صلى بهم صلاة المغرب من ليثها لما ابتدأ به المرض ، وقرأ فيها بالمرسلات ، ولم يصل بهم صلاة بعدها ، فكيف صلوها؟ ، ومن صلاها بهم؟ ، أبوبكر أو غيره؟ ، أو صلوها ظهراً؟ ، ولم يذكر أحد من أهل الحديث ذلك .

وكان سيدنا يتعجب من كونه قرأ في المغرب بالمرسلات ، وهو في مرضه الذي مات منه ، فيدل على أنهم كانوا يطلون القراءة في الصلاة .

وقد رأيت في ورقة من جملة أوراق دفعهن رضي الله عنه إلي وقال : خلهن عندك ، وإذا فيها من مسائله التي أراد أن يسأل عنها من العلم الظاهر ، ما صورته : الحمد لله وحده .

مسألة : هل نقل أحد من الحفاظ للحديث وَحَمَلَةَ الْأَخْبَار ، كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ في الأيام التي لم يخرج فيها للناس في آخر مرضه الذي توفي فيه عليه الصلاة والسلام ، والجمعة التي مرت عليهم في مرضه ، كيف صلوها ، هل صلاها بهم أبوبكر أو غيره ، أو صلوها ظهراً .

مسألة : لما قبض رسول الله ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها ، ودفن فيه ، هل بقيت ساكنة في البيت ، على مثل حالها في حياته ، أم انتقلت منه إلى غيره .

مسألة : الحديث الذي في صحيح البخاري من رواية عمرو بن العاص ، إن

رسول الله ﷺ قال : ((آل أبي فلان ليسوا بأوليائي)) الحديث ، هل يثنَّ أحد من الشراح، آل فلان من هم ، وهل رَوَى هذا الحديث أحد من الصحابة غير عمرو بن العاص ، وهل إسناده الحديث في غاية القوة والثبوت ، أم هو دون ذلك انتهى . وهذا قليل من كثير مما أراد أن يسأل عنه .

أقول : ذكر الإمام القسطلاني في شرحه على البخاري على شرحه لهذا الحديث، قال : وجزم الدمياطي في حواشيه أن المراد آل أبي العاص بن أمية ، وفي سراج المريدين لابن العربي أن المراد آل أبي طالب ، وأيده في الفتح بأنه في مستخرج أبي نعيم ، وسياق الحديث يشعر بأنهم من قبيلته ﷺ ، وهي قريش قال السفاسقي : من لم يسلم منهم فهو من إطلاق الكل وإرادة البعض ، وحمله الخطابي على ولاية القرب والاختصاص ، لا ولاية الدين .

قال في شرح المشكاة : للمعنى لا أوالي أحدًا بالقرابة ، إنما أحب الله لما له من الحق الواجب على العباد ، وأحب صالحى المؤمنين لوجه الله ، وأوالي من أوالي بالإيمان والصلاح ، سواء كان من ذوي رحمي ، أو لا . ولكن أراعي لذوي الرحم حقهم بصلة الرحم ، انتهى ملخصاً لكاتبه ، ومتن الحديث : عن عمرو بن العاص : قال رسول الله ﷺ : ((آل أبي فلان ليسوا بأوليائي)) ، إن وليي الله وصالح المؤمنين ، ولكن لهم رحم أبُلُّها يَبْلَأُهَا)) ، انتهى . وفي بعض الروايات : آل أبي فلان ، ولم يروه غير عمرو ، وهو صحيح رواه البخاري^(١) .

وقال رضي الله عنه : وعام حجبنا ، رأينا في مكة للدد والفتوح كثيراً في أيام الموسم ، وبعد رجوعنا من المدينة إليها ، رأيناها أفرغ ، فالحضور والخشوع في أيام

(١) من قول : أقول : ذكر الإمام القسطلاني ، إل هنا ، مكتوب في هامش الأم بخط سيدنا الإمام أحمد ولم يصحح عليه فقلعهم .

الموسم أكثر ، وبعده أفرغ ، وينبغي أن يطلب ذلك آخر الليل ، عند بقاء ثلث أو ربع من الليل ، حيث ما في المطاف إلا واحد أو اثنان ، فعند ذلك يكون الحضور والخشوع ، لأنه إذا حصل التحلي الإلهي ، يَنْقَسِمُ على من حضر ، فإن كان الناس قليلاً أكثر لهم النصيب ، وإن كثروا قل ، كمن يقسم ماله على الناس ، فيقل إن كثروا ويكثر إن قلوا .

وسأله رضي الله عنه : أيما أفضل المدينة أو مكة؟ ، فقال : أما مكة ، فإن كان بالنسبة إلى الله ، فهي أفضل ، وإن كان بالنسبة إلى إبراهيم ، والمدينة إلى النبي ﷺ ، فالمدينة أفضل .

قال رضي الله عنه : ولما طلب منا المغاورة ، يعني أهل الحرمين ، قلنا : إن مكة لا تصلح إلا لأحد رجلين ، إما حامل لا يُعرف أبداً كالتراب ، فَلَوْ دُجِقَ لا يبالي ، أو سايح في الجبال ، كابن الفارض ، أو بحر لا يتكثر ولا يضيق من كثرة الناس وإقبالهم ، ولا يشغلونه عن الله مع تبحره في الكتاب والسنة ، وتحققه بالعمل ، فيجاور في الحرمين ، يأخذ مما فيهما من الخيرات ، ويسلم مما فيهما من العوائد ، وأما المتوسط فيشتغل فيتعبونه بسبب أمور الدنيا وأحوالها .

وقال رضي الله عنه وذلك يوم ٢١ محرم سنة ١١٣٠ : ولما وصلنا من مكة وتوصلنا إلى شبام ، ما ائتمرت لنا الطرق من كثرة الناس ، وقد قلنا : إن كان أذن لنا في التنقل في الأرض ، ما أخذنا معنا إلا واحداً كما فعل الشيخ عمر العطاس ، ولكن من بعد تلك الحركة [أي مسير الحج] ، ما وقعت لنا حركة إلا إلى هود ، ومرادنا تنوُّق الشهرة ، ويفعل الله ما يشاء ، ولا دخلنا بلداً إلا وفيها أناس من أهل الصلاح مرموقين ، إلا في هذا الزمان ، ما تلقى حتى من يواظب على الصلاة ، وكان في بلدان حضرموت ناس مكاشفون ، ويقال إن في المحجرين من آل العفيف كلهم إذ ذاك

يكاشفون حتى أخدامهم ، وما كاشفنا إلا ثلاثة ، يعني للتقدم ذكرهم ، ومرة قال: ما عاد يمكننا ذلك ، يعني عودة إلى الحرمين ، إلا إن كان خرج المهدي في حياتنا ، وطلب منا المجيء إليه لا بد ما نخرج لمبايعته .

قال : وأقبل علينا الناس كثيراً^(١) ، ومرادنا السلامة منهم على طريقة سلفنا ، لأن الظهور فتنة ، وأرسل إلينا السيد محمد شليه^(٢) ، قال للرسول : قل له يسلم عليك ، ويشر عليك بعدم المجاورة ، فقال له الرسول : إنه ما له نية في ذلك ، فقال : ولو ، عادك قل له زيادة . ونحن كنا عازمين على أن لا نجاور ، وكنا نخف أنفسنا خوفاً من أن نحصل لنا إشارة في المجاورة ، ونحن عارفون أن المجاورة على هذا لا تنبغي ، ولا تنبغي المجاورة إلا لأحد رجلين ، إلى آخر ما تقدم ذكره آنفاً .

ومرة أخرى قال : فأجيبناه بأن المجاورة ليست لنا على بال ، ولا تؤيئناها أصلاً ، لما رأينا أحوال أهل الحرمين .

وقال رضي الله عنه : قلنا لأهل الحرمين : لو مكثنا معكم لنشاكبنا معكم إلى السلطان ، لما نرى من أحوالكم .

وقال رضي الله عنه : لا تنظر من الحرمين ، إلا إلى البيت الحرام والحجرة الشريفة ، ولا تنظر إلى ماعداهما .

وقال رضي الله عنه : ما أحسن ذكر الحرمين ، ولو كنا إلا بجدة أو نحوها بالقرب من مكة ، لكننا نعتمر في كل شهر ، ولكن كان أمر الله مفعولاً .

فقلت له : إن الناس منتظرون ومشافون لوعدكم الذي أنتم موعودون به من

(١) يعني في مسيره إلى الحج . اهـ من هامش نسخة .

(٢) هو العلامة للورخ محمد بن أبي بكر القلي ، مؤلف المشرح الروي الثوري سنة ١٠٩٣ هـ .

العود إلى الحرمين^(١)، فقال : لا ، ذلك قد مضى وقته ، والوعد متوقف على شروط ، ولا ثَمَّتْ ، ألا ترى إلى العشرة من الصحابة مع كونهم قد بشرهم النبي ﷺ بالجنة ، ومقطوع لهم بها ، ما ركنوا إلى الوعد ، وما زال بهم الخوف ، وإنما ذاك أن رجلاً كان يكشف ، فكاشفنا بأشياء وقعت صدقاً .

وقال لي نفع الله به يوماً وذكر أيام حجه ، ونزوله مع رفقة معه ، نحو العشرة ، بدار حسين بأفضل ، قال : فقال لنا : الحذر إذا بدت لكم حاجة ما تقولون لنا بها ، فقلنا : إن بدت لنا حاجة نطلب إلى المخلوقين ، فما أحد أولى منك ، وقدنا عندك ، وإن قضى الله سبحانه الحوائج كلها فما بقي كلام ، فاعلم هذا أنت ، واعمل عليه ، قال : ولما كنا بجدة قادمين للحج ، جاءتنا كتب كثيرة من عند محبين يطلبوننا أن نقصد عندهم ، وأول ما سبق منها ووصل كتاب حسين بأفضل الدويلة ، وقال : إن عندي داراً بَنَيْتُها ، وما تركت أحد يزورها قبلكم ، ومرادي أن أول من ينزلها أنتم ، فأجبناه إلى ذلك ، فلما قدمنا ونزلناها قلنا له : لا تتكلف لنا بشيء ، ومعنا حوائجنا كلها ، يعني ما نحتاج إليه ، فقال : أنتم في بيتي ، ولا بد من ضيافتكم الليلة ، فأضافنا ، فلما كان غدوة ، أرسل لنا عشرة حمران^(٢) ، فلمناه على ذلك ، فقال : إنما هذه حق الخطب ، فلما كان الليلة الأخرى ، فعل عشاء ، آخر الأمر إنه قام بللونة كلها ، ولا ترك لنا عذراً ، حتى إنه اكترى لنا إلى المدينة كراء مرجعاً ، قليلة أردنا الخروج من المدينة ، رأيت في النوم كأنني خرجت من الدار التي نحن فيها ، وهي دار محمد أمين ، قاصداً إلى مسجد النبي ﷺ ، فعارضتني في الطريق امرأة أرادت تُقَبِّلَ يدي ، فوضعها في كمي ، ثم قَبَّلَتْها ، وقالت : ما أشبه هذه اليد

(١) أي مكاشفة صاحب الحرمين له بأنه سيعود إلى الحرمين بعد مدة طويلة كما سبق . انضمام .

(٢) حملة متخلولة في ذلك الوقت .

بيد السيد محمد بن علوي ، وقالت لي : قال جدك النسي عليه السلام : عاذك امكت في المدينة لا تخرج منها ، وكنا قد أمرنا أن نُشد الرحال للسفر ، وإذا رجل خلفي يقول لي : هذه رَحْمه ، يعني بها المدينة ، لأنها تسمى بذلك ، فأعجبني اسمها تقاؤلاً بالرحمة ، فمكثنا في المدينة لذلك أربعين يوماً .

قال رضي الله عنه : وأخذنا بالحرمين عن جماعة من آل الوفا وأخذوا عنا ، والحاصل أخذنا قواعد الإسلام الأربعة عن أربعة .

وقال رضي الله عنه : جمعنا من الكتاب والسنة ما لم يستطع حمله إلا للمهدي ، فإن أدركتاه أديناه إليه ، وسلمنا من تلك الأمانة .

وسمعت غير مرة من غير واحد يقول عن شيخه السيد عمر العطار رحمه الله قال : من جملة من يصل إلى الله على يد سيدنا عبدالله من اسمه عمر أربعون ، قال سيدنا : ونقل لنا عن الشيخ عمر المذكور ، أن أولاد فاطمة في آخر الزمان ، يفوشون ، يعني يزيلون .

أقول : ولها إن السفياي ، لما كان أصله العداوة لهم ، لكونه من بني أمية ، وعداؤهم لبني هاشم تالدة خالدة ، إذا رأى كثرتهم يتبعهم بالقتل حسداً وبغياً .
وقال رضي الله عنه : إذا اجتمعت بالطبيب فلا تستبعد أن تنال من حكمته شيئاً .

وقال رضي الله عنه : لا نتحكم لأهل هذا الزمان ، ولا نتحكم فيهم ، فإن تحكمتنا فيهم وضعنا على كُلِّ قَدْر استطاعته بالتخفيف .

وقال رضي الله عنه : ما بقي شيء من الأمور التي تحتاج إليها السالكون إلا وضعناه في كتبنا ، فمن أراد شيئاً من ذلك ، وجده فيها ، ومقصودنا أن نجعل لهم بعضاً من أحكام التوحيد .

وقال رضي الله عنه : القيام بما أخذ المشايخ فيه العهد على المريدين ، كتمسك الأعمى بيد البصير ، فينبغي أن يبقى لازماً لها^(١) حتى يصل حيث طلب ، فإن أحل بشيء من ذلك فقد فسدت يده منه ، وراح عنه ، وضاع عليه الطريق .
وقال رضي الله عنه لي : لو تعمل بكل ما تعلم ، لملأنا كل شيء حتى الثياب التي فوق أبداننا .

وقال رضي الله عنه : قد نعزم على الأمر نفعله ، فلم يتفق ، ولكن يجعله الله على يد أحد من الأولاد أو الأصحاب .
وقال رضي الله عنه : سمع بعض أجلاء السادة شريفاً يقول : أبي وجددي ، فقال له : قع^(٢) كما جدك ، وإلا فأنت سيرة وصورة ، ولا شيء في القصورة .

ما قال في السماع ونحوه

وقال رضي الله عنه : السماع يدل على ما في ضمير صاحبه ، من خوف ورجاء أو شوق أو محبة ، وإذا خرج عنه يزيده من حاله ذلك ، ويحصل له بذلك تخفيف وتروح ، كما نقل عن سيدنا علي كرم الله وجهه ، إنه لما كثرت عليه العلوم ، ولم يجد من ينقلها عنه ، وقف على قم بئر ، وتنفس فيها ، ففاض الماء على جوانبها ، فبث منه اليراع .
وقال رضي الله عنه : نود أن نحضر السماع في بعض الأحيان ، ولكن نخاف أن الروح تخرج ، ثم قال : إن الروح قد تقوى في الجسم ، حتى تخرج عنه ، أو كلمة قريبة من ذلك .

(١) أي : اليد اعصم .

(٢) قع : صبغة الأمر أي سمن .

وقال مرة : إن حضرائه ربما يغير علينا ، ويحصل لنا بذلك تنسم ، ولكن ربما يغير على الحاضرين بتغيرنا ، وإن تماسكنا ما نخلو في الباطن من شاغل وتعب ، فيقيس إذن تلاوة كتاب الله وذكر الله أفضل .

وقرى عليه رضي الله عنه شيء من نظم السودي^(١) ، مما فيه غزل وذكر العود والطار^(٢) ، فأعجبه ذلك النظم كثيراً ، فقال نفع الله به : أدركنا ناساً على هذا ، وكنا نفعله ، ولا تركناه لأجل الناس ، إنما هو لأننا ما رأينا من يحسنه ، وقد أردنا أن نربي عليه أحداً يتعلمه كما ينبغي ، لكن ما أحد قبيل التعلم ، وكان رجل من آل العمودي من بضعة يسمع للشيخ محمد بن علوي ، وكان غالب وقته في السماع ، وأمره بالجلوس عنده حال مرضه الذي مات فيه ، فهو جالس ، وأتى أهله^(٣) إليه يشوفونه ، فأراد أن يقوم ، فأومى إليه أن اجلس ، وكلما رأوه عنده ما أمكنهم الجيء ، وكلما هم بالقيام أمره بالجلوس ، حتى مات وهو عنده ، فذكر أن آخر ما تكلم به أن قال : ياسيدي يا رسول الله ، ومكث عند قبره سنة ما يحبل عنه إلا للصلاة أو الحاجة .

ولما حججنا ، قرأ علينا ثم أصبح وحلقه مشحماً^(٤) ، فقال : أخاف أن السيد محمد ما أراد أن أقرأ عليكم ، قلنا : لا ، نحن والسيد محمد شيء واحد . وكنت عزمت أن لا ألبس الشاية لأنها من لبس المترفين ، فيوماً كنت في المواجهة في زيارة الرسول ﷺ ، فجاءني بشاية فوضعها على ظهري ، وألبسنيها من غير ما أدرى ، فلما كان ذلك في المواجهة ، اتخذت ذلك رخصة ثم لبستها بعد ذلك ، وسمع لنا

(١) هو الشيخ محمد بن عبدالقادي السوداني للتوق سنة ٩٣٢ .

(٢) الطار : معروف وهو الدف الكبير .

(٣) أي : من النساء .

(٤) من كلام أهل حضرموت وهو تلك الزلة التي تصيب الخلل فيحتل صوته . أو يكون كليلجوح .

فأعجبنا تسميعه ، وأرسل إلينا السيد علي بن عمر يقول : إن معي لكم وصية من غيري ، ما هي مني ، إنما أنا رسول ، إن فلاناً يقول ما يحسن منكم التسميع ، لكون الناس يقتدون بكم ، فقلنا له قل له : هذا أمر لا بد فيه من الحُجب ، وسقط عليّ بعد هذا بعض الكلام ، ثم قال سيدنا: وإنما يحسن^(١) مع صفاء الوقت ، واتسراح الصدر ، ومساعدة الإخوان ، وقد عدم ذلك اليوم ، وإن حرّمه جماعة فقد أباحه آخرون لم يطلع أولئك على دليلهم، فيكفي في تحليله ، أن الإمام البكري أبا الحسن وابنه محمد كان يحبه كثيراً ، وأمر بالعود بضرب عنقه في مرضه ، حتى مات وهو يقول : اعشق يا قلبي ، أو كما قال.

وقال رضي الله عنه : إن أصل الدَّرَج^(٢) أن قابيل بن آدم ، ولد له ولد فمات فحزن عليه ، فعلقه في الحوى مدة ينظر إليه ، فتدخل الريح في حوفه ، ويسمع له عند ذلك صوت حزين ، فاتخذ أخياطاً من الشجر وفعله كالدرج ، فذلك أصله، ولذلك لا يخرج من أهل الباطن ونحوهم إلا حزناً.

وقال رضي الله عنه : أول ولد ولِدَ لآدم بعد نزوله إلى الأرض مات ، ولم تعلم حواء بوفاته ، فلما رآته لا يتحرك ، قالت لآدم : لِمَ لا يتحرك؟ ، فقال : إنه مات فصاحت ، فقال لها: لك ولبناتك الصباح ، ولي ولأولادي الوقار .

وذكر رضي الله عنه السماع يوماً ، فقال : قرأت الأحوال تحسن الأمور وتقبحها، فقد يكون السماع في نفسه مباحاً، ولكن إذا حصلت القرأتين التي تلحقه بالتحريم أو الشبهات ، صار كذلك.

وقال رضي الله عنه : مع الجراءة ما عاد انتفع الناس ، والغالب أنه لا يقع

(١) أي : السماع .

(٢) تحليل هذه الكلمة .

الإمهال كثيراً إلا للحريء .

وقال رضي الله عنه : من لم تقومه التقوى والقرآن ، لم يقومه إلا السيف والسنان^(١) ، وما بغوا أهل الزمان إلا السيف والنصال .

وقال رضي الله عنه : لا يأمن الإنسان نفسه أبداً ، ولكن يجنبها الأمور التي يخشى عليها منها الفتنة ، ولا يغتر بقوة عليها ، فرما غلبته أو فتغلبه .

وقال رضي الله عنه : للروح مطالب^(٢) ، وللنفس مطالب أخرى^(٣) وقد يجتمعان ، فإذا اجتمعا في مطلب طاب للشخص عيشه في ذلك ، وزاد نشاطه ، ويحصل فيه من النشاط أكثر مما يحصل له في فعل شيء غيره ، لأن كلاً من النفس والروح سَلِمَ من منازعة الآخر ، واجتمعا على ذلك ، ولها قال عمر بن عبدالعزيز : إذا اجتمع الروح والنفس في شيء كان كالشَّهْد بالزُّبْد .

وقال رضي الله عنه غير مرة : والعجب من قلة خواطر النفس حالة الأكل ، ما لم يحصل مثل ذلك في الصلاة ، لأنها حينئذ مجتمعة^(٤) على مطلوبها ، بخلافه في الصلاة.

وقال رضي الله عنه : من لم يحكم على نفسه ، لا يمكنه أن يحكم على غيره ، وإذا رأيتها جَمَحَتْ لما لا ينبغي ، فَرَّقْهَا^(٥) إلى عكسه ، كما ترقى ولـدك ، وإذا لم تقدر على منعها من الحرام ، وتعمكت^(٦) عليك ، فسيبها في المباح ، ولكن حل الناس على رهم ، ومن اطلعت عليه منهم على أمر ، فإن كان يقبل النصيحة فأنصحها ، وإلا

(١) في (ج) : لا .

(٢) أي شريفة . إمام .

(٣) أي طمعا . إمام .

(٤) أي زمن الأكل . إمام .

(٥) لعل المعنى : نود إليها .

(٦) تعمكت الحيزوط : تشابكت بعضها ببعض وهذا من كلام لعل حزموت .

فاتركه.

وقال رضي الله عنه : خروج النفس عن مُقتضى الطبيعة أمر عسير ، ولا تخرج منه إلا بكسر أو بعصر ، ومن طبعها محبة المدح ، وكرهة الذم من الغير ، ولهذا لو ذم نفسه ، فقال : أنا ظالم ، مثلاً ، فلو قيل له ذلك لضاق منه وتبرم .

وقال رضي الله عنه : إن النفس كسلالة عن الخير فليقهرها الإنسان على فعل الخير وما ينفعها ، وإلا حرت إلى الشر ، لأنها مجبولة عليه ، وفعل الخير يعسر عليها ، لأنه خلاف طبعها ، فليكرهها ولا يدعها وطبعها .

واستأذنه رضي الله عنه بعض الفقراء في صوم عشر ذي الحجة ، وذلك سنة ١١٢٤ ، فقال : صُمّها لا تغلها ، واغتصم ما أمكنتك من هذه النفس السوء ، إذا أمكنتك منها فرصة في شيء من أمور الخير فانتبهزها ، وخذ منها لها ، لأنك إنما نخي^(١) لها ، لأنها محتاجة ، بخلاف القلب فإنه مستغن بمعرفة الله وذكره ، كالملايكة ، فإن غذاءهم ذلك ، ومن طبع النفس الخداع والغرور ، والخلف بالوعد ، فإنها توعدهم بالخير ولا تقي بما وعدت .

وقال رضي الله عنه : إذا وقع للنفس التي لم يكن لها رياضة مظهر ، ظهرت ، ولما جلس في الضيقة خارجاً لصلاة الظهر ، يوم الخميس ثالث رمضان سنة ١١٢٨ ، سكنت ساعة ، ثم قال : النفس في هذا الزمان مثل غرماء السوء ، خذ منها ما جاء ، ولكنك إخلص ، فقلت له : إن الغرماء ينقادون بالينة وبأمر أخرى ، وأما النفس فلا تكاد تنقاد ، قال : نعم ، لأنها عدو محبوب ، فإذا كان غريمك ابنك الذي هو أحب الناس إليك ، أو أحد من أهل بيتك ، فماذا يكون الحال ، وأنت تريد منها لها

(١) أي تضم باهمام.

وهي مع ذلك تنفر، فقلت له : وهذه الأعمال القليلة الحاصلة منها، الله أعلم ماذا يكون الحال فيها، وقرائن الأحوال تدل على أنها لا شيء ، فقال رضي الله عنه : الأعمال حيث وُجِّهَتْ ، فإذا حُدِّفَتْ بحصاة إلى جهة الغرب ، ما ترجع إلى جهة المشرق .

ما قال في تأني الحاكم

وقال رضي الله عنه : لا ينبغي للحاكم في هذا الزمان أن يحكم لأحد بمجرد دعواه ، حتى يُحْضِرَ خَصْمَهُ ، ويجمع بينهما ، لأنه غير مأمون عليه ، فقد قيل : إنه أتى شخص إلى ذي القرنين حاملاً عينه في يده وقال له : إن فلاناً قلع عيني فاحكم لي ، فقال له : ادعه ، أخاف إنك قلعت عينيه كليهما ، فكان الأمر كذلك .

وقال رضي الله عنه : كلما جاوز حد الوسط والاعتدال ، فهو شر وبلاء ، وخصوصاً في العادات ، فإن ذلك في العبادات قد يُغْتَفَرُ ، إذا زيد على القدر الممكن ، إما لشغف بالعبادة أو للاحتياط .

ما قال في القضاء والقدر

وذكر رضي الله عنه أمان الطرق فقال : إذا أراد الله أمان الأرض ، وضع الأمان في قلب الخائف والخيف ، فحصل الأمان ، هذا فعله وعليهم الأسباب ، وهم الاختيار وإليه القدرة والفعل ، هذا في هذا العالم ، لأنه عالم الأسباب والحكمة، فترى الإنسان لو أراد يسافر أو يفعل أو يترك ، ونحو هذا كل ذلك باختياره ، وأما في الآخرة فإليه تعالى الفعل والقدرة، ولا عاد لهم اختيار ولا سبب ، بل لو أرادوا فعل

شيء ما قدروا ، وتولته الملائكة دونهم ، ثم تلا قوله تعالى : { يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ }^(١) ، وقال : هذا في الآخرة ، لأن إزاء ذلك معاد شيء أسباب ، ولأن الأسباب قد استوفوها في الدنيا ، وقد فُسر قوله تعالى : { وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ }^(٢) المطر ، { وَمَا تُوعَدُونَ } الجنة ، لأنها في السماء ، فُنَزِّلَ لهم اليوم المطر من السماء الذي هو سبب الرزق ، ثم يسكنهم الجنة في الآخرة .

وقال رضي الله عنه لرجل يأمره بالحج ، وذكر حديث : ((إنما الأعمال بالنيات)) ، ثم قال : الإنسان ينوي ويتحرك ، ويُسَمُّ الله ما أراد ، فقد توافقت الحركة القضاء والقدر ، فإن وافقتهما تم العمل ، وإن لم توافق ذلك لم يتم العمل ، ولكن يبقى الإنسان على ما نوى من خير وشر .

وذكر رضي الله عنه التفریط في الأمور ، فقال : الحزم لا يُردُّ القدر فكيف التضيق ، وأنت إبق على المطلوب منك ، حتى يغلبك القدر وأما إنك ترمي بنفسك في البئر ، وتقول : مقدر عليّ . استغفر الله ، هذا لا يجوز .

وقال رضي الله عنه : حالُ المشيئة فيه تفصيل طويل ما هو حال الجبر ، وفيه كلام طويل يعرفه الإنسان من أفعاله الاختيارية والاضطرارية ، فلينظر الإنسان كل أمر ، إذا شاء فَعَلَهُ ، وإذا شاء تركه ، فهو محل التكليف والثواب والعقاب ، وهو غير كلام أهل الجبر ، إنه مكتوب عليّ ومقدر عليّ ، وكلهم محجوجون ، فمن أين علموا أنه كتب عليهم ، وقد احتج إبليس لعنه الله بين يدي الله تعالى بهذه الحجة ، فما نفعته : قال الله سبحانه له : لأي شيء ارتكبتَ معصيتي ، وعصيتَ أمري ، قال :

(١) سورة الرحمن : الآية ٥٥ .

(٢) سورة الدخان : ٢٢ .

يا رب هذا أمر قد كتبته علي ، قال الله سبحانه : متى علمت أني كتبته وقدرته عليك ، قبل الفعل أم بعده؟ قال: بل بعده ، قال تعالى : بهذا أخذتك . والنفاصيل الغامضة ما يعرفها إلا العالمون ، ولكن الله من الله^(١) ، وهذه المسألة المذكورة من زمن رسول الله ﷺ بوجوهها الثلاثة ، كما في قصة الذي أتى به إلى النبي ﷺ مراراً ليُخذ في الحمر ، فلم يقل كُتِبَ علي .

وقال رضي الله عنه في حديث ابن عباس الذي فيه : ((واعلم أن الأمة لو اجتمعت)) الخ ، أي غير مُستقلين بذلك ، بل سعوا فيه ، ووافق القدر في حصوله ، فالإيمان بالقدر إجمالاً واجب ، فلا يُحتج به في فعل معصية أو ترك طاعة ، فإن هذه بدعة وهي تضر بالعامّة ، وهي حجة لا تنفع ، يحتجون بِقَدْرِ الله ، فالإيمان واجب ، وبعد ذلك إذا أصبَتْ معصية تب منها واعمل الطاعة وأنت مع ذلك تؤمن أنما يَقْدِرُ الله .

وقال رضي الله عنه : ما الرضا إلا بالأقضية المُرّة ، وأما من وقع له ما يريد فرضي به ، فلا يظن أنه رضي بذلك عن الله ، وكذلك من يعمل على ما يسهواه ، ويقول هذا مقلتر علي ، فإن هذا مبتدع ، واللازم عليك أن تُسَلِّمَ لقضاء الله فيما كرهت ، وتعمل بطاعته .

وقال رضي الله عنه : في أوقات الشدائد لا ينبغي للإنسان أن يشفق إلا على دينه ، لأنه الذي يبقى معه في قبره وفي الآخرة ، وأما الدنيا فزائلة ، ولا بد من زوالها ، شئت أو كرهت ، إما زالت عنك ، وإما زلت عنها ، إما زالت عنك اليوم ، وإما زالت عنك غداً .

(١) هكذا مكتوب في الأم ، وفي (خ) : ولكن كله لله ومن الله .

وقال رضي الله عنه : إذا رَجَعْتَ إلى خِيرةِ الله ، ففيها كل شيء ، والأشياء التي على أيدي الناس كلها عنده موجودة ، وإلا فالعلامات علامات سوء ، إذا نظرت إلى أحوالهم في أمور دينهم ودنياهم ، من صلاحهم وزكاتهم ومعاملاتهم ، وما تُذكر هذه الأمور ، إلا لتعرف أواخرها ، لأن الله لا يأخذ بغرّة ، ولا يبدل للشيء من مقدمات ، وهذه الأمور مقدمات الساعة ، وكل أمورهم ما شيء منها وقع في محله ، وكلها عسعة^(١) ، ولا تكون العسعة إلا في القدرى ، ووَصَفَهُ تعالى نفسه بقوله : { يُدَبِّرُ الْأُمُورَ }^(٢) في غير محل من القرآن ، تعرف أن التدبير أمره مهم ، ولا شيء يستقيم إلا به ، وأين الرجل الصالح اليوم ، ما عاد إلا شر وشر منه .

وقال رضي الله عنه بعدما انجر الكلام إلى ذكر القَدَرِيَّةِ والجَبَرِيَّةِ ، فذكر : إن بعض الصالحين جاءه قَدَرِيٌّ ، ليحاجه فقام القَدَرِيٌّ وقعد ، فقال : ها أنا قمت بنفسى وقعدت ، فقال له الصالح : فقم إذا ، فرام القيام فلم يستطع ، فانقطعت حجته ، وأما الجبرية المحتجون على الله ، فإذا قام أحدهم للمعصية مختاراً ، وقال : إنما أقامني الله لها ، فنقول له : تكذب على الله ، إن الله لماك عنها ، ولا نراك مكرهاً عليها ، ومن قال لك إفعُلها ، ولكن الله تركك من حفظه ، فأخذ بيدك الشيطان فَحَرَّكَ إليها.

وذكر رضي الله عنه أفعال الناس في المقادير الكائنة بها ، وحركات الناس على مقتضاها ، فقال : المقادير أرواح ، وأجسادها الأفعال الصادرة من الخلق ، فالأجساد تُرى ويُدرك كنهها ، والأرواح لا تُرى ، ولا يُعرف كنهها ، فكذلك الأفعال في المقادير ، فيسافر الرجل ويقول أريد مكان كذا ، ولا يعلم ما قُدِّرَ له ، فرمما مات قبل

(١) العسعة : خمس الشيء كالأعمى .

(٢) سورة : يونس (٣) ، يونس (٣١) ، الرعد (٢) ، السجدة (٥) .

مقصده، وربما وافق القدر فوصل إلى حيث أراد ، فالمقادير لا يُعلم بما جرت به ولو عُرِفَت الأفعال . ففي الدنيا تخفى الأقدار وتظهر الأسباب ، وفي الآخرة تظهر الأقدار وتخفى الأسباب .

وقال رضي الله عنه لرجل يريد السفر : للمقدورات لا بد لها من أوقات ، للمقدورات لا بد لها من أوقات ، كذا كررها مرتين ، ثم قال : وما ليس يكائن فلا قَدْر ولا وَقْتُ ، اللهم خير لنا واحتر لنا .

وتكلم رضي الله عنه يوماً في القضاء والقدر، فقال : هذه الأشياء هي أفعال العباد ، فيؤمن بأنها من الله ، ولا يحتج على الله بالقضاء والقدر ، بل يجتهد ويختار الأحسن حتى يُغلب ، وقد عَلَّمَك الله القضاء والقدر فخذ به ، لأن اختيارك من فعل الله فماذا تحتج به، كما إذا حضر الطعام عندك وأنت جائع أو قَصَدَكَ عدو من سُبُع وغيره ومعك سلاح وأنت قادر فترك ذلك فلا تأكل ولا تقا تل ، وتقول : إن قدر الله شيئاً هو يكون ، فهو قَدْرٌ لك بأن أعطاك الاختيار والقدرة ، وفَصَّلَ لك أنواع الخير والشر ، وبَيَّنَّ الأحسن والأسوأ ، فاجتهد أنت وتَحَرَّ ما يحسن ، ولا تجلس وتعتذر ، ومعك حصناتن يعتل بهما الناس ، وما عرفوها ، لأنهم أخذوها بجهل ، جاهل عن جاهل ، ولا يعلمونهما : القضاء والقدر ، والتوبة ، فيحتج بالقضاء والقدر، مع التقصير في حقوق الله ، والاحتجاج بهما مع المعصية معصية أكبر من تلك المعصية ، وفي التوبة ربما تاب من بعض الذنوب فنَقَضَها . وما جاء في طلب الرضا بالمقدور هو يعني في أمور الدنيا من فقر أو غنى ، أو ربح في تجارة أو خسران ، أو مرض أو صحة أو موت وأمثال ذلك ، لا بأن ترضى بترك واجب أو فعل محرم ، لأن الله لا يرضى لعباده الكفر ، وكذلك فروعه ، فمن قال لك ترضى لنفسك بالمعصية ،

ولم يرضها لك ربك^(١).

وقال رضي الله عنه : ما وقع من أفعال الله هو الأصلح على أي وجه كان ، وفيه حكم لا يحيط بعلمها الخلق ، لأنهم لم يحيطوا علماً بكل شيء ، وإن كان يُظنُّن في الشيء أن الأصلح خلافه ، فيقول : لأي شيء يكون الشوك ، وإنما الفائدة في الثمر ، وكذلك لا حاجة إلى نحو الحيات والعقارب ، ففيها حكم ومنافع ، لا يحيط بها الوهم ، أقل الحال أن لا يطر الخلق إذا كان كل شيء على ما أرادوا .

وقال رضي الله عنه : المصير على الذنوب مع رجاء العفو متمم ، والمعتل مع ذلك بالقضاء والقدر مبتدع ، وهذه مسألة قليلة ، حتى اعتل بها الكفار ، ولكنها شاعت عند العامة ، فأول ما يلام على المعصية إحتج بذلك ، وجعلوه كالجبر ، وليس هذا عذراً لمن بقي معه الاختيار ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : هذه مسألة مهمة في الدين ، إحفظوها : لا يحتاج الإنسان بالقضاء والقدر ، حتى يعطي الأشياء غايتها ، ومن كان طبعه لا يقبل الرياضة ، فلا تُعيب نفسك معه وتُتعبه .

وسمعت رضي الله عنه مراراً يقول : لا أعاد عملة في ذي الوقت إلا على المفادير فقط ، لأننا نرى التدابير والسعي ما ينفع^(٢) ، ولا يبلغ الإنسان ما أراد .

وقال رضي الله عنه : من العجائب أن الإنسان قد يصيبه السبب الداعي إلى الهلاك ، ولكن حيث لم يقدر عليه لم يضره ، وإن عظم السبب ، وقد يصيبه السبب جدّاً ، فيضره لأنه مقدر عليه .

وذكر رضي الله عنه القضاء والقدر ، فقال : هو مضر بالعامة ، حتى غيرهم ،

(١) أي فاصر على ما تقتضيه من العقوبة حيث رضيت لها . إمام .

(٢) أي لمقتضاهما القانون الشرعي فلا عاد بقوت إلا العناية الإلهية . إمام .

وليس هذا مقصود الإيمان ، فإن مقصوده العمل مع الاحتجاج لله تعالى على النفس لا بالعكس ، وهذا^(١) هو مذهب الجبرية ، ومذهب القدرية خير منه ، (وسقط بعد هذا بعض الكلام) ثم قال : ضَعُفَتْ في هذا الزمان النيات والمروءات والجِهم ، وضعُفُها أكثر من ضعف الدين .

ولما مر في القراءة في "الفصول العلمية" : إنه يقع كثيراً في كلام أهل التصوف : أنه ينبغي للعبد أن يرضى بما أقامه الله فيه من الأشياء ، ولا يطلب الخروج من ذلك ، لأن اختيار الله لعبده أحسن من اختياره لنفسه ، ولكن قد يلتبس الأمر على بعض المغترين من الجاهلين ، فمن الظلمة الغشمة من يحتج بإقامة الله تعالى له فيما هو فيه ، ومن المخلطين الذين يعملون الربا ، يأخذون المال من غير حِلِّه ، ووضعه في غير حَقِّه ، من يحتج بمثل ذلك ، وذلك بهتان عظيم وضلال مبین ، وإنما تكون إقامة الله للعبد إذا كان فيما يحبه^(٢) من الأمور والأحوال ، ويكون عاملاً بطاعة الله ، وطالِباً وراغباً في الترقى إلى ما هو فوق حاله ومقامه ، إلى آخر ما قال . ثم قال : هذا الكلام ذكره ابن عباد في أوَّل "الحِكَم" ^(٣) والفرق أن من كان في طاعة واعتقد إقامة الله له فيه ، فهو كذلك ، وإن كان في معصية فاعتقد ذلك ، فهو الاحتجاج على الله ، ومثل هذا : الاعتمادُ على القضاء والقدر مع ترك العمل ، ومثله التعلق بالحقيقة دون الشريعة .

وذكر رضي الله عنه الأسباب فقال : إذا أراد الله أمراً جعل له سبباً ، لأنه سبحانه لا يكلم الناس ، فيقول لهم افعلوا كذا ، واتركوا كذا ، ثم قرأ : { وَمَا كَانَ

(١) أي العكس بالعصم .

(٢) أي الله بالعصم .

(٣) أي في شرح الحِكَم لابن عطاء الله السكندري لابن عباد الصري انظر ص: ٤ .

يَسْتَرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا^(١) الآية ، والله سبحانه هو الفاعل .

وذكر رضي الله عنه رجلاً فقال : إنه فعل أموراً لم يشاورنا فيها، ولكن الفعل فعل الله ، فما وقع فقل : فعل الله ، وما لم يقع فقل : فعل فلان .

وقال رضي الله عنه : ما يليق في تفسير القرآن ، وشرح الأحاديث إلا الخشوع والخوف ، لأنها رقائق ، ولا يحسن فيها البحث ونقل الأقوال ، ومسألة القدر فيها إشكال لا يزول ، وهي على ثلاث درجات: مذهب القدرية وقد انقرضوا ، حتى لم يبق اليوم منهم أحد ، والجبرية ، ومذهب أهل السنة وسط بينهما (وسقط هنا كلام).

وتكلم رضي الله عنه في تعاطي الأسباب ، وعدم الاعتماد عليها، فقال : كل الأشياء من الله ، ولكن لا تُنسب إلى المُلح إلا المُلح ، والشر ليس إليك ، وأما قولك : كله من الله ولله ، فلا يعرفه إلا العلماء الأكابر ، وإذا قال : هذا وقع لي من الله ، فلا شك أنه من الله ، ولكن بأسباب موقوفة على أسباب ، فخذ الشيء من الوجه الذي أذن لك فيه ، ولا تكن كالذي رأى في يد رجل شيئاً فنهبه منه وقال : هذا جاعني من الله ، فنهب هو منه شيئاً آخر ، فقال : وهذا أيضاً جاعني من الله ، فإذا كان أحد معه شيء ، فقال: هذا من الله ، فلا ينبغي لأخر ليس معه شيء ، أن يقول: كيف يعطيك ولا يعطيني ، فإذا أراد مثل ذلك ف ينبغي أن يعرف الوجه الذي حصل له هذا منه ، فيعمل فيه مثل عمله ليحصل له مثل ما حصل له ، وناس كثير يغفلون في الصواب ، فيحتاجون إلى التعليم ، ولو أراد شياء أو الشرح مثلاً — لاحتاج إلى حَمَل^(٢) ، ف ينبغي أن يعرف أمور الدين بهذا الوجه . وإذا قال أعطانيه الله

(١) سورة الشورى الآية ٥١ .

(٢) أي و من يركبه الطريق إذا لم يعرفه ؟ اعسام .

فيحتاج إلى شاهد من الشريعة ، قال الله تعالى في قسم الفيء : { وَمَا عَاتَاكُمُ
الرَّسُولُ فَخُذُوهُ }^(١) ، ثم قسمه تعالى بنفسه بقوله : { لِلْفَقْرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ }^(٢) ، ثم
قال : والدنيا كلها مفروغ منها ، والناس فيها بين ناج وفائر ، وهذه أمور قد فُرج
منها ، ولا مدخل للعمل فيها ، ولكن إذا مات الإنسان على الإسلام فلا يبالي بشيء .
وشكاً إليه رضي الله عنه رجل ضيق الحال ، فقال : ما عاد معك اليوم إلا
الرضى والتسليم ، لكن بشرط موافقة الأمر ، فإذا وافق الأمر الرضى بالقضاء والقدر ،
ثم أمره . ثم أمرني بتقسيم أسوكة ، فبقي يتكلم ولا عقلت منه شيئاً .

وذكر له رضي الله عنه يوماً رخاء الأسعار ، فقال : ضَمُّوها للناس ، وباعوا بإثم
احتكارها وحدهم ، لأن المحتكر ملعون ، يحشر مع قَتْلَةِ النفوس ، وذلك من غير
اختيار منهم ، ومن أبغضه الله وأراد به شراً يَسْرَهُ لفعل الشر ، شاء أم أبى ، ومن
أحبه الله وأراد به خيراً يَسْرَهُ لفعل الخير ، شاء أم أبى ، وكل فعل يفعله الإنسان
باختياره في الظاهر أو في الباطن ، ففيه للذبح والذم .

وذكر رضي الله عنه أقواماً في معرض اللذخ ، وآخرين في معرض الالذم ، ثم
قال : الأفعال أحد يُمدح بها وأحد يذم ، والأسباب من فوق .

وقال رضي الله عنه في حديث^(٣) حاجة موسى لآدم ، وقوله : فحجج موسى
آدم ، إن هذا أمر قد مضى وتاب منه آدم ، وكم قد بقي ييكي ذنبه ، حتى يكي عليه

(١) سورة الحشر ، الآية ٧ .

(٢) سورة الحشر ، الآية ٨ .

(٣) حديث : حاج آدم موسى ، أخرسه البخاري ٦ : ١٢١ وأحمد بن حنبل ٢ : ٢٨٧ . ونصه في البخاري : عن أبي هريرة
رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : حاج موسى آدم ، فقال له : أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبيك وألقيتهم
قال : قال آدم : يا موسى ، أنت الذي اصطفاك الله برسائه وبكلامه ، أتؤمنني على امرئ كره الله علي قبل أن يخلقني ،
أو قدره علي قبل أن يخلقني ؟ قال رسول الله ﷺ : فحجج آدم موسى .

نحو مائتي سنة ، ما إنه جلس يضحك ويحتج بالقضاء والقدر، ولو أن العمل ما هو إلا بالقضاء والقدر، لكن إلى الإنسان منه شعبة ، هي محل التكليف ، وبحسبها يثاب ويعاقب ، وهي الاختيار، فما دام يميز بين الفعل والترك ، ويعرف الأحسن منهما ويمكنه ذلك مع الاختيار، فلا حجة له ، والحاصل : إن المدح والذم متعلقان بالاختيار، حتى إن الإنسان قد يثاب مع عدمه ، فيما لو فعله معه لُذِمَّ به ، كمن يسقط في بئر وهو غافل ، أو فَعَلَ ما فيه تلفه ، وأما المضطر المجبور، فلا ثواب له ، ولا عقاب عليه ، لعدم الاختيار .

وقال رضي الله عنه : لم تظهر بحاري القضاء والقدر إلا بعد تعدي خطوة الاختيار، وما يتكلم في القضاء والقدر وفي الرجاء مع العامة في هذا الزمان إلا الأحمق. وقال رضي الله عنه : لا يمكن الإنسان مادام في الدنيا أن يمسك المحفر بعروتيه أبداً ، بل إن تمكن جداً قبض بإحديهما ، وإن حركه كثيراً سقط كل ما فيه أو بعضه، فينبغي أن يأخذ بها^(١) بالتي هي أحسن ، لئلا يرجع به خالياً. ومرو في عقيدة الرائية وقت الدرس قوله :

ولا كائن قد كان أو هو كائن سوى بمراد الله من غير حاصر

فتكلم رضي الله عنه عند ذلك في القضاء والقدر فقال^(٢) : هذه الأشياء هي أفعال العباد ، فيؤمن بأننا من الله ، ولا يحتج على الله بالقضاء والقدر ، بل يجتهد ويحسن الأحسن حتى يُغلب ، وقد عَلَّمَك الله القضاء والقدر ، فخذ به ، لأن اختيارك من فعل الله ، فماذا تحتج به ، كما إذا حضر الطعام عندك وأنت جائع أو قَصَدَكَ عدو من سبع وغيره ومعك سلاح وأنت قادر ، فترك ذلك فلا تأكل ولا تقاتل ، وتقول :

(١) أي : العروة العظام .

(٢) هذه المقالة قد سبقت قريباً أعلاه . (صفحة ٣٢٥) .

إن قدر الله شيئاً هو يكون ، فهو قَدَرٌ لك بأن أعطاك الاختيار وهداك ، وفَصَّلَ لك أنواع الخير والشر ، وبَيَّنَّ الأحسن والأسوأ ، فاجتهد أنت وتحرَّ ما يحسن ، ولا تجلس وتعتذر ، ومعك خصلتان يعتل بهما الناس وما عرفوهما ، لأنهم أخذوهما بهمل ، جاهل عن جاهل ، ولا يعلموهما : القضاء والقدر ، والتوبة ، فيحتاج بالقضاء مع التقصير في حقوق الله . والاحتجاجُ بهما مع المعصية معصية أكبر من تلك المعصية ، وفي التوبة رما تاب من بعض الذنوب ، فَتَقْضُها . وما جاء في طلب الرضى بالمقدور هو يعني في أمور الدنيا من فقر أو غنى ، أو ربح فيها أو خسران ، أو مرض أو صحة أو موت ، وأمثال ذلك ، لا بأن ترضى بترك واجب أو فعل محرم ، لأن الله لا يرضى لعباده الكفر ، وكذلك فروعه ، فمن قال لك ترضى لنفسك بالمعصية ، ولم يرضها لك ربك^(١) . وما وقع من أفعال الله هو الأصلح على أي وجه كان ، وفيه حِكْمٌ لا يحيط بعلمها الخلق ، لأنهم لم يحيطوا علماً بكل شيء ، وإن كان يُظَنُّ في الشيء أن الأصلح خلافه ، فيقول : لأي شيء يكون الشوك ، وإنما الفائدة في الثمر ، وكذلك لا حاجة إلى نحو الحيات والعقارب ، ففيها حكم ومنافع لا يحيط بها الوهم ، أقل الحال أن لا يبظر الخلق إذا كان كل شيء على ما أرادوا .

أقول : رأيت في بعض القصص : أن رجلاً أنكر خلق الخنفسا وقال : لا فائدة فيها بوجه ، فابتلاه الله بفرحة عجز عنها الحكماء وأيس من بُرئها ، فسمع رجلاً ينادي على أدوية لأمراض ذكر منها : من به فرحة صعبة فلدواها حاضر ، فشكى له ما به ، فقال : إئتني بخنفسا ، فرضها وجعلها على فرحته ، فبرئت بسرعة ، فعجب من ذلك وتاب من اعتراضه وعلم أن الله حِكَمًا في كل شيء .

(١) أي فاصبر على ما تقتضيه من العقوبة حيث رضيت لها . العبد . ام .

وقال رضي الله عنه^(١) : الإصرار على الذنوب مع رحمة العفو ثَمَرٌ ، وللعقل مع ذلك بالقضاء والقدر مبتدع ، وهذه المسألة قديمة ، حتى اعتل بها الكفار ، ولكنها شاعت عند العامة ، فأول ما يلام على المعصية إحتج بذلك ، وجعلوه كالجبر ، وليس هذا عذرٌ ما بقي الاختيار .

وذكر إقامة الله للعبد فقال : من كان في طاعة واعتقد إقامة الله له فيه ، فهو كذلك ، وإن كان في معصية واعتقد ذلك ، فهو الاحتجاج على الله ، ومثل هذا : الاعتماد على القضاء والقدر مع ترك العمل ، ومثله : التعلق بالحقيقة دون الشريعة .

وقال رضي الله عنه يوماً في مجلس الدرس ، في معنى نسألك اللطف فيما تجري به المقادير ، معناه : إن المقدور لا راد له ، ولكن يستل اللطف في ذلك ، كما قال أبو الحسن الشاذلي : لا نسألك دفع ما تريد ، ولكن نسألك التأييد بروح منك فيما تريد ، وأما نسألك الرضا بعد القضاء ، فذلك عند الحاجة إلى الرضا ، وأما قبله فإنه عازم عليه ، وما يدريك عند حصوله ، وأما برد العيش بعد الموت فذاك شيء آخر ، وقبل للموت يرغبه في الدنيا ، فمن سأله الله كرهه الله منه ، كما يبغي الدنيا ، ودعا النبي ﷺ لذلك الرجل الذي يكرهه : بكثرة المال والأهل ، وكذا دعا بذلك لأنس بن مالك ، فما الفرق بينهما؟، إن هذا دعاء مع المحبة يسأل امرأة صالحة فصار نافعاً ، وذاك بخلافه فصار ضاراً.

قال بعضهم : إذا أردت أن تسأل أحداً عن الدنيا ، فسل عنها من هو في سكرات الموت . وأكثر الناس قلوبهم مرضى ، فيشتهون ما لا يُشتهي^(٢).

(١) هذه لقائلة سبق غيرها قريباً . اهـ . ام . (صفحة ٣٦٦) .

(٢) أي كمن يشتهي أكل الطون . اهـ .

ما قال في ذم الدنيا

وذكر رضي الله عنه الدنيا فقال : إن المحب لها كلما ظفر منها بشيء غرق فيه على قدره ، إن قل أو كثر ، لأنها كالبحر ، فأول ما يدخله تغرق فيه أقدامه ، ثم إذا دخل أيضاً غرقت رُكْبُهُ ، ثم وسطه ثم يغرق كله ، وسرورها يعود على حزنها ، وحزنها يعود على سرورها ، فإذا سرته أجزته ، وإذا أجزته سرتة ، ثم ذكر قصة المرأة التي مر بها عيسى عليه السلام مع غنمها وهي في أسوأ حالة من الجذب ، وضعف الغنم ، وهي فرحة ، ثم مر عليها بعد مدة فوجدتها في حالة حسنة من الخصب وسمن الغنم وهي محزونة ، فقالت : أنا في الحالة الأولى فرحة بتوقع الأخرى ، وحزنة فيها^(١) لتوقع الأولى .

وقال رضي الله عنه : الولاة كالحيات ، العافية في سكونهم ، وما يجسيء من تحركهم إلا الشر ، والناس في هذا الزمان ما معهم من الدنيا إلا الهم والتعب ، ولو أن أحداً معه شيء من الدنيا فقال لك : خذه بما معه من الهم والتعب ، لأبست منه^(٢) واخترت الراحة من ذلك ، فقد قال عيسى عليه السلام : الدنيا قليل ، وما بقي من القليل إلا القليل ، قد شرب صفوه وبقي كدره .

وقال رضي الله عنه : إذا أراد الإنسان من متاع الدنيا شيئاً عن حاجة إليه وضرورة ، فإن الله يعينه ويسره ، وإن أراد به بطراً من غير حاجة فليقدر .

وذكر رضي الله عنه الزهد فقال : كل الناس راغبون ، إلا لها رغبة دون رغبة ، فينبغي أن يعرف الإنسان قدره ، ولا يدعي ذلك ، فيلقى الله مدعياً ، وهذا تعرف أن الزهد عزيز ، وأنت لا تُظْهِر للناس أنك زاهد ، فإن كنت كذلك فلا عليك من

(١) أي : الأخرى وهي الخصب ، لعدم .

(٢) أي إن كنت ذا عقل ومعرفة لعدم .

قول الناس ، وإلا صرت مدّعياً ولقيت الله كذلك إذا ظهر لك الحال في الآخرة ، وفي الدنيا ما أنت سالم بما أنت عليه ، وقد رأينا أناساً يدعون الزهد ، وهم بعد لم يصلحوا لطلب الدنيا بلهولهم وقلة ورعهم ، فكيف بالزهد ، فيسمعون مثل هذه الأشياء في الكتب فيدعونها .

وقال رضي الله عنه لرجل : ما ترى لو وقعت على كنز ، أو على مال ، ماذا كنت تصنع ، وانظر أن للنفس حالة قبل وجود الشيء ، وحالة عند وجوده ، وحالة بعد وجوده ، وإذا حصلت أمور الدنيا فاسأل من الله السلامة فيها ، وقبل حصولها اسأل الله السلامة منها ، فإنما هي فتنة .

وقال رضي الله عنه : لا تفعل شيئاً من أمور الدنيا إلا مع الحاجة الظاهرة إليه ، فإن الاستكثار من أمور الدنيا ، ما هو شيء أصلاً ، فلا تجعل لنفسك منها شيئاً ، ولا تقل ربما تدعو إليه حاجة ، فحاجة الآخرة والدين أهم إليك من هذا ، غير إننا ما نحب أن نكثر على الناس فيما هم فيه^(١) ، وكلما قدر الإنسان يضيق على نفسه في هذا الزمان ، لوجه الله لا لشيء آخر ، فإن ما عند الله خير وأبقى ، قال : وهذا عزيز ونادر جداً ، ومعناه : طمأنينة تحصل في قلبه لا يضطرب ، ولو ما عنده شيء ، ورزقه في حوائج الله ، لكن أين من يطمئن بذلك قلبه .

وقال رضي الله عنه : ما كان من أمور الدنيا لا تتعلق به ، واتركه لغيرك ، من خادم ونحوه ، واشتغل أنت بأمور الدين والأمر الإلهية ، وأمور السماء ملكوتية ، وإن كان فيها مُلك ، لأنها من قول كن ، وإن كان فيها مثل أنهار وغيرها ، من أمور المُلك ، وأما هذه الأرض العليا فهي مُلك ، وما فيها كله ملك من الحشر

(١) أي من الاستغراق في طلب الدنيا بالهـ.م.

وغيره ، وفيها الاحتياج إلى كثرة الأكل والمعاش ، وما أسفل منها لا يحتاجون إلا إلى قليل كالجن .

وقال رضي الله عنه لبعض الناس يسليه عن شيء ذهب عليه من المال : الدنيا كلها ما تسوى شيئاً ، وإنما فيها صيانة للمؤمن وسيرة واستغناؤه عن الناس ، ويعمل منها صالحاً إن وفقه الله ، وإلا فما هي شيء أصلاً .

وقال رضي الله عنه : أهل الدنيا اغبين لها إن كان جعل الله في قلوبهم شيئاً من الزهد تُخَفُّ^(١) بسببه في قلوبهم استقاموا على الأحسن ، وإن حصل لهم غرضهم وهواهم تعبوا في أنفسهم ، وأتعبوا غيرهم ، إلا إن كان حصل لهم مانع ، والأموال الحرام ما تروح إلا في الحرام ، ومرة قال : المال الحرام يرجع من حيث أتى ، كالخيلة التي دخلت جحرًا ليس له إلا ثقب واحد ، ولم تدخله إلا تلك المرة .

ومرة قال : إذا أردت أن تعرف مالاً هل هو حرام أو حلال ، فانظر فيماذا يصرف في حلال أم حرام ، فإن لمال الحرام يأتي أن يصرف إلا فيما هو أصله ، وشبهه رضي الله عنه أموال أهل الزمان بالنار ، لكونهم في غير الطريق يسهل عليهم إخراجها ، وفي الطريق يعسر عليهم ذلك .

وقال رضي الله عنه في قولهم : يبنون ما لا يسكنون ، أي إذا أردت أن تسلم من آفات الدنيا ، فلا تبني قبل أن تدعوك الحاجة إلى البناء ، من ضيق منزل ، وكذلك في أمر المعيشة ، لا تقدر الحاجة إليها قبل وقوعها ، لئلا تكون من الذين يُنْبَأُونَ ما لا يأكلون .

وقال رضي الله عنه : الدنيا كالبقرة الصعبة ، إن أمسكها الإنسان برأسها

(١) أي الدنيا تعسر .

كسعته^(١) برأسها ، وأن أمسكها بذيلها رحمة ، فلا أجدر بالعاقل من تركها .
 وقال رضي الله عنه : من طلب الدنيا للدنيا لا وزن له ولا ينتفع بها ، ولا يحصل
 له بها السر ، ولو حصل له منها ما عسى أن يحصل فهو مذموم الخال ، ومن طلب
 الدنيا للدن ، ولو سأل على الأبواب لم يضره ذلك ، بل يعظمه الله وملائكته .
 وقال رضي الله عنه : من استوى عنده هاك وهات ، فهو من الزاهدين ، فقيل :
 هذه رتبة شديدة ، فقال : رتبة أخرى أعلا من هذه وأشد منها ، وهي أمثل^(٢) :
 أن يكون هات أحب إليه من هاك^(٣) ، وهي أشد ، ثم ضحك وقام ضاحكاً ليحل
 للمصلي للصلاة ، وكان كلامه ذلك عند جلوسه في الضيقة .

وقال رضي الله عنه : الصديق إذا قضى لك حاجة بعد السؤال ، فلا خطر
 لقضائها ، وإنما للمليح أن يقضيها إذا علم احتياجك ، وأما إذا سألك إياها فلم
 يقضها ، فلا تعده حتى من المعارف^(٤) .

وذكر رضي الله عنه أقواماً يعسر عليهم قضاء الحاجة ، فقال : فلان له أكثر
 من عشرين سنة ، ما استقضيها منه حاجة ، ولو بالثمن حاضر ، لأننا لا نصحب
 اللثام ، ولا نداخلهم ، ولا نستقضي منهم حاجة ، فإن طلبوها منا قضيناها لهم ،
 وكان واحد عندنا له شيء قليل من الدراهم ، وطلبنا منه حاجة بقيمة مثلها ، فقال :
 تلك ما فيها خوض^(٥) ، ولم يقضها^(٦) ، فأرسلنا له دراهمه ، ولم نقبلها لأن ذكره لها لا
 معنى له ، ولو اعتذر بأن ما معه شيء في الساعة كان أحسن ، قال : وآخر طلبنا

(١) أي نطحته . اعسام .

(٢) في (ج) : مثل .

(٣) إشارة إلى أن الفقر أحب إليه من الغنى . اعسام .

(٤) أي الذين ليسوا بأصدقاء . اعسام .

(٥) أي هي لك . اعسام .

(٦) أي الحاجة . اعسام .

منه كذلك ، وقلنا له : نرهك شيئاً في مقابلته ، فقال : ماذا؟، قيل : كذا ، قال ما أريد إلا كذا ، فتركناه ، وأمثال هؤلاء أحسبتم إن الله سبط عليهم الدولة سُدى ، ما سبط عليهم إلا بسوء أعمالهم ، كما قال السيد أحمد^(١) : الدولة ما هم الظَّلْمة ، ما الظَّلْمة إلا أهل البلاد ، والحاصل : إن اللئيم ما هو ممن يُعْرَج عليه في شيء ، فلا تستقضى منه ، فإن استقضى منك فاقض له .

وقال رضي الله عنه : الدنيا لا تخلو أن تكون مسجناً للمؤمن من كل الوجوه أو بعضها ، ولو لم يكن إلا أن الروح فيها مسحون في الجسم .

وقال رضي الله عنه : علامة الزاهد في الدنيا إنه إذا دخل عليه منها فوق حاجته ، يستوحش منه ، فيرد الباقي أو يخرج في الحال بلا مهلة ، وهذا أقل الزهد ، وعلامة الراغب فيها ، أن يستأنس بما يحصل له منها ، ومن عرف الدنيا زهد فيها ، ولو كان لم يؤمن بيوم الحساب .

وذكر رضي الله عنه جماعة من السادة معهم شيء من الدنيا ، فلم دنياهم وضعف أمرها ، وقال : من رأيت من السادة معهم دنيا تحسب أن معهم شيئاً منها ، وما معهم منها شيء ، لأنه قاعدة : من دخل في أمور الدنيا وليس أبأؤه وأجلاده من أهلها ، فلا يحسنها ولا يعرف مواقعها وتدبيرها ، كالشجاع الذي أهله ليسوا شجعاناً ، فإنه لا يحسن أمور الحرب وتدبيره ، وكذلك في كل شيء ، كما قيل في المثل : « ولد الصانع خير من متعلم سنة ».

وقال رضي الله عنه : من أراد أن يسلم من الدنيا ، فلا يمدّن عينيه ؛ فإن مَدّها راح دينه ، أما سمعت قوله تعالى : { وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ }^(٢) الخ ، والدنيا ما تسوى

(١) أي لخدوان العمام .

(٢) سورة طه ، الآية ١٣١ .

وقال رضي الله عنه : إن غير الدنيا مبشر بشرها ، وشرها مبشر بخيرها ، كما في قصة الراحية التي مرَّ عليها عيسى عليه السلام .

وقال رضي الله عنه لرجل : فلان رزقه متيسر ، وهو يسمع ، ثم أقبل عليه بالخطاب ، وقال له : وكان أهلك فيهم كرم ، فهل فيك كرم مثلهم ، فقال : نعم ، إلا ما تأتت الأمور ، فقال له سيدنا : الأول فالأول ، فالأول إطعام الطعام ، ثم القهوة ثم الماء ، والدنيا من وقت آدم إلى هلم جرأ ما تسوى عند الله جناح بعوضة ، وما فيها إلا الإيمان والنية الصالحة ، والعمل الصالح ، وكان أهل ذاك الزمان ، إذا قيل لأحدهم : هاك ، قال : أنت أحق به ، لزهادهم وقناعتهم ، وكانت أمور الدنيا لا تضيق بهم ، واليوم إلا يتناهيون ، ما تحسبهم إلا أعداء ، وإيش يُسكَّن قلوبهم للملائكة حرصاً ، لأن الحرص إلا نار .

وقال رضي الله عنه : من تعلق قلبه بحب الدنيا وإعراضه عن الآخرة ، يكون ذلك من أحد سببين ، إما غفلة مع كونه موحداً ، وإما شك في اليوم الآخر والعياذ بالله من ذلك ، ويُعرف ذلك منه عند الموت ، فمن كان إذ ذاك خائفاً من أمور الآخرة فلذلك من الغفلة ، وهو مؤمن ، وإن كان بقي خائفاً على أهله وعباله ماذا يكون حالهم بعده ، فهو شاك .

وقال رضي الله عنه : أمور الدنيا لها ثلاث حالات : إقبال وإدبار واستواء ، وهو أحسنها وأقلها ، كاستواء الشمس ، واستواء القمر ، وأما أمور الآخرة إذا تمت فأطولها مدةً حالة التمام في الخير والشر .

وقال رضي الله عنه : الدنيا ما فيها فراغ ، إنما فيها التفرغ ، فإنتك إن لم تكن مشغولاً بظاهرك ، فأنت مشغول بباطنك ، فإذا حصل الحزم فما عاد شيء وقت .

وقال رضي الله عنه : لا تخص الدعاء بأمور الدنيا فقط إذا دعوت ، ولكن إذا سألت الله شيئاً من أمور الدنيا ، فاسأله قبله شيئاً من أمور الآخرة ، فإنه سبحانه أكرم من أن يعطي بعضاً ، ويترك البعض ، بل يعطي ذلك جميعاً .

وقال رضي الله عنه : زهد الرجل وخروج الدنيا من قلبه أدل دليل على ولاية الله له ، وأنه من أولياء الله .

وقال رضي الله عنه : خذ من الدنيا ولا تتركها تأخذ منك ، وإن كان ولا بد فخذ منها وتأخذ منك ، واحذر الخلد أن تأخذ منك ، ولا تأخذ منها .

أقول : والذي ظهر لي أن معنى الأخذ منها كما جاء في الحديث : ((خذ من صحتك لسقمك ، ومن حياتك لموتك)) ، الخ ، وأخذها منه تتركه ذلك والله أعلم .
وقال رضي الله عنه : اتباع أمور الدنيا هي قولك : يا افعل كذا ، وافعل كذا ، فهذه هي الشعب شعب الدنيا ، التي من تتبعها لا يبالي الله به في أي واد من أودية جهنم أهلته ، ولكن إنما هي أقوال تتبع أوهاماً ، وتببعها الأعمال ، وأهل الزمان يريدون صبراً .

وقال رضي الله عنه : الدنيا للدين مثل الغشاوة للمصحف ، وما زاد على ذلك فهو مضر ، فقد قال بعضهم : الدين مثل العمامة ، أي يُرفع كما ترفع العمامة فوق الرأس ، والدنيا مثل النعل ، أي توضع ، واليوم انعكس الأمر ، أي وُضع ما من شأنه أن يُرفع ، وُرفع ما من شأنه أن يوضع .

وقال رضي الله عنه : اسأل ربك العافية ، والرضى بالدون من أمر الدنيا ، وانظر مَنْ هو فوقك ، وَفَضَّلَ عليك فيها ، هل هو يجمع ذلك لينفقه في سبيل الله أم لا ، ولا شك أنك لست بفاعل خيراً منه .

وقال رضي الله عنه : من تأمل أحوال الأنبياء ومن تبعهم من العلماء والصالحين

في الدنيا ، عرف أنه لم يسترح فيها ويظمتن بها إلا أحق جاهل .

وقال رضي الله عنه : السَّهْمُ الذي ليس لأجل أمور الدين ، ما فيه فضل ، وهو ضيقُ الصدر ، والآخِرُ يسمى الحُزْنُ ، والدنيا بحملتها ما تسوى اشتغال القلب بالسَّهْمِ لأجلها ، بل هي أحقر وأقل من ذلك .

وقال رضي الله عنه : ما طالبتنا أهل الزمان بالزهد ، فأين الزهد اليوم ، وإنما طلبنا منهم التوسط ، فيأخذون أمور الدين بأنما لهم وأمور الدنيا بشمائلهم ، وكل الناس في هذا سواء ، إلا بين أخذ بيده ، وأخذ يديه ، ولو أردنا الزهد التام ، لَكُنَّا رحنا إلى جبل لبنان^(١) .

وقال رضي الله عنه لرجل يباسطه : هل عندك الآن واحدة من كافات الشتاء^(٢) ، فإذا كان عندك ثشان أو ثلاث ففيه كفاية ، لأن الدنيا كلما علت منها كِفَّةٌ ، تَوَطَّتْ كِفَّةٌ ، فإن ارتفعت كلها انحطت كلها .

وذكر رضي الله عنه أحوال الدنيا ، وأناساً مضوا ، فقال : إنها راحت بالناس ، أحد يروح ، وأحد يجيء ، وعلى هذا السبيل ، وإنما الشرف : الطاعة وفعل الخير .
وقال رضي الله عنه : لا نسلم لأناس يدعون أنهم متورعون في أمور ينكرون على من يتعاطاها تنطعاً حتى يكون كذلك في جميع الأشياء ، وإما إنه يكذب نفسه في درهم ، ويأكل رأس الفيل ، ثم هو ينكر أشياء درج عليها من هو خير منه .

وذكر رضي الله عنه التفضيل بين الفقر والغنى ، فقال : دع التفضيل حتى ترى فقيراً و غنياً متدينين متمسكين ، حتى ترى أحوالهما ، فتفضل أحدهما على الآخر ، وأما أهل الزمان فما فيهم حجة ، ولا بهم حجة ، فدعهم حتى يجيثك من تحتج به ،

(١) حيث تعبد فيه الزهاد كما يذكر كثيراً في مناقب الأولياء .

(٢) إشارة إلى قول الشاعر وهو ابن فكرة : جاء الشتاء وعندي من حوائجه الخ .

فأول ما نحتاج على أهل الزمان بالزكاة ، ويكفي في هذا^(١) شأن رسول الله ﷺ وأصحابه وأن الغالب من أولياء الله كانوا متجردين عن الدنيا ، ومن كان في يده شيء منها ، إنما يسكه لينفقه ، ولا يبالي كيف كان ، وأما هؤلاء الذين أحدهم يبيع ويشترى ، ويقامر ويخون ، وأوقات لا يصلي ، ولا يبالي بالدين ، فما هؤلاء ، فلا يُفاضل بينهم ، ويُتركون فيما بينهم وبين الله .

وقال رضي الله عنه : الدنيا مثل البحر ، وإذا رأيت الإنسان كلما له يتوسط البحر ، خَفَ عليه ، وإذا رأيته كلما له يتقرب إلى الساحل ، فَارَجُ له الخمر ، وقد ضرب الله لها الأمثال ، وشَبَّهَهَا { كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ }^(٢) وغير ذلك ، وقد كان الأكابر من السلف قُرْبَ مقامهم يتجردون عنها بالكلية ، وكان الشيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه في آخر عمره ، كلما رأى عنده مما فيه زينة الدنيا ، يغيّره ، حتى مسامير الباب .

انظر ما قال في الرياء

وحرى ذكر الرياء في المجلس يوماً ، فقال رضي الله عنه لي : إن الإخلاص عَسِرٌ ، تراك تعتقد في نفسك بينك وبين الله أنك على حالة مذمومة ، ثم لو قال لك أحد : يا كذا ، على الذي تعتقده في نفسك ، غضبتُ ، قلتُ : لقد تعجبتُ من ذلك ، فقال : هذا غضب الطبع ، وقليل من يخرج منه ، فقد غضب النبي ﷺ ، ولكنك ارم أنت بنفسك في الأرض^(٣) ، فإن كنت على حالة مرضية عند الله ، فيزيدك بذلك رفعة ، وإن كنت على خلاف ذلك ، فما تسوى الكلام .

(١) أي تعجيل الفقر على الغنى بالعساق .

(٢) سورة يونس ، الآية ٢٤ . وسورة الكهف ، الآية ٤٥ .

(٣) إشارة إلى التواضع بالعساق .

وقال رضي الله عنه في معنى قول الفضيل رحمه الله : (ترك العمل لأجل الناس رياء) : أي إن الشيطان مراده منك بطلان العمل بالرياء أو العُجب ، أو غير ذلك ، حتى لا يحصل لك منه نفع ، فإذا تركته بالكلية فذاك مراده منك .

وقال رضي الله عنه : كل فعل قَصَدَ به فاعله الناموس^(١) ، لا يقبله الله ، ولا ينتفع به صاحبه في الآخرة أصلاً ، كالذي يفعل بصدقته رياء ، إلا أن يكون قد وافقت صدقته مثلاً نيتاً محتاجاً ومضطراً ، فيحصل له ثواب من وجه آخر ، كأن دعا له بسببه ، أو بين نحو سقاية يرثي بذلك ، فشرب منها رجل فقال : اللهم اغفر لمن بناها ، ففي مثل هذا لا مانع منه ، وذلك من المروءة إذا تَكَرَّم وأعطى أحداً فذاك شأن العقلاء ، وذلك في المباح ، بأن لم يقصد به التقرب ، ولا الرياء والمفاخرة ، وقد حكم سيدنا علي بالنهي عن أكل طعام المتفاحرين اللذين كل واحد منهما شيخ جماعة ، فذبح أحدهما كذا وكذا من الجُزُر ، ففعل الآخر أكثر ، وتكرر منهما ذلك مراراً ، فلما علم بذلك أمر بإلقائه على المزبلة ، وذلك كمن يوصي أن يُفعل له ختم ، ويُجعل على قبره ختمة ، ويجتمع الناس عند ختمه وضيافته ، وغو ذلك الذي يقصد به الناموس ، وقد انقلبت أمور التربة عندنا في هذا الوقت ، كلها لأجل الناموس .

وقال رضي الله عنه : الرياء منه حثيث ، ومنه دقيق ، وتكبيه للملائكة باختلاف أنواعه ، إلا إن منه ما لا تطلع عليه الملائكة ، كالدقيق منه ، لكنها تعرفه بالقرائن ، فتكبيه بقرائنه .

وقال رضي الله عنه : من عمل شيئاً من الطاعات وظن أنه مخلص في ذلك ،

(١) قوله الناموس أي الرياضة والجاه عند الناس لاهم .

فليحرب نفسه ، فإن عرض له ما منعه عن ذلك ، وتأسف على عدم فعله ، فهو مخلص ، وإلا فلا ، وإن اهتم بفعل طاعة ، وادعى الإخلاص فيها فليطرح جميع أغراضه ، فإن بقي على همته فهو مخلص ، وإلا فلا .

وذكر رضي الله عنه الرياء فقال : العاقل إذا سمع أحوال الرياء ، لا ينهم إلا نفسه ، ولا ينهم غيره ، وأما أهل هذا الزمان زمان البركة ، إذا سمع ذلك أحدهم ، وعلم أنه فيه قال : وَرَىٰ فَلَان ، ولو أحد أعطاه شيئاً ما ذكر فلان .

وقال له رضي الله عنه رجل : إني أريد الحج ، ولكن ما خلصت لي النية ، لجرد قصد الحج ، فإن نفسي ثمتيني أن آخذ حجة ، فقال له : إذا أردت أن تعرف النية الدينية ، فَتَصَلِّ كُلَّ مَا حَوَالِهَا مِنَ النِّيَّاتِ الْأُخْرَى ، فتعرفها حينئذٍ ، وأين النية الخالصة ، ولكن حيّا الله الإنصاف ، بأن يتهم نفسه في صدق النية ، فإن لم تكن إبل فمعز ، وإن لم يكن وابل فطل ، ولكن ينبغي للإنسان أن يحمد الله حيث لم يجعله ينوي نية سيئة ، ولم يهيم بقطع طريق أو مراياه للناس .

وقال رضي الله عنه : للمسافر معان ، سواء كان سفره في بر أو بحر ، إلا إن عليه أن يحرم النية ، لئلا يضيّع سعيه ، فإن للمسافر سفرأ مباحاً ، سعيه ضائع ، وكذا للمسافر لزيرة أو حج ، إذا لم يصحح النية سعيه ضائع ، إذ معلوم أن من حج أو جاهد مرائياً أن سعيه ضائع ، والرياء هو الفعل بالقصد ، لا الخواطر التي تخطر من غير اختيار ، فإن قلوب الضعفاء تكثر فيها الخواطر من هذا الجنس ، حتى يتخلى القلب من الخلق ، وقليل عطورها في قلوب للتقين ، فإذا خطر فيها خاطر نادراً ، بادر^(١) إلى الرجوع ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ

(١) في (ع) : بادرُوا .

تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ }^(١)، وذلك حين يتعالى القلب وينخلع من كل ما سوى الله تعالى ، وذلك هو الكبريت الأحمر ، الذي يعز وجوده ويُحدث به ولا يوجد . وذكر رضي الله عنه يوماً للمباهاة ، فقال : إن أناساً صحبوا أحداً من الصالحين ، فبأهوا بصحبته ، فأذهب الله عنهم بركتهم ، لأن للمباهاة بأمور الدنيا تُذهب البركة ، كيف للمباهاة بأمور الدين ، والناس اليوم نزلوا .

وقال رضي الله عنه في قول الإمام جعفر الصادق : (ومن خان الله في السر ، هتك ستره في العلانية) أي إذا كان يُحسِّن الصلاة في الملا مع الناس أكثر منه خالياً ويراى ، ويُرى في الملا خاشعاً خاضعاً ، وليس كذلك في الخلوة ، فهذا هو الخائن في السر الذي يهتك ستره ، ويقرب في الآخرة من الجنة ، حتى يرى حورها وقصورها ، ثم يُصرف عنها ، فيقول : يارب لم أريتها؟ ، فيقال له : هذا أردتُ بك لأنك راقبتَ عبادي ولم تراقبني ، وتلك الأمور ينبغي أن يراقبها الإنسان من نفسه في الخلا والملا ، فإذا رآها وارتقب حائه فيهما فليتكلف تركها ويكرهها ، وأما من كان على حالة فيهما ، ولكن قد تُعرض له عند الناس خواطر رياء وحياء ، وهو يكرهها ولا يعمل بمقتضاها ، فليس كذلك ، ويعرف من نفسه ، ولا ينتظر من يعرفه ، لأن الناس مأمورون بالسُّر والكف عن التطلع إلى عورات الناس وإفشاءها ، فليراقب هو ربه ، ويراعي قلبه ، أو كما قال بمعناه .

وذكر رضي الله عنه أناساً يتلبسون بصلاة غير جائزة فقال : إنما فعلهم هذا معصية ، لأن من تلبس بطاعة باطلة ، فهو عاص ، ولكن ماذا نقول في هذا الزمان ، ومن استحسِن الباطل ما عاد معك له إلا السيف ، إن كان معك سيف فاقهرهم على

(١) سورة الأعراف ، الآية ٢٠١ . { حَيْفٌ } على قراءة أبي عمرو .

الحق . ومرة ذكر مثل هذا الكلام ، وذكر له مثلاً ، فقال: ومن عشق علته فليس له طبيب .

وقال رضي الله عنه : الكتمان في هذا الزمان ، أحسن من الإعلان ، إلا لأحد أمرين : إما لضيق في صدره ، أو لحاجة له في إظهاره ، لأن الزمان إنما هو شوك بلا ثمر ، ولم نزل الأمور كتنافس إلى قيام الساعة ، وقد يضيق صدر الإنسان ، حتى من أمر أو أمرين ، ومن كتم أمره أو غفل عن أمر ، حتى لم يعرفه ولم يطلع عليه ، ولا هو سلطان يلزمه أن يتطلع على الأمور ، فذلك خير له ، وقد سلم من الإثم والشاغل . وقال رضي الله عنه: ينبغي للإنسان أن يفتش عن نفسه ، ولا يتخدد بغرورها ، فكم ممن يرى نفسه من شيء ، وهو ملابس له .

انظر ما قال في سبب نزول النخ

وقيل له رضي الله عنه : إن الجراد أصاب حرث بعض البلدان ، فقال نفع الله به : قد أمرناهم يدعون بقلوبهم وألسنتهم متضرعين إليه بالدعاء كذلك ، لأن الإنسان ما له إلا ربه ، وما له من غيره من غياث : {إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ} ^(١) الآية ، وإن الله وجه إليهم مصائب وأمرهم بأشياء من الخيرات ، إن فعلوها صرف عنهم تلك المصائب ، وسلط عليهم مواع تمنعهم من الخير ، سلط عليهم شياطين وأهواءهم ونفوسهم ، فإن جامدوها ، وفعلوا ما أمروا به ، فواسوا محتاجاً ، وأقرضوا مستقرضاً ، وأطعموا جائعاً ، وكسوا عرياناً ، ونحو ذلك ، صرّف عنهم ما حل بهم ، وإن لم يفعلوا

(١) سورة النكول : الآية ١٧ .

ضاعفها ، فإن فعلوا زالت عنهم ، وهكذا ينبغي أن يفعلوا كلما عادت تلك إليهم عادوا إلى الخير ، ليزول عنهم أو كما قال .

انظر ما قال من الإشارة إلى سيل نجم الحوت قبيل مجيئه

وما قاله عنه بعد مجيئه رضي الله عنه

وقال رضي الله عنه : للأسماء الإلهية سريان في المخلوقات ، ما^(١) غير ما يدري الخلق بذلك ، أسماء الرحمة في أهل الرحمة ، وأسماء العذاب في أهل العذاب .
ثم قال نفع الله به : رحمة الله في عذابه ، وعذابه في رحمته ، وقد يكون الشيء مما يرسله الله على بعض عباده ، يكون مظهره العذاب ، وباطنه الرحمة ، فهو في الظاهر عذاب ، وفي الباطن رحمة ، فظااهره العذاب وباطنه الرحمة ، ويكون رحمة وتخفيفاً في حق أقوام ، وعذاباً في حق آخرين ، وهو شيء واحد ، كما جاء في الخير ما معناه : ((إذا أرسل الله على قوم عذاباً فهو تعذيبٌ للمعتدين ، وثواب للمحسنين)) . وفي قصة الذين يخسف بهم ، وفيهم أهلهم وأسواقهم ، فيبعثون على نياهم ، ثم ذكر : إن حمساً من الأمم الذين أهلكهم الله بالعذاب ، وقد ذكر الجميع في هذه الآية : { فَكَلَّا أَهْذَنَّا بِذُنُوبِنَا }^(٢) الآية .

أقول : قوله نفع الله به : للأسماء الإلهية سريان الخ ، فيه إشارة لمن يفهم الإشارة ، لما يقع في الكون من المظاهر الإلهية ، وقد وقع بعد هذا الكلام ، بنحو أربعة أشهر إلا ثلاثة أيام ، وذلك في آخر رمضان من سنة ١١٢٤ السيل المائل العظيم ، سيل الحوت الذي أخذ جملةً من النخيل، فكلامه مقدّمة له وإشارة إليه، كشفاً منه

(١) في (ج) : من غير .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ٤٠ .

رضي الله عنه.

وقال رضي الله عنه : أهل البيت ودائع نبوية ، فينبغي لكل إنسان أن يستوصي بتلك الودائع النبوية ، وهم وإن كثروا لا يبلغون عشر معشار الخلق ، وأهل بلدتنا في مواطنهم تعظيم السادة ، ومن طبعمهم ذلك ، ولكن هنا أناس ، ذكرهم من أصحاب الدولة ، لا يرون احترامهم وتعظيمهم ، فإذا أخذوا على هذا مدة ، فما يدرون إلا وقد جاءهم مثل هذا السيل العظيم ، وكبرهم ولكن لا يعتبرون .

وسلّى رضي الله عنه رجلاً في مال كثير أخذ به هذا السيل ، فقال نفع الله به : إن الدنيا ما نقص منها زاد في الآخرة ، وما الدنيا إلا ذاهبة بكل حال .

وذكره يوماً — أعني هذا السيل — فقال نفع الله به : إذا فعلوا هم ما يَبْغُونَ^(١) ، فعل الله بهم سبحانه ما يَبْغِي^(٢) ، لأهم ما اتقوا الله في حقّه ، فما أبقي فيهم ، وأقوى رابطة لهم بالله الصلاة وقراءة القرآن ، فانظر ماذا يفعلون فيهما ، يَتَعْتَعُونَ في القراءة ، ويقرأ الرجل المقرأ في نفس واحد ، ولا معهم توحيد [أي كامل] .

وقال رضي الله عنه : إهم غيروا فَعَيَّرَ الله عليهم ، جَارَ الدولة في السَّخِيرِ^(٣) ، فأخذ النحلة بأصلها ، ومناهم في ظلمهم للناس وانتقام الله منهم ، مثل من يقول لرجل : اترك فلاناً يضربك أو يقتلك ، فإن فلاناً يضربه أو يقتله^(٤) ، فإن الغير وأعمال السوء نار ، فنارك منك ، وسمعنا فيما سمعنا : إن منازل النار مكتوب عليها

(١) أي من حظوظ النفس واتباع الشهوات وفعل المعاصي . اهـ .

(٢) أي من الانتقام . اهـ .

(٣) الحُر : بضم الحاء وفتح الهاء للوحدة جمع خيرة ، وهو شيء كاثرييل يصنع من حوص النحل الرقيق ، ويوضع على عدى النحلة ليمس الطير وسقوط الثمر .

(٤) أي بخلافنا . اهـ .

أسماء أهلها، يدخلونها بأعمالهم ، وإنما يدخلون الجنة برحمة الله .

وقال رضي الله عنه : وما كلُّ يسقط ، ولا كلُّ يسمر ، ولا كلُّ أحد يصبل ، وكلُّ الناس يسيرون ، إلا منهم سائر إلى الجنة ، ومنهم سائر إلى النار، حتى إنه ما يموت أحدهم إلا وهو على باب النار .

وذكر رضي الله عنه قوماً في معرض المدح ، وآخرين في معرض الذم ، فقال :
الناس في الفعل ، منهم المملوح ومنهم للذموم ، والأمر من فوق^(١)، ولعل في الناس من له عمل مثل عمل قوم نوح ، حتى جُوزوا بمثل جزائهم^(٢)، وكان من عملهم الاستكبار وقلة الحياء ، والإصرار على المعصية إذا نُهوا عنها، قال الله تعالى : **{وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا}**^(٣) الخ . وقال تعالى : **{ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا}**^(٤)، إلى آخر ما حكى الله عنهم ، فكذلك في الناس الآن من يصر على المعصية، فإذا نُهي عنها قال مَرَحَباً بلسانه ، وأصر بعزمه ، واستكبر ولا يستحي من الله ، فجوزوا بهذا السيل^(٥)، كما جوزوا أولئك بالطوفان ، فقد قال فلان من السادة: إن هذا السيل من بقية طوفان نوح ، والجزء من جنس العمل ، قال الله تعالى : **{فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ} الخ .**

وقال رضي الله عنه لرجل يسليه : عسى أن يقع الأجر والعوض إن شاء الله ، والأجر ، أو قال العوض واقع لا محالة ، لأن الله سبحانه ما يأخذ شيئاً إلا أعطى خيراً منه .

(١) أي سابق القدرة .

(٢) أي من الفرق بهذا السيل العظيم .

(٣) سورة نوح ، الآية ٧ .

(٤) سورة نوح ، الآية ١٣ .

(٥) أي سيل الخوف .

وتكلم رضي الله عنه يوماً على أهل النخيل الذاهبة^(١)، فقال نفع الله به :
الرجل عنده أربعمائة نخلة، يأخذ ثمرها ولا يتصدق منها حتى بمائة سعة ، ولا يعمل
خيراً قط ، ثم إنهم يتأسفون^(٢) على أنهم لم يبيعوا ويتخلصوا منها بأي وجه ، وهذا من
قلة الخيرية ، ولو لهم نية في الخير لتأسفوا على أنهم لم يكونوا فعلوا منها خيراً ، فإذا
لم يكن شيء من الدين فأين العقل والمروءة .

وقال له رضي الله عنه رجل : إن هذا السيل أذلهم ، فقال : إن الإنسان قد
ذليل بالنسبة إلى ربه ، وإنما أظهر ذله ، والإنسان إذا وقع في شدة أو حصل له مرض ،
أو شيء من الأمور ، يستئين ضعفه وذله ، وإلا فهو ضعيف ذليل من أصله ، فقد قال
سيدنا علي : الإنسان ضعيف ، ثقله شرقة ، وتؤذيه بقعة ، وتنته عرقعة ، وقال
بعضهم : الإنسان أنف في السماء، واست في الماء.

وقال رضي الله عنه : إن هذا السيل أشغلهم عن الغيبة ، حتى لم يفرغوا لها ،
وبقوا مشغولين به عنها، والرب يغضب ويرحم ، والرحمة تحيط بالغضب ، وإذا
غضب ورضي لا يعود إلى الغضب سريعاً .

وقال رضي الله عنه : هذا^(٣) غضب نزل ، وماعاد معهم فيما مضى إلا
الإستغفار ، ولكنهم يراقبون الله فيما بقي ، ويتخشونه ويتقونه ، ويؤدون حقوقه ،
وأفعال القوي^(٤) قوية ، لا تثبت لها أفعال الضعيف^(٥)، لأن فعل الضعيف ضعيف ،
وحق هؤلاء أن لا يتعرضوا لخطئه إلا بقدر ما يطيقون ، ولا معهم استعداد ، ومن

(١) أي سبب هذا السيل . اهـ .ام .

(٢) أي بعد أن شلها السيل .اهـ .ام .

(٣) أي هيء هذا السيل .اهـ .ام .

(٤) هو الله .اهـ .ام .

(٥) وهو الإنسان وكل مخلوق .اهـ .ام .

يؤمن بالآخرة ، أيصلي صلاة غير معتبرة؟ ، أو يزكي زكاة غير معتبرة؟ ، ولا يستحيون من الله ومن ملائكتهم الذين يكتبون كلامهم وكثرة هديانهم ، وإذا أردت تعرف هل في الإنسان خير أم لا ، فانظر إن كان يضحك حال جلوسه في المسجد وتلاوته القرآن ، فاعرف أن ما فيه خير ، وإذا لم يكن فيه حينئذ خير ، فمضى يكون ذا خير ، ولا يكون جلوسه في المسجد معشار أوقاته ، فلا يجعلها أيضاً كلها لله ، ومع هذا تجري عليهم مذكرات فلا يعتبرون ، والظاهر أن صحائف الشر لا ترفع إلى الله ، بل ترد من السماء الدنيا ، وإنما تصعد الملائكة بصحائف طاهرة فيها الخير ، فتزد أو تقبل عند ذلك .

وقل ما ذكر رضي الله عنه هذا السيل العظيم ، إلا تكلم في مانعي الزكاة وذمهم ، فمما قال فيهم بعد أن قيل له : إن الخطب قد كثر للمساجد ، وانتفعوا به لحرارة الماء لها ، فقال نفع الله به : إن الخطب لا يعيذ في النحل ، لكن حيث استحقوا ذلك بتركهم الزكاة ، يضم الإنسان كذا وكذا من التمر ، ولم يُر أنه أعطى فقيراً واحداً ، أما سمعوا قصة أهل الجنة^(١) فيعتبروا بهم ، ولا نفع فيهم الوعظ في الخطب على المنابر والتذكير ، ولو جاءهم من يطلبها^(٢) إلى دورهم ما أعطوه شيئاً ، فأعطاهم سحفة ولا يعلمهم^(٣) حتى ساعة زمانية ، فليأخذوا من تركهم الزكاة : { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }^(٤) ، { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ }^(٥) ، { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ

(١) أي الذين ذكرهم الله تعالى بقوله : { إِنْ تَلَوْتُمْ لَكُمْ نَسًا يَلْوَتْكُمْ أَنْصَابُ الْجَنَّةِ إِذَا أَنتُمُوهَا تَهْتَكُوهَا فَتُحْجَبُونَ عَنْهَا } .

(٢) أي الزكاة ، المعصام .

(٣) أي (ج) : ولم يعلمهم .

(٤) سورة العنكبوت ، الآية ٤٠ .

(٥) سورة هود ، الآية ١٠١ .

الظَّالِمِينَ} ^(١) ، ولم يجعل أحد منهم لله جمل حطب في مسجد ، ولكنه إذا دخل الجابية ، تحسبه كذا (ونسيت ما قال) ومن تأمل صنيعة في النخل ، علم أنه ما جاء إلا بقصدها ، وهذا نتيجة قطع الحطب والتخجير ^(٢) وترك الزكاة ، وقد لحيناهم عن هذه الأشياء فحصل لهم كما حصل لأصحاب الجنة من ثقيف حيث حكى الله عنهم : {فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ * أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ} ^(٣) إلى آخرها ، وما قصة الله في القرآن إنما يراد به الاعتبار ، لا الحكاية والأسرار ، وما يأخذ الله سبحانه إلا بوجهه ، يقسمون ^(٤) الثمرة ، وهو ^(٥) ينظر فلا يعطى .

وقال رضي الله عنه : إن هذا السبل عقوبة جاءت على غفلة ، وعسى أن تكون مصحوبة باللطف ، وما ظننت أن هذه الحملة ^(٦) يكون منها مثل هذا السبل المهل ، ولم نسمع بمثله ، ولم يحصل في الإكليل الأول ولا الثاني ما حصل مثل هذا ، وبين كل سيل من هذه السيول للمدة المتقاربة نحو ٧٤ أو ٧٥ أو قريباً من ذلك .

أقول : وقل ما جلس رضي الله عنه مجلساً إلا وذكر هذا السبل ، ولهذا طال كلامه فيه ، وكثر ما ذكرناه عنه مما يتعلق به ، وذلك فيما قارب قرب وقته ، ولما بُعد قل ما يذكره .

و كنت يوم الاثنين في ٢٤ شهر رمضان ، قيل لي : هذا السبل بيومين ، جالساً في حلقة مع جماعة سيدنا نقرأ القرآن بحضرته بعد صلاة الصبح ، كما هو مرتب ذلك في هذا الوقت ، في العشر الأواخر من رمضان ، فبعد ما قرأت المقرأ وأنا مستند

(١) سورة الزمر ، الآية ٧٦ .

(٢) أي قبل لونه بالهضم .

(٣) سورة القلم ، الآية ٢٣ ، ٢٤ .

(٤) أي يخشون النخل . (و : ح) : يقسمون الثمرة .

(٥) أي المسكين بالهضم .

(٦) أي الطر الحفيف بالهضم .

قاعد مستقبل القبلة ، وسيدنا جالس في المحراب ، إذ أخذني النوم قليلاً ، فرأيت قبة فيها قبر ، ولها باب واحد ، وفي القبة ثقبان ، قبلي وشرقي ، وكأنّ عتم ماء يجري إلى القبلي ، فيدخل منه للماء إلى القبة ويجري فوق القبر ويسفح منه إلى الثقب الشرقي ، ثم يخرج منه يجري في العتم إلى نخيل كثيرة وبساتين يسقيها ، وكان ذلك القبر قبر النبي ﷺ ، وكأنّي أقول في نفسي : يا سبحان الله هذه البقعة ، أعني البقعة التي ضمت أعضائه الشريفة ، أفضل من العرش والكرسي وما دولهما ، وهذا الماء متروك هكذا يجري عليها ، وفي خاطري أن ذلك للموضع الروضة الشريفة ، وكأنّي أمثل بمنين البيتين ، من قصيدة البكري :

قد حَسَدْتُهَا سُدْرَةَ الْمُتَهَيَّي لِمَا حَوَتْ وَالْفَلَكَ الْأَكْبَرِ

ودت لجُيُومِ الْأَفْقِ لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ فَنَادِيًا بِمَا تَزْهَرُ

وبقيت في رؤيائي هذه إلى أن وصلني المقرأ ، فحررتني الذي أقرأ بعده ، فحكيت لسيدنا عندما قام من مجلسه ذلك ، فقال رضي الله عنه : هذا أمر سابقع لا يتحملة إلا هو ﷺ ، فلما وقع السيل ثالث يوم من الرؤيا ، قال نفع الله به : إنه كان يريد أن ينزل ما هو أعظم من ذلك ، لكنه ﷺ تحمل منه ما لا يتحملة غيره .

وقال رضي الله عنه : إن سيلاً سابقاً كان يسمى قاحش ، وهذا نابر ، والنسر أشد من القحش ، لأنه ينير الأرض فيخرج منها النحل ، وذاك يقحش ما عليها ، وهذا السيل نابر والله جابر .

وذم رضي الله عنه أقواماً غرسوا في أماكن النحل التي أخذها هذا السيل ، فحفاء سيل آخر ، فأخذ ما غرسوا^(١) فقال نفع الله به : لو سمعوا كلامنا ما رجعوا

(١) الله السمي بسيل العواء . اهـ .

يفعلون ، وإن كان ولا بد فيصبرون السنة ، ينظرون أولاً ، وإذا رأيت مظاهر القهر ، فاحتشع ولا تبطر ، وعند مظاهر الرحمة يكون أمر آخر ، كيف نخيلكم تلك بأجمعها مع كثرتها أخذها في مدة قريبة ، من وقت السحر إلى بعد الشروق ، ثم أنتم تعودون على القرب إلى الغرس ، فهذا الفعل منكم كالمغالبة منكم للقادر القوي . وذكر هنا لذلك مثلاً ، وهو : إن رجلاً فقيراً كان قام له رجل آخر غني بكل ما يحتاج إليه ، وأعطاه من المال حتى أغناه ، فقال الله تعالى لذلك الرجل الغني : نحن أفقرناه فأغنيته^(١) ، فامتناه فأحيه إن كنت تقدر على ذلك ، ولعل ذلك على لسان أحد من الأنبياء انتهى ما أردنا ذكره من قوله فيما يتعلق بأمر هذا السيل ، وعاش سيدنا بعده ثمانين سنين وشهراً وثلاثة عشر يوماً .

وقال رضي الله عنه ما معناه : قد يقابل الأمر من الله شيء من العوارض فيمنعه ، فإذا جاء أمر برحمة قابلتها حصول معصية فامتنت ، أو حصول عذاب فقابلته صدور طاعة فرجع ، حتى إنه جاء عن الله تعالى إنه قال : ربما وجهت على أحد العذاب فيمنعني منه القائمون بالمسحار ، ثم حكى : إن رجلاً كان عابراً في سفينة في البحر ، فالتكسرت بهم السفينة ، فألقاه البحر إلى جزيرة في البحر ، فصعدا فرأى فيها مسجداً ، وفيه سبعة من الأولياء منقطعين للعبادة ، فهبت ذات يوم ريح شديدة في البحر وفي الجزيرة ، فلما رأى شلتها قال : لا إله إلا الله ، فلما قالها سكنت الريح في الحال ، فالتفت إليه واحد منهم وقال له : هداك الله ، إن هذه الريح أرسلها الله ليغرق بها جملة مراكب من الكفار غاروا على المسلمين ليأخذوهم ، فلما ذكرت الله سكنت عنهم .

(١) ولعل ذلك الغني أعاناً ذلك الفقير مراقبته لله تعالى حيث أحقره ، لا لقصد التواضع ، ولا لما عليه الله عليه ، وهو ظاهر المثال بالعام.

أقول : ويشهد لذلك حديث الجامع الصغير^(١) : ((إذا أذن في قرية ، آمنها الله من عذابه في ذلك اليوم)) ، قال المناوي في شرحه : وهنا فائدة ذكرها الإمام الرازي : إن الماء زاد ببغداد يوماً حتى أشرفت على الغرق ، فرأى بعض الصالحين كأنه وقف على^(٢) دجلة ، وهو يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، غرقت بغداد ، فجاء شخصان أي ملكان فقال أحدهما للآخر : ما الذي أمرت به ، قال : بتغريق بغداد ، ثم نهيت عنه ، قال : ولم ؟ ، قال : رفعت ملائكة^(٣) الليل ، إن البارحة افتض ببغداد سبعمئة فرج حرام ، فغضب الله فأمرني بتغريقها ، ثم رفعت ملائكة النهار بسبعمئة أذان وإقامة ، فغفر الله هؤلاء هؤلاء ، فانتبه وقد نقص الماء . انتهى .

وقال رضي الله عنه : أهل هذا الزمان أحاطت بهم ذنوبهم ، ولو أنهم يمتثلون ويفعلون ما نأمرهم به لكان فرج الله عنهم ما بهم ، ولكن راح بهم العصيان .

انظر ما قال فيما يدفع الخن

وقال رضي الله عنه : إنما تستدفع الامتحانات بالصدقات ، سيما الخن المالية ، فإن الجزء من جنس العمل ، وكانوا^(٤) يزدادون بالبلاء والخن خضوعاً وذلةً وافتقاراً إلى الله تعالى ، ويجأرون ويكثر من الصدقات عند ذلك ، وهؤلاء^(٥) لا يزيدهم ذلك إلا بخلاً وافتحاحاً على الدنيا وحرصاً ، وما بهم إلا أعمالهم السيئة ، فحيث لم ينصفوا ويؤدوا حق الله من أنفسهم بأنفسهم ، من أداء أوامره واجتناب نهيهِ كما

(١) الجامع الصغير ١ : ١٧ .

(٢) في (خ) : على طرف دجلة .

(٣) في (خ) : رفعت ملائكة الليل .

(٤) أي الأولون .

(٥) أي أهل هذا الزمان .

ينبغي ، انتصف الله منهم بنفسه ، والدنيا في أيديهم كالعدانة فيها الدجاج .
أقول : يعني بالعدانة المزيلة . وحركتهم في دنياهم واشتغالهم بأسبابها من غير
معاملة صحيحة ، ولا نية لله صالحة ، مع قلة أو عدم إخراج واجب ومنسوب ،
كحركة الدجاج ، وبجتها في المزيلة ، كما قال ابن المقرب الشاعر الاحسايني^(١) :
لا يُعرف المعروفُ في ساحاتهم إلا كما يحكي عن العنقاء
وإذا اندوا^(٢) بحثوا اللدا^(٣) فكأنهم دَجَجُ بُجَجٍ عَذْرَةٌ بفضاء
نكلتهم الآباء إن حياتهم غمُ الصديق وفرحة الأعداء
وقال رضي الله عنه : أدركنا زمناً إذا وقعت على الناس شدة وابستوا ، رجعوا
إلى الله ، وتابوا واستغفروا ولزموا الطاعات وتركوا المنهيات ، وخافوا أن قد عجل
عليهم من العذاب في الدنيا ، ثم يرجعون على أنفسهم باللوم على التفريط ، وأهل
هذا الوقت إذا نزل بهم شدة تركوا الواجبات ، فضلاً عن اللذونات ، وارتكبوا
الحرمات ، ثم إنهم يتمنون ما لم يستحقوا ، فهيهات أن يكون لهم ذلك .
وقال رضي الله عنه : أعطوا الخن أحكامها ، فإن من أعطها إياها كانت عليه
نعمة ، وإلا صارت كل عنة محنتين ، أو ثلاثاً .

انظر مقال في العلم وفي أهل العلم أو تفسير حديث

وتكلم رضي الله عنه في العلم فقال : من رأته يعلم العلم النافع ، كعلم كتاب
الله ، وسنة رسول الله ، وينطق بذلك ، ثم لا يظهر عليه العمل به ، فذلك عالم سوء ،

(١) هو الشاعر علي بن المقرب الميموني الأحسايني المتوفى سنة ٦٢٩ .

(٢) أي: أترؤا .

(٣) في نسخة : بحثوا اللدا كالعلم .

فإن لم يكن ما عُلِّم من العلوم النافعة ، فلا يسمى علماً أصلاً ، وأما العالم بأحكام الفقه ، لو كان كذا ، لو كان كذا مما لم يقع ، فإنما هذا صناعة لا علم ، ومن عُلِّم البيع والشراء ولم يبع ولم يشتتر له فضل بذلك؟ لا ، بل إن فعل فائدته أن يتقي الله في ذلك ، فالفضل حصل من التقوى ، لا من ذلك .

ثم تكلم كثيراً حتى انجر به الكلام إلى أن قال : لا تنكر على أحد من أهل الحق، ممن علم الله إخلاصه ونصيحته ، حتى تختار ، أو كما قال .

وتكلم رضي الله عنه في أهل الزمان وأكثر ، ثم قال : إن جهود الزمان فسقة ، وكذا قضاياه وعدوله ، وإنما تُقْبَل فتاويهم وشهاداتهم للضرورة ، وإذا تأملت حال العباد فيه ، فضلاً عن غيرهم ، تراهم في كل مباح من أكل ونوم ونحو ذلك في غفلة ، أين الآداب ، أين الأذكار الواردة في هذه الأشياء ، هيهات ، ذهب الدين ولم يبق منه إلا الرسوم .

وتكلم رضي الله عنه أيضاً في هذا الزمان وكثرة اختلافهم ومخالفتهم في أشياء من ظاهر العلم ، ثم قال : إن أهل الزمان ليسوا بأهل مجادلة^(١) وإنما هم أهل شقاق، فإذا قال تعالى في حق أهل الكتاب : {وَجَادِلْهُمْ بَالِغِي هِيَ أَحْسَنُ} ^(٢) فكيف بالمسلمين ، وهذا في أشياء من العلوم الظاهرة ، فكيف لو أظهرنا لهم كلمة صوفية ، أو قال : فكيف لو هو في التصوف .

وقال رضي الله عنه : إن الله تعالى يبغض العلم الذي يمتنع من العمل ، ويبغض العمل الذي يمتنع من العلم لله ، والعمل بلا علم سقيم ، والعلم بلا عمل عقيم ، وفرق بينهما ، وإن كان كل منهما آفة .

(١) أي بأن يرجعوا إلى الصواب إذا استبان لهم الحق على لسان من جادلهم . اهـ . ام .

(٢) سورة النحل ، الآية ١٢٥ .

وقال رضي الله عنه : ما قَطَعَ أهل الزمان من معرفة العلم العجزُ ، إنما قطعهم الزمان ، لأن من عَلِمَ شيئاً لم يُحفظ منه ، ولو أملاه^(١) لم يُحفظ ، وإن حُفِظَ شيء فيبقى مصراً عليه^(٢) ، فينساه ، فلو أَلْقِيت في الأرض دراهم ، فلم تجد من يلتقطها لم تُرَم مرة أخرى .

وقال رضي الله عنه : خذ مع أهل الزمان بالرفق ما أمكنك ، ولا تشدد عليهم ، فإن حباهم رامة^(٣) ، وما كنت تعلمه أحدهم في يوم اجعله في ثلاثة أيام ، لأن قلوبهم مائلة أو قال متصرفة ، وخصوصاً الصغار ، ما معك منهم إلا الترقوة واللطف بهم والرفق ، ومثال أهل الزمان كالبعير الشارد ، فلا تضربه فتزيده شروداً .

وقال رضي الله عنه : المبتدي الذي لم يتبحر في العلوم ، إذا نظر إلى الخلاف في العلوم ، تفرق قلبه وتشتت همه وفاته التحصيل ، سيما في الإلهيات والنبوءات ، وربما يقع في شبهة ، ولا معه من العلم ما يزيلها به ، وأما إذا تمكن في العلوم ، فلا بأس أن ينظر في الخلافات ليعلم ذلك ، وذكر حجة الإسلام : إن العلم كالسلطان ، إما مَلَكَ وارتفع إلى أعلا المراتب ، وإما لم يتمكن من ذلك ورجع إلى أسفل المدينة ثم تمثل :

يَقْدُر الصعود يكون الهبوط فإياك والرتب العالية

وقال رضي الله عنه : وأصول الاعتقاد ثلاثة : التوحيد والنبوة واليوم الآخر^(٤) .
وقال رضي الله عنه : ذكر : إن سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم كانا في سفر صائمين ، ففتح لهما شيء ، فأخرجه إبراهيم ولم يدخره إلى الإفطار ، فقال له سفيان : نحتاج إلى شيء من العلم يا إبراهيم ، فسكت إبراهيم ولم يُرد له جواباً ،

(١) أي ليكتب ، فكيف يعلم .

(٢) أي بلا مذاكرة فيه .

(٣) رامة : مهترئة .

(٤) أي الإيمان بخلاء الثلاثة .

فلما آن وقت الإفطار ، جاء أحد إليهما بطعام كثير من خبز وعمر ، فالتفت إبراهيم إليه وقال: يا سفيان تحتاج إلى شيء من اليقين ، لكن هؤلاء قلوب مجردة في الأبدان بلا نفوس ، أبدانهم في الدنيا وقلوبهم في الآخرة . وقراءة أحوال هؤلاء إنما هي للترك ، وإلا فلا مَطْمَع في العمل بمثل عملهم ، لأن الناس كلهم ناشئين مغاليبهم في الدنيا ، وهم فيها كَعَرَقٍ للموقف ، بعضهم إلى ساقه ، وإلى ركبته ، وإلى حلقه ، وإلى رأسه . ولما قرأت بحضرته قصيدته التي فيها ذكر القطب منشداً بها ، ووصفه وهو قوله^(١):

إن شئت تعرفه وتعلم وصفه	بطريقة الإجمال فاسمع سائلي
هو سيد متواضع متخشع	ورع تقي زاهد في العاجل
الشرع سيرته الحقيقة حاله	ومن العبادة بالمقام الخافل
بَرَّ رحيم بالخالق كلهم	يرعى الوجود بعين لطف شاملي
يمتد من بحر البحور محيطها	خير الأنام بعاجل وبأجل

فقال نفع الله به : هذا وصف جامع لصفات القطب ، حتى يعلم الواقف عليه أن من خالف ذلك لم يكن قطباً ، إلا إن كان بالمعنى الأعم ، لأن القطب : السيد في كل طائفة ، وهذا الوصف إنما هو في القطب الذي هو أفضل أهل زمانه من الأحياء ، ولو علت درجات أحد منهم^(٢) ، ولا يقوم في مقام القطبية إلا ظاهر ، فإن لم يكن فيه أهلية للظهور ، يستيب أحداً ممن فيه أهلية للظهور ، فقلت له : أيكون القطب المتقدم أفضل من المتأخر؟ فقال : لا يشترط ، فقد يكون في المتأخر مزايا لم تكن في المتقدم لاختلاف الزمان ، ولا يكون في كل زمان إلا واحد ، وما ذكر عن

(١) ديوانه : ٢٧١ .

(٢) أي الأحياء المعاصرين .

جماعة في زمان واحد أهم أقطاب ، فلعل أن يكون كل واحد منهم قطعاً في جهة .
 وقال رضي الله عنه في حديث^(١): ((من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)) ،
 أي أعلمته أنني محارب له ، وذلك لأن الولي لا يتنصر لنفسه ، فيكون الله سبحانه هو
 الذي ينتصر له ، ثم أنشد :

إن الأمير هو الذي يكون ميراً يوم عزله

إن فات سلطان الولاية لم يفت سلطان فضله

وقال رضي الله عنه : إذا رأيت الله قد عدل عن كلمة إلى أخرى في شيء من
 الألفاظ ، إما في ذكر أو غيره ، فخذ بما ذكر ، وإن كانت الأخرى تماثلها في اللفظ
 أو مع المعنى ، كما ذكر في الوضوء^(٢) : يوم تبيض ، ويوم تسود ، أي يفتح أوليهما
 كما جاء في القرآن .

ورأيت بخط ابنه السيد الجليل علوي ، مما نقله عن والده رضي الله عنه ، قال
 سيدي : أهل هذا الزمان أخذوا السيوف إلا ليقطعوا بها الطريق ، ما أخذوها ليؤمنوا
 بها الطريق ، ويشير بذلك إلى العلماء . انتهى .

وقال سيدنا رضي الله عنه : قد قلنا لرجل تفقه ، فقال : الفقهاء إلا كنا ،
 يعني يذمهم ، فقلنا له : الزم التقوى والورع ، فإن أهل التقوى والورع يعظمهم الناس
 ويعتقدونهم ، فخذ لك سراجاً ولا تبرزه للهبوب ينطفئ ، ولا تُعلِّقه^(٣) في النهار ،
 فلا يبقى له أثر ، لأن الأمر إلا نية .

وقال رضي الله عنه : التوسع في علم الفقه زيادة مليحة ، ولا تضر إلا من قلبه

(١) أخرجه البيهقي ٣ : ٣٤٦ وابن ماجه ٣٩٨٩ .

(٢) أي في دعاء الوضوء .

(٣) أي تشعله . اعلم .

مُظْلَم ، وإلا فالعلم نور وحياة ، وقد ذكر الإمام الغزالي : إنه لم يختلف أحد في أن قوله تعالى : { أَوْ مَنْ كَانَ مِنَّا فَأَحْيَيْنَاهُ }^(١) ، أن المراد به العلم ، ولكن العلم يحتاج إلى نور : { وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ }^(٢) .

وقال رضي الله عنه : إن أهل الزمان قد بَعُدُوا من الدين جُودًا ، حتى إنهم إذا سمعوا شيئاً على قاعدة الشرع لم يطرُق أسماعهم ينكرونه لعدم اطلاعهم على ذلك ، بسبب همتهم في الدنيا ، وعدمها في الدين ، ولو تَوَلَّينا مثلاً شيئاً من الأمور ، لرأيتم ما لم تطلعوا عليه ، إلا إن كان قد سمعتموه .

وذكر رضي الله عنه في حديث السَّمَلَكَيْنِ يناديان كل صَبَاح ، ينادي أحدهما : اللَّهُمَّ أعط منفقاً خلفاً ، والآخر ينادي : اللَّهُمَّ أعط ممسكاً تلفاً ، قال : هذا فيمن لم يخرج الزكاة ، فيمنع حق الله الواجب ، أو لا يتصدق مع قدرته على ذلك ، بل يبخل عن ذلك ويخفي للمال وينمي ويحرص عليه ويجب زيادته .

وقال رضي الله عنه في حديث^(٣) : ((غَمَرَتَانِ إِحْدَاهُمَا يَجِبُهَا اللَّهُ وَالْأُخْرَى يَبْغُضُهَا اللَّهُ ، وَمَخِيلَتَانِ إِحْدَاهُمَا يَجِبُهَا اللَّهُ وَالْأُخْرَى يَبْغُضُهَا اللَّهُ)) ، وفصلهما في الحديث ، فقال سيدنا : للمخيلة روحنة يجدها المتصدق في نفسه عند الصدقة ، يفرح لكونه وفقً لذلك ، وعندما يُسأل فيرد السائل ، يرى في نفسه انقباضاً ، إن كان هو بصراً بأخلاقه ضد ذلك ، أي ضد تلك الروحنة ، وكذلك المخيلة في الجهاد يفرح إن وفق لذلك .

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٢٢ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٢٢ .

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل ٤ : ١٥٤ والحاكم ١ : ٤١٨ ومجمع الزوائد ٤ : ٣٢٩ وابن عسمة : ٢٤٧٨ . وفي الحديث : الغرة في الرمة بمها الله عز وجل والغرة في غيره يعضها الله والمخيلة إذا تصدق الرجل بمها الله والمخيلة في الكبر يعضها الله . الخ .

وقال رضي الله عنه في حديث : ((الرجل يحب القوم وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ)) ، أي يحبهم ويتشبه بهم ، ولم يبلغ درجتهم ، فلا بُدَّ في ذلك من التشبه ، وهو إنك إذا سمعت عنهم، أن أحدهم يصلي الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة مثلاً ، ومثل ذلك مما لا يكاد يتدخل في قوة البشر، فتقوم من الليل ما تيسر ، فهذا تشبه بهم في صلاحهم كذلك ، وأما من نام الليل كله ، حتى يكاد يفوت صلاة الصبح، ويعتل بالحاجة لهم ، فقد احتج بعض الناس بذلك فأجابه بعض الصالحين ، بأن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم ، وهم غلادون في الشقاء ، ما نفَعهم ذلك ، لعدم تشبههم واقتدائهم بهم .

قف على شدة تواضعه لربه

وقال رضي الله عنه : إنا لا نأذن لمن وَصَفْنَا ، ولا نحب أن نُذَكَّرَ بأكثر من أنا من أهل البيت و متمسكين بالعلم ، ولنا إلام بأهل التصوف ، ونحن لا نريد الظهور وعسى في ترم ، لو بات إنسان فيها بلا عشاء ما عَشَّوه ، ولو اجتمع عندنا فقراء محتاجون ما سلفونا شيئاً لنفقتهم .

وقال رضي الله عنه : الدنيا لا تغلو أن تكون مسحناً للمؤمن من كل الوجوه أو بعضها، ولو لم يكن إلا أن الروح فيها مسحون في الجسم .

وذكر رضي الله عنه العلوم وما يشغل عنها من طلب المعاش ، فقال : للمعاش شَغَلَ الناس عن قراءة العلوم وعن العمل بها ، وقد قال سفيان الثوري : لو اشتغلت ببصلة ، ما فهمت مسألة. وما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه ، فعسى السكون والصلاح ، فإنه لا تصلح أمور للمسلمين حتى تسكن ولا تهم .

وقال رضي الله عنه : كل شيء يمكن فيه التعلم ، وإن كان الطبع بخلافه ، فَطَبَّعَ وَتَطَبَّعَ ، فالعلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، فلو غضب مرة وحلم مرة عاد

أسهل ، ومن الناس من يعجز عن القيام ، فإذا قُومَ قام ، ومنهم من فيه حركة ، ويقوم من نفسه بقوة ، فالحاصل إن طبع الإنسان قابل للتعليم ، إلا إن ما كان مطبوعاً أهون ، ويتكلف به المكتسب ، ولهذا الأشياء نهاية ، إذا انتهت إليها فلا تعاوده ، وغالب الحركات في الصغر. وكلما كبر قلّت ، والأشياء في الأكثر مستطاعة ، فليُوطَنَ نفسه عليها ويقاسمها في الخلوة ، ونحن منذ طالعنا في العلوم ، ما أخذنا منها إلا كلياًتها وحُمْلَها ، والأصول التي يُعتمد عليها ، وأما الفروع النادرة التي لا يحتاج إليها ، ويرتّبون عليها واجباً وحراماً من غير دليل ، لا يقبلها خاطري إلى الآن ، وخصوصاً الفقهيّات ، كنت غير مائل لخاطري إليها .

وذكر رضي الله عنه الكتب والمطالعة فيها ، فقال : لا ينبغي أن يُنظر فيها إلا لطلب الفائدة ، لا للهو والفضول ، بأن يريد أن يتف على كُتبه ذلك الكتاب ، من غير أن يقصد منه تحصيل فائدة ، لأن الفضول ما هو في الدين ، إلا إن كان كتاب أدب ، يريد يقف عليه للفرجة ، فلا بأس ، ككتاب "الفرج بعد الشدة" أو كتاب نحو أو لغة ، فكتب الأدب شيء ، وكتب علوم الدين شيء آخر ، ولكن لو جعل المطالعة في كتب الأدب إعانة على معرفة العلوم الدينية فهو أحسن من ذلك ، فيرجع فضوله دينياً ، وذلك نادر ، أي كون الفضول يرجع دينياً ، وأما الدين فلا يرجع فضولاً ، إلا كان عند سفاسف الناس .

وذكر رضي الله عنه العلوم واختلافاتها ، فقال : أكثرُوا من كل شيء ، ولكن ينبغي أن يأخذ منها ما تحتمله بديهته ، وقد ذكروا : إنه ينبغي أن يأخذ^(١) في فن واحد يُحكمه ، ثم ينظر من كل شيء ، وتد تفتنوا في كل فن ، حتى أعجزوا

(١) أي الإنسان .

الطالب ، فإذا كان الكتاب عشرين مجلداً أو أكثر، متى يتم مطالعته ، ولا يتمه حتى ينسى أوله ، وهذا الجمع تسخير إلهي ، وقد يمكث في تصنيف كتاب من أول عمره إلى آخره ، كالإمام النووي في المجموع ، فإنه يؤلفه من صغره^(١) ، وقد قال فلان : لو ذهبت الكب كلها، وبقي المجموع كفى منها، فنقول له ولأمثاله : وأما المبتدئ فما يفعل بالمجموع.

وقال رضي الله عنه : أكثر الناس في كل شيء من كل شيء ، فليأخذ الإنسان بما أمكنه ، وإلا إذا عجز عن الكل يترك البعض ، لأن من نظر فيها مع كثرتها أورثه ذلك حيرة ، كما إذا اعترضت له عشر طرق، ما يدري أيها يسلك، فليسلك الطريق الكبيرة ولا يأخذ في بنات الطرق.

وقال رضي الله عنه : في قوله **فَاتَّقُوا اللَّهَ** : ((يشيب ابن آدم ، وتشب منه^(٢)) اثنتان : الحرص وطول الأمل))^(٣) ، هذا خاص بمن كانت في قلبه من صغره ، كلما كبر ازداد حرصه عليها ، وأما من عاش في صغره بالزهد وغوه ، فبالعكس من ذلك ، ودليل ذلك من الحديث الآخر : ((يموت المرء على ما عاش عليه)) ، أو إن معناه : إن صاحب الدين والزهد في الدنيا كلما كبر ازداد زهداً فيها وتقللاً منها ، وصاحب الدنيا المحب لها كلما كبر ازداد ضعفاً^(٤) وعجزاً عنها وعن التمتع بها وفي قلبه تعلق بها ، ورغبة فيها وطلباً لزيادتها ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : هذا مقراً^(٥) فيه عبرة ، لو تأمل الناس فيه كفاهم ، قص

(١) ومع ذلك لم يتمه ، بل وصل فيه إلى باب الربا بهام.

(٢) لعله معه بهام .

(٣) الحديث في شرح الإحياء للريدي ١٠ : ٢٣٩ وكشف الخفاء والإلهام ٢ : ٥٤٦ .

(٤) أي في بدنه بهام.

(٥) أي من القرآن ، وانتقرا مجموعة من الآيات ينقسم بها أجزاء القرآن وسوره .

اللَّهِ فِيهِ أحوال قوم ، ودعا فيه قوماً لاستجابة الله ورسوله ، وحذر فيه أقواماً عن الوقوع في الفتنة ، وأخبر كلاً أن الله مع المتقين ، ورغيبهم في التقوى وهو : { إِنَّ شَرَّ الدُّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ }^(١) إلى { وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ } آخر المقرأ .

وقال رضي الله عنه : الرجوع في العلم إلى الأصول ، وجميع الفروع والنوادر ترجع إليها ، والتصانيف على مقتضاها وإن اختلفت العبارات فهو قصد كل منهم ، ولهذا يقول بعضهم : يُفْهَم من قول فلان كذا ، وتُحْمَل العبارة الفلانية على كذا ، ونحو ذلك ، وقد قررها المتقدمون كما ينبغي ، فأتى هؤلاء المتأخرون ، ورأوها محررة ، فأرادوا أن يضربوا بسهم معهم ، فألفوا وعرضوا وطوّّلوا ، منهم مَنْ قَارَبَ ومنهم من أبعد ، أو كما قال .

وذكر رضي الله عنه عَجَلَةَ الناس في نقل الكلام ، ثم قال : ما عاد أحسنوا السكوت ولا الكلام ، وإذا لم يحسّنها كان لا شيء ، وما عاد مع الإنسان اليوم إلا يطوي لسانه ، حتى إن لم تقع سلامة يقع أقل منها : { وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا }^(٢) ثم ذكر الدولتين الأموية والعباسية ، ثم قال : الحاصل أنه لم يكن فيهما مثل عمر بن عبدالعزيز ، ثم امتد الكلام إلى ذكر الأئمة ، وقوة العلم والدين في ذاك الزمان ، ثم قال : وما عاد الناس اليوم إلا في الذيول والكيول ما عاد شيء نور ، وإلا كان اهتدى الإنسان ، لكنها ظلمة لا يُهْتَدَى فيها ، ولكن رحمة الله مرجوة ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((في كل زمان من أمتي سابقون ، وليجدن ابن مريم من أمتي قوماً هم مثل حواريه)) ، وآية من كتاب الله تكفيك ، فإن لم

(١) سورة الأنعام ، الآية ٢٢ إلى ٣٠ .

(٢) سورة النحل : الآية ٢١ .

تعرف معناها فاسأل عنه^(١) أهل العلم به ، وإذا كان في الأمر شيء عن النبي ﷺ ، فلا لأحد عنه معدل ، وما كان عن الصحابة فيتبع ، وما كان عن غيرهم فيؤخذ منه ويُترك ، كما قال أبو حنيفة: وقد كان الذي عليه المَعُول شيء قليل ، إما آية يحفظها ويعرف معناها ، أو حديث كذلك ، وهذا هو الدين الذي كان من قبل ، وإنما اتسع الأمر بعد ذلك ، حتى صار الكتاب الواحد في مجلدات ، ثم نقحه الإمام النووي رحمه الله بعد ذلك هو وحجة الإسلام المجددين للدين ، ثم قال : لا يهمل في هذا الزمان إلا نفسك ومن يهملك ، كصاحب السفينة الذي هو الربان ، فإنه إنما يراعي نفسه خوفاً من الغرق ، وكذلك من معه ، لأن نفوسهم وأموالهم عنده .

وقال رضي الله عنه لبعض القراء : تأن ، مرات متعددة ، وقال له في بعض المرات: تكرير الكلام لا يحتاج إليه ، فإنه إذا تكرر سقط وقعه على النفوس ، ولهذا ترى عيال العالم أكثر تساهلاً في كلامه من غيرهم ، لتكرر كلامه معهم ، ونحن ما عاد نعاقبهم ، كما كان الأولون يعاقبون ، لأننا مذبرين^(٢) وهم مقبلين ، وهم ممن طبقة ونحن من طبقات ، وإنما نريد منهم أن يأخذوا ما تيسر مع الإصغاء والاستماع ، وفي الحديث: ((في آخر الزمان خير العيال البنات)) ، لأن الولد إذا كبر^(٣) ما يرمد لك معه وجود ، لا في مال ولا أمر ، فإن كثروا كان أكثر لذلك ، والبنات تكون في ميزانك ، بسبب اهتمامك بها وعماشها ، والولد تكون في ميزانه^(٤).

(١) أي : للمعنى .

(٢) أي عن الدنيا بهام . وفي (ع) : لأننا مدبرون وهم مقبلون .

(٣) كبر بكسر الهمزة : إذا كان متعلماً بالسن . وإذا كان بغيره بالضم بهام . وفي (ع) : كبر بكسر الهمزة إذا كان من كسر السن : كَبُرَ يَكْبُرُ ، كعظم يعلم . قال تعالى إسرأفاً وبديراً أن يكبروا . فإن كان من كبر المعنى والضم قيل : كبر يكبر ، كصغر يعصر . كَبُرَ : يضم فسكون . قال تعالى : كَسُرَتْ كَلِمَةً

(٤) أي إذا برأك ولم يُطِئَكَ كتب له ثواب برأك بهام .

وقال رضي الله عنه : الزمان مفتون ، وكان الزمان الأول إذا أردت خيراً نفعتك الآخر ، واليوم لا اهتمام في ذلك .

وقال رضي الله عنه : والعلم يؤخذ إلا من أهل العلم المتعلمين ، وأهل الاستقامة للمستقيمين ، وأما هؤلاء الذين لم يتعلموا كذلك ، فهم ضرر على الناس ، فنصف العالم لا ينفع ، وإذا قصر نظرك خلّ غيرك ينظر لك طريقك إن كان فيها شجر أو شوك .

ومرت القراءة في حِكْمه رضي الله عنه ، فقال : هذا على التحقيق هو الأصل ، ولكن أهل الزمان تاركون له ، ولو كان في شيء من أمور الطب تراحموا عليه ، والدنيا على الحقيقة هي التي لا شيء ، الأول : إنها مضمونة^(١) ، والثاني : إنها ذاهبة ، ثم التفت إلى القارئ وهو بعض القراء ، فقال : وأخرى إن ذنبها أُمس^(٢) .

وقال رضي الله عنه في حديث^(٣) : ((ماء زمزم لما شرب له)) ، يعني من شربه لمرض شفاه الله ، أو لجوع أشبعه الله ، أو لحاجة قضاه الله ، أي لأنها في الأصل للاستغاثة أغاث الله بها إسماعيل عليه السلام ، وقد حرّبه الأئمة في المطالب ، فوجدوه صحيحاً من خبره عليه الصلاة والسلام ، ولكن يحتاج لنية وإخلاص ما هو لكل الناس .

وقال رضي الله عنه : عجبت كل العجب من رجلين ، أحدهما مسن يستعير الكتب ، فإذا غفل عنها صاحبها أخذها ، والآخر من يزي ويغتسل من الجنابة ، أقدم على هذه الكبيرة ولم يراقب الله تعالى فيها ، ثم هو يغتسل من جنابته .

(١) أي اللوام منها بهائم .

(٢) إشارة إلى أن من ظنّها لا نايه كذب الحية يخرج من اليد لئلاسه يوم تركها زهداً أنّه وذلك في الغالب اهتمام .

(٣) أخرجه ابن ماجه: ٣٠٦٢ وأحمد بن حنبل: ٣٥٧ والبيهقي ٥: ٢٠٢ والحاكم ١: ٤٧٣ والدارقطني ٢: ٢٨٩ .

وقال رضي الله عنه : أكثر العلم إلا فَعِلْ وترك ، ما للفصود إلا أن يعمل ويتفكر ، حتى إذا ظهر له شيء سأل عنه ، فيعلم ويعمل ، فاعلموا لتعملوا ، والعلم إلا بالعمل ، وإلا كان ضياعاً ويُنسى ، وأما الأخلاق فيحصل للإنسان منها نصيب مع الرياضة ، ودَرَسَةُ الوقت لَبَسُوا على الناس ، فأخفوا عنهم مثل سيرة الشيخ سعد بن علي ، وسعد باعيد للعلم ، وهو مذكور في الجوهر^(١) ، كان يرتب ليله وغارته ، وكان يصوم ولا يفطر إلا بالماء ، مشغولاً بالمناكرة ، لأن عندهم الاستقامة خير من الكرامة ، لأن الاستقامة ما يُخاف فيها الاستدراج ، بخلاف الكرامة فإنه يُخاف منها الاستدراج ، وكانوا موزعين أوقاتهم .

وذكر رضي الله عنه العلماء ، فقال : سبحان الله ، قد يجيء العالم يريد أن يُنَكَّتَ على أحد من العلماء ، ويستترك ويعترض ، فلا تحس به إلا وقد وقع في أمر ، كل ذلك طلباً للكمال ، فلا كمال للإنسان ، لأن الله منعه الكمال خوفاً من الكبر والإعجاب ، وخصوصاً بالعلم ، لأنه أشرف الأشياء ، فإذا كان يتكبر ويعجب بالذهب والفضة ، وهما مثل الحجارة ، فكيف بالعلم الذي هو أعز الأشياء .

انظر معنى الشكر

وقال رضي الله عنه : الشكر في حال الشدة الصبر وترك الاعتراض ، والشكر في حال الرخاء البذل وتعظيم النعمة ، وأما أهل هذا الزمان فشكرهم مجرد لفظ : الحمد لله ، وتوبتهم قول أستغفر الله ، في اللسان^(٢) فقط ، مع خلط القلب من التحقق بذلك ، ثم قال : أكثر ما يُدْخِلُ الناس الجنة التقوى وحسن الخلق ، وأكثر ما

(١) يعني كتاب الجوهر الشفاف للشيخ عبدالرحمن بن محمد الخطيب المتوفى سنة ٨٥٥ هـ .

(٢) في (ج) : باللسان .

يُدخلهم النار الأحوفان البطن والفرج ، وقد ورد : ((أشقى الناس من أدخلناه أحوفاه النار)) .

وقال رضي الله عنه : الفقيه مَنْ فهِم أسرار الدين . والذي عِلِمه إِلَّا أَيْمًا أفضل ، أو كذا أفضل من كذا فما هو إلا موسوس .

وقال رضي الله عنه : ما تظهر بركات الصالح على من صاحبه إِلَّا بعد موته .
وقال رضي الله عنه : لَا يُفْتَح على أَحَد في العلم حَتَّى يَطْلُبَه ويعتقد أنه خلصي منه ، لأن المظاهر الدنيوية قد تنقص من المظاهر الأخروية .

وقال رضي الله عنه : من شَأْن أهل الحق ترك الجدال ، وإن جادلوا فيكنمة واحدة ، لقوله تعالى : { وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }^(١) .

وقال رضي الله عنه لرجل : أتعرف الحديث الوارد في يا أرحم الراحمين ، فلم يعرفه ، وقال لآخر : هل تعرف حديث يا ذا الجلال والإكرام ، فلم يعرفه ، فقال نفع الله به : راح بالناس الاهتمام بأمر للعيشة ، حتى اشتغلت بذلك بواطنهم وظواهرهم ، وهم في ذلك كما قيل^(٢) :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا
تربوا على ذلك من صغرهم حتى كبروا ، ورأوا أقرانهم على مثل ذلك ، والدنيا لثيمة ، إذا وَقَعَتْ في القلب ارتحلت عنها الآخرة ، لأنها كريمة ، فلا تكاد تخطر له الآخرة على بال ، إلا إن كان نادراً ، حق الإيمان .

وتكلم رضي الله عنه : في حديث الكلمة التي تقال صباحاً ومساءً أربع مرات :
اللهم إني أصبحت أشهدك الخ ، وفيه : ((من قالها مرة أعنت الله ربه من النار ،

(١) سورة التكوير : الآية ٤٦ .

(٢) من شعر يحنون ليلى .

وثنتين نصفه ، وثلاثاً ثلاثة أرباعه ، وأربعاً كله)) ، ثم قال نفع الله به : إن هذا عتق اليوم أو الليلة مما يصيبه في أحدهما من الذنوب ، فإن قالها مرة صباحاً أو مساءً ، عتق عنه ربع سيئاته التي أصابها في ذلك اليوم أو في تلك الليلة ، ومَرَّتَيْنِ نصفها ، وثلاثاً ثلاثة أرباعها ، وأربعاً فكلها ، ولكل من العتق على قدره خصوص لخصوص وعموم لعموم ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : في حديث: ((إن الله حمى أمتي أن تجتمع على ضلالة))، يعني إنهم لا يجتمعون كلهم عليها، بل لا بد من قائم على الحق ولو قليل ، وما ورد إنهم^(١) السواد الأعظم ، لعله لم يصح ، لأنه لم يبق في زمن بني العباس ، من لم يقل بخلق القرآن إلا القليل ، أحد يظهره ويدين به ، وأحد يُظهره ، وظهوره وخفاه بحسب ملوكهم ، فالناس على دين ملوكهم، يعني : يُظهرون ما يكون عليه ملوكهم ، إما إنه كذلك وإما تقية وخوفاً.

وقال رضي الله عنه لرجل وهو يذكره في الأنساب : لا بد لك من معرفة ثلاثة أشياء هي ألزم عليك من البحث عن أشياء لا فائدة فيها : أن تعرف نسب النبي ﷺ إلى عدنان^(٢) ، وأن تعرف كم عدد أزواجه ، وأن تعرف العشرة المبشرين بالجنة .

وقال رضي الله عنه : إن أهل الزمان ما صححوا إيمانهم بالنظر والسؤال ، حتى إن عامتهم إيمانهم قاصر عن إيمان المقلدين لقلة بصائرهم ، وقد أدركنا الناس يعلمون الصغار : (قل رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً ، ولدى بمكة وبعث بها ، وهاجر إلى المدينة ومات بها) ، فما زال الأمر ينقص حتى لم يبق لأمثال هذه الأشياء أثر ، فإذا كان هذا في أمور الإيمان ، الذي هو الأصل ، فماذا يكون

(١) أي الطائفة القائمة على الحق .

(٢) وقد أتى العلماء برحوب معرفة نسب الشريف إلى عدنان .

غيره ، وعلى هذا ينقص الدين شيئاً فشيئاً ، حتى يُرفع ولم يسق منه شيء ، ثم رجعت فراستهم في أمور الدنيا .

وقال رضي الله عنه لي يوماً : أي ترى أعم ، الصلاح أو الفلاح؟ قلت : الله أعلم ، قال : الصلاح عمل ، والفلاح جزاء ، ألا ترى حيث يذكر الله الصلاح ، فيذكر أعمالاً بمدح فاعليها ثم يصفهم بالصلاح^(١) ، ويذكر ما يجازي به أقواماً فعلوا الخير ، ثم يصفهم بالفلاح^(٢) .

وقال رضي الله عنه : إن عيسى عليه السلام ذكر مع أمه في القرآن في نحو أربعين موضعاً ، وذكره معها في الغالب ، وقد يفرد أحدهما عن الآخر ، وذلك صريحاً وكناية ، وإنما كرّر الله ذكر مريم ، لأن امرأة عمران قالت : رب إني وضعتها أنثى الخ ، فاستحقرتها لذلك بكونها لا تصلح لخدمة بيت المقدس ، فلما استحقرتها نوه الله بذكرها وكرره ، وفيه دليل على أن كل من اتضعت منزلته عند الخلق ، ارتفعت عند الخالق ، يعني مع الإحسان في جانب الدين والدنيا . وفي ذكر مريم سيرة .

وقال رضي الله عنه : فاضل العلماء بين أزواجه عليه السلام ، والسكوت عن هذه الأشياء أحسن ، لكن إذا دعت الحاجة إلى الكلام ، لم يسع العلماء إلا أن يتكلموا بالصواب ، وإلا أدى إلى الوقوع في الباطل .

وسئل رضي الله عنه : عن رؤية النبي ﷺ للأتبياء ليلة الإسراء ، كل واحد منهم في سماء ، أو رؤية أرواح أو أجسام؟ ، فقال نفع الله به : رؤيته لم على قدر درجاتهم بالنسبة إلى القرب من الله تعالى ، ويمكنه عليه السلام أن يرى الأشياء قبل وجودها ، فقليل له : كيف رؤية آدم لداود عليهما السلام ، وأعجابه حسن صورته ،

(١) مثله قوله تعالى ومن أهل الكتاب أمة قائمة إلى قوله وتوكل من الصالحين . إمام .

(٢) ومثاله آخر سورة قد سمع الله : قوله تعالى : يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار . إمام .

هل هو في الحسن أكمل من يوسف عليه السلام ، وهو المشهور بذلك؟، فقال نفع الله به : إن الله أطلع على داود ، ولم يطلعه على يوسف ، وإلا فهو أكمل في الحسن ، فقد ورد إنه أعطي شطر الحسن ، وإنما أطلع الله تعالى آدم على داود دون يوسف ليظهر تفرده تعالى بالعلم .

وقال رضي الله عنه : من سألنا عما لم يكن ، لما^(١) يكون؟، لا نجيبه ، وكثير من الناس سألونا فأجبناهم ، وطلبوا وصايا فكتبناها لهم ، ولكن كلهم لم يبارك لهم في ذلك لعدم انتفاعهم بذلك ، لأنهم إنما أرادوا مجرد علم يذكرونه ، وإنما رأينا البركة حصلت في المكتابات والوصايا التي جعلناها لأناس من غير سؤال منهم لذلك ، بركة بالنسبة .

وقال رضي الله عنه : اناس اليوم كمن يشل المحفر بأحد أذنيه ، لا عذر من أن يَطَّيَّر^(٢) منه شيء ، لأنهم لم يأخذوا الأمور بأطرافها .

وقال رضي الله عنه : الهوى يعمي عن الحق ، كالريح ، إذا اشتدت تعمي العين عن النظر ، فكذلك الهوى يعمي البصيرة عن الحق ، والهوى شدة ميل النفس إلى الشيء بالباطل ، ولما رأى نفع الله به أن هذا الكلام قد شقَّ على من سمعه من الجماعة ، قال لمن كان يخاطبه في معرض التسهيل : إذا حصل لك شيء من غير تعب ألا تريده ، فكل يريد شيء بلا شيء ، أما سمعت قول باخرمة : فتشت في قشاشي لقيت فيه ماشي يا الله بشيء بلا شيء . ولو كنت لم تدبر إلا وقلنا لك هذا الزاد والراحلة فقم سافر ، لشق عليك جدًا ، أتريد أن ندخلك الخلوة ثلاثة أيام ، فانظر

(١) هكذا بالأصل : لما يكون . وتلوه بتشديد لاء .

(٢) أي يسلط . اعلم .

كيف تخرج هارباً، وَقَدْكَ في خدمة لنا ، فمن أمرناه بأذان أو قراءة مثلاً أو بساقفة^(١) أو حاجة ، أو أي أمر فهو في الخدمة ، ونحن إذا تكلمنا أسندنا الكلام إلى واحد ، وقصصنا الكل ، لأننا لو جردنا لكل واحد خطاباً حرنا معهم ، وفي الكلمات تكون عشر كلمات من الطالب ، وكلمة من المعلم ، وإن تكلم هو بمراة قبل أن يسأله ، يأخذها ويسكت ، قال له رجل : الله ينفعنا بكم ، فقال رضي الله عنه : الله ينفعكم بنا ، وينفعنا بكم ، فقد قيل : إن للمعلم يتنفع من المتعلم أكثر مما يتنفع المتعلم منه ، وقد أتكلّم مع الجماعة في بعض الأوقات بأشياء لم يفهموها، لنستذكر بها أشياء كنا نعلمها فنسيتها حتى كأننا لم نقف عليها، وقد قرئت علينا رسالة القشيري أكثر من عشرين مرة^(٢)، وإذا مرت علينا كأننا ما سمعناها ، ولولا التبرك بذكر أحوال الصالحين ، تركنا باب الإصطلاح منها ، لأنها أين الآن من يعرفها ، ومن يتحقق بها ، وفيها أيضاً إشكال ، مثل السكر، وما استشهد في ذلك من الآيات فإن أكثرها من قول أهل الحمر ، وهذا هو الذي حصل بسببه الاعتراض على الصوفية ، ونحن لنا بهذه الأشياء معرفة وذوق ، ولكننا صادفنا قوماً ليسوا كذلك ، ولكن بعدما يسرق باطنه ويصفو ، تظهر له أمور، حتى إن الشاطحين بعدما صفت بواطنهم ، ورأى من رأى شيئاً منها ، ظنّ ما ظن ، فحصل^(٣) عليه الاعتراض في ذلك ، كقول أبي يزيد البسطامي : سبحاني ، والسلامة في اتباع السلف وما هم عليه من الزهد في الدنيا ، كأويس القرني والحسن البصري ، ولكن جرى الله الإمام الغزالي غيراً حيث تتبع طريقة الصوفية ، فرأى أنها حق ، وأسساها وبين ما اختلف فيه ، بسبب تغير الأسماء

(١) البسلة : إخراج الرطب من النخل .

(٢) أي في الوقت الذي قلّ كلامه هنا وعاده على بعدها مدة فافهم الحسام.

(٣) أي فقال شيئاً . الحسام.

الاصطلاحية ، ومثل الإمام النووي في زهده والبيغوي في تقلُّه ما بعدهم في طريق الصوفية ، وإنما هم على طريقة السلف ، فكيف يريد هؤلاء أن يصيروا ويتحققوا بحقائق الصوفية ، وهم يعجز أحدهم أن يرد عن نفسه الخواطر في الصلاة ، وربما تراوده نفسه في الصلاة بشهوة ويعجز عن ردها ، فلا يظمعوها في حال أولئك ، فرحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره ، ولا خير إلا في أسلوب عالم عامل ، من الانزواء عن الدنيا والتقلل منها جداً ، إلا قدر الضرورة أو على قدر الحاجة ، مع التمسك بالكتاب والسنة ، وهو المهيح ، ويترك عنه الإشارات والأشياء للمشكلة الغامضة ، فإن طريقة الصوفية لا يكاد يقبلها العقل ، ولا يصدق بها ، وإن كان لك نصيب ، فهو يأتيك ، فأين كنت يوم خلق الله السماوات والأرض أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : نحن قد سئنا عن أمور مشكلة فأوضحناها ، حتى عن كيفية الجنة والنار ، ولكن ذلك يخص السائلين عن ذلك ، ولو جاءنا واحد ليس يزاهد في الدنيا، وطلب أن نعرفه كيفية الزهد ، لم نبين له ذلك ، إذ لو حصل له قصعة طعام ، جعل يأكل منها ثمته ، أو وقع له درهم ربطة بعشرين رباطاً ، ونسي في جميع ذلك الزهد ، أو طلب أن نبين له الجنة ، وهو على حالته تلك لم نبين له ، لأنه إضاح لغو مطلوب ، بل لغو متأهل لذلك ، فقد ذكر : إن ابن المبارك قال لأصحابه : البارحة احترأت على ربي فسألته الجنة ، هذا مع ما هو عليه من العلم والعمل والزهد ، فكيف بهذا أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : ينبغي للإنسان إذا كان عند عالم ، أن يكون على ما يريده ويأمره به ، لا على ما يريده هو ، وإلا فوت أكثر مما حصل ، إلا أنه ينبغي أن يعرف من هو العالم صاحب الطريقة من غيره ، فيفرق بين صاحب الطريقة وصاحب العلم ، فإنه لا يجري صاحب العلم في طريق إلا ويجري صاحب الطريقة

في طريق فوقه ، وبعض العلماء للتبصرين من قطاع الطريق على عباد الله ، فلهذا ذكر الإمام الغزالي أنه لا ينبغي أن يدخل الطريق حتى يحكم علوم الأصول على طريق الصوفية ، لا على طريق للتكلمين ، ويعرف من هو الداعي إلى الله حقيقة ، ولا يتبع كل من نعى ، ثم قال نفع الله به : فإذا كان العالم يبات نائماً شعباناً ، فعالم إيش هذا ، فلنفرض هذه مسألة يجوب عليها ، وكل من دخل على السلاطين ، وأكل أموالهم ولا نفع للمسلمين ولا شفع فيهم ، فهو كذاب مرء ، فلا تصدقه .

ثم قال رضي الله عنه : علم الأصول عِلْمَان علم أصول الدين كالعقائد ، ولا بد أن يأخذ الإنسان منه قدر الحاجة ، كعقيدة الإمام الغزالي ، وعلم أصول الفقه وهو عسير ، لا يكاد يفهم ولا يجب على كل أحد ، فينبغي أن يأخذ من الأصولين قدر الضرورة ، ثم بعد يأخذ في كتب الرقائق التي ترقق قلبه وترغبه في الآخرة ، وترهده في الدنيا ، ليأخذ في العبادة فيجتهد فيها ، ويكثر من تلاوة القرآن جهده ، فإذا لم يمكنه^(١) في بعض الأوقات ، أكثر من الذكر ، ويلتزمه في كل أحواله ، فإن العمر قصير والبطالة ذاهبة بأكثره ، وليجعل غاية اعتناؤه ومطالعة في المهم منها ، فيطالع لهم ويحفظ لهم ، وإن أراد مطالعة غير ذلك جعله في نادر من الأوقات .

وقال رضي الله عنه : العلم علمان : علم الإيمان وعلم اللسان ، أعني المهم منهما ، فيأخذ من ذلك ما يعرف به قواعده ويتسلى به .

وذكر رضي الله عنه أناساً فقال : إن الله ما قبل أعمالهم لأهم عملوا بلا علم ، ولو قبلها لرفعت ورحمهم ، ولا يقبل الله عملاً حتى يكون أوله علم وآخره إخلاص . وقال رضي الله عنه : الأعمال تُرفع من الأرض إلى السماء ، ثم من هناك ترفع

(١) أي قراءة القرآن بالعلم.

وتقبل ، أو ترد ولا تقبل ، وأماكن العبادة والعباد معروفون عند الملائكة لاعتيادهم لنقل العمل منهم من أماكنها ، ألا ترى كيف أنكروا بطن الخوت لأنه ليس موضع عبادة ، وعرفوا صوت يونس عليه السلام ، فلما سمعوا صوت نسيح يونس من بطن الخوت ، قالوا : صوت معروف في مكان مجهول ، لم يدروا أين هو ، لعدم اعتيادهم لنقل العبادة منه .

وقال رضي الله عنه : لو أدركنا ناساً يرغبون في العلم ، لجعلنا واحداً يقرأ فقط وتتكلم معه وتعلمي عليه والبقية يستمعون ، ولكن هؤلاء ما بقوا إلا كثرة قراءة ، ولا بالوا فهموا شيئاً أم لا ، وأنا يعسر علي إخراج الكلام ، ولا أستحي به ، وقد كانوا إذا حضر أحدهم مجلس علم يتفقد نفسه ويقول : ماذا حصلت من علم أو من زهد في الدنيا ، وأمر القراءة والكلام إنما هو إلى العالم والبقية يحفظون ويكتبون ، على أن بعضهم كان بغضب من الكتابة ، ويقول : لا ، بل احفظوا كما حفظنا ، أو كما قال .

وذكر رضي الله عنه علم الحديث وأكثر فيه ، ثم قال : ما جمعنا كتب الحديث إلا لأجل المهدي ، فإنه إذا خرج لا يأخذ بفتاوي الفقهاء ، بل إنما يأخذ بالكتاب والسنة ، ويدع ما عداها ، أما ترى الاختلاف الحاصل بينهم ، ولولا ما جرى عليه سلفنا من الأخذ بمذهب الشافعي ، كان أحببنا أن نأخذ بمذهب مالك ، لأن فيه مسائل إذا تأملتها رأيت أنها هي السنة ، لأنه عالم المدينة ، وعمدته ما أجمع عليه أهل المدينة ، ولكن الشافعي مالكي ، لأنه تلميذه أخذ عنه ، ولكن لما نأخر عن مالك ، وقد اتقن مذهب مالك ، وعثر على علوم وأحاديث أخرى لم يقف عليها مالك ، فخالفه في بعض المسائل ، ثم جاء بعده الإمام أحمد ، وتبع مذهب الشافعي وحرره ، فكان المذاهب الثلاثة لذلك مذهباً واحداً .

وسمع رضي الله عنه في كتاب قرئ عليه فيه : إن اجتماع أهل المدينة على أمر : إنه سنة ، فقال نفع الله به : أما قلنا لكم لولا أن سلفنا كانوا على مذهب الإمام الشافعي لأخذنا بمذهب مالك ، وذلك لأنه من أهل المدينة ، وأخذ بما اجتمع عليه أهل المدينة ، ولكننا نظرنا في ذلك فما رأينا بينهما كثير خلاف ، ومذهب الشافعي مذهب مالك .

أقول : وهذا يدل على أن سيدنا كان مجتهداً لا مقلداً.

وذكر رضي الله عنه شأن الصلاة ، فقال : من رأى صلاة الإمام مالك بمن أنس ، علم أنها السنة ، لأن مسكنه المدينة ، فرأى من اقتدى بصلاة رسول الله ﷺ ، فهو على الاقتداء به فيها ، ويليهِ الإمام الشافعي ، لأنه من مكة فهو على قدم الاقتداء ، ولو كان الإمام مالك أقدم في السن ، والحجاز محل الدين ومنه خرج ، وهو الوسط فيها ، والإمام أحمد أخذ بالاحتياط ، والإمام أبو حنيفة أخذ بالعلم ، وقول أهل الحجاز جواز السماع ، أي الإمامان مالك والشافعي ، وقول أهل العراق السكوت ، أي الإمام أحمد وأبو حنيفة ، قال : وينبغي أن يحفظ وحكاية عن أرحوزة ألفت في ذلك .

وتكلم رضي الله عنه في القُصَّاص فقال : كانوا يفتشون أحوالهم وينظرون ماذا جاء وماذا حدث ، وقد ذكر الإمام الغزالي إن العلم نافع من حيث إنه ينفع به غيره ، أي نفعاً غير نفع العلم^(١) به ، فيعلم أحداً يكون يعمل بعلمه خالصاً به لله ، كما إن أبياسليمان^(٢) تاب لما سمع القُصَّاص ، ولو عمل بلا علم ما نفعه ذلك ، فمن هذه الحيثية ، فضَّل العلمُ العمل ، ويوم تتأمل زمانك، ترى الناس في نزول ما هم في

(١) في (خ) : العمل .

(٢) يعني أبا سليمان التماري الراعي المشهور توفي سنة ٢١٥ هـ .

صعود ، وَلَوْ أَنَّ واحداً منهم رأى كتاباً صُنِّفَ حديثاً ما يعجبهم إلا من حيث يتفنى به ، ولا يتأسف على أحد من الأكابر أنه ما أدركه ليتفنى به ، ومن الناس من تردّد إلى الأعيار ، فصار منهم ، ومنهم من تردّد إليهم ، ولا حصل شيئاً ، وإنما جعل مجالستهم كالعادة ، وما ينفع السراج في المبوب ، فإنه يذهب ولا يبقى ، وإنما ينفع مع القلوب ، ويكون كالسراج تحت الصّحفة ، وما عاد مقصود الناس أن يستمعوا ليعرفوا ، وإنما مرادهم أن يعذروا أنفسهم ، وكان بعض الناس من أهل ترمذ راح الهند ، ومدة ما هو هنا ما جاءنا ولا تردّد إلينا ، فلما راح الهند طلب أن نحصل له "رسالة المريد" فنعرف أهمّ إلما طلبوا الكتب لأهواء وأغراض ، وقد قال الشيخ أبو بكر بن سالم :

ومن صدّقنا حسبه البين والقالا ومن فائنا يكفيه أنا نفوته

وكان الشيخ مع كبر حاله وبلوغه في السلوك ، ما تبعه من الناس إلا القليل ، وقد نفع الله على أيدينا ناساً كثيراً أكثر ممن انتفع على أيدي من قبلنا ، إلا إنه نفع على الطريق العام ، الذي يضطر إلى نفعه الخاص والعام ، الذي جاء فيه التفصيل عن الله ورسوله ، ويكفي الناس عن غيره ولا يكفيهم غيره عنه .

وقال رضي الله عنه : لا ينبغي للطالب أن يتدبّر بمطالعة كتب الشاذلية حتّى يطالع أولاً غيرها قبلها ويحكمها ، ككتب الإمام الغزالي ، ثم يطالع بعد ذلك كتب الشاذلية ، ليستفيد ، فإن ابتدأ بها أولاً رَجَعَ يحتج بالأقدار ، وبقي كلحم على وَضْمٍ . وقال رضي الله عنه : الناس غافلون ، وإلا ففي نفوسنا أشياء غامضة ، لو رأينا أحداً يفهمها لأظهرناها ويثناها لهم ، لكن لما رأيناهم ورأينا أحوالهم ، قلنا لِمَن ، وهذا ميراث لنا من سيدنا علي ، فإنه قد شكّا ذلك ، إلا أن الميراث كلما طال الزمان ضعف ، وقد سمعنا فيما بلغنا عنه ، أنه لما ازدهت العلوم في قلبه ، وشكا من عَدَمٍ من

يحملها عنه ، أتى إلى بحر وتنفس فيها ، ففاض منها الماء على جوانبها ، فبنت على جوانبها من ذلك شجر الخروع .

وقال رضي الله عنه : العلوم لها مقدار ولها ناس ، فإن وقعت في أهلها فذاك ، وإلا صارت كالحزل ، وإن كانت في الأصل جدًّا ، ومن العلوم ما هو كالرُّوط^(١) ، وهي التي توضع مع غير أهلها ، وينبغي للعالم أن يستصلح نفسه أولاً ، ثم يستصلح العامة .

وقال رضي الله عنه : كان الأولون قريبين المرتبة من النبوة ، ما بينهم وبين النبي ﷺ إلا نحو ثلاثة أو أربعة ، والمتأخرون إنما اقتضبوا من كتب الأولين ، وأما اليوم فقد بُعد العهد جدًّا ، حتى قال السيوطي : وأين العلماء والعلم ، فما عاد بقي علم ، والعمدة ما في الكتاب والسنة ، وما خالفه فلا تتوقف في ردِّه ، وما أشكل عليك فكبله إلى تائله ، وما ثبت عن النبي ﷺ ، فهو أحق أن يتبع ، وما لم يصح فخذ فيه بالأرجح ، وإن لم يكن ترجيح فاجتهد إن كنت من أهل الاجتهاد وإلا فخذ بما رجَّحه أحد من أهل الاجتهاد .

وقال رضي الله عنه : الحسد لا يترك صاحبه يقرّ بالحق ، فمن في قلبه حسد ، إذا قلت كلمة وأنت فيها صادق ، قال لك : تكذب ، قبل أن يتعرف صدقك ، فلا يدعه دخان الحسد من التوقف حتى يتبين الأمر . وإجمال الأمور : إن كلما قبله الكتاب والسنة هو الحق ، وما لم يقبله هو الباطل ، وما للقلد إلا رسول الله ﷺ ، وإنما اختلفت الطرق عنه من حيث الصحة والضعف من جهة الإسناد ، فإذا رأوا أحداً حدث بحديث مرتين واختلف لفظه فيهما ، أو رآوه ينشد شعراً خالياً ونحو ذلك

(١) أي الشيء الضار الذي لا نفع فيه . اعسام .

ضَعُفُوهُ ، وتكلموا^(١) فيه ، وقد قال بعض أهل الحديث: إنا لنكلم على أقوام لعلمهم قد حطوا رحالهم في الجنة ، وهذا لأن المبتدعة قد فعلوا إسنادات ، بعضها على متن صحيح ، حتى يوصلوه إلى الإمام جعفر الصادق أو غيره من أهل البيت ، وبعضها على كذب على مقتضى أقوالهم ومذاهبهم الباطلة.

وقال رضي الله عنه : ينبغي في هذا الزمان أن المطلوب هو الذي يدور للطلاب ولو هو خلاف ما عليه السلف ، وليحصل له التذكر ، لأنه لولا المذاكرة نسي ، ولأجل الثواب.

وقال رضي الله عنه : كانوا يكون للواحد مشايخ كثيرة ، وإن اختص بواحد واشتهر نسبته إليه ، لأنهم إذا لحق أحدهم أحداً صحبه وأخذ عنه ، لأنهم إنما يأخذون العلم .

وقال رضي الله عنه : السائل المتعنت لا يبارك له ، ومن حين يأتي والسيطان يلقي في أذنه ما ألقاه في آذان المنافقين بحضرة رسول الله ﷺ ، إلا أن أحوال النفاق مختلفة ، فحال متعنت ، وحال منافق ، ثم ذكر قصة الخليل بن أحمد لما جاءه السائل المتعنت وسأله ، فسكت وفكر في جوابه ، إلى ستة عشر قولاً ، ولم يجبه ، وقصة الشيخ عبدالقادر والذين معه لما دخلوا على ذلك الولي الذي يتنفس متى شاء ، وقصتهم مشهورة .

قف على ما قال في نظمه

وقال رضي الله عنه : ما لنا في الشعر رغبة البتة ، وإلا فنحن قادرون على

(١) يعني أهل المرح والتعديل من المحدثين .

ذلك ، لو أردناه لفعلنا نحو ثلاثة مجلدات ، ولكننا لما رأينا خصوصاً في هذا الزمان ، الناس في غفلة جداً حتّى ذلك على شيء منها^(١) ، لأنّها تشيع في العامة وغيرهم ، فعسى أن تُنْشِطَ عاملاً ، أو تُقَيِّظَ غافلاً ، وفيها الوعظ والتذكير وغير ذلك ، ولعل أن تُرَدُّ أحداً إلى الإقبال على الله ، ومن طبعي أني لا أدوق بنظم أحفظه ، ولم يبق في الحفظ شيء مما نظمناه ، حتّى لولا نسمع من ينشد به لما عرفناه ، وإذا حدثت في الذهن شيء من القصائد لا نكتبها ، فإذا أخذت مدة ولم تُرْزَلْ عن الخاطر كتبناها ، وفي شهر رمضان لم يَكُنِّي أن أفعل شيئاً من النظم ، ولو بيتاً واحداً ، وقد تكلفت ذلك فيه فلم يمكن ، وأما في غيره فلا يعسر عليّ متى أردته منه ، ولم يحصل منّا في رمضان شيء من المؤلفات إلا رسالة للمريد والراغب لا غيرهما ، والإتحاف^(٢) ابتدأنا فيه في رمضان من سنة ١٠٧٣ ، وتم في ذي الحجة ، ثم ذكر من استملى منه كتبه ، وهم مذكورون في غير هذا الموضع ، ثم قال : وهذه الأشياء حمدنا الله عليها ، وقد كانت في معرض فسحة ، نجتمعها لهم من كتب شتى ، ولا هم دارين به ، وما أنا خائف من جمع ذلك إلا من الديوان ، لأنه يُرى الإنسان أشياء يظهر كأنه ذائق لها ، كما من ذكر عن أحد أنه يوبخ نفسه ، أنت كذا كنت كذا ، فترى الإنسان منهم يقول شيئاً ثم ينكره ، ويقول : ما قلته ، فهذا قد كان بلسان الحال ، قد كان ثم راح منه ، لكننا نوينا في الديوان : أن كل ما قلناه مما لم نكن متلبسين ، على لسان من هو له أهل ومتلبس به .

وقال رضي الله عنه : ما يوجد في نُظْمِنَا مما يخالف قواعد النحو فهو مما أنشأناه قبل القراءة لنا فيه ، وقد مضى على الإخلاص ، ثم إننا لا نغير منه شيئاً لأجل

(١) أي القصائد ، كناية عن غير مذكورة . اهـ .

(٢) هو كتاب الحبيب عبدالله السبي " إتحاف السائل عن سوابب المسائل " .

الفصاحة ، إلا إن كان يتغير منه المعنى ، وقد قال بعض العارفين : أعربنا في ألسنتنا فلم نلحن ، ولَحَّنَّا في أَعْمَالِنَا فلم نعرِب ، ومرة قال : إن الصالحين يكثر لحنهم في قصائدهم لذهولهم ، وإن كانوا فصحاء ونحاة ، وربما تبينوا بعد ذلك شيئاً من اللحن ، فلا يصلحونه لمُضَيِّئِهِ على الإخلاص ، وإصلاحه ربما عرض فيه رياء .

وقال رضي الله عنه : وربما عطلت لنا الآيات فنذكر الإعراب فنتركها ، وإلا فتعرض غير معربة ، ولا حاجة لنا بالنظم ولا بالإعراب ، ولما أنشأنا الرائية التي في الشيخ عبدالقادر ، وكنا أنشأنا فيه أبياتاً على نمطها ، فلم يتم لنا ذلك ، ثم إنا في هذه الأيام احتجنا إليها لأمر مهم ، وقد فعلنا في الفقيه للمقدم والعيدروس أيضاً قصائد لأجل أمور أسهل من هذا ، وأما هذا فهو في بلادهم ، فلم يحتاجوا إلى التنبيه ، وهم أشد غيرة منا عليها ، وأما السيد عبدالقادر فلم نكن ببلده ، ولأن لنا به اتصالاً مسن حيث رحم أهل البيت وغفر ذلك .

وقال رضي الله عنه : إن الشيخ عبدالقادر رضي الله عنه من الذين أُذِنَ لهم في الظهور ، للمكرمين عليه ، وهو من ذوي الغارات الظاهرة ، حتى إنه كان ذات يوم يتوضأ فاستغاث به مستغيث قد نزل به العدو ، فحلح قباقبه في الحال فضرهم بها ، ثم الأخرى كذلك ، فوفعت كل واحدة في واحد من مشايخ العدو ، ففَرَّجَ الله عَسن أولئك ببركته ، ثم إنهم أتوه بالقباقين وقد رأوا عليهما رطوبة الماء ، وكان بينه وبينهم حينئذ مسافة أيام متعددة .

وقال رضي الله عنه : إنا لم نحتاج لتسويد عند إنشاء قصيدة أو تصنيف كتاب ، كما يُعتَاد ، بل مسودتنا هي البيضاء ، لا اختلاف بينهما ، إلا إن أشكلت كلمة على من يرى ، أبدلناها بأوضح منها .

وأنشد بين يديه رضي الله عنه بقصيدته التي مطلعها^(١) : قل للذي جد بالأظلعان
يا حادي ، فقال نفع الله به بعد تمامها : هي من قلم القصائد ، فإن لم تصح لنا^(٢)
فهي على لسان من تصح له ، وكذلك كل ما هو بهذا المعنى .

وقال رضي الله عنه : يقال من أحسن نعم الله على الإنسان في الدنيا ثلاث :
أن يرى ولد ولده ، وأن يأكل من غرس يده ، وأن يُنشد بين يديه بشعره ، وقد
حصلت لنا كلها بحمد الله .

وأنشد عنده بقصيدته^(٣) : بشر فؤادك بالنصيب الوافي ، الخ . فقال نفع الله به
عند قوله (راح اليقين أعز مشروب لنا) : الراح والكأس ونحو ذلك مما يذكر في
كلامهم ، للمراد به اليقين .

وأنشد عنده أيضاً بقصيدته^(٤) : قل لأحبائنا بسُوح المقام . فقال رضي الله
عنه : لا تغلو أبيات من هذه القصيدة من زحاف ، بالنسبة إلى هذا البحر ، لأن ما لنا
كثير نظم فيه^(٥) ، وعادتنا إذا اطلعنا على ركة في بعض القصائد بعدم أنشائها
كذلك لا تتكلف إصلاحه ، وربما فعلنا ذلك بالقصد ، قال : وفيها أشياء ما توجد في
الرأية ، من فصاحة وغيرها ، ولو شرح هذه الأبيات عالم منصف ، خلي عن الحمد
والمناصفة ، لأتت فيها بجميع مناسك الخج ، ولا ينافس الإنسان إلا أصحابه^(٦) .

وأنشد أيضاً بقصيدته^(٧) : الناس في ضيق وفي حرج . فلما فرغ من إنشادها ،

(١) ديوانه : ١٨١ .

(٢) أي من حيث المعنى والحدائق والفوق المعاصم.

(٣) ديوانه : ٢٥٩ .

(٤) ديوانه : ٢٩٨ .

(٥) أي هذا البحر المعاصم.

(٦) أي أقرابه وأقرابه المعاصم.

(٧) ديوانه : ١٦٨ .

قال نفع الله به : اللسان الآن غير اللسان في ذلك الوقت ، فيختلف اللسان ، وإن كان اللسان الحسي واحداً ، فلسان الحال ولسان الوقت ولسان الداعي وأمثال ذلك ، فرمما يتكلم في البداية ، وفي النهاية كلام آخر ، وربما تكلم في وقت بكلام يستحسنه ، ثم يكرهه في وقت آخر ، وربما أنكره ، كل ذلك لاختلاف الألسنة المتقدم ذكرها ، أو كما قال بمعناه .

وعندما أنشد عنده بقصيدته^(١) : يا حيرة الحي عليكم سلام . قال رضي الله عنه : هذا ومثله من نداء النفس للروح وخطاها معه ، ويفعل ذلك للتغزل لحصول النظم ، ويذكر نعمان ، وهو المكان الذي أخذ الله فيه العهد على بني آدم ليصرف وَهَمَّ السامع عن ظن كون ذلك في الحضرة الإلهية أو النبوية وهو دون ذلك إذا تَبَيَّنَ وهو دونهما ، لتنزهها عما يورث الغزل .

وقال رضي الله عنه لبعض الفقراء : طالع في كتاب مقال الناصحين لاجمال^(٢) ، فإنه مليح ، فقال : إني أطالع في تفسير البغوي ، فقال نفع الله به : البغوي ، والإحياء ، والبحاري ، وهذه الكتب الكبار كالمالدين الكبار والأمصار إذا دخلها الإنسان يحرق فيها ، فيحتاج إلى من يعرفه ، وأما الكتب الصغار فهي كالقري الصغار ، ينبغي أن يدخلها الإنسان يتنفس فيها ، فينظر إلى ما يعجبه ويستحسنه ، وتلك يدخلها بعض الأحياء ، ويأخذ ما يستحسنه من هذه ومن هذه .

وقال رضي الله عنه : من يقرأ القرآن لا يمكنه أن يقول بالجهة ، فيفرق بين معراج النبي ﷺ وتكليم الله سبحانه لموسى عليه السلام من الشجرة ، لأن الأمور الإلهية لا يدركها أحد ، وما أوهم إشكالاً من كلام المحققين ، فلا ينبغي أن يسارع إلى

(١) ديوانه : ٣٠٨ .

(٢) هو الشيخ محمد بن عمر بن عبد الله لاجمال الموفى سنة ٩٦٤ وكتابه مقال الناصحين ومثال المتقين كتاب نفيس .

الإنكار عليهم ، بل يدّعونهم ، ويسعهم الكتاب والسنة ، ويجعلها من قبيل التشابهات الواردة في الكتاب والسنة ، ولمّ جاءت هكذا حتى احتاج الناس فيها إلى التسليم ، وإما إلى التأويل .

وقال رضي الله عنه : انزل في الله ورسوله لا يجوز ، ومن فعل ذلك يكاد يكفر ، وإنما هو في الروح والنفس ، فما كان من ذكر المثل والخلف والجفا ، ونحو هذا فهو تغزل في النفس ، لأنها موضع القساوة ، وما كان من ذكر الوصل وذكر اللطافة والأنس ونحو ذلك فهو في الروح .

وذكرت له رضي الله عنه : إن رأيت في الحسا ، في كتاب " الغنية " للشيخ عبدالقادر ، ما يشبه كلام الجسم ، فقال نفع الله به : اطلب ذلك الكتاب وأسمعنا ما رأيت ، فطلبته من عند السيد عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه^(١) ، وأسمعت ذلك ، فلما سمعته أقره ، وقال : لا بأس به ، وفي كلامه من السعة أكثر مما يسمعه ظاهر الآيات والأخبار ، فليحمل أقل ما في الحال على ما يحتمله ظاهر الآيات والأخبار ، لأنه الظاهر ، أو قال : الأصل أو كلمة نحوها ، وإنما صرف عنه بالتأويل ، واللغة واسعة ، فلا حرج ، وشأن الأمور الإلهية وذكرها في العلو أعظم شأنًا منه في السفلى فأين ما يوصف به السماء السابعة وما حولها وبأن سكانها الملائكة على طبقاتهم ، مما يوصف به الأرض السفلى ، وأن سكانها الجن ، وإحاطة علمه تعالى بكل شيء ، لا يفيدهم شيئاً ، وأين الأمور الإلهية من قياس العقول ، قلت له : إن الأشاعرة في تلك الجهات يقولون ، إن مثل هذا الكلام ممدوس على الشيخ ، فقال : هذا إن صح عنه^(٢) ، وإلا

(١) هو الحبيب عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بلفقيه من معاصري الحبيب عبدالله ، وقد أدرك الحبيب بلفقيه الحبيب عبدالله الخداد وهو شاب وفتح يقول الحبيب عبدالله والله ما في الأكران مثل عبدالرحمن والله القصيدة المشهورة بالرسائل وغير ذلك توفي سنة ١١٦٢هـ .

(٢) أي كلاما هذا إن صح عن الشيخ ما ذكر في ذلك الكتاب وإلا فهو ممدوس عليه كما نص على الشراري .

فقد دُس على الشعراوي في كتيبه ، وذلك غير بعيد .

وقال رضي الله عنه : التزيه على قسمين ، قسم أضافه الحق إلى من لا إيمان له من المشركين والملاحدين ، وقسم تزّه نفسه عنه من غير أن يقع ، فربما يقع في عاصطٍ شيء فنفي ذلك.

وقال رضي الله عنه : إذا أردت أن تنفي الجهة في حقه تعالى ، وتعلم أنه غير محتاج لجهة ، فأثبت حدوث العالم ، فإذا ثبت فلا حقا في ذلك ، فأين كان قبل وجود الموجودات ، وأين يكون عند قيام الساعة ، وعندما يطوي السماوات والأرض بيمينه ، فيعدمهما ، فيُعْلَم غناه عن الجهة ، فأين كان قبل ذلك وبعده ، وقد يُغلط في لفظ الشمال في حق الله سبحانه ، من يقول له شمال ، وإن كان قد جاء في بعض الأحاديث ، وإنما كلنا يدي ربنا يمين ، اليمين الكرى بما فضله واليمين الأخرى بما عدله ، فلا يوصف بشمال ، وكذا يقال فوق الفوق ، وفوق التحت ، ولا يجوز أن يقال تحت التحت ، لأنه فوق كل شيء ، والأمور التي لا تدركها العقول كثيرة ، منها ما هو في الوجود ، ومنها ما هو في القدرة ، لم يبرزه الله سبحانه ، ولا يعرف الإنسان منها إلا ما يألفه ، فيقيس عليه ما يقرب منه ، وأما ما لا يعرفه ولا يألفه طبعه ، فلا يعرفه أصلاً ويرى ما عداه محالاً ، وما لم يره أو يعلمه لا يمكنه أن يتعقله ، فحل الخوض في الحق^(١)، وانظر إلى الملائكة ، إنما غذاهم الذكر ، لو قيل حي لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ، يقال : ما هذه الحياة؟ وكيف تكون؟، ويستبعده ، وكذا الجنة حيث يقال : طولها كذا، وعرضها كذا، وصفتها كذا ، فإذا استبعد يقال له : نعم ، لو كان ذلك في هذا العالم الضيق ، وهنالك عوالم شئ ، منها ما هو في

(١) أي الله تعالى . اعصام.

الوجود ، ومنها ما هو في القدرة .

وسمع رضي الله عنه شيئاً من كلام ابن الفارض فيه غزل ، فقال : هذه الأمور لما كانت في أوصاف المخلوق ، أنكرها عليه بعض الناس ، ظنوا أنه يريد بها الخالق ، وهذا خطأ منهم ، لأنه لما كان ذلك في وصف الخلق ، تبين أنه ليس في الخالق ، فإذا صرح للمخلوق بالمخلوق ، فهو بالمخلوق أحق ، وأجاب عنه بعضهم ممن يقول بالشاهد ، بأن ذلك في النور الساري في المخلوقات ، وهو من نور الله سبحانه ، وكل هذه أمور باطلة ، قال : وفي نظمه فصاحة وملاحة ورقة ، كأنه كان متمرنّاً عليه ، وفي نظم الطرائفي وغزله مثله ، ويقول عند التخلص رجعت عنه ، فمثّل هذا بيريهم ويفيد غيرهم ، ويسمى هذا التشبيب ، ومثله في كلام ابن علوان ، لأنه كان مجتهداً في علم الأدب ، ليكون في مرتبة أبيه عند الولاية ، ثم ذكر قصة جذبته ، كما ذكره في "طبقات الخواص"^(١) للشرجي ، وكثيراً ما يذكر آل طه ، وآل يسر حتى توهم بعض الناس أن له نسباً حسيباً في الأشراف ، ومرة قال : كان أبوه حسن الخط ، فخط كتاب "البيان" ووصل إلى بغداد ، فتعجبوا من حسن خطه ، فقال بعض أهل تلك الجهة : ما حسبن أن في اليمن إنسان ، حتى جاءنا البيان بخط علوان ، وكان مؤلفه^(٢) من أهل اليمن ، قال اليافعي في تاريخه : إنه ممن يقول بذلك القسول من الشافعية .

وقال رضي الله عنه : النظم نحن إليه الأرواح أكثر مما نحن إلى الشعر ، بشرط أن يكون السامع مجرداً عن الهوى ، لئلا يتزل الأشياء على أغراضه ، وقد سأل الشعراوي ابنن عن مسائل ، فأجابهم وجعل الجواب نظماً ، فقبل له في ذلك ، فقال : لألهم

(١) طبقات الخواص : ٦٩ .

(٢) هو الإمام العلامة يحيى بن أبي الخير العمران التوفي سنة ٥٥٧ هـ .

يطربون إلى النظم خيراً مما يطربون إلى النثر ، ولا يجوز تنزيل الغزل على الحضرة الإلهية ، ولا ما فيه الحُلف على النبوة ، بل ما كان فيه الوفاء والمدح على الروح ، وما كان فيه الحُلف والجفا والمطل على النفس ، لأن هذا طَبْعُهَا .

وأمر رضي الله عنه منشداً ينشد ، ثم قال : كل ما في النظم من المدح ، فنزله على الروح أو الكعبة أو الجنة ، وكل ما كان فيه من الذم ، فنزله على النفس والدنيا ، والحذر من تنزيله على ما تنزله العامة عليه ، من كونه ينزلونه على الحق سبحانه ، أو على النبي ﷺ ، فهذا لا يجوز ، فإذا صرح المخلوق بالمخلوق ، فهو بالمخلوق أقمن وأحق ، ويكون في معشوق حلال ، وإن احتمل ذا وذاك فيمكن حمله على شيء من الحضرات الإلهية .

وذكر رضي الله عنه : أن لابن عربي نظماً ، ثم قال : لكن يرتفع في نظمته ، وآخرون وإن كان معهم حقيقة ، ينزلون في نظمهم للناس لقوله عليه السلام^(١) : ((كلموا كل إنسان بما يعلم ، أتريدون الخ)) ، وهذه الأشياء من علوم الحقائق ، يستحبون بها لكونها لا تتعلق بعمل ولا حكم ، ومن حق النظم أن يكون في وعظ أو تذكير ، أو حث على خير ، أو تحذير من شر ، أو تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة .

وقال رضي الله عنه لبعض للشديد : ما فيه ذكر النساء وأوصافهن أنشده في محاضر الأعراس ، وما كان فيه غزل وغوه في مجالس الضيافات ، وما فيه ترغيب في خير ، أو مدح للنبي ﷺ وما جرى مجرى هذا ، ففي مجالس الأخيار .
وقال رضي الله عنه : إن أبا مخزومة قصد السوداني ، واجتمع به ، وكان إذ ذاك

(١) الحديث في شرح الإحياء : ١ : ٣٤٤ .

قد حصل في حضرموت قحط شديد ، فأنشأ السوداني فيه هذه القصيدة، مكاشف له:

(غُرَيْبٌ مُطَّرَتْ بِلَادُكَ)^(١) ،

والشيخ يعني بالخرمة ، قد يفعل قصائد على ألسنة العامة يطلبون ذلك منه .
وذكر عنده رضي الله عنه يوماً السوداني وبالخرمة ، وقيل : كان وقتهم صالحاً ،
كثير الخير والأخبار ، فقال : كان في وقتهم سحاب يطر عليهم ، وأما الآن فكما
قال الجنيد لما قيل له : ألا تفعل السماع؟ ، فقال : لمن؟ ، ف قيل : لنفسك ، فقال : مع
من؟ ، وهذا لأن الأشياء إنما هي في أوقاتها ومع أهلها .

وقال رضي الله عنه : الغزل حجار الأسس يُبنى عليه النظم ، ولا يحسن النظم
إلا بالغزل ، وقد جرت به عادة العرب ، ولا بد فيه من ذكر أوصاف النساء ، ولما
كان العشق إنما يعرف في النساء ، حتى جرت العادة بالغزل فيهن ، جرت عادة
الصالحين أيضاً في قصائدهم بالغزل من ، وإن كان مقصدهم غير مقصد غرهم ،
وقال لي رضي الله عنه يوماً : أنشد ، فأنشدت بقصيدة ابن علوان : ألا عرج أضاء
لك السبيل — وبعلها بقصيدة سيدنا : الله لا تشهد سواه ولا ترى — الخ

(١) سأل الحبيب عبد الله بن طوي الخيشي شيخه الحبيب عبدروس بن عمر الخيشي عن قراءة الحرف الذي قبل القافية مسن
القصيدة التي للسودي (غريب مطرت بلادك) هل الأولى فتحة كما اعتاده كثير أو الأولى ضم اتباعاً لوجه الإعراب؟
فقال : الأولى فتح الحرف المذكور لأن نظم العرفين معرب باطناً وإن كان غير معرب في الظاهر بالضم - كما يشير إلى
ذلك ما ذكره الحبيب عبد الرحمن بن مصطفى العفروس في شرح (هات يا حادي) عند قول الإمام العيني : (إنَّ للذُّبَرِ
في الأمور غوك) ، فقال : (تنبيه) أعلم أن نقل حركة الأحرار إلى ما قبله عند السكون لغة جنتر وعلمى هذا يمشي
الخطران الأولان ، أي قوله : (إن للذبر في الأمور غوك) في كل أمورك وفي أمورك) . ثم قال : وقد نص أهل
الفن على أن القمن في الموشح يمان أعذب وأطرب ، وإعرايه في حنه . ويصح فهم قول القائل :
لحسنهم معرب وأعذب من ذا أن إعراب غرهم مسلحون
بالضم كاتبه يحيى .

فلما فرغت منها أنشد هذا البيت :

اللَّهُ أعظم من إشارة عارف واللَّهُ أكبر من إشارة عالم
وهذا البيت أيضا:

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يُشير

ثم قال نفع الله به : إن الخوت إذا غار عنه للماء هلك ، وعكسه الضب إذا وقع في للماء مات ، وذكر النظم المقول في ذلك وهو :

إذا كنت قوت النفس ثم حجرها فكم تلبث النفس التي أنت قوتها
ستبقى بقاء الضب في للماء أو كما يعيش ببذاء المفاوز حوتها

فقلت : قولكم : الله أكبر غار بحر الخوت، هو إشارة إلى ماذا؟، فتبسم ضاحكاً، وسكت قليلاً ثم قال : ولما تجلّى الحق لموسى كيف كان حاله؟، إلا عر صعباً ، والجبل صار دكاً، وأهل الحق يرمزون في النظم ، ويشيرون فيه إلى أسرار وأمور تقع في خواطرهم لا يمكنهم التصريح بها ، ولكنهم يتفلسون بمثل ذلك ، ويتسلّون به .

وقال رضي الله عنه : العلم دليل الفعل ، فإن لم يكن فعل^(١) ، فهو خسارة على الطالب والمطلوب ، والأحسن للمحترف إذا لم يسهل عليه أن يعمل بما في البداية^(٢) ، أن يعلم بما يَدُلُّه من علوم الإيمان^(٣) وعلوم الإسلام^(٤) ، ويشغل بحرفته ، ويترك طلب العلم [أي ما زاد على الواجب] ، ويسلم من غطره ، ويَدَّعه على غيره ، سواء كان برّاً أو فاجرّاً، فإن قدر أن يعمل بما فليطلبه ، فإن العلم يزيده حمراً ، وإلا

(١) أي عمل . اعلم .

(٢) أي من طلب العلم مع الإخلاص فيه حسبما شرّط فيها . اعلم .

(٣) أي الاعتقادية . اعلم .

(٤) أي العملية . اعلم .

فمن عجز عن القليل ، فلا شك أنه عن الكثير أعجز ، وفيها^(١) ميزان عجيب ، أو قال عظيم ، ذكره مصنفها فليحرب نفسه به .

وتكلم يوماً رضي الله عنه كلاماً على أهل الجنة وعوائلهم ثم قال : هذه أوعية ملائكة ، ما عاد تقبل التعليم ، فأين يُطرح فيها .

وقال نفع الله به : الغلو مذموم ، لأنه يولد غلوّاً في الجانب الآخر ، فالغلو يولد غلوّاً ، والتفريط يولد تفريطاً .

وقال رضي الله عنه في حديث^(٢) : ((العلم لا يحل منه)) ، أي لأهله ، أو العلم الواجب من كيفية الصلاة والطهارة وأمور العبادات ، لأن العلم أنواع ، شئيء ينزل لعامة الناس ، وشئء للخصوص ، كالمال ينقسم إلى جهات مختلفة ، شئء منه لأهل الحرم ، والفني ، وشئء للفقراء والمساكين ، وغير ذلك .

وسأله رضي الله عنه عن حديث^(٣) : ((يستوفى للقرناء من الجماء)) ، فقال نفع الله به : لعل ذلك مبالغة ، ويبقى هذا على ظاهره ، لأن ذلك في قدرة الله تعالى ، وأمور الآخرة كلها تمر على ظاهرها ، ولا حاجة فيها إلى تأويل شيء ، إلا إن كان حديثاً واحداً ، واحتيج إليه ، فإن كان وردت أحاديث عند ذلك على معنى يترك^(٤) ، ويجعل من الأمور السمعية ، لأنها عند أهل العلم لا تزول ، وقد جاء تخصيص بعض الحيوانات بدخول الجنة ، ولكن ذكر الإمام الغزالي : أن من ظن أن الله تعالى سيحيي كل بقعة وبعوضة حتى يسألها ، فقد انحل عن غريزة العقل ، فلعل ذلك إنما هو في

(١) أي البداية .

(٢) أخرجه المصنف في كتاب الصلاة : ٢٨٦٧٠ وانظر كشف الخفاء والإيضاح ٢ : ٨٧ .

(٣) ابن عدي ٢ : ٢٣٢ وفيه قال ساعد ليس هنا في حديث عثمان عن النبي ﷺ إنما رواه أبو عثمان عن سليمان بن قولة . وفي هامش بعض النسخ ، قال أبو الحسن الأشعري : لا يجوز اللطافة بين الهمام لأنها غير مكلفة . والحديث على سبيل التسلل .

(٤) أي يترك على ذلك لعدم اهتمام .

حيوان له خطر.

وقال رضي الله عنه : إذا كان فضيلة في النفس سهّل على الإنسان تناولها في أقرب وقت ، وحصل له الفتح كما كان ذلك للإمام الغزالي حتى صنف في وقت شيخه إمام الحرمين .

وذكر رضي الله عنه جماعةً اجتمعوا في الطلب ، فقال : إذا كان شيء مناسباً ، حصل الإتحاد كلّاء مع اللبن ، واللّاء مع الدهن ، وإن كان إلا كالعود مع اللّاء لم يحصل . وقال رضي الله عنه : ما العلم إلا معرفته والعمل به ، وتعليمه لمن تأهل ، وإلا كان متلاعياً بالدين ، والدين أعمال واتصاف ، فيطالب نفسه بالعمل ، فمن لا ينصح نفسه ، ما نصحه الناس ، خصوصاً في هذا الزمان المبارك ، لو رأوك تسيء الصلاة ، وعرفوا أنك لا تقبل ، ما كلمك واحد.

وقال رضي الله عنه : قوهم : إذا ضايق الأمر اتسع ، هو أن الله هو الذي يضيئه ، وهو الذي يوسعه ، ما هو أنت ، فإذا ضيقته من حيث الأعمال ، فاذهب إلى أهل العلم يعرفونك ، وقد قال بعضهم في المعاملات : معاملة الحق بالحقيقة والسنة ، ومعاملة الخلق أيضاً بالحقيقة والسنة ، ومثلوا لذلك بقصة صاحب الدّين الذي جعله في الخشبة ورمأها في البحر ، ثم بعد ذلك سافر إليه بدينه ، فهذا عمل بالحقيقة والشريعة ، ومعاملة الحق بالحقيقة فقط ، ومثلوا له بحال أصحاب الغار الثلاثة ، يتوسل كل منهم بأصلح ما علم من عمله الصالح في انطباق الصخرة عليهم ، ومعاملة الحق والخلق بالسنة ، وأما الذي يعامل الخلق بالظلم ، فلا تبالي بما يقع له ، فإنه لا يموت مستور الحال ، لنهالونه بأخذ أموال الناس ، أو كما قال .

وقال رضي الله عنه : قوهم : فيها أفلاك ، يحذفون الكلمة ، ومعنى ذلك فيها أفلاك دائرة ، يعني تدور عليك بما تحب ، بعدما كنت فيما تكره .

وبفضل الله سبحانه وتعالى كان هذا نهاية الجزء الأول من كتاب تثبيت الفؤاد .
قله الحمد أولاً وآخرأ .

وتتبعاً للفائدة ننقل ما وجدناه مكتوباً على ظهر بعض النسخ التي تمت المراجعة عليها:-

١ - الموجود على النسخة الأم ، نسخة الحبيب أحمد بن حسن الحداد :

وكان الفراغ من نسخة تحريره بعد صلاة الظهر من يوم الثلاثاء ١٩ جمادى الأولى سنة ١١٧٠ على يد العبد الفقير إلى الرب القدير ، للعرّف بالقصور والتقصير،
الراحي لعفو الله الكريم الجواد ، الشريف أحمد بن الحسن بن عبد الله بن علوي الحداد
عفا الله عنه وعن والديه وأحبابه والمسلمين ، (أي وعمره - أي الحبيب أحمد
بن حسن - إذ ذاك ٤٤ سنة ، حيث كان وجوده في شوال سنة ١١٢٧هـ) .
وأفيدك أيها القاريء الكريم : أن الإمام للدقق الحبيب علوي بن أحمد بن حسن
الحداد ، قد قرأ هذه النسخة وراجعها وحققها ، فقد وجد بخطه مايلي :- قرأ في
هذا الكتاب ، تثبيت الفؤاد بذكر بحال الحبيب عبدالله الحداد - علوي بن أحمد
بن حسن بن عبدالله الحداد باعلوي أول قراءة فيه ، وثانية ، وثالثة ، على حده القطب
العارف بالله الحسن بن سيدنا الغوث عبدالله ، جعل الله في ذلك البركة والعاقبة
الحسنة آمين . ثم قرأ فيها الحبيب عبدالله بن علي الحداد ، وكتب مايلي :- بلغ
مقابلة على الأم أنقول منها التي هي بقلم الحبيب أحمد بن الحسن بن الحبيب
عبدالله الحداد حسب الطائفة والإمكان نحن والحب المنور أحمد بن عبدالرحمن عقبه
الشيامي بتاريخ ١٣ شهر رجب الأصب سنة ١٣١٣ هجرية . قال ذلك وكتبه الفقير
إلى ربه عبدالله بن علي الحداد عفا الله عنه آمين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وصحبه وسلم . ثم طالع في تلك النسخة الحبيب علوي بن محمد الحداد ، وكتب مايلي :- طالع في هذا الكتاب الفقير إلى ربه الجواد ، علوي بن محمد بن طاهر بن عمر الحداد ، رزقه الله الإنتفاع بما فيه ، وغمر بفيوض المعارف وادبه ، وجعل له وذويه من المتبعين للحبيب الأمين . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه للميامين . وأسأل من الواقف على هذا الكتاب أن يدعو لي بصلاح ظاهري وباطني ، وكمال الإتياع للحبيب وآله ، وكمال اليقين والثمكن ، والإنتظام في سلك الصالحين ، وبخمس الختام ، والوفاة على الإسلام .

فأعظم بها من نسخة ، كتبها وحررها الحبيب أحمد بن حسن الحداد ، ثم راجعها وقرأها مراراً الحبيب علوي بن أحمد بن حسن الحداد على حمله الحبيب الحسن بن عبد الله الحداد ، فأكرمهم بهم من قارئ ومستمع . ثم الحبيب عبد الله بن علي الحداد ، ثم طالع فيها الحبيب علوي بن محمد بن طاهر الحداد .

٢ - الموجود على نسخة الحبيب أحمد بن عبد الرحمن الحداد :

وقد تمت للمراجعة على الجزء الثاني منها ومكتوب على ظهرها :- كان الفراغ من نساخة تحريره ، ضحوة يوم الخميس ٢٠ من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٥٢هـ . بقلم الفقير الفقير ، راجي عفو ربه الجواد ، أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن حسن بن عبد الله بن علوي الحداد . عفا الله عنه ووالديه ، آمين . وأيضاً مكتوب عليها :- بلغ بقراءة الفقير إلى مولاه ، علي بن حسن بن حسين بن أحمد الحداد ، على والده في مصلى الخاوي، بعد صلاة العصر آخر جمادى الآخرة سنة ١٢٥٤ هـ . وهي ملك الحبيب حسن بن حسين بن أحمد الحداد .

٣ - الموجود على ظهر نسخة الحبيب الإمام ، حجة المتأخرين : عيـدروس

بن عمر الحبشي :

وكان الفراغ من نساخة تحريره ، ضحوة يوم الثلاثاء ١١ غلت من شهر رمضان للعظم من سنة ١٢٩٣هـ . على يد العبد الفقير الحقير إلى مولاه ، أقل العباد : علي بن حسن بن حسين بن أحمد بن حسن بن القطب الغوث عبد الله الحداد علوي ، عفا الله عنه وعن والديه وأولاده وأجداده وأحبابه ومحبيه ، آمين . وذلك بعناية محبه وخلاصته ، الموفق عمر بن أحمد عبادي بندياب ، كان الله له عوناً ومعيناً ، ووقفه لما يرضيه ويرتضيه رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . ثم انتقل هذا الكتاب إلى ملك إبراهيم بن عمر بن أحمد بن عبد الله عبادي بندياب ، خاص له . وإبراهيم بن عمر المذكور قد وهب هذا الكتاب بالهبة الصحيحة لسيدنا وبركتنا الحبيب القدوة البركة عيـدروس بن عمر بن عيـدروس الحبشي ، وصار ملكاً من أملاكه ، تقبل الله ذلك عنه وكرمه ، آمين . وذلك بتاريخ يوم الاثنين ٢٦ غلت من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٠١هـ . ثم صار إلى ملك الفقير إلى مولاه محمد بن عيـدروس بن عمر الحبشي ، عفا الله عنه .

وعلى النسخة المذكورة أيضاً : تشرف وسعد إن شاء الله تعالى بمطالعة هذا السفر الجليل وسماعه ، العبد الحقير علي بن محمد بن عيـدروس الحبشي ، وألهمي قراءته في شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٥هـ ، رزقه الله كمال محبة قائله ، والانتظام في سلكه ، آمين . ثم انتقل إلى ملك الفقير عبد الله بن عبد القادر بن أحمد الحداد ، مشترى من الأخ علي بن محمد بن عيـدروس الحبشي . اهـ .

ونحمد الله سبحانه وتعالى أن مَن علينا ووفقنا لقراءة هذا السفر المبارك ، وبذل الجهد لمراجعته على النسخ التي ذكرناها ، وانتهى بنا المطاف على أن يكون الضبط والتحقيق على نسخة الحبيب أحمد بن حسن بن عبدالله الحداد (النسخة الأم)، وهي النسخة التي حققها الحبيب علوي بن أحمد بن حسن الحداد، حيث وجدناها في قمة الضبط ، ومهمشة بفوائد وتلقيقات من قبل الحبيب أحمد بن حسن نفسه ، وعليها عناوين المقالات . وتلك النسخة هي التي وجدت عند الحبيب البركة أبي بكر العطاس بن عبدالله بن علوي الحبشي ، حيث تكرم بما علينا في آخر أيام حياته ، فجزاه الله خير الجزاء ، وقد كان انتقاله [أي الحبيب أبي بكر العطاس] إلى الدار الآخرة يوم الأربعاء ٢٩ من شهر رجب عام ١٤١٦ هـ . فرحمه الله رحمة الأبرار .

كما قام بتخريج بعض الأحاديث ، وتوضيح معنى بعض الألفاظ الدارجة ، وإسناد بعض الآيات التي يستشهد بها إلى قائلها - السيد عبداللّاه بن علي الحبشي ، فجزاه الله خيراً .

كما تشرف وقام بنساخته السفر ، ومزيد المراجعة السيد عدنان بن يحيى بن أحمد العبدروس .

وكان الوقت المخصص للمراجعة والقراءة ، هو ما بين صلاة الصبح إلى الإشراق من كل يوم إلا يوم الجمعة . وكانت المراجعة بمساعدة ومجهود كل من الشيخ المحب محمد بن سالم بن عبدالله الخطيب ، والشيخ المحب أبي بكر بن زين بن أبي بكر الراقي بافضل . وقد استغرقت للمراجعة قُرابة الخمس سنوات .

ومن الجدير بالذكر : أن بعض الألفاظ تم إيرادها كما وجدت بالأم ، لا كما ينبغي من حيث حركات الإعراب. كما أن هناك جُملاً تعد بالأصابع لم يتوضح لنا

معناها ، فأثبتناها كما هي بالأم. ونلتمس من كل من يجد ملاحظة نحو المراجعة من كل ما ينسب إلينا أن يفيدنا عنها مشكوراً .

نسأل الباري جلّتْ عظمته : أن يتقبل منا وأن يعفو عنا ،محض الفضل والجود والكرم ، وأن ينفعنا ويدخلنا في دائرة الإمام الحداد ، وأن يكفر عنا السيئات ، ويرزقنا كمال الاتباع للرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن يشمل بالمغفرة والدينا وأحبائنا وذريتنا وجميع المسلمين ، وأن يعم نشر هذا الكتاب في أرجاء المعمورة ليعم به النفع إنه سميع مجيب. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . والحمد لله رب العالمين .

المشرف على المراجعة الفقير إلى الله للملك القدوس : يحيى بن أحمد بن عبدالباري العيدروس . عفا الله عنه . حرر في حدة صبح يوم الخميس السابع من ذي القعدة من عام ١٤١٨هـ. ومن يُمن الطالع أن هذا اليوم يوافق يوم وفاة الحبيب عبدالله بن علوي الحداد ، حيث كان انتقاله في السابع من ذي القعدة من عام ١١٣٢هـ - أي قبل حوالي ٢٨٦ سنة - نفعنا الله به في الدارين آمين . والحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

.....

آخر الجزء الأول من كتاب " تثبيت الفواد "

وبليه (إن شاء الله) الجزء الثاني الذي أوله:

((ودخل عليه رضي الله عنه السيد زين العابدين)).

فهرس الجزء الأول حسب العناوين

ذكر شيء مما نُوهوا به من وَصْفِهِ.....	٤
اعتناؤه بمن تعلق به نفع الله به.....	٢٤
انظر ما قال في سبب دخول الصالحين بترجم.....	٥٣
ما قال في دخول السادة.....	٥٤
ما قال في الإخلاص وعزته.....	٥٩
ذكر ما يتعلق بالنساء.....	٦١
ذكر ما قال في مطالعة كتاب التنوير.....	٦٤
ذكر ما قال في حرمان الرزق.....	٦٩
انظر ما قال في الجهة الحضرمية.....	٧٢
انظر ما قال في بلدان حضرموت.....	٧٤
انظر ما قال في التشبه بالسلف واستدلاله بالحديث المذكور.....	٧٤
انظر ما قال في فضل هذه الأمة.....	٨٢
ذكر ما يتعلق بالرزق.....	١٠٦
كلمات تقال عند الوقاع.....	١٢٨
ما قيل في حسن الظن في غير محله.....	١٢٩
ما قال في القضاء والقدر.....	١٣٥
كلامه رضي الله عنه في الحسد.....	١٤٥
ذكر ما قاله في الإلباس.....	١٤٩
ما قاله من المقابلة لنصح النقل والتوصية بذلك.....	١٦٦

- ١٧١ ما قال في من يرث الولي إذا مات
- ١٧٣ قصة أصحاب السفينة
- ١٧٤ ما قال في طلب المريد الطالب للقراءة
- ١٧٤ ما قال في آداب مطالعة الإحياء
- ١٨٥ ذكر العقيدة
- ١٨٩ معنى الطُّرُق إلى الله
- ١٩٠ ما قال في التأني والعجلة
- ١٩١ ما قال في الهمة
- ١٩٢ ما قال في طلب العلم
- ١٩٣ ما قال في الاغترار بالكرامات
- ١٩٤ ما قال في الخمول والشهرة
- ٢٠٠ ما قال في انتفاع السادة بعضهم من بعض
- ٢٠٢ ما قال في معنى حديث : إن الله جميل
- ٢٠٦ ما تكلم به السيد أحمد بن زين على قصيدة سيدنا
- ٢٠٩ ما قاله في النفس
- ٢١٢ مفاضلة الأولياء
- ٢١٣ ما قال فيمن يتسبب لابن علوان والرفاعي
- ٢١٤ ما قال في التواضع
- ٢١٤ قصة صاحب الشجرة
- ٢١٥ ما قال في العقيدة

- ٢١٦ ما قال فيمن له في العمل وجهان
- ٢١٧ ما ذكره عن السيد عبدالرحمن بن محمد الجفوي صاحب (تريس)
- ٢١٨ ما قال فيما هو في وقت السلف
- ٢٢٣ ما قال في كثرة من انتفع به
- ٢٢٣ ما قال في باجابر
- ٢٢٥ ما قال في الصغار وتربيتهم
- ٢٢٧ ما قال في الخمول
- ٢٢٩ حكاية الطيب
- ٢٣١ ما قال في الذي يضيق من القراءة
- ٢٣١ ما قال في العدل بعد المائتين
- ٢٣٢ ما قال في النفس
- ٢٣٤ ما قال في الأمانة
- ٢٣٥ المرأة لا تكون بدلاً
- ٢٣٦ ما قال في القرآن
- ٢٣٩ ما قال في الحظاية
- ٢٤١ ما قال في الأمراء
- ما قال في عدم قبول الملوك والأغنياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ٢٤١ بخلاف الفقراء
- ٢٤٣ ما قال في كلام ابن الفارض وابن عربي
- ٢٤٥ ما قال في تزييل الغزل

٢٤٦ ما قال في علماء الزمان
٢٤٦ أخذ العلم من المتأهل
٢٤٧ انظر طلبه أيام بدايته
٢٤٨ ما قال في طبع النفس
٢٤٩ ما قال في حديث النفس في رمضان والسجود
٢٤٩ ما قال في سهر كل الليل في رمضان
٢٥٠ مسألة فقهية
٢٥١ ما كان يقرأ في السكينة
٢٥٢ ما قال في المواساة
٢٥٤ ما أشار به إلى وفاته
٢٥٩ ما قال في محمل كلمة الصالحين
٢٦٠ ما قال في طبع الصغر
٢٦١ ما قال في إنكار بعض العوائد
٢٦٣ ما قال في المضطرب في الغنة
٢٦٣ ما قال في الماء المسخن على النار
٢٦٥ ما قال في شدة الشوق مع البعد بخلافه مع القرب ثم ما قال في العراق
٢٦٨ انظر ما أخبر عن حاله
٢٦٩ ما قال في الروح والتنقل
٢٧٠ ما قال في السادة آل باعلوي
٢٧٠ فتن آخر الزمان

٢٧٢	ما قال في الأدب مع المرموقين بالخير
٢٧٤	ما قال في الصبر
٢٧٥	ما قال في القاضي
٢٧٦	ما قال في ذم تمحي البلاء
٢٧٧	ما قال في كلمة لا إله إلا الله
٢٧٨	ما قال في المهدي
٢٨١	تحري النية في الأمور المباحة
٢٨١	ما قاساه من أهل تريم ، وقصة آل باكثير
٢٨٣	ما قال في قوله تعالى : ستفرغ لكم ، الآية
٢٨٣	ما قال في عقائد أهل حضرموت
٢٨٤	ما قال في باخرمة
٢٨٤	ما قال في طلب العلم
٢٨٧	ما قال في الفتن الطاغية في الجهة
٢٨٧	كثرة الظلم في حضرموت
٢٩٠	ما قال في من قال من أهل الشطح
٢٩١	ترك الأدب في محله
٢٩٣	ذم من يدخل وسط الجابية
٢٩٣	معرفة موازين القرآن
٢٩٤	ما قال في الذهن
٢٩٥	تعزية وتسلية

- ٢٩٦ ما قال في حديث أن لا تغضب
- ٢٩٧ ما قال في معنى حديث : ((ما جلس قوم .. الخ))
- ٢٩٧ بركة لا إله إلا الله . وذكر العمود
- ٢٩٨ ما قال في حديث الأئمة من قریش
- ٣٠٠ معنى الحرفان المهيملان
- ٣٠١ ذم الدعوى
- ٣٠٢ المتخفي بكبره
- ٣٠٣ ما قال في معنى حديث : الناس معادن .. الخ
- ٣٠٤ قوله : نصلي خلف كل بر وفاجر
- ٣٠٤ تأويل تبجح الأكابر
- ٣٠٥ ما قال في الإحسان
- ٣٠٦ ذكر حجه نفع الله به
- ٣١٦ ما قال في السماع ونحوه
- ٣٢١ ما قال في تأني الحاكم
- ٣٢١ ما قال في القضاء والقلل
- ٣٣٣ ما قال في ذم الدنيا
- ٣٤١ انظر ما قال في الرياء
- ٣٤٥ انظر ما قال في سبب نزول الغن
- انظر ما قال من الإشارة إلى سيل نجم الحوت قبيل مجيئه وما قال عنه بعد
- ٣٤٦ مجيئه رضي الله عنه

- انظر ما قال فيما يدفع الخن..... ٣٥٤
- انظر ما قال في العلم وفي أهل العلم أو تفسير حديث..... ٣٥٥
- قف على شدة تواضعه لربه..... ٣٦١
- انظر معنى الشكر..... ٣٦٧
- قف على ما قال في نظمه..... ٣٧٩